أول إصدار لهذه الرواية

الختم الرسمي لأعمال «نورا روبرتس» يضمن أن هذه الرواية أحد أعمالها الأدبية الجديدة.



نورا روبرتس

الزهرة السوداء

الجزء الثاني من ثلاثية «حديقة الزهور»

المقدمة



ممفيس ، تينيسى
أغسطس ١٨٩٢

ارتدت ملابسها بعناية ، واهتمت بمظهرها كما لو كانت أول مرة تعتنى بملابسها منذ شهور . فقد تركتها خادمتها الخاصة بها منذ أسابيع ، وليست لديها النية فى استئجار خادمة أخرى . وقفت ساعة وهى تصفف ضفائرها ثم أخذت تلف شعرها المبتل بعناية فائقة .

لقد فقد لمعانه وبريقه الذهبى طوال ذلك الخريف الطويل ، ولكنها تعرف أنواع مستحضرات التجميل التى ستُعيد له رونقه مرة ثانية ، إنها تعرف أيضا كيف تنتقى مستحضرات تجميل الوجه والشفاه .

إنها على دراية كبيرة بتلك الأمور . فكيف كان يمكنها أن تجتذب عينىْ رجل مثل ريجنالد هاربر ؟ وكيف يمكنها بأى طريقة أخرى أن توقع غيره فى شباكها ليتخذها عشيقة له ؟

ستستخدم إميليا حيلها مرة أخرى ، وقد قررت أن تغريه ثانية ليلبى لها كل طلباتها .

لم يأت إليها طوال تلك الفترة ، طوال تلك الشهور ، فاضطرت أن ترسل خطابات إلى مقر عمله ، تناشده أن يأتى إليها ، ولكنه تجاهلها ، وتجاهل جميع خطاباتها .

نعم تجاهلها ، بعد كل ما قامت به ، بعد كل ما فقدته وضحَت به من أجله .

هل لديها خيار آخر سوى أن ترسل المزيد من الخطابات إلى منزله فى جراند هاربر حيث تعيش زوجته ذات اللون الشاحب ، وحيث لا يمكن لعشيقة مثلها أن تتواجد .

ألم تمنحه كل ما سأل ؟ وكل ما يمكنه أن يسأل ؟ لقد تاجرت بجسدها من أجل توفير سبل الراحة فى هذا المنزل ، من أجل توفير الخدم ، من أجل أشياء تافهة مثل تلك المجوهرات اللامعة التى وضعتها بأذنيها الآن .

ضحَت بأشياء زهيدة لرجل فى مثل ثروته ومكانته الرفيعة ؛ ولم تكن تطمح فى أكثر من ذلك ، لم تكن تريد سوى رجل يمنحها ما لديه ، ولكنه قد أعطاها أكثر مما أعطاها غيره ، وكانت خسارتها لذلك تفوق احتمالها .

لماذا إذن لم يأت لكى يريحها ؟ لكى يخفف عنها ؟

هل اشتكت مرة واحدة ؟ هل نهرته أو صدته ؟ هل ذكرت أمامه زوجته الأخرى ولو لمرة واحدة . لقد أعطته شبابها ، وجمالها ، وصحتها .

هل سيهجرها الآن ؟ هل سيتخلى عنها الآن ؟

لقد قالوا إن الطفل قد وُلد ميتًا ، فتاة جهيضة ماتت فى أحشائها .

لكن ... لكن ...

ألم تشعر به فى أحشائها ؟ ألم تشعر به وهو يتحرك تحت قلبها ؟ بل فى قلبها ؟ ذلك الطفل الذى لم ترده ، قد أصبح كل عالمها . ذلك الابن الذى نما فى أحشائها .

الابن ، الابن ، إنها تفكر فيه الآن بينما أصابع يدها تشد فى ثيابها بقوة ، بينما تحركت شفتاها الملونتان بهذه الكلمات دون صوت مسموع .

لقد سمعته وهو يصرخ ، نعم لقد كانت متأكدة من ذلك ، فأحيانًا ما كانت تستمع إليه وهو يبكى ليلاً لكى تأتى إليه وتربت عليه .

ولكن عندما ذهبت إلى حجرة نومه ، ونظرت فى مُهده لم تجده ، كان مهد الطفل فارغًا تمامًا مثل رحمها .

قالوا إنها مجنونة ؛ لقد سمعت الخدم وهم يهمسون ورأتهم وهم يتغامزون ، ولكنها لم تكن مجنونة .

لست مجنونة ، لست مجنونة . أخذت تحدث نفسها بينما تمر أمام غرفة النوم التى كانت قبل ذلك وكرًا للشهوات والملذات .

أما الآن فقد تم تغيير أغطية السرير وأسدلت الستائر على النوافذ لتحجب المدينة ، وفقدت بعض الأشياء . لقد كان الخدم لصوصاً ، لقد كانت تعرف أنهم لصوص ، أوغاد جواسيس .

كانوا يراقبونها ، ويتهامسون .

سيقتلونها ذات ليلة ، فى فراشها .

لم تستطع النوم خوفًا . لم تستطع النوم وهى تستمع إلى صراخ طفلها يدوى بداخل رأسها ، ينادى عليها وينادى .

وتذكرت أنها قد ذهبت إلى إحدى العرافات ، ذهبت إليها لكى تعرف ، ودفعت إليها بتلك القلادة التى أعطاها إياها ريجنالد . كانت أحجار القلادة تشبه قلوباً حمراء اللون وسط قطع من الماس ذات اللون الأبيض المتلألئ .

واحتفظت بالتميمة التى أخذتها من العرافة تحت وسادتها وأحياناً ما كانت تحتفظ بها أيضًا فى حقيبة صغيرة على صدرها ، لقد دفعت نقودًا من أجل ذلك السحر الذى لم يجد .

لقد أخبرتها العرافة بأن طفلها لايزال على قيد الحياة . وقد كان ذلك يُقدر بأكثر من عشرة آلاف روبية .

إن طفلها لايزال على قيد الحياة . والآن يجب العثور عليه . يجب أن يعود إليها ، إلى حيث ينتمى .

يجب على ريجنالد أن يعثر عليه مهما كلف الأمر .

حذرت نفسها بأن تبقى هادئة ومتزنة ، فلن يصدقها ريجنالد إلا إذا بقيت هادئة ، لن يعيرها اهتماما إلا إذا كانت جميلة .

فالجمال يغوى الرجال ، وبالجمال والجاذبية تحصل المرأة على ما تريد .

نظرت فى المرآة ورأت ما تريد أن تراه ، الجمال ، والسحر ، والجاذبية . لم تلاحظ أن ثوبها الأحمر كان يتدلى على صدرها ، منتفخًا على فخذها ، بينما يجعل لون جلدها يميل إلى الأصفر الشاحب . لقد عكست لها المرآة تجاعيد وجهها المتشابكة ، وعيناها المتوهجة ، وخدها الجاف المزين بالمساحيق ، ولكنها لم تر سوى ما كانت عليه من جمال .

كانت مفعمة بالشباب والجمال ، ترى من يستطيع مقاومتها ؟

نزلت إلى الطابق السفلى لتنتظر حبيبها وهى تغنى وتهمس .

كانت فى الردهة مدفأة مشتعلة ومصباحًا مضاءً ومن المؤكد أن الخدم على أهبة الاستعداد فهم يعلمون بمجيئ ريجنالد .

على أية حال ستخبر ريجنالد بأن هؤلاء الخدم يجب استبدالهم بغيرهم .

وستخبره أيضاً بأنها فى حاجة إلى مربية أطفال للاعتناء بابنها " جيمس " حينما يعود إليها . وتفضل أن تكون هذه المربية آيرلندية ، فالمربيات الآيرلنديات يتسمن بروح الدعابة مع الأطفال ، إنها تريد مربية مرحة لابنها جيمس .

بدأت أعصابها تتوتر عندما مر الوقت ولم يأتى ريجنالد ، فقد انتظرت كثيراً ، وعندما رأت سيارته عبر النافذة ، نسيت أن تبقى هادئة ومتزنة فاندفعت نحو الباب .

" ريجنالد ، ريجنالد " . وفجأة غادر الحزن والإحباط جسدها مثل الثعابين التى تتلوى وتصدر هسيسا . ألقت بنفسها عليه . ضمها بيده وهو يقول : " تمالكى نفسك يا إميليا " . ثم دفعها قائلاً : " ماذا سيقول الجيران عنا ؟ "

أغلق الباب بسرعة ، وبنظرة ثاقبة حازمة نزلت إحدى الخادمات وهى تهرول لتأخذ قبعته وعصاه التى يتوكأ عليها .

" لا أكترث لهذا ، لماذا لم تأت مبكراً ؟ إنى بحاجة إليك ، هل وصلتك رسائلى ؟ إن الخدم يكذبون ، لم يرسلونها . إننى سجينة هنا " .

وارتسمت علامات الاستياء على وجهه وهو يتجنب النظر إليها قائلاً : " لا تكونى سخيفة ، ألم نتفق معاً ألا تتصلى بى فى المنزل ؟ "

" ولكنك لم تأتى . كنت وحيدة . كنت ... " .

" كنت مشغولاً ، تعالى ، اجلسى ، هدئى من روعك " .

تعلقت بذراعيه وهو يسير نحو الردهة ، قائلة : " ريجنالد ـ الطفل ، الطفل " .

فك ذراعيه عنها ثم دفعها نحو الكرسى قائلاً : " نعم ، لسوء الحظ ولد ميتاً " ، سار نحو المنضدة وأخذ مشروبًا مثلجًا قائلاً : " لقد أخبرنى الطبيب أنهم قد بذلوا ما بوسعهم ، وقد كنت بحاجة إلى الراحة والهدوء . سمعت أنك لم تكونى بخير " .

" كذب ، كذب ، كل ذلك كذب " .

اتجه إليها وهو يحدق فى ثوبها غير المهندم قائلاً : " أستطيع أن أرى بنفسى أنك لست بخير يا إميليا ، أعتقد أنك لو تعرضت لبعضٍ من هواء البحر فسوف تتحسنين " ، ثم ابتسم فى هدوء قائلاً : " ما رأيك فى رحلة إلى المحيط ؟ أعتقد أن ذلك سيهدئ أعصابك ويعيد إليك عافيتك " .

" أريد طفلى ، هذا كل ما أريده " .

" لقد مات الطفل " .

اندفعت نحوه لتتعلق به ثانية قائلة : " كلا . كلا ، لقد سرقوه . إنه لايزال على قيد الحياة يا ريجنالد ، طفلنا لايزال على قيد الحياة ، لقد خطط الطبيب والقابلة لذلك ، إننى أعرف ذلك جيداً الآن . يجب أن تذهب إلى الشرطة ، ستستمع إليك ، يجب أن تدفع ما يطلبونه من فدية " .

أبعد يدها عن قميصه وهو ينظف الآثار التى تركتها أصابعها قائلاً : " هذا ضرب من الجنون يا إميليا ، بالطبع لن أذهب إلى الشرطة " .

" إذن سأذهب أنا . سأذهب غدًا إلى الشرطة " .

وحينئذ تلاشت الابتسامة الباردة من على وجهه إلى أن أصبح كالحجر قائلاً : " لن تفعلى شيئًا من ذلك . ستقومين برحلة إلى

أوروبا ، وسأعطيك عشرة آلاف دولار لتعيشى بها فى إنجلترا ، سيكون ذلك ثمن انفصالى عنك " .

" انفصال ؟ " تشبثت بذراع الكرسى وارتمت فيه بينما قدماها تنزلقان ببطء نحو الأمام وهى تقول : " هل ، هل ستتركنى ؟ "

" لم يعد هناك شيئا بيننا ، أعتقد أنك ستستعيدى عافيتك فى هواء البحر وفى لندن ستجدين شخصاً آخر " .

" وكيف أذهب إلى لندن بينما ابنى ... "

قاطعها قائلاً : " ستذهبين " ، ثم احتسى شرابه قائلاً : " وإلا لن أعطيك شيئًا ، ليس لديك ابن ، ليس لديك أى شىء إلا ما سوف أعطيك إياه ، فهذا المنزل ، وكل شىء به ، وتلك الملابس التى ترتدينها ، وهذه الحلى التى تتزينين بها كلها جميعاً ملكى أنا ، كونى عاقلة ، فأنت تدركين تماماً كيف يمكننى أن آخذها جميعا بسهولة " .

ردت بصوت خافت بعدما أوحى لها عقلها الواهن بالحقيقة : " خذها جميعها ، فأنت تريد التخلص منى ... لأنك أنت الذى أخذت الطفل " .

أنهى شرابه ثم وضع قدحه على رف المستوقد قائلاً : " أتعتقدين بأننى سأسمح لمثلك أن تربى ابنى ؟ "

تشبثت مرة أخرى به قائلة : " ابنى ! " .

أخرستها تلك الصفعة على وجهها . لقد ظل يحميها طوال العامين الماضيين ، ولم يرفع يده مرة واحدة عليها من قبل .

وصاح قائلاً : " استمعى إلىّ جيدًا . لن أسمح لأحد أن يعرف بأن ابنى وليد زنا من أم عاهرة . سيتربى فى منزلى كوريث شرعى لى " .

" زوجتك ... "

" إنها تفعل ما آمرها به ، مثلك تماماً يا إميليا ".

" سأذهب إلى الشرطة " .

" وبماذا ستخبرينهم ؟ إن الطبيب والقابلة سيقولان بأنك قد ولدت طفلة ميتة ، بينما سيقول الآخرون بأن زوجتى قد أنجبت ولدًا سليمًا . إن سمعتك يا آميليا لن تقف أمام سمعتى أو سمعتهم ، لن يصدقوك ، فالخدم أنفسهم سيقسمون بأنك كنت مريضة ، وتأتين بتصرفات غريبة ".

" كيف يمكنك القيام بهذا ؟ "

" إننى أريد ابنًا . أتعتقدين أننى قد اخترتك لأنى أحبك ؟ كلا . فأنت صغيرة وموفرة الصحة - أو كنت كذلك ، وعلى أية حال فقد دفعت لك جيداً مقابل ذلك ، وسوف أعوضك عن ذلك " .

" لن تبعده عنى ، إنه ابنى ".

" ليس ابنك - ليس لديك إلا ما أعطيه إياك ، عليك أن تنسيه ، لن تقتربى منه ، ستغادرين فى خلال ثلاثة أسابيع ، سأضع فى حسابك وديعة تقدر بعشرة آلاف دولار ، وإلى أن يتم ذلك سأدفع لك نفقاتك " .

وبينما هم بالانصراف من الردهة صاحت قائلة : " سأقتلك " .

وحينئذ ، ولأول مرة منذ وصوله بدا سعيدًا ثم قال : " إنك مثيرة للشفقة ، فالعاهرات هكذا دائما . اسمعى جيدا يا إميليا إذا اقتربت منى أو من ابنى ، سأجعلهم يقبضون عليك ويودعونك فى مصحة للأمراض العقلية ، وهى لن تعجبك كثيرًا " ، ثم أشار للخادم لكى يأتيه بالقبعة والعصا .

أخذت تصرخ وهى تقطع فى شعرها وثيابها ، أخذت تصرخ إلى أن سال الدم من جلدها وأظافرها .

وبعد أن هدأت قليلا ، صعدت الدرج وهى تدندن وكأنها تغنى لطفلها لكى ينام .

الفصل الأول



منزل هاربر
ديسمبر ٢٠٠٤

إنه الفجر ، وقتها المفضل للجرى ، تلك العادة التى كان عليها القيام بها ثلاث مرات أسبوعيًا كأحد الأنشطة الأخرى التى اعتادت عليها . فكانت روزاليند هاربر تقوم بجميع الأشياء التى ينبغى القيام بها .

فكانت تمارس الجرى لأجل صحتها . فامرأة مثلها قد بلغت عامها السابع والأربعين عليها أن تهتم بصحتها ، مارست الجرى لكى تبقى قوية كما كانت تريد . ولكن جسدها لن يكون على ما كان عليه حينما كانت فى العشرين من عمرها أو حتى الثلاثين ، ولكن يمكنها الاحتفاظ به رشيقًا على الأقل فى مثل هذا العمر .

لم يكن لديها زوج أو حبيب ، ولكن كان لديها شكل عليها الاهتمام به ، فهى تنتمى إلى عائلة هاربر التى يعتد كل أفرادها بأنفسهم وكبريائهم .

لكن يا إلهى ، لم يكن الحفاظ على الصحة بالأمر اليسير .

كانت قد ارتدت ثيابًا ثقيلة خشية البرد القارص فى فترة الفجر ، وتسللت من غرفة نومها وسارت نحو الباب فى هدوء . كان البيت فى سبات عميق ، منزلها الذى لم يكن به أحد ، يعج بالأشخاص مرة أخرى ، ولم يعد هادئًا بعد الآن .

كان ديفيد - الابن الذى تكفلته - يسكن معها بالمنزل ، يؤنسها ، ويسليها ، ويبعد عنها حينما تحتاج إلى البقاء بمفردها .

لا أحد يفهمها جيدًا مثل ديفيد .

وكان بالمنزل أيضاً ستيلا روتشيلد ومعها طفلاها ، تذكرت روز ذلك اليوم الذى بدأت فيه ستيلا العمل بالمنزل كجليسة للأطفال .

وبالطبع لن تبقى ستيلا طويلاً وستأخذ معها هذين الطفلين اللطيفين . ومع ذلك فمنذ أن تعرفت بـ " لوجان " - وهى العلاقة التى كانت مناسبة لها تمامًا - وهى تعيش على بعد أميال قليلة فقط .

أما هايلى فسوف تبقى هنا تملأ المنزل بشبابها وحيويتها . لقد كانت ضربة حظ أخرى هى التى جعلت هايلى التى تجمعها بها صلة قرابة غامضة وبعيدة - والتى كانت حاملاً فى شهرها السادس حينها - تقف على عتبة بابها . لقد وجدت فى هايلى تلك الابنة التى طالما تاقت سرًا وكانت مكافأتها الفعلية هى حفيدتها الجميلة ليلى .

فهى لم تدرك مدى الوحدة التى كانت تعيشها إلى أن جاءت تلك الفتيات ليملأن عليها فراغ حياتها . فبعد أن رحل اثنان من أبنائها الثلاثة أصبحت وحيدة بالمنزل ، ولكنها تشعر بالوحدة

أكثر عندما يغادرها هاربر ، ابنها الأكبر وسندها في الحياة ، وبرحيله هو الآخر لن يبقى لها أحد .

ولكنها سنة الحياة . فلا أحد يعرف أكثر من البستاني بأن الحياة لا تبقى على وتيرة واحدة ، لابد للحياة أن تدور ، والحياة بلا حركة لا يصبح لها معنى .

نزلت الدرج في هدوء وهي تستمتع بالنظر إلى الضباب وهو يغطي حدائقها والندى على أوراق الشجر وإلى جمال الطيور وهي تداعب فاكهتها البراقة .

أخذت تمشي لكي تريح من عضلاتها . ولتستمتع بالحدائق ، وأخذت تطوف حول جانب المنزل حتى وصلت إلى واجهته .

وأخذت تزيد من سرعتها في طريقها بين الأشجار ، لقد كانت امرأة طويلة ممشوقة القوام ذات شعر أسود قصير . نظرت بعينيها ذات اللون العسلي إلى أشجار المنغوليا الشاهقة ، إلى أشجار القرانيا الجميلة ، وأخذت تتأمل في روعة أشجار الزينة وأشجار البنفسج التي زرعتها منذ أسابيع وإلى أحواض الزهور التي ستزهر بعد وقت قليل .

وفي رأيها ، لم يكن هناك مكان في تينيسي الغربية يفوق هاربر هاوس جمالا وروعة .

وكعادتها استدارات عند نهاية المشي المشجر وأخذت تسير في بطء وهي تتأمل جمال قطرات الندى المتدلية كاللؤلؤ .

نظرت بإعجاب إلى تلك الزخارف الرائعة ذات الطراز الإغريقي التي تزين المنزل ذا الدرج المزدوج الذي يصل إلى الشرفة العلوية التي تحيط بالطابق الثاني ، وكأنها تاج على مدخل الطابق الأرضي .

كانت تعشق النوافذ الطويلة ، وتعشق المنجور الخشبي الداخلي بطرازه المثقب على سور الدرج في الطابق الثالث وما له من قيمة تاريخية فريدة .

لقد حصلت على ذلك المنزل وعملت على حمايته والاهتمام به منذ وفاة والديها ، فيه قامت بتربية أبنائها وفيه اعتصر قلبها حزنًا على وفاة زوجها .

وفي ذات يوم سينتقل ذلك المنزل إلى هاربر كما انتقل إليها ، وهي تشكر الله لأنها تعلم تمامًا أن هاربر سيعتني به كما اعتنت هي به .

فما كلفها هذا المنزل لا يضاهي ما تشعر به من راحة فيه حتى في هذه اللحظة وهي تقف عند نهاية المشى المحاط بالأشجار وتنظر إلى الوراء من خلال الضباب .

ولكن وقوفها هناك لن يجعلها تقطع هذه المسافة التي تقدر بثلاثة أميال ، فاتجهت غربًا على حافة الطريق على الرغم من عدم وجود سيارات كثيرة في ذلك الوقت المبكر .

ولكي تريح عقلها من عناء التمرين أخذت تستعرض في ذهنها قائمة بما ستقوم به ذلك اليوم .

هناك بعض الأشجار الصغيرة التي حان الموعد السنوي لتقليمها ، وعليها أن تفحص كل تلك الشجيرات بحثًا عن المواضع المعطوبة التي تتطلب إزالتها ، كما أن هناك بعض جذوع الأشجار التي تتطلب إزالتها بالكامل .

وتذكرت أن ستيلا قد طلبت المزيد من نبات النرجس ، وكذلك المزيد من نبات البرنسيسة ، وأكاليل الزهور استعدادًا للمبيعات في الإجازة ، ويمكن لهايلي أن تتولى أمر أكاليل الزهور فلديها خبرة كبيرة في ذلك .

أما أشجار رأس السنة ونبات الأيلكس فسيهتم لوجان بأمرها .

وعليها أيضًا أن ترى ما إذا كان هاربر قد قام بتطعيم نبات صبار الكريسماس أم لا ، فهى تريد البعض منه .

استعرضت كل هذه المهام فى رأسها وهى تتمشى فى الحديقة ، لقد كان الأمر رائعًا ، أن تغير اتجاهها عن الطريق نحو ذلك المدخل الحجرى وهى تتمشى وتتفقد ما قامت بتشييده .

كانت تنظر فى إعجاب إلى تلك المجموعات الخضراء والوردية والبيضاء والحمراء من نبات البونسيتة أمام المنزل ، وكأنها مدخل المنزل وإلى إكليل الزهور المعلق على الباب وتحيطه المصابيح الصغيرة بلونها الأبيض ، وإلى شجرة الصنوبر الصغيرة التى تزين مدخل المنزل .

أما أزهار البنفسج ذات اللون الأبيض ، ونبات الأيلكس بأطرافه الشائكة وزهوره الصغيرة الضاربة إلى البياض ، وزهور المريمية بألوانها الزاهية سوف تساعدنى فى زيادة مبيعات هذه الإجازة .

قاومت روز الإغراء ووصلت العدو على الطريق .

كان عليها أن تخصص بعضًا من وقتها هذا الأسبوع ، إن لم يكن اليوم ، لكى تنهى أعمال التسوق لرأس السنة . كان عليها أيضًا أن تشهد العديد من الحفلات التى ستقام هذه الإجازة ، بالإضافة إلى تلك الحفلة التى قررت تنظيمها . فقد مر وقتًا طويلا لم تقم فيه بتنظيم حفل منذ أن استقرت فى ذلك المنزل .

ربما يرجع السبب فى ذلك جزئيًا إلى طلاقها ، فلم تكن لديها أى رغبة فى استضافة أحد بعد تجربتها المريرة والقصيرة بارتباطها بذلك الأحمق المخادع الكذاب .

ولكن حان الوقت كى تتخلص من تلك المشاعر الحزينة كما تخلصت منه . كان عليها أن تعيش حياتها العامة والخاصة بتلك الطريقة التى اختارتها ، لاسيما وأن برايس كلارك قد عاد ثانية إلى ممفيس .

وبعد أن سارت ميلاً ونصف الميل بدأت طريق العودة ، كان شعرها وملابسها مبللة وعليها آثار ندى الصباح ولكن عضلاتها دافئة مرتخية . وأخذت تقول لنفسها بأن ما قيل عن الرياضة لم يكن صدقًا .

وقعت عيناها على أيل يعبر الطريق والذى كان جلده أكثر سمكًا من فرط برودة الجو ويمشى بحذر تخوفًا من أى اعتداء بشرى .

تأملته روز وهى معجبة بجماله وتترنح قليلاً فى هذا النصف ميل الأخير . الآن ابق بعيدًا عن حدائقى . وتبادر إلى ذهنها أن تقوم بعمل معالجة وقائية للحديقة قبل أن يُغير عليها ذلك الأيل مع أصدقائه .

كانت حينئذٍ عند منعطف الطريق عندما سمعت أصوات خطى لم تستطع تمييزها ثم رأت شخصًا قادمًا نحوها ، ورغم الضباب الكثيف استطاعت بسهولة أن تتعرف على هويته .

توقفا جنبًا إلى جنب ثم نظرت إلى ابنها قائلة : " ما الذى أيقظك مبكرًا ؟ " .

" فكرت أن ألتقى بك فى هذا الوقت المبكر لأتريض معك " .

مرر يده فى شعره الداكن . " فكل ذلك الطعام الذى تناولته فى العيد ثم فى حفل عيد مولدك جعلنى أفكر فى ممارسة بعض الرياضة قبل حلول رأس السنة " .

همهمت قائلة : " لقد مررت بهاربر فى نهاية الطريق ، سرعان ما سيشم رائحة الطعام ويأتى جوعان من الباب الخلفى " .

" سوف أعد الكثير من الخبز " .

احتست قهوتها بينما قام هو بتسخين المقلاة .

كان نجمًا سينمائيًا وسيمًا . يكبر هاربر بعام واحد ، وهو الذى يملأ عليها حياتها ، وحينما كان طفلاً كان يعدو بوداعة داخل المنزل أما الآن فهو الذى يدير شئون المنزل .

" ديفيد ... لقد ورد اسم برايس بخاطرى مرتين هذا الصباح ، فماذا يعنى هذا ؟ " .

وبينما يغمس قطعتين من الخبز فى الزبد ، رد قائلاً : " هذا يعنى أنك تحتاجين ذلك الخبز الفرنسى . وربما تعلقت ثانياً بأحداث الإجازة المؤسفة " .

" ولكني تخلصت من هذا الشخص قبل رأس السنة " .

" حسنا ما فعلت ، مع هذا الوغد اللعين " .

" لكنى أريد أن أسألك عن شيء لم أسألك عنه أثناء زواجى ، لماذا لم تخبرنى بكراهيتك له ؟ " .

" ربما لنفس السبب الذى لم يجعلك تخبريننى بكراهيتك لذلك المثل العاطل عن العمل ذى تلك اللكنة الزائفة التى كنت متيماً بها قبل سنوات . أنا أحبك حقاً " .

" إنه لمبرر جيد " .

أوقد النار فى المدفأة ومالت بجسدها نحوها وهى تحتسى قهوتها واسترخت .

قالت " أتعرف ، لو كنت في العشرين من عمرك لعشنا سويًا فى علاقة غير شرعية ، أعتقد أن ذلك سيكون جميلاً " .

قال بينما يلقى بالخبر فى المقلاة : " أنت الفتاة الوحيدة التى يمكنها أن تغوينى " .

ابتسمت ابتسامة رقيقة وأسندت معصمها إلى المنضدة قائلة : " إن الشمس مشرقة اليوم ، يبدو أنه سيكون يومًا رائعًا " .

ويوم رائع فى أوائل ديسمبر يعنى دومًا المزيد من أعمال الحديقة . لقد كان لدى روز الكثير من الأعمال التى عليها إنجازها ، وقد كانت ممتنة لأنها لم تقاوم وجبة الإفطار الكبيرة التى أعدها لها ديفيد . ولكنها لم تلحق وجبة الغداء .

كان لديها بالمنزل منضدة مملوءة بأواني بها بذور ستقوم بغرسها ، وكانت قد فصلت بالفعل البذور التي لا تصلح للغرس .

قامت برص الأواني وحقائب البذور جنبا إلى جنب بعناية ، فقد كانت تستمتع بذلك بدرجة أكبر من أعمال الزراعة نفسها .

كما أن غرس بعض الشجيرات القوية فى المنزل سوف يشغل وقتها حتى موعد الزرع .

وهذا العام كانت تقوم بتجربة واختبار تربتها الزراعية ، فقد كانت تقوم بتجربة واختبار العديد من الطرق والوسائل لأكثر من عامين ، ويبدو أنها قد وجدت ضالتها سواء فى الشتلات التى تزرعها داخل المنزل أو خارجه ، فالطريقة أو الوصفة الخارجية يجب أن تكون ذات جدوى فائقة لاسيما فى زراعة الصوبات .

ملأت الأوانى من تلك الحقيبة التى تحتوى على مزيج مخلوط جيداً ، واختبرت درجة الرطوبة ، ووجدتها ملائمة . اقتلعت النباتات الصغيرة بعناية فائقة وهى تمسك بها من أوراق البذور . ثم قامت بغرسها بعد أن تحققت من أن مستوى التربة هو نفس

" إن وزنك لا يزيد ولو أوقية واحدة . وهذا أمر أحسدك عليه " .

كان يبدو هادئاً ، هز كتفيه وطرف بعينيه ذات اللون البنى والتى تشبه عيناها وابتسم قائلاً : " بالإضافة إلى أننى أحب البقاء دومًا مع أمى " .

كان يشبهها تماماً ولكن حينما كان يبتسم كانت ترى فيه صورة أبيه ، وبادرته قائلة : " كم ميلاً ستسير ؟ "

رد قائلاً : " وكم ميلاً سرت أنت ؟ "

" ثلاثة أميال " .

فابتسم ابتسامة عريضة قائلاً : " سأسير أربعة أميال " ، ثم قبلها وهو ينصرف .

تحدثت إلى نفسها قائلة : " ليتنى أخبرته أننى سرت خمسة أميال " ، ثم استمرت فى السير .

كان المنزل لامعاً متلألئًا وسط الضباب ، ففكرت محدثة نفسها : " أحمد الله أن يومًا آخر مر بسلام " . ثم استدارت حول المكان محاولة أن تدخل للمنزل بنفس الطريقة التى خرجت بها .

مازال المنزل جميلا ، وهادئًا ، وتسكنه الأشباح .

اغتسلت وارتدت ملابس العمل ثم نزلت إلى الطابق السفلى مستخدمة السلالم التى تشطر المنزل إلى نصفين وهنا سمعت أصواتًا صاخبة ، ومثيرة .

كان طفلا ستيلا يستعدان للذهاب إلى المدرسة ، كانت ليلى تصيح وهى تطلب الإفطار ، وأصوات هرج ومرج بالمنزل ، تلك الأصوات الجميلة التى افتقدتها كثيرًا .

فمنذ أسبوعين عاد أبناؤها إلى المنزل لحضور العيد والاحتفال بعيد ميلادها ، أما أوستين وماسون فسوف يعودان لحضور رأس السنة . وهل لأم لها أولاد كبار مثلها أن تطلب أكثر من ذلك ؟

كم اشتاقت إلى الهدوء عندما كانت تربى أبناءها . كم اشتاقت للحصول على ساعة هدوء وكل ما كانت تهفو إليه هو أن تلقى بنفسها فى حوض به ماء دافىء .

أما الآن ، فلديها الكثير من الوقت الذى يعمه الهدوء والراحة ، فقد أنهت زواجها من ذلك الوغد الذى كان يطمع فيما لديها من نقود ، حتى ينفقها على العاهرات التى كان يخونها معهن .

ثم ذكرت روز نفسها بما مضى فى حياتها إلا أنه ليس من الضرورى البكاء على الأطلال .

نهضت إلى المطبخ حيث كان ديفيد يتناول شيئًا ما ، واشتمت رائحة القهوة تفوح فى أرجاء المكان .

" صباح الخير ، كيف حال فتاتى المفضلة ؟"

أحضرت كوبًا وقالت : " بأفضل حال ، كيف كان لقاؤكما ليلة أمس ؟ "

" كان رائعاً ، فهو يحب أفلام جون واترز . وسنلتقى مرة ثانية هذا الأسبوع . اجلسى ، إننى أقوم بإعداد بعض من الخبز الفرنسى " .

" الخبز الفرنسى . كلا ، لقد جريت ثلاثة أميال لتوى يا ديفيد لأحافظ على لياقتى بينما تريد أن تفسد ذلك بهذا الخبز الفرنسى " .

" إنك تبدين جميلة ، ورشيقة ، حقًا " .

المستوى الذى كان عليه فى أوانى البذور ، ثم قامت بعناية وخبرة فائقة بتثبيت التربة حول الجذور .

قامت بملء إناء بعد الآخر ، وقامت بوضع علامات على تلك الأوانى ، وكانت تستمتع إلى " إنيا " التى يصدر صوتها الخافت من مشغل الأسطوانات التى تعتبره أساسياً فى الصوبات الزجاجية .

وبعد أن وضعت القليل من السماد ، أخذت تروى النباتات .

وأخذت تتفقد النباتات فى سعادة غامرة بما قامت به ، ثم قامت أيضاً بتفقد النباتات حديثة الإيناع ، أما تلك النباتات التى أينعت منذ عام فسوف تعرض للبيع فى غضون أشهر قليلة . أخذت تروى النباتات وتعتنى بها ، ثم ذهبت إلى مخزن النباتات لتأخذ المزيد من الشتلات . وهنا جاءت ستيلا .

كان شعرها أحمر مجعدًا ، نظرت إلى المنضدة وما عليها من أوانى وأواصر النباتات ، قائلة : " يبدو أنك مشغولة للغاية " .

" نعم إنى مشغولة ومتفائلة أيضًا ، يبدو أنه سيكون موسمًا رائعًا إن استقرت الأحوال الجوية " .

" أعتقد أنك تريدين إلقاء نظرة على أكاليل الزهور الجديدة التى سيتم تخزينها ، فقد قامت هايلى بإعدادها هذا الصباح " .

" سألقى نظرة عليها قبل أن أذهب " .

" لقد سمحت لها بالانصراف مبكرًا فهى لاتزال قلقة بشأن تركها ليلى مع جليسة أطفال على الرغم من أن هذه المربية ليست إلا إحدى زبائننا ولا تبعد عنا سوى نصف ميل فقط " .

" جيد ، ألا تعرفين يا ستيلا أنه ليس عليك أن تراجعى كل تلك الأمور الصغيرة معى ؟ إنك تديرين هذه السفينة لعام تقريبًا " .

" إن تلك مجرد أعذار كى آتى إلى هنا " .

توقفت روز قليلاً بينما تمسك بالسكين فوق جذور النبات لقطعها قائلة : " هل هناك من مشكلة ؟ "

" كلا ، إنه مجرد طلب ، فأنا أعرف أن هذا هو عالمك الخاص بك ولكنى أريد أن أقضى بعضًا من الوقت معك ، فأنا أعلم أنك فى فراغ إلى حد ما بعد الإجازات . وأنا أتوق إلى ذلك كثيرًا " .

" حسنًا ، يمكنك ذلك " .

وهنا برقت عينا ستيلا وهى تضحك قائلة : " أرى أنك قلقة بعض الشىء من أننى قد أغير من روتين حياتك ، وأنظم كل شىء بطريقتى الخاصة ، لكننى أعدك أننى لن أفعل ذلك أبدًا " .

" وهل تستطيعين ذلك ؟ "

" بكل تأكيد " .

" على أية حال ، أريد منك أن تجدى لى ممولاً لحقائب التربة الجيدة والرخيصة . جنيه ، أو خمسة جنيهات ، أو خمسة عشرون جنيهاً ، تعد بداية جيدة " .

أخرجت ستيلا ورقة من جيبها ثم سألت قائلة : " ولماذا ؟ "

" إننى أنوى إعداد وبيع أوانى مليئة بالتربة ، فعندى الكثير من المواد المختلطة التى أحب استخدامها فى أغراض الزراعة ، داخل المنزل أو خارجه ، كما أريد أن أضع عليها علامات بنفسى " .

" فكرة رائعة ، ستجلب لك ربحًا جيدًا ، بالإضافة إلى أن العملاء سيتهافتون على اقتناء أسرار زراعة البستنة من روزالين هاربر ، ولكن هناك بعض الأمور التى يجب أن توضع فى الاعتبار " .

" لقد فكرت فى الأمر برمته ، لن أتوسع فى ذلك ، سنبقى الأمر محدودًا " . نظفت يديها من آثار التربة العالقة بها ، ثم أخذت تنظم من غطاء رأسها قائلة : " أريد أن يعرف العاملون كيفية التعبئة ، أما عن الطريقة نفسها فسيبقى الأمر سراً عندى ، سأعطيك أنت وهاربر المكونات والكميات اللازمة على أن يبقى ذلك سراً ، أما الآن فعلينا أن نقوم بإصلاح سقيفة المخزن الرئيسى فقد بدأت تتآكل ، سنبنى سقيفة أخرى جديدة " .

" ولكن ماذا عن قوانين الحكومة ؟ " .

" لقد درستها هى الأخرى ، فلن نستخدم أية أنواع من المبيدات الحشرية ، وأنا أحتفظ بالمحتوى الغذائى بالدرجة أقل من المستوى التقليدى " . استمرت ستيلا فى تدوين الملاحظات فى مفكرتها ، " لقد تقدمت بطلب للحصول على ترخيص للتصنيع والبيع " .

" ولكنك لم تذكرى ذلك من قبل " .

" لا تتضايقى من أجل ذلك ، لم أكن على يقين تام من مواصلة ذلك الأمر ، لكننى أريد التخلص من الروتين الممل . إنه يمثل لى تحديًا أواجهه منذ فترة . وقد قمت بزراعة بعض العينات فى التربة التى تحتوى على المواد المختلطة ، وقد أعجبنى ما حدث كثيراً . فالنتائج مذهلة حقا ، وإذا واصلت عملى بنفس الرغبة والحماس ، فسوف يتحقق هدفى ، والآن أريد أن أعرف كمية الحقائب لدينا ، والأمور الخاصة بالطباعة والدعاية بحيث تكون على مستوى عال من الجودة . أعتقد أنه يمكنك تولى الأمور الخاصة بالشعارات وما شابه ، فأنت تجيدين التعامل مع مثل هذه الأمور " .

" بالطبع ، هذا شىء مؤكد " .

توقفت لحظة ثم قالت : " أتعرفين فيم أفكر ؟ أريد الحصول على حقائب ذات لون بنى ، تلك الحقائب التى تشبه الخيش ذات التراث القديم . فهذا سيوحى بجودة التربة . وأن يُكتب على الحقيبة " زهور بسيطة وسهلة الاستخدام " " .

" فهذا سيوحى بسهولة استخدام تلك الزهور ، وسهولة زرعها " .

" سأعتمد عليك فى أمور التكاليف والحسابات والأرباح ، أيمكننى ذلك ؟ " .

" نعم يمكنك الاعتماد علىّ ، فأنا فتاتك " .

" نعم أعرف ذلك ، والآن سأذهب لأتولى أمر هذه الجذوع ، ثم أقوم ببعض التسوق " .

" إن الساعة تقترب من الخامسة يا روز " .

" ماذا ؟ الخامسة ؟ " ورفعت ذراعها لأعلى وهى تحدق فى ساعة يدها قائلة : " اللعنة ! لقد انقضى الوقت سريعًا ، حسنًا سأنتهى من ذلك عند الظهيرة غدًا ، وإذا نسيت عليك أن تذكرينى " .

" حسنًا ، سأعود أدراجى الآن ، إلى اللقاء حتى نلتقى بالمنزل " .

وعندما دخلت المنزل كانت أنوار رأس السنة تتلألأ وأكاليل الزهور تومض على الأبواب والشموع مضيئة على النوافذ ، بينما وُضعت شجرتين من أشجار الصنوبر الصغيرة على جانبى المدخل تحيط بهما الأضواء البيضاء .

والآن عليها أن تخطو فقط خطوة واحدة إلى الداخل وتعيش جو الإجازة .

دخلت ردهة المنزل ، ورأت شريطًا أحمر بألوانه المتلألئة يحيط بسور السلم وأمامه أوانى البونسيتة وأشجار رأس السنة ذات اللون الأحمر .

وكان الإناء الفضى الخاص بجدتها الكبيرة ، لامعاً ومتلألئًا ومليئًا بالتفاح الأحمر .

وعندما دخلت قاعة الاستقبال نظرت فى إعجاب إلى شجرة الصنوبر النرويجية أمام النوافذ الأمامية وكان على الرف بعض النباتات التى جمعتها منذ أن كانت حاملاً فى هاربر .

كان طفلا ستيلا جالسين وكل منهما عاقد ساقيه على الأرض أسفل شجرة الضوء وهما يحدقان إليها .

قالت هايلى لليلى ذات الشعر الأسمر : " إنه حقًا لشىء رائع ، ومثير للإعجاب " .

" بالتأكيد اجتهد ديفيد وتعب كثيراً من أجل عمل ذلك " .

وقفز الوالدن وهما يقولان : " لقد شاركنا بالمساعدة " . قال لوك أصغر الطفلين " فبعد المدرسة شاركنا فى تجهيز الأضواء وكل شىء آخر " . وساعدنا أيضًا فى إعداد الحلوى وتزيينها " .

ونظر جافين إلى الوراء قائلا : " ولدينا أيضًا شجرة صنوبر بالأعلى ولكنها ليست فى مثل حجم هذه ، فقد ساعدنا ديفيد على رفعها لأعلى ، وقمنا بتزيينها بأنفسنا " . نظر إليها جافين وهو يعرف من المسئول عن المنزل ، ولكن نظرته إليها كانت لمزيد من التأكيد . " وذلك كما يقول " .

" إذن ، بالتأكيد هذا حقيقى " .

قالت ستيلا : " إنه يطهى كعكة فى المطبخ " . ثم سارت نحو الشجرة لتنظر إليها من موضع روز ، وقالت : " من الواضح أن

هناك حفلة . وقد أخبر لوجان وهاربر بالفعل بأن يتواجدا هنا قبل السابعة " .

" والآن أعتقد أنه من الأفضل أن أذهب لأتردى ملابس الحفل ، خذى الطفلة أولاً " . ثم أخذت ليلى من هايلى قائلة : " إن شجرة كهذه ستتطلب منا جميعًا أن نقوم بتزيينها . ما رأيك فى أول شجرة رأس سنة ترينها أيتها الفتاة الصغيرة ؟ " .

" لقد حاولت أن تزحف سريعًا على بطنها عندما وضعتها على الأرضية حتى يمكنها أن تصل إلى الشجرة ، وأنا لا يمكننى الانتظار لأرى ما تفعله الفتاة عندما ترى الشجرة مزينة بكاملها " .

" إذن ، من الأفضل أن أسرع " . قالت روز ذلك وهى تقبل ليلى ، ثم أعادتها إلى هايلى قائلة : " إن الجو دافىء هنا بعض الشىء ، ولكنى أعتقد أنه يجب علينا أن نوقد المدفأة ، وليذهب أحدكم إلى ديفيد ويطلب منه أن يثلج لنا بعضًا من الشراب ، وسأعود حالا " .

فكرت روز بينما كانت تصعد إلى الدرج محدثة نفسها أنه لم يدخل هذا المنزل أطفال منذ وقت طويل ، ولكنها بالرغم من ذلك لا تشعر أنها طفلة فى وجودهم " .

الفصل الثانى



بدأت روز تفكر فى التسوق فى هذه الإجازة ، فالأطفال يمكنهم البقاء بدونها لنصف يوم ، ولكن ستيلا فى واقع الأمر هى التى خططت ، بحيث يمكن أن يبقى الأطفال بدونها لأسبوع . وإذا كانت تريد ذلك بشدة فبإمكانها أن تأخذ إجازة حقيقية ، فمنذ ثلاث سنوات لم تأخذ إجازة حقيقية .

ولكن لم تكن راغبة فى ذلك بشدة .

فقد كان المنزل هو المكان الوحيد الذى تشعر فيه بالسعادة ، فلماذا إذن تتحمل عناء حزم الأمتعة وإرهاق السفر ، فقط لينتهى بها المآل إلى أى مكان ؟

لقد كانت تأخذ الأطفال حينما كانوا صغارًا فى رحلة كل عام . كانت تصطحبهم إلى : عالم ديزنى ، جراند كانيون ، واشنطن ، وبار هاربور ، وغيرها . لقد كان اختيارها لمكان ما دون الآخر يرجع إما إلى هواها ، أو إلى التخطيط المسبق .

وهم قد حصلوا على إجازة لمدة ثلاثة أسابيع فى أوروبا ، ألم يكن ذلك وقتًا كافيًا ؟

وكم كانت تجد من صعوبة وعناء ومشقة وهى تصطحب معها ثلاثة من الأولاد الأشقياء ، ولكن الأمر كان يستحق ذلك .

إنها الآن تتذكر كيف كان أوستين يحب رحلات مشاهدة الحيتان فى ماين ، وكيف كان ماسون شغوفًا بالقواقع فى باريس ، وكم تاه منها هاربر فى أرض المغامرات .

لن تتخلى أبدًا عن هذه الذكريات فى مقابل أى شىء آخر ، وهى قد استطاعت أن تسافر إلى أماكن كثيرة من العالم .

وبدلاً من الإجازة ، يمكنها أن تهتم بأشياء أخرى . فربما حان الوقت للتفكير فى بناء محل صغير للزهور ، وهذا بالطبع سيتطلب بناء مبنى آخر ، والمزيد من التمويلات ، وكذلك المزيد من العمال ؛ ولكن هذا الشىء سيتطلب تفكيرًا لعام أو اثنين .

وكان لزامًا عليها أن تجرى بعض العمليات الحسابية ، وتحدد ما إذا كان رصيدها فى البنك سيتحمل مثل هذه النفقات أم لا .

لقد استنفدت جزءًا كبيرًا من مواردها فى مشتل الزهور ، ولكنها أصبحت مستعدة للمغامرة . فقد كانت أولوياتها تنحصر دومًا فى رعاية ، وتأمين أطفالها ، ونشر الأمن فى المكان ، وأن يجمع منزل هاربر دومًا أفراد الأسرة ويظل تحت إشرافها ورعايتها .

لقد نجحت فى ذلك ، رغم ما مرت به من صعوبات ، وليال يجافيها النوم فيها ، ربما لم يكن المال هو العقبة الكئود بالنسبة لها كما كان يمثل دائمًا للآباء المعيلين ، ولكنه فى نفس الوقت كان يمثل أمرًا يجب وضعه فى الاعتبار .

لم يكن هذا المشتل مجرد هواية أو تسلية كما يعتقد البعض ، ولكنها خططت كثيرًا من أجله ، فحصلت على دخل إضافى ، وعقدت صفقات ، وغامرت ، وراوغت .

لم تكن روز لتهتم بما يقوله الناس عنها إنها غنية أو فقيرة ، فهى فى الحقيقة لم تكن هذه ، أو تلك . فقد قامت ببناء وتأمين حياة جيدة لها ولأطفالها معتمدة فى ذلك على ما كان بين يديها من موارد .

والآن ، إذا أرادت أن تسلك دربًا من الجنون وتلعب حتى دور سانتا كلوز ، فلها ما تريد .

جابت المركز التجارى جيئة وذهابًا ، وابتاعت الكثير من الأشياء حتى إنها احتاجت أن تصل إلى سيارتها مرتين بالحقائب التى تحمل كل ما قامت بشرائه . وحيث إنها لم تر ضرورة لشراء كل شيء من المركز التجارى . انطلقت نحو وول مارت . دخلت إلى القسم الخاص باللعب .

كالعادة ، بمجرد أن مرت من الأبواب أخذت تفكر فى العديد من الأشياء التى ربما ستستخدمها ، كانت تحمل فى يديها سلة ممتلئة إلى نصفها بالمشتريات ، وتوقفت عند أحد المرات لتتبادل التحية مع أربعة أشخاص تعرفت عليهم قبل أن تدخل إلى قسم بيع اللعب .

وبعد خمس دقائق تساءلت عما إذا كانت ستحتاج إلى عربة ثانية تحمل فيها مشترياتها ، فذهبت إلى أحد الأماكن الجانبية حتى يمكنها ضبط توازن الصندوقين فوق كومة المشتريات .

وذهبت لإحضار عربة صغيرة تضع فيها تلك المشتريات ، وهناك قابلت شخصًا كانت تعرفه قديمًا .

فاصطدمت به بلطف وقالت : " أعتذر ، يبدو أننى ... أوه ، مرحبًا " .

فمنذ أسابيع ، لم تقابل الدكتور ميتشيل كارنجى عالم الجينات الذى يعمل لديها ، كانت هناك بعض المحادثات الهاتفية القصيرة بينهما ، وبعض الرسائل الإلكترونية الخاصة بالعمل ، ولكنهما لم يتقابلا وجهًا لوجه سوى على فترات متفرقة ، وذلك منذ قدومه ذات ليلة لحضور العشاء معها ، وانتهى بهما الأمر برؤية شبح عروس هاربر .

لقد اعتبرته رجلا متميزًا ، وقدرته خير تفضيل ، حيث إنه لم يول الأدبار بعد التجربة التى تشاركوا فيها جميعا فى الربيع الماضى .

كما كانت ترى أن لديه الميزات والصفات التى تحتاج إليها ، بالإضافة إلى عقله المتفتح ، وحصافة رأيه ، وأفضل ما فى الأمر أنه كان يحتملها فى مناقشاته معها عن الأنساب الأسرية ، وعن تلك الخطوات الواجب اتباعها لتحديد هوية امرأة متوفاة مثلا .

إنه يبدو الآن كما لو أنه لم يقم بحلق ذقنه منذ أيام ، وعلامات الإجهاد والتعب تبدو على عينيه ، أما شعره فقد كان فى حاجة إلى أن يهذب .

كان يرتدى نفس الملابس التى كان يرتديها عند أول لقاء جمعهما ، حيث البنطلون (الجينز) القديم والقميص ذو الأكمام المطوية ، وكانت فى يده سلة فارغة ـ بخلافها هى .

قال فى صوت حزين يبدو فيه التعب الشديد : " ساعدينى ، أريد شراء هدية عيد ميلاد لفتاة فى السادسة " .

ردت قائلة بعدما اكتشفت إعجابها بصوته العميق حتى حينما يشوبه الخوف : " وما قرابتك بها ؟ "

" ابنة أختى التى أنجبتها على حين غرة وكانت أختى قد رزقت بولدين من قبل ، ولكننى يمكننى شراء هدايا الأولاد بسهولة " .

" حسنًا ، هل هى فتاة ذات أنوثة طاغية " .

نظر إليها ؛ وكأنه غير مرتاح إلى حديثها .

فردت قائلة : " حسنًا ، حسنًا ، لا عليك " ، وهى تلوح بيديها تاركة سيارة البضائع الخاصة بها قائلة : " كان يمكنك أن توفر على نفسك عناء ذلك ، بأن تسأل والدتها " .

" إن أختى غاضبة منى لأننى نسيت عيد ميلادها الشهر الماضى " .

" نعم " .

" لقد نسيت كل شيء الشهر الماضى ، نسيت حتى اسمى ، فقد كنت مشغولاً للغاية فى الانتهاء من كتابى ، فقد قارب ميعاده النهائى . إنها الآن فى الثالثة والأربعين من عمرها . أليس من المفترض ألا يحتفل المرء بعيد ميلاده بعد سن الأربعين ؟ "

" يمكننا أن نتوقف عن الاحتفال به يا سيد كارنيجى ، ولكن هذا لا يعنى ألا تقدم لنا هدية قيمة فى مناسبة كهذه " .

قال وهو يشاهد مشترواتها : " نعم ، نعم ، لقد توقعت أن تكونى بجانبها ، وتتفقى معها فى الرأى " . وضغط على شفتيه وهو يقول بنبرة حزن أثارتها : " على أية حال لقد أرسلت لها إكليلا من الزهور ، متأخرًا بعض الشيء ولكنى أرسلته لها " .

وضع يديه فى جيبيه ونظر إلى العروسة باربى " إننى لم أستطع الذهاب إلى شارلوت فى العيد ، هل كان خطأى لا يغتفر بهذه الطريقة ؟ " .

" يبدو أن أختك تحبك كثيرًا " .

" إنها ستقتلنى لا محالة إن لم أحضر هدية عيد الميلاد اليوم وأرسلها إليها بالبريد السريع غدًا " .

التقطت دمية من أحد الأرفف ، ثم وضعتها ثانية وهى تقول : " إذن أعتقد أن عيد ميلاد ابنة أختك غدًا ، فلماذا تأخرت هكذا إلى هذه الساعة ؟ "

سكت قليلاً ، ثم وضع يديه على كتفها وهو يقول : " روزالیند ، أتريدين أن تقتلنى أختى ؟ "

" فى الحقيقة لن أكون مسئولة عن ذلك ، ولكن لا عليك ، سنجد شيئًا مناسبًا ، ثم نقوم بلفه ، وننتهى من الأمر " .

" وهل يجب أن نقوم بلفه ! "

" نعم ، بالطبع ، يجب أن تلف الهدية ، وعليك أيضًا أن تشترى بطاقة تهنئة رقيقة " . ضربت بأصابعها على صندوق كبير .

فقال لها : " ما هذا ؟! "

" إنها لعبة على شكل منزل ، يحتوى على كل الغرف مصغرة ، يمكنك من خلالها أن تبنى ، وأن تعيد تصميم بناء منزلك ، وبذلك تروح عن نفسك ، وفى نفس الوقت تتعلم شيئًا مفيدًا " .

قال : " رائع ، عظيم ، إننى مدين لك بحياتى فى مقابل هذه اللعبة " .

وسألته قائلة : " والآن لماذا لم تشتر من المدينة . فأنت تعيش بها ، وفيها العديد من المحلات " .

" وهذه هى المشكلة ، كثرة المحلات وسعتها تثير الخوف بداخلى . لذا جئت إلى هنا ، فعلى الأقل يوجد كل شىء فى مكان واحد ، فأستطيع أن أجد من يعتنى بالطفل وأشترى ... ماذا بحق السماء كنت أريد ؟ " .

نعم ، مسحوق الغسيل . وكنت أريد شيئًا آخر ، لقد كتبته ... " دس يده فى جيبه وأخرج ورقة . " نعم ، هذا " .

" حسنًا سأتركك تشترى ما تريد . لا تنس ورق التغليف ، الشريط والأنشوطة العنقودية وبطاقة جميلة " .

" انتظرى ، انتظرى . أخذ يضيف مشتريات جديدة للقائمة " . أنشوطة عنقودية . بإمكانى أن أشترى علبة هدايا جاهزة وأضع الهدية فيها على الفور ، أليس كذلك ؟ " .

" نعم بالطبع ، حظًا سعيدًا " .

" لا ، انتظرى ، انتظرى " أعاد ورقة الطلبات إلى جيبه . بدت عيناه الخضراوتان أكثر هدوءًا الآن ، وركز عليها وقال " لقد كنت أنوى الاتصال بك على أية حال . هل انتهيت من التسوق ؟ " .

" ليس بعد " .

" حسنًا سأنتهى من شراء هذه الأشياء وأقابلك عند الحسابات ، ثم نذهب لتناول الغداء معًا " .

" إنها الرابعة ، إن الوقت متأخر لتناول الغداء " .

نظر إلى ساعة يده قائلا : " أعتقد أن الوقت يجب أن يتوقف فى أماكن كهذه ريثما ينتهى المرء من شراء أغراضه ، على أية حال ، ما رأيك لو أخذنا مشروبًا ؟ فإنى حقًا أود الحديث معك عن المشروع " .

" حسنًا ، سأقابلك فى محل روز على الطريق بعد نصف ساعة " .

ولكنه قرر أن ينتظرها عند الحسابات ، ثم ساعدها فى شحن حقائبها فى سيارتها . وقد اختلس النظر إلى المشتريات التى كدستها بالفعل بحقيبة سيارتها وقال " يا إلهى " .

" أنا لا أتسوق كثيرًا ، لذا عندما أفعل أشترى الكثير من الأشياء " .

" أستطيع أن أرى هذا " .

" إن رأس السنة بعد أقل من ثلاثة أسابيع " .

" أرجوك لا تذكرينى بهذا " . وعند شحن الحقيبة الأخيرة ، استطرد قائلا : " سيارتى توجد هناك ، فى هذا الاتجاه ، سأقابلك هناك " .

" حسنًا ، شكرًا لمساعدتى " .

لاحظت أنه على ما يبدو قد نسى ذلك المكان الذى ترك فيه سيارته .

ربما كان ينبغى أن يسجل مكان إيقافه لها فى الورقة التى توجد فى جيبه . وقد جعلتها تلك الفكرة تضحك فى أثناء قيادتها للسيارة باتجاه المطعم .

ربما كان مشغولا فى التفكير ، إنها تعرف الرجل جيدًا ، فهى لم تستأجره ليعمل معها دون دراسة واعية له ، فقد قرأت عن شخصيته ، وتعرفت عليه جيدًا من خلال كتبه . لقد كان بارعًا فى عمله ، بالرغم من ارتفاع أجره ، وكان أحد سكان البلدة .

ركنت سيارتها ، ثم دخلت ، كانت تفكر فى بادىء الأمر فى كوب من الشاى المثلج أو القهوة . غير أنها غيرت رأيها ، وقررت

أن تحتسى كأساً من أى مشروب كحولى بعد رحلة التسوق الناجحة التى قامت بها .

وبينما كانت فى انتظار ميتشيل أخرجت هاتفها المحمول ، وأجرت مكالمة هاتفية بالحديقة لتخبرهم بأنها سوف تتأخر .

أخبرتها هايلى بأن الأمور تسير على ما يرام ، وسألتها : " هل انتهيت من التسوق ؟ "

أخبرتها روز : " نعم ، وقابلت الدكتور كارنيجى فى محل التسوق مصادفة فى وول مارت " .

" لم يسبق لى أن تسوقت من هناك ! "

" سيأتى يومك ، وتتسوقين من هنا ، على أية حال سأشرب معه مشروبًا ، وأناقش معه بعض الأمور . أعتقد أننى سأتطرق إلى مشروعنا الصغير " .

" رائع ، عليك أن تناقشى ذلك أثناء العشاء يا روز " .

" إن ذلك ليس موعدًا خاصًا " ، ولكنها أخرجت ملمع الشفاه ، وأخذت تزين شفتيها ، ثم أخبرت هايلى قائلة : " إذا استجد شىء ، اتصلى بى ، وسأحضر فى غضون ساعة " .

" لا تقلقى يا روز ، فقط استمتعى بوقتك " .

" ها هو ميتشيل قد جاء الآن ، إلى اللقاء " .

جلس أمامها على المائدة التى تجلس عليها .

طلبت مشروبها ، وطلبَ هو قهوته بعدما تفحص قائمة المشروبات ، وتوجه إليها قائلاً : " كان ينبغى أن تشربى شيئًا ما بعد رحلة تسوق مثل هذه . كيف حالك ؟ "

" بخير ، شكرًا لك ، وماذا عنك ؟ "

" بخير ، لا أفكر بشأن الكتاب الآن " .

" لم أسألك يومًا عن موضوعه " .

" إنها دراسة تاريخية تحليلية عن تشارلز بيرل بودلير ، أحد شعراء القرن التاسع عشر ، ثار حوله جدل كبير ، فقد كانت حياته حافلة بالأحداث ، واتهم بالزندقة . قام أيضًا بترجمة أعمال بوى ، وألف شعرًا تشوبه مسحة من التشاؤم ، وبعد أن وافته المنية إثر إصابته بعدوى جنسية ، اختلفت الآراء بشأنه ، فالبعض ينظر إليه على أنه شاعر الحضارة والمدنية الحديثة ، بينما يعتبره البعض الآخر ليس إلا وغدًا حقيرًا " .

ابتسمت قائلة : " وماذا عن رأيك أنت فيه ؟ "

" لقد كان يتمتع بالذكاء والغموض فى الوقت ذاته . ودعينى أقول إنه كموضوع بحث ودراسة يعتبر موضوعًا شيقًا " .

" وهل أنت سعيد بما قمت به من أبحاث ؟ "

" نعم سعيد ، وتكمن سعادتى أكثر فى ألا أكون مشغولاً فكريًا بذلك الشاعر ليل نهار " .

داعبته قائلة : " أعتقد أن الحياة مع شاعر مثله أشبه بالحياة مع شبح " .

استحسن دعابتها ، واستطرد قائلاً : " كم تمنيت أن أنتهى من ذلك الكتاب منذ أسابيع ، ولكن الأمور تؤدى إلى بعضها البعض " .

" لقد حذرتنى منذ البداية بأنك ستكون مشغولاً لبعض الوقت " .

" ولكننى لم أتوقع أن يطول الأمر بهذه الطريقة ، وقد فكرت كثيرًا فى موقفك . إنه صعب بالتأكيد بعدما حدثِ فى الربيع الماضى " .

" لقد كان الأمر فى حقيقته بمثابة التعرف شخصيًا على عروس هاربر أكثر مما خططت " .

" لقد قلت إنها كانت ..... مقهورة " .

إنها لاتزال تغنى للأولاد وليلى ، ولكن لم يرها أحد ما منذ تلك الليلة ، وانشغل الجميع بما فى يده من عمل ، وبالطفلة الجديدة . وبعد تلك الليلة كنا جميعًا بحاجة إلى الراحة " .

" والآن دعنى أبدأ معك الحديث من منظور آخر " .

" أعتقد أن القدر هو الذى جمعنا اليوم بهذه الطريقة ، والآن ما الذى تحتاج إليه ؟ " .

" أحتاج إلى كل شىء لديك : المعلومات ، البيانات ، السجلات ، الصحف ، الخطابات . إننى حقا أقدر وأحب تلك الصور الأسرية التى نسختها لى . يمكنك أن تقولى بأن الصور والخطابات أو حتى تلك الملاحظات اليومية عمن أقوم بدراستهم تجعلنى أغوص فى أعماق حياتهم " .

" حسنا ، سأمدك بها " .

" إن بعضا مما توصلت إليه فى الفترات التى كنت آخذ فيها راحة من دراستى عن الشاعر بودلير هو ما يمكن أن نطلق عليه العمل المباشر . بداية من تحديد ورسم الخطوات الأولى المتمثلة فى تحديد شجرة الأسرة ، وكذلك تحديد الانطباع العام عن الناس وعن العمل " .

" فى نهاية اليوم ، حظيت بشىء ممتع حقا " .

" إننى لأتساءل إن كان هناك مكان يمكننى العمل فيه فى منزلك ، فإنى أنوى القيام بالبحث فى شقتى ، ولكن سيساعدنى كثيرا إن عملت عندك . فالمنزل يُشكل عاملا حيويًا ، ويلعب دورًا مهمًا فى البحث والنتائج " .

" لن يُشكل هذا أية مشكلة " .

" وبالنسبة لدور إميليا فى المشروع ، فإنى أريد قائمة بأسماء كل من هو على علاقة بها لكى أجرى معهم مقابلات شخصية " .

" حسنا " .

" أما بالنسبة لذلك التصريح الكتابى الذى تحدثنا عنه من قبل ، أريد أن ألحق به سجلات الأسرة ، وكذلك شهادات الميلاد ، والزواج ، والوفاة ، وما شابه" .

" حسنا " .

" وكذلك أريد تصريحا باستخدام البحث وما يستنتج منه ليوضع فى كتاب " .

أومأت برأسها قائلة : " أريد أيضا تصريحا كتابيًا " .

ابتسم إليها وهو يداعبها قائلا : " كلا ، لن تحصلى على ذلك " .

" أحقًا تعنى ذلك ... ؟ " .

" سأعطيك نسخة ، ولكن لن تحصلى على تصريح " ، ثم التقط شيئا من على المائدة قائلا : " إن ما أجده ، أجده ، وما أكتبه ، أكتبه ، وإذا ما قمت بتأليف كتاب ، وبيعه ، فأنت لا تدينين لى بشىء فى هذا " .

اتكأت إلى الوراء ، وشهقت نفسا عميقا وهى ترقب نظراته الجميلة المعتادة ، وشعره البنى الأشعث ، وابتسامته الساحرة ، كل ذلك كان يتوارى وراءه رجل ماهر عنيد .

وبادرته سائلة : " وماذا لو لم تفعل ذلك ؟ " .

" فى تلك الحالة سنلتزم بتلك الشروط الأصلية التى ناقشناها سويًا فى اجتماعنا الأول ، وهى أن تكون أول ثلاثين ساعة مجانية ، وبعد ذلك تكون كل ساعة بخمسين دولارا ، بالإضافة إلى التكاليف ، ويمكننا أن نوقع عقدا بذلك " .

" أعتقد أن ذلك سيكون أفضل " .

وعندما انتهيا من تناول الأكلة الافتتاحية ، التقطت روز حبة زيتون من الطبق قائلة : " ألن تحتاج إلى تصريح من ستجرى معه مقابلة عندما تقرر النشر ؟ "

" سأتولى أمر ذلك . وإنى لأتساءل لماذا لم تقومى بذلك من قبل ؟ لقد عشت فى ذلك المنزل طوال حياتك ، ورغم ذلك لم تحاولى أن تتعرفى على شبح من أولئك الذين يعيشون هناك معك . ودعينى أقول إنه بالرغم من خبرتى ، من الصعب أن أصدق أن لسانى نطق بهذه العبارة " .

" لا أعرف ، ربما لأنى كنت مشغولة ، أو أننى قد تعودت كثيراً عليها ، ولكنى بدأت أتساءل ماذا كان سيحدث إن لم أكن عادلة ، متزنة . لم تضجر الأسرة منها يوماً . يمكننى أن أخبرك بكل التفاصيل عن أجدادى ، وعن حكايات ونوادر غريبة فى الأسرة ، ولكن حينما يتعلق الأمر بها ، فلا أحد يعرف شيئاً عنها ، أو حتى يريد أن يعرف ، ولكنى أريد أن أعرف " .

" الآن ستعرفين " .

" كلما تبادر إلى ذهنى شىء لا أعرفه ، انتابنى شعور قوى بالرغبة فى اكتشافه . وبعد أن وقعت عيناى عليها مرة ثانية تلك الليلة فى يونيو الماضى ، أريد حقاً أن أكتشف حقيقة أمرها " .

" وهل رأيتها حينما كنت طفلة ؟ "

" نعم ، فقد كانت تأتى إلى حجرتى وتغنى وتهدهد بأغانى الأطفال ، لم ينتابنى خوف منها . وبعد ذلك وكما يحدث مع كل طفل يترعرع فى منزل هاربر ، توقفت عن رؤيتها وذلك حينما كنت فى الثانية عشرة من عمرى " .

" ولكنك قد رأيتها مرة أخرى " .

كان هناك شىء ما فى عينيه ، ذلك التركيز والاهتمام الذى جعلها تشعر بأنها مثيرة على غير المتوقع ، كانت تشعر بأنه يريد أن يخرج كراسة ملاحظاته ، أو جهاز التسجيل الخاص به .

ردت عليه قائلة : " نعم ، لقد كانت تأتى فى كل مرة أحمل فيها بطفل من أطفالى ، ولكن ذلك كان أكثر من مجرد إحساس بالنسبة لها ، لقد كانت تأتى إلى المنزل ، وتقترب منه فى كل مرة تعرف أنه سيكون هناك مولود جديد به ، بالطبع كانت هناك حالات ومرات أخرى كانت تأتى فيها فى غير هذه الأوقات ، ولكنى أعتقد أنك تريد الحديث عن كل ذلك فى لقاء رسمى " .

" ليس رسمياً بالضرورة ، ولكنى أود أن أسجل حديثنا عنها ، سأبدأ ببعض الخلفيات الرئيسية فى هذا الأمر ، لقد كان اسم إميليا هو نفسه ذلك الاسم الذى رأته ستيلا مكتوباً على زجاج النافذة ، ولذا سأتحقق من كل من لها صلة بالأسرة وتدعى إميليا " .

هزت كتفها لأعلى قائلة : " لقد قمت بذلك بالفعل ، اعتقدت أنه يجب علىّ أن أتولى ذلك الأمر ، واكتشفت أنه لا يوجد أحد بهذا الاسم ، على الأقل فيما وقعت عليه يداى من سجلات الأسرة " .

" سأقوم ببحث آخر عن ذلك الأمر " .

" كيفما تشاء ، أتوقع أن يكون بحثاً شاملاً " .

" بمجرد أن أبدأ تلك المهمة ستعرفين مدى مهارتى ، وبنهاية ذلك ستكونين مغرمة بى ، ومستاءة منى فى الوقت ذاته " .

" يبدو أننا نتشابه كثيراً يا ميتشيل ، فإنى امرأة صعبة متقلبة المزاج " .

ارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة قائلاً : " لقد نسيت كم أنت جميلة " .

" حقا ؟ "

ضحك قائلاً : " يبدو أنى قد تأثرت كثيراً بالشاعر بودلير ، فإنى فى العادة لا أنسى شيئاً مهما كهذا ، بالإضافة إلى أنه لم يتناول الجمال فى شعره بشىء من المديح " .

" حقاً ؟ ماذا قال ؟ "

" لم يقل شيئاً جميلاً عن الجمال " .

" من المؤكد أنه كان رجلا حزيناً " .

رد ميتشيل قائلاً : " لقد كان معقداً وأنانياً " .

" من الواضح أنك لم تتحدث مع أحد من الذين يمولوننى " ، أو حتى زوجى السابق كما تبادر إلى ذهنها . واستطردت قائلة : " سوف أهتم بأمر إتمام العقد ، والتصريحات المكتوبة التى تريدها ، أما بالنسبة لتوفير مكان للعمل ، فأعتقد أنه يمكنك استخدام المكتبة لهذا الغرض ، ومتى احتجت إليها ، أو لأى شىء آخر يمكنك الاتصال بى على أحد الأرقام التى أعطيتها لك ، ونظراً لكثرة الأرقام هذه الأيام ، يمكنك ـ فى حالة عدم الوصول إلىّ من خلال تلك الأرقام ـ أن تتصل بهاربر أو ديفيد أو ستيلا " .

" أريد أن أرتب شيئاً ما فى غضون الأيام القليلة القادمة " .

" سنكون جاهزين ، والآن يجب أن أعود إلى المنزل ، شكراً لك على الشراب " .

" على أية حال ، إنى أدين لك بالكثير لمساعدتك لى على شراء هدية عيد الميلاد لابنة أختى " .

" أعتقد أنك ستصبح بطلا " .

وضع بعض الفواتير على المائدة ، ومد يده إليها ليساعدها على القيام قائلا : " هل سيكون هناك أحد بالمنزل ليساعدك على حمل هذه الغنائم ؟ "

" لقد قمت بحمل أشياء أكثر من هذه ، وعلى أية حال فإن ديفيد سيكون هناك " .

اصطحبها إلى السيارة قائلاً : " سأتصل بك قريبًا " ثم فتح باب السيارة لها . " إنى بانتظار مكالمتك ، عليك أن تخبرنى بما ستشتريه لأختك فى رأس السنة " .

امتقع وجهه قائلا : " هكذا أنت دائماً تفسدين الأمور ! "

أغلقت باب السيارة وهى تضحك " إن متجر ديلارد يعرض معاطف رائعة مصنوعة من الكشمير . فأى أخ سيشترى واحدًا من هؤلاء كهدية لرأس السنة سيمحو على الفور خطأ نسيان هدية عيد الميلاد " .

" هل أنت واثقة من ذلك ؟ " .

" بالنسبة للزوج أو الحبيب ستكون الهدية البراقة أفضل ولكن بالنسبة للأخ فإن الكشمير سيؤدى الغرض " .

" متجر ديلارد " . قالت " ديلارد " ، ثم شغلت المحرك .

ثم التقطت نظرة سريعة فى المرآة وهى تنظر إليه وهو واقف ، وكان واضعاً يده فى جيبه ، وضرب الأرض بكعبيه . لقد كانت هايلى على صواب حينما قالت عنه إنه جذاب .

وحينما وصلت إلى المنزل حملت بعض الأشياء التى اشترتها ودخلت ، ثم صعدت مباشرة إلى الطابق العلوى ، وبعد برهة أخذت تضع الحقائب فوق بعضها البعض فى غرفتها ، ثم نزلت لأسفل لتحضر باقى الحقائب .

وفى طريقها سمعت طفلىّ ستيلا فى المطبخ وهما يقصان على ديفيد كل ما قاما به فى يومهما . كانت سعيدة لأنها وضعت كل الحقائب بغرفتها بمفردها قبل أن يعرف أحد بعودتها .

وعندما انتهت من الحقائب وقفت فى منتصف الغرفة وهى تحدق إلى أكوام الحقائب .

فأدركت وقتها لماذا كان ميتشيل يحدق إليها كثيراً . يمكنها الآن أن تفتح تلك الحقائب الكثيرة بسهولة بعد ظهر يوم من الأيام .

ولكن كيف ستقوم بلف كل هذه الحقائب ؟

توقفت برهة ، ثم قررت أن تفكر فى ذلك الأمر فيما بعد . أما الآن فعليها أن تتصل بالمحامى الخاص بها لإتمام العقد .

ولأنهما يعرفان بعضهما البعض منذ وقت طويل ، حيث قد درسا معًا فى نفس المدرسة الثانوية ، فقد استغرقت المكالمة بينها وبين ذلك المحامى أكثر مما ينبغى أن تكون . وحينما أنهت حديثها الهاتفى ، نزلت إلى الطابق السفلى فوجدت الجميع هناك .

كانت هايلى مع ليلى ، وستيلا مع ولديها ، أما ديفيد فقد كان بصالة الألعاب الرياضية بعد أن أعد فطيرة من اللحم .

أخذت قضمة من تلك الفطيرة ، ثم أخذت تسير حول حدائقها . كانت الأضواء مضاءة فى كوخ هاربر ، من المؤكد أن ديفيد قد اتصل به ليخبره أنه أعد فطيرة اللحم التى يحبها .

تسللت إلى داخل المنزل ، وأخذت كأساً من الخمر . ولكن حينما عادت إلى الطابق العلوى رأت شخصاً ما يتحرك فى حجرتها . تجمدت مكانها ، ثم ذهبت إلى الباب فوجدت ستيلا .

قالت روز " لقد أفزعتينى للغاية " .

قالت ستيلا : " يا إلهى ! وكنا نعتقد أننا لن نفزع بعد الآن مطلقًا . لقد اعتقدت أنك ربما تودين إلقاء نظرة على التقرير الأسبوعى " . ونظرت إلى الحقائب المكومة بجوار الحائط قائلة : " هل اشتريت السوق كله يا روز ؟ "

" كلا ليس تماماً ، ولكنى لست فى حالة تسمح لى بالاطلاع على التقرير الأسبوعى . إن ما أحتاج إليه هو مشروبى المفضل ، وأن آخذ حماماً دافئًا طويلاً " .

" نعم ، أنت بحاجة إلى أن تسترخى ، يمكننا أن ننهى أمر التقرير غداً . وإذا احتجت لأحد يساعدك فى لف هذه الحقائب يمكنك الاعتماد علىّ " .

" حسنًا " .

" فقط استدعينى فى أى وقت بعدما ينام الأطفال ، لقد ذكرت هايلى أنك كنت تتناولين شراباً مع ميتشيل كارنيجى " .

" نعم ، لقد تقابلنا بالمصادفة كما يحدث مع الجميع فى محل وول ـ مارت . لقد انتهى من كتابه ، ويبدو أنه سيشترك معنا فى مشروعنا . إنه يريد أن يجرى مقابلة معك ومع هايلى . يريد أن يقابل الجميع ، فهل ستكون هناك مشكلة ؟ "

" كلا ـ الآن سأتركك لتأخذى ذلك الحمام ، أراك صباحًا " .

" ليلاً " .

ذهبت روز إلى غرفة نومها وأغلقت الباب . دخلت إلى الحمام الملحق بالغرفة ، وفتحت المياه على جسدها بعد أن أضاءت الشموع وقد قررت ألا تستغل هذا الوقت الشخصى هذه المرة فى قراءة مجلات البستنة والزراعة . فقررت أن تسترخى فقط .

وفى ذلك الضوء الخافت المتلألئ غطست ببطء فى المياه المعطرة ، بسطت ساقيها ، ثم احتست رشفة من شرابها ، وضعت

الكأس على حافة الحوض ، ثم غطست فى الماء إلى أن وصل الماء إلى رقبتها .

وتساءلت : " لماذا لم تقم بذلك كثيراً ؟ "

رفعت يديها لأعلى وهى تنظر إليها ، ثم أخذت تفحص أظافرها القصيرة غير المطلية ، فلماذا تزين أظافرها بالطلاء طالما أن هذه الأظافر تغوص فى الطين طوال اليوم ؟

كانت يداها قويتين ، وجميلتين ، لم تأبه بعدم وجود خواتم تتلألأ بأصابعها .

رفعت قدميها لأعلى وهى تبتسم ، ونظرت إلى أظافر قدميها التى قامت هذا الأسبوع بطلائها بلون أرجوانى . كانت تلك الأصابع تتوارى فى كثير من الأحيان تحت جوربها وحذائها ، ولكنها كانت تعلم بأن لديها أصابع قدم مثيرة ، فقد كانت أصابع قدمها هى أحد تلك الأشياء السخيفة التى جعلتها تتذكر أنها أنثى .

أما قوامها فلم يعد جميلاً كما كان من ذى قبل ، ولكنها سعيدة لصغر حجمها .

وعلى الرغم من أنها لم تهتم كثيراً بجمال يديها ؛ لأنها كانت تستخدمها كأدوات فى أداء عملها ، إلا أنها كانت تهتم كثيراً بجمال بشرتها .

كانت تهتم كثيراً بشعرها أيضاً . فاقترابها من بلوغ سن الخمسين لا يعنى أن تتوقف عن الاهتمام بجمالها .

فقد كانت جميلة ذات يوم . كانت جميلة حينما كانت عروساً صغيرة بريئة . أما الآن فهى تنظر إلى تلك الصور وكأنها تنظر إلى امرأة لا تعرفها .

كم كانت جميلة فى ريعان شبابها !

لقد مرت ثلاثون عاماً فى سرعة كبيرة .

وأخذت تتذكر آخر مرة نظر إليها رجل ، وأخبرها بأنها جميلة . بالطبع أخبرها برايس بجمالها ، ولكنه لم يحسن يوماً معاملتها .

ولكن ميتشيل قالها لها بطريقة عرضية ، مما جعلها راغبة فى تصديقه .

ولماذا تهتم بجمالها ؟

من أجل الرجال ؟ هزت رأسها ، وارتشفت بعضاً من مشروبها . لماذا كانت تفكر فى الرجال ؟

لقد عاشت بدون رجل لفترة طويلة ، وبين الحين والآخر كثيراً ما كانت تفتقد وجود رجل بجانبها ، ويبدو أنها قد اشتاقت إلى ذلك الإحساس الآن . فقد قضت ساعة من الوقت تتحدث مع رجل جذاب .

وحينما فتر الماء ، خرجت ترتدى ملابسها بعد أن عطرت جسدها بالعطور ، ثم مضت إلى غرفة نومها .

أحست بقشعريرة تسرى فى جسدها حينما رأت شخصاً آخر يقف أمام باب حجرتها .

لم تكن ستيلا هى التى تقف أمام الباب هذه المرة ، بل كانت عروس هاربر ترتدى رداء رماديًا وينسدل على كتفيها شعرها المموج .

وتوجهت إليها قائلة : " لقد مر وقت طويل لم تأتى إلى هنا . وإننى أعرف أننى لست حاملاً ، هل اسمك إميليا ؟ "

لم تُجب ، ولكنها ابتسمت ابتسامة باهتة ، ثم مضت .

واستطردت روز قائلة : " حسناً ، أعتقد أن هذه هى طريقتك التى تخبريننى بها عن استحسانك للرجوع إلى استكشاف الحقيقة ".

رجعت إلى حجرة المعيشة ، وأخذت مفكرة يومية كانت تحتفظ بها فى خزانة مكتبها ، وسجلت ذلك المشهد على تاريخ اليوم .

لقد اعتقدت أن الدكتور كارنيجى سيكون مسروراً بذلك السجل .

الفصل الثالث



إنه لم يكن قط بستانيا بارعًا . لقد قضى معظم حياته يعيش فى شقة سكنية ، ولكن كان لايزال يحب النظر ، والتأمل فى النباتات والزهور ، بل إنه يعجب كثيراً بمن لديهم خبرة ودراية بالنباتات والزهور مثل روزاليند هاربر ، والتى كانت تعرف بوضوح كيف تتعامل معها .

لقد رأى بعض الحدائق فى محيط منزلها فى يونيه الماضى ، ولكن جمال تلك الزهور والنباتات قد تلاشى بسبب مواجهة مع عروس هاربر . لقد كان الرجل كثيراً ما يؤمن بالروح البشرية ، فلماذا سيشغل نفسه بالخوض فى علوم التاريخ ، والأنساب ، وتتبع فروع وجذور شجرة الأسرة ؟ لقد كان يؤمن بما يمكن أن يكون للروح من تأثير كبير على الأجيال جيلاً بعد جيل وربما لقرون طويلة .

ولكنه لم يؤمن يوماً بإمكانية الوقوف على هذه الروح بشكل محسوس ، أو ملموس .

إنه يعرف أكثر الآن .

لقد كان من الصعب علي رجل ذى عقلية أكاديمية مثل الدكتور ميتشيل أن يخضع شيئاً خيالياً كالأشباح للدراسة العلمية والتحليل .

ولكنه قد شعر بذلك ، أحسّ به ، ورآه ، وجرّبه ، ولم يكن هناك مجالٌ للشك .

وقد أدرك الأمر الآن ، إنه يستطيع الآن بعد أن انتهى من كتابه أن ينطلق بكل طاقاته ومهاراته لكى يتعرف على تلك الروح التى استوطنت منزل هاربر لأكثر من قرن من الزمان .

دخل إلى منطقة انتظار السيارات بالحديقة .

كان ينتابه شعور برقة وجاذبية ذلك المكان الذى طالما أينعت زهوره فى الربيع والصيف .

كانت السماء ملبدة بالغيوم ، وكأنها تنذر بيوم مطير بارد .

كانت هناك أيضاً بعض النباتات فى طور النمو ، ولم يكن يعرف أياً منها إلا أنها كانت تبدو جميلة ، فقد كانت هناك تلك الشجيرات ذات اللون الأحمر بأوراقها الكثيرة الخضراء ، وتلك الزهور ذات الأوراق الخضراء بلونها الفضى ، وأزهار البنفسج المتفتحة .

كانت أيضاً هناك الكثير من الأدوات التى ظن أنها تستخدم فى أعمال البستنة ، وطاولات طويلة على الجانبين عليها أنواع كثيرة من النباتات ، وكانت الحديقة بمثابة غابة صغيرة من الأشجار .

أما المنزل المنخفض المائل فقد كان أمامه رواق على جانبيه نباتات البونسيتة ، وشجرة رأس السنة صغيرة زُينت بالأضواء .

كانت هناك أيضاً سيارات كثيرة ، ووقعت عيناه على رجلين يقومان بتحميل شجرة ، وها هى سيدة أخرى تنطلق مسرعة بسيارتها وعليها زهور البونسيتة ، وحقائب التسوق .

مضى فى طريقه عبر الرواق المؤدى إلى المنزل ، ثم دخل فلاحظ العديد من الأوانى بشكل لم يتوقعه ، كانت هناك أشياء كثيرة : أوان ، أوتاد زخرفية لحديقة ، أشجار مائدة تم تزيينها ، وكتب ، وبذور ، وأدوات ، وقد تم وضع البعض منها معا فى سلة هدايا .

وبينما نسى سبب حضوره لمقابلة روز أخذ يتجول ، وحينما سأله أحد العاملين عما إذا كان يريد المساعدة ، هز رأسه مبتسماً ، واستمر فى تجواله وهو ينظر يميناً ويساراً .

وتبادر إلى ذهنه مدى الجهد الذى بُذل فى منزل كهذا ، بينما كان ينظر إلى الأرفف التى يوجد عليها المواد التى تضاف إلى التربة ، والأسمدة ، والمبيدات العشبية لطرد الآفات والحشرات ، فكل ذلك استهلك الكثير من الوقت ، والجهد ، والمعرفة ، والشجاعة .

لم يكن تجواله مجرد هواية يستمتع بها ، وإنما كان جزءاً من عمله اكتشف من خلاله بعداً آخر عن تلك المرأة التى لم يغص بعد فى أعماقها .

فكم كانت روزاليند هاربر جميلة وغامضة . وهل من رجل لا يريد أن يحاول الغوص فى أعماقها ليكتشف حقيقتها ؟

إنه يدين لأخته ، وابنتها بالكثير ، حيث تذكر حينما أرسلتاه إلى المتجر ، فوجد روزاليند ، ورآها وكان فى يدها عربة التسوق ، فقضى ساعة معها بمفردها ، تلك الساعة التى كانت أكثر الأوقات التى استمتع فيها بخصوصية منذ شهور .

ولدهشته فقد كان يود رؤيتها ثانية ، وها هو الآن يأتى إلى منزلها وحديقتها ؛ لكى يدرس جانباً آخر من جوانب شخصيتها .

أخذ يتجول ، وينظر من خلال أبواب زجاجية إلى مجموعات من النباتات المنزلية ، ونافورات الحديقة ، وسلال معلقة مليئة بالزهور والنباتات المعترشة .

ومن وراء مجموعة أخرى من الأبواب وجد نوعاً من الصوبات الزراعية ، والكثير من الموائد الخشبية الطويلة ، كانت معظم هذه الموائد فارغة ، بينما توجد بعض النباتات على القليل منها . وقد تعرف على نبات زهرة الثالوث بينما لم يتعرف على باقى النباتات .

لم يكن يعرف تماماً هل يستمر فى تجواله أم يعود لكى يسأل عن روز ، وحينئذٍ وصل ابنها هاربر .

وفى طريقه إليه ، سأله هاربر قائلاً : " مرحباً ، هل من مساعدة ؟ " ثم لم يلبث أن تعرف عليه قائلاً : " يا لها من مفاجأة ! مرحبا دكتور كارنيجى " .

رد عليه بينما صافحه : " ادعونى ميتش . كم جميل أن أراك ثانيا يا هاربر " .

" أنا كذلك سعيد برؤيتك ، لقد كانت هناك مباراة ضد ليتل روك الأسبوع الماضى " .

" نعم ، هل كنت هناك ؟ "

" لقد فاتنى الشوط الأول منها . ولكن فى الشوط الثانى كان جوش هو المسيطر " .

كانت تبدو فى عينيه علامات الإعجاب والفخر بابنه ، " لقد أدى مباراة جيدة . سوف يلعب فى ميسورى هذا الأسبوع . بالطبع سأتابع تلك المباراة على قناة ESPN " .

" حينما ترى ابنك أخبره أننى أعتقد أن الثلاثة أهداف التى أحرزها فى الدقائق الخمس الأخيرة كانت رائعة حقاً " .

" حسنًا " .

" هل تبحث عن شىء أو شخص هنا ؟ "

" نعم ، ابحث عن والدتك ، فقد كنت أقوم بجولة قبل أن ألتقى بها " . كانت عينا هاربر تشبه عينى أمه ، وفمه يشبه فمها ، وكذلك له نفس لون بشرتها . تلفت ميتشيل حوله قائلاً : " يا له من مكان رائع حقا هنا " .

" نعم ، إنه يبقينا دومًا مشغولين . لقد تركت أمى فى مكان البذر . سأصطحبك إلى هناك " .

" شكراً لك ، لم أعتقد أن مثل هذه النوعية من المشروعات تكون مستمرة فى مثل هذا الوقت المتأخر من العام " .

نظر هاربر إليه قائلاً : " إن البستنة والمساحة دائماً ما يكون العمل فيهما مستمراً " ، ثم نظر هاربر بعينيه حول المطرقة بسرعة قائلاً : " إن هذا هو موسم الإجازة ، ونحن نعمل جاهدين على إعداد النباتات استعدادا لشهر مارس " .

خرجا معًا ، ووضع ميتشيل يديه فى جيبه وهو ينظر إلى الصوبات الزراعية الطويلة المنخفضة المنتشرة بالمكان ، كانت تلك الصوب منفصلة عن بعضها البعض فى مكان فارغ واسع فيه العديد من الموائد . وقعت عيناه على رجل يقوم بتشغيل إحدى الآلات تمهيدا لزراعة شجرة صنوبر ، أو شىء من هذا القبيل ، فالأشجار كلها متشابهة .

ألقى نظرة على بركة صغيرة من المياه وجدول آخر ، بجانب تلك الأشجار التى تعزل المنزل عن المشتل .

فأبدى إعجابه قائلا : " إننى حقا مندهش ، لم أتوقع شيئاً كهذا " .

" نعم ، إن أمى تحب إتقان عملها ، فقد بدأنا ذلك المشروع بشكل صغير محدود ، ثم أضفنا صوبتين ، وأعددنا مكاناً آخر فى منطقة البيع بالتجزئة منذ عامين " .

عقب ميتشيل على ذلك قائلا : " إن الأمر أكثر من كونه مشروعاً ، إنها حياة " . " من المؤكد أن ذلك قد استنفد جهداً كبيرا " .

أومأ ميتشيل قائلاً : " نعم ، إنى أعشق المكان أيضاً " .

وأشار إلى مكان تطعيم النباتات قائلا : " هذه هى قلعتى فيها أقضى معظم وقتى فى تطعيم النبات ، ولكنى الآن أقوم بأداء أعمال أخرى غير ذلك ، فأنا أباشر شجرة رأس السنة فى الوقت الحالى " .

وبينما أخذ المطر ينهمر أشار هاربر إلى إحدى الصوب قائلاً : " هذه هى منطقة البذر ، ومنذ وصول ستيلا ، تقضى أمى معظم وقتها هنا " .

" إذن أستطيع أن أباشر البحث عنها بنفسى . لماذا لا تذهب لاستكمال فترة راحتك " .

وعندما ازداد نزول المطر جذب هاربر غطاء رأسه لأسفل قليلاً ليحتمى به قائلا : " احتم بهذه الأشجار ، سر فى هذا الاتجاه ، سأراك لاحقاً " .

مضى هاربر نحو الحقل حينما جاءت إليه هايلى من الجانب الآخر مسرعة وهى تقول : " انتظر يا هاربر ، انتظر دقيقة " .

توقف وهو يرفع غطاء رأسه لكى ينظر إليها . كانت ترتدى " جاكت " قطنيًا قصيراً ، وبنطالاً من " الجينز " ، وعلى رأسها غطاء الرأس الذى أحضرته ستيلا للعاملين .

" يا إلهى ! ادخلى يا هايلى . هذا المطر لا يبدو أنه سيتوقف لوقت طويل " .

سألته قائلة : " هل كان ذلك هو الدكتور كارنيجى ؟ "

" نعم ، لقد كان يبحث عن المديرة " .

" وهل أخذته إلى مكان البذر ؟ هل أنت غبى ؟ أحمق أنت ؟ "

" ماذا تقولين ؟ إنه يبحث عن أمى ، وهى هناك فى مكان البذر . فقد تركتها منذ خمس دقائق " .

" وهل تركته يدخل دون أن تخبرها ؟ "

" وبماذا أخبرها ؟ "

" تخبرها بقدومه . ولكن من المؤكد أنه قد دخل هناك الآن بينما ملابسها متسخة للغاية ، ألم تستطع أن تؤخره لخمس دقائق أخرى إلى أن تحذرها ؟ "

" ولماذا أحذرها ؟ إنها تبدو كما هى دائماً ، فما العجب فى ذلك ؟ "

" إن لم تعرف حقًا ما أعنيه ، فأنت أحمق ، لقد فات الأوان الآن " .

ثم وكزته بيدها فى ذراعه ، ثم ذهبت إلى الداخل مرة أخرى .

دخل ميتشيل مكان البذر لكى يحتمى من المطر . كان المكان مفعماً بالحياة بالنباتات المختلفة فى مراحل النمو المتنوعة ، كان المكان

رطباً كتلك الرطوبة التى توجد فى المناطق الاستوائية وكأنه كهف أسطورى .

كان المكان معبقاً بروائح وعبير النباتات البنية والخضراء ، وبه العديد من الأغراض من موائد ، وأدوات ، وسلال ، وحقائب ، وغيرها .

ووقعت عيناه على روز فى نهاية المكان ، فقد كانت خلفه ، ومشغولة بالعمل .

نظر إلى رقبتها الجميلة ، ولكنه اعتبر ذلك التصرف غباء منه ، ولكنه مرة أخرى فكر فى أن الحقائق لا تتغير . كان شعرها قصيراً ومستقيما ، وقد أوضح له مدى جمال وطول رقبتها .

كان كل ما فيها جميلا : ذراعاها ، وساقاها ، وقوامها ، وحتى ثيابها .

كما افتتن بسحر عينيها قبل أن تشعر باقترابه وتلتفت إليه . فبادرها قائلا : " أعتذر لإزعاجك " .

" حسناً ، لا عليك ، فلم أكن أتوقع رؤيتك هنا فى هذا المكان " .

" لقد حصلت على أوراق العمل ، وتبادر إلى ذهنى أن آتى إلى هنا ، وأطلعك على تلك الأوراق الموقعة والمختومة ، والتى سأصل بها إلى المحامى الخاص بك ، بالإضافة إلى أن ذلك قد منحنى الفرصة لرؤية منزلك ، إننى حقاً مندهش ومنبهر بالرغم من أننى لا أعرف شيئاً عن أعمال الحدائق والبستنة " .

" شكراً " .

نظر إلى مكتبها ، فوجد عليه العديد من الأوانى الفارغة الممتلئة بالطمى والتربة ، والأوراق الخضراء الصغيرة ، ثم سألها قائلا : " ماذا تفعلين هنا ؟ "

" إننى أقوم بإعداد بعض الشتلات " .

" لا أعرف شيئاً عن ذلك " .

ومسحت بيدها على خدها ، فطبعت آثار الطمى على وجهها قائلة : " إننى على يقين بأنك قد رأيت مثل تلك النباتات من قبل ، فهذه النباتات عند ازدهارها تصبح مثل الريش الصغير الملون " .

" ولكن لماذا تضعين هذه النباتات فى تلك الأوانى الصغيرة ؟ "

" للحفاظ على تماسك جذورها ، إنها ستتفتح فى بداية الربيع القادم ، ولكنى مندهشة لاهتمامك البالغ هذا " .

" لماذا لا أهتم ، إنها تعد عالماً جديداً . وماذا عن تلك الزهور هناك ؟ "

نظرت إلى حيث يشير قائلة : " إنها تسمى زهرة الماتهيولا وتتميز بعبيرها الرائع . أما عن تلك الأوراق ذات اللون الأخضر الضارب إلى الاصفرار فسوف تزهر هى الأخرى فى بداية الربيع " .

" ولكن أخبرينى كيف اكتسبت كل هذه الخبرة ؟ "

" لقد تعلمت أصول زراعة المشاتل والبستنة منذ أن كنت طفلة صغيرة . إننى أذكر جدتى وهى تضع يدها على يدى لكى تعلمنى كيف أقوم بتثبيت التربة حول النبات . وما تعلمته منها أقوم بتطبيقه هنا فى منزل هاربر " .

" إليزابيث ماكينون هاربر زوجة ريجنالد هاربر " .

" لديك ذاكرة قوية " .

" كنت أتصفح بعض القوائم . كيف كانت تبدو ؟ "

" لقد كانت امرأة رقيقة وطيبة القلب ، كانوا ينادونها باسم ليزى . واعتادت أن ترتدى ملابس الرجال : بنطالا ، قميصاً أزرق

قديماً ، وقبعة غريبة مصنوعة من القش مثلها مثل نساء الجنوب ، اللائى اعتدن ارتداء قبعات غريبة من القش فى الحدائق . كانت تستخدم تلك الروائح المنبعثة من نبات يوكاليبتوس ، ونعناع الماء لتكون بمثابة طارد للحشرات والبعوض ، ولأزال أستخدم طريقتها هذه حتى الآن " .

التقطت إناءً آخر وهى تقول : " إنى أفتقدها ، لقد ماتت منذ ثلاثين عاماً ، وذلك حينما شعرت بالنعاس فى يوم صيفى حار فى شهر يوليو ، كانت تشعر وقتها بصداع قاتل ، جلست وأسندت رأسها إلى شجرة ، ولكنها لم تستيقظ ، أعتقد أن هذه طريقة رحيل رائعة " .

" وكم كان عمرها ؟ "

" قيل إنها ماتت فى السادسة والسبعين من عمرها ، ولكن فى الحقيقة أنها ماتت فى الرابعة والثمانين ، فقد أنجبت أبى فى سن متأخرة ، أما أنا فقد كسرت هذه العادات المتبعة فى أسرة هاربر ، وأنجبت أولادى بينما كنت لا أزال صغيرة " .

" ألم تتحدث معك ذات مرة عن عروس هاربر ؟ "

استطردت روزاليند قائلة : " نعم ، بالطبع ، لقد كانت من عائلة ماكينون ولم تترعرع هنا ولقد زعمت أنها قد رأت عروس هاربر عند قدومها للعيش هنا بعد رحيل جدى الأكبر . وقد نشأ جدى فى هذا المنزل بالطبع ، وإن كنا على صواب بشأن الفترة التى كانت تعيش فيها إميليا بالمنزل ، فقد كان جدى لايزال رضيعًا حينما رحلت . ولكن جدى الأكبر قد رحل حينما كنت فى الثامنة تقريباً ، ولا أتذكر أنه قد تحدث عنها مرة واحدة " .

" ولكن ماذا عن والديك وغيرهما من الأقارب ؟ "

" هل أنت فى مهمة عمل يا دكتور كارنيجى ؟ "

" آسف " .

" لا داعى للأسف " . وضعت ورقة لاصقة على النبات الذى انتهت منه ، واستطردت قائلة : " لم يكن من عادة أبى أن يتحدث كثيراً ، ويبدو أن ذلك سمة مميزة لرجال عائلة هاربر ، أو سمة الرجال عموماً ، أما أمى فقد كانت مختلفة ، لقد كانت تنتمى إلى تلك النوعية التى تستمتع بهاجس الاضطرابات فى حياتها ، لقد زعمت هى الأخرى أنها قد رأت عروس هاربر مراراً " .

" وهل اعتادت أمك أو جدتك الاحتفاظ بأى من الصحف أو المذكرات اليومية ؟ "

" نعم ، لقد اعتاد كلاهما على ذلك ، فهى إحدى عادات الأسرة قديماً ، ولكنى لم أتبعها ، لقد انتقلت جدتى لتسكن فى الجناح المخصص للضيوف عندما تزوج أبى ، وبعد وفاتها تخلص والدى من أغراضها . فأنا لا أزال أذكر أنى سألته ذات مرة عن الصحف الخاصة بها ، ولكنه أخبرنى بتلفها جميعاً . إنى لا أدرى ماذا حدث لها ، أما بالنسبة للصحف ، والمذكرات اليومية الخاصة بأمى ، فإنى لا أزال أحتفظ بها . يمكنك الاطلاع عليها إن شئت ، ولكنى أشك أن تجد فيها شيئاً وثيق الصلة بالموضوع " .

" لا شىء سوى الخالات ، والعمات ، وأبناء العم . أليس كذلك ؟ "

" لقد تزوجت خالتى للمرة الثالثة من لورد بريطانى منذ سنوات قليلة ، ولم نكن نراهما بانتظام ، كان لها أولاد من زواجها الأول والثانى وكذلك ، أحفاد ، ولم ينجب جدى سوى أبى ، ولكن جدى كان لديه أربع أخوات وهن بنات ريجنالد " .

" لا أزال أحتفظ بأسمائهم " .

" ولكننى لا أتذكرهم إطلاقاً ، فقد كان لديهم أطفال هم أبناء عمومتى . رحل فرانك وإيستر منذ سنوات وكذلك أولادهما : لوسرين ، وبوبى ، وميراندا . قُتل بوبى فى الحرب العالمية الثانية ، ورحل كل من لوسرين ، وميراندا أيضاً . ولكنهم جميعاً كان لديهم أولاد . ثم هناك أوين ، يانسى ، ماريللو التى لاتزال على قيد الحياة ، وتعيش الآن فى بلوكسى تحت رعاية أبنائها . أما يانسى فقد رحل ليلتحق بكرنفال منذ سنوات ، ولم يسمع عنه أحد شيئاً بعد ذلك . أما أوين - وقد كان وزيراً - فآخر ما سمعته عنه أنه يعيش فى ماكون بجورجيا ، ولا أعتقد أنه سيتحدث معك عن الأشباح " .

" حقا ! ! " .

" أما عن ابنة عمى كلاريس فلم تتزوج وتعيش الآن - وقد طال عمرها - فى قرية على الجانب الآخر من المدينة ، ولكنها لا تتحدث معى " .

" لماذا ؟ "

" إنك تسأل كثيراً ؟ "

" هذه الأسئلة تعتبر جزءاً من المهمة " .

" لست أعرف تماماً لماذا توقفت عن الحديث معى . إنى أتذكر أنها لم تكن راضية حينما ترك لى أجدادى كل شىء ، وهذا حقى فهم أجدادى ، أما هى فلم تكن سوى ابنة خالتهم ، لقد جاءت فى زيارة هنا حينما كان الأولاد لا يزالون صغارا ، لم تكن تهتم بطريقة تربيتى لأولادى ، ولم أكن أهتم أنا الأخرى بنقدها لى أو لهم " .

" ولكن أخبرينى هل تحدثت معك ذات مرة عن العروس قبل تلك الخلافات ؟ "

" كلا . فكثيراً ما كانت محادثات ابنة عمى ريسى ترتكز على شكواها ، أو على ملاحظتها السيئة . ويمكننى القول بأننى متأكدة تماماً من أنها قد سرقت أشياء تافهة من المنزل " .

" وهل ستتحدث معى ؟ "

نظرت روز بإمعان إلى وجهه قائلة : " ربما ستتحدث معك لاسيما إذا ما عرفت أننى لا أريد ذلك . وإذا ما قررت الذهاب إليها ، عليك أن تكون لطيفاً ورقيقاً معها ، يمكنك مثلاً أن تهدى إليها بعضاً من الزهور أو الحلوى ، فإذا ما فعلت ذلك فسوف تعجب بك لا محالة . ثم يجب عليك أيضاً أن تخاطبها بلقب الآنسة هاربر ، إلى أن تطلب منك غير ذلك . فهى تحمل لقب الأسرة ، وتتعامل به بشكل رسمى فى كل الأمور . وعليك أن تعلم بأنها سوف تسألك عن عائلتك ، فإذا ما كان هناك أحد من أجدادك أو أسلافك قد شارك فى الحرب الأهلية بين الأمريكيين يجب أن تخبرها بذلك . وإن كان بشجرة عائلتك أشخاص من الشمال الأمريكى لا تذكرهم لها " .

ضحك قائلاً : " والآن قد ارتسمت فى مخيلتى صورة عن نوعية هذه المرأة ، وذلك لأن إحدى عماتى تشبهها كثيرا " .

ذهبت إلى ثلاجة صغيرة أسفل المنضدة التى تعمل عليها ، وأخذت زجاجتين من الماء المثلج قائلة : " يبدو أنك تشعر بالحر ، ولكنى معتادة على مثل هذا الجو " .

رد قائلاً : " نعم ، فمن المؤكد أن عملك فى مثل هذه الرطوبة كل يوم هو الذى يضفى على بشرتك شكل الورد الإنجليزى " ، ثم مضى نحو الباب ونقر بإصبعه على خدها بلطف ، فقطبت حاجبيها ، فتراجع خطوة إلى الوراء معتذراً ، وقال : " كانت هناك بعض من الأتربة على خديك ... " .

ردت قائلة : " ولكنى معتادة علي ذلك " .

ذكر نفسه أن يبقى يده بعيدا عنها قائلاً : " أعتقد أنك مستعدة لرأس السنة " .

" نعم ، وأنت أيضاً " .

رد قائلا : " تقريباً كذلك ، إنى أدين لك بالكثير لأجل هديتك لأختى " .

ردت قائلة : " إذن فقد ذهبت إلى شراء ذلك المعطف المصنوع من الكشمير " .

" لقد أخبرتنى البائعة بأنه يسمى شالاً مزوداً ، وقالت لا توجد امرأة تقتنى الكثير منه " .

" بالضبط " .

" حسناً ، سأفعل ما بوسعى فى غضون الأيام القليلة المقبلة . فسوف أخرج الشجرة وأحاول تزيينها " .

نظرت إليه فى شفقة وقالت فى سخرية " تخرجها ؟ أعتقد أن ذلك يعنى أن لديك شجرة زائفة ؟ "

وضع يديه فى جيبيه وابتسم قائلاً " أنا أعيش حياة بسيطة فى شقة متواضعة " .

" ربما يكون ذلك أفضل خاصة بعدما رأيت حالة تلك النبتة " .

" أى نبتة ؟ "

" النبتة التى كنت تقتلها ببطء . تلك التى أخذها حينما ذهبت إلى منزلك للمرة الأولى للقائك " .

" نعم صحيح " . حينما كانت ترتدى هذا الفستان الجميل والكعب العالى الذى جعل ساقيها تبدوان طويلتين للغاية . " كيف حالها الآن ؟ " .

" بخير ، ولا تنتظر أن أعيدها إليك " .

" ربما فقط أستطيع زيارتها من حين لآخر " .

" من الممكن ترتيب هذا " .

ثم استطردت قائلة : " سنقوم بتنظيم حفل فى يوم السبت القادم فى التاسعة مساءً ، يمكنك الحضور إن أردت " .

رد قائلاً : " نعم يسعدنى ذلك ، هل تمانعين أن ألقى نظرة على المكتبة الآن ؟ "

" حسناً ، سأتصل بديفيد وأخبره " .

" حسناً ، سأنصرف الآن ، شكراً جزيلاً على وقتك الذى قضيته معى " .

" لا تقلق ، فلدى الكثير من الوقت " .

" سأتصل بك لاحقاً يا روزاليند ، إن لديك مكانًا رائعًا هنا " .

وحينما خرج نحت أدواتها جانباً ، وأخذت تشرب بنهم من زجاجة الماء المثلج . لم تكن فتاة كتلك الفتيات اللائى يرتبكن من لمسة رجل على وجوههن . بالرغم من أنها قد أحست ، وشعرت بإحساس جميل إثر لمسة أصابعه الرقيقة على خدها ، وبنظرة عينيه إلى وجهها وهو يلمسها .

وتذكرت وصفه إياها بالوردة الإنجليزية فابتسمت ، وأخذت تفحص أحد النباتات ، لقد كانت تشعر بعزيمة وقوة إرادتها الآن أكثر من أى وقت مضى .

وبينما استأنفت عملها أحست بارتياح لما حدث .

وبرغم نزول المطر ، أخذ ميتشيل يتجول حول المبنى ، فازداد احتراماً لروزاليند وإعجاباً بها لما بذلته بمفردها فى هذا البناء . ربما

ساعدها ذلك المال الذى ورثته عن هاربر ؛ ولكن مما لا شك فيه أنها قد أنفقت الكثير والكثير لتشيد ذلك الصرح .

من المؤكد أن ذلك قد استنفد الكثير من الجهد والعزيمة والعمل الجاد .

وأخذ يسترجع ذلك التعليق الواهى ، وتلك المجاملة المصطنعة حينما وصفها بالوردة الإنجليزية ، فلم تكن كذلك ، لم تكن شديدة الذكاء ، لم تكن سوى وردة سوداء ، لم تكن سوى امرأة طويلة ، نحيفة ، ذات مظهر غريب ، متغطرسة بعض الشىء ، ولكنها مثيرة .

لقد عرف الكثير عنها من خلال حديثه معها . فقد فقدت شخصاً عزيزاً على قلبها ؛ فقدت جدتها وهى لا تزال طفلة صغيرة . لم تكن على صلة حميمة بوالديها وقد فقدتهما أيضاً ، وكذلك لم تكن على صلة قوية بأقاربها .

لم يكن لها أحد سوى أبنائها .

وبعد وفاة زوجها ، لم يكن هناك من تعتمد عليه سوى نفسها وهى تربى أبناءها .

ورغم ذلك لم يشعر بضعف فى شخصيتها .

فقد كانت ذات شخصية قوية وصريحة ، وذات قلب طيب ، وكانت تتمتع بروح الدعابة ، فقد ساعدته فى شراء هدية لابنة أخته فى عيد ميلادها ، وسخرت كثيرًا من الورطة الواقع فيها .

والآن بدأ يفهمها بشكل جيد ، فقط يريد أن يعرف المزيد عنها .

أراد أن يعرف علاقتها بزوجها الثانى ، و قصة طلاقها .

وعلى الرغم من أن ذلك لا يعنيه إلا أنه يمكنه تبرير فضوله ، فكلما عرف الكثير عنها ، اكتشف المزيد .

وكل ما عليه هو أن يقوم بتوجيه الأسئلة لها .

وعاد أدراجه إلى منتصف المكان ، كان هناك قليل من الزبائن يتناقشون بخصوص شجرة البونسيتة ، وبعض النباتات الأخرى ، وحينئذٍ ظهرت هايلى أمامه فجأة .

" دكتور كارنيجى ! يالها من مفاجأة ! " .

" كيف حالك أنت والطفلة ؟ "

" إننا بخير ، ولكنك تبدو مبتلاً للغاية ، سأذهب لأحضر لك منشفة " .

" كلا ، إننى بخير ، ولكننى لم أستطع أن أقاوم رغبتى فى التجول حول المكان " .

" وهل كنت تبحث عن روز ؟ "

" نعم ، وقد قابلتها . والآن أنا فى طريقى إلى المنزل لألقى نظرة ، ولكنى أردت أن ألتقط إحدى زهور المائدة التى تم تزيينها " .

" أليست زهوراً جميلة ؟ إنها تضفى لمسة من الجمال على مكان صغير أو حجرة مكتب " .

" إنها تبدو أجمل من تلك الزهور الصناعية التى اعتدت جلبها كل عام " .

أشارت إليه قائلة : " انظر إلى تلك الزهور التى تحبها ، إنها تفوح منها رائحة رأس السنة " .

" نعم .. إن تلك جميلة حقاً " .

" إنى أحب كل هذه الزهور الحمراء الصغيرة . ولكن ماذا عن تلك الزهور ؟ إنها زهور رأس السنة الصبارية ، أليست جميلة ؟ إن هاربر يتولى أمرها ، عليك أن تحصل على واحدة منها ، فهى زهور رائعة ، وهى تزهر فى رأس السنة " .

" ولكن ليست لدى خبرة كبيرة بالنباتات " .

" لن تكون هناك صعوبة ، فأنت تعيش فى شقة ، وإذا ما أخذت الشجرة فكل ما ستحتاجه لتزيينها هو الصبار ونبات البونسيتة " .

" لا أعلم كيف يمكن لجوش أن يعتنى بمثل هذه النبتة " .

ابتسمت قائلة : " لابد أن لديك موعدًا مع سيدة جميلة بمناسبة الإجازة " .

" حسنًا ... لقد كنت مشغولاً إلى حد كبير فى الكتاب الذى أعده " .

" إن رجلاً رسمياً مثلك يجب عليه أن يقود النساء أمامه بالعصا " .

" ليس بهذه الدرجة ، ولكن ... " .

" وعليك أن تحصل على إكليل من الزهور لتضعه عند الباب " .

انتابه شعور طفيف باليأس وهى تصطحبه من ذراعه قائلة :

" دعنى أريك ما لدينا ، لقد قمت بإنجاز بعضها بنفسى . أترى ذلك الإكليل هناك ؟ والآن شم شجرة الصنوبر هذه . هل يمكن الاحتفال برأس السنة بدون وضع إكليل من الزهور على الباب ؟ "

رد مجادلاً : " يبدو أنك بارعة فى تجهيز أكاليل الزهور . أليس كذلك ؟ "

ضحكت وهى تأخذ إكليلاً قائلة : " إن هذا الإكليل يناسب شجرتك " .

كان يبدو مذهولاً ومندهشاً من براعتها .

وبرحيله عنها كانت هايلى قد عرفت عنه ما تريد أن تعرف . ذهبت إلى حجرة المكتب الخاص بستيلا قائلة :

" ميتشيل كارنيجى ليس مرتبطاً " .

" ماذا تعنين ؟ "

" إنك تعرفين ما أعنيه يا ستيلا ، ليست لديه حبيبة ، ومنذ قليل قضى حوالى نصف الساعة فى حجرة البذر مع روز قبل أن يأتى إلى هنا ليشترى شجرة مكتب . لقد أرسله هاربر إلى هناك دون أن يخبرها ، فدخل عليها قبل أن تتمكن حتى من تجميل شفاهها " .

" ماذا جرى لهاربر ، هل هو غبى لكى يتركه يدخل هناك هكذا دون أن يخبرها ؟ "

" هذا بالطبع ما قلته له ، على أية حال أخذ ميتشيل يتفحص المكان وملابسه مبتلة للغاية . فقد كان يتجول هنا وهناك ، إنه ذاهب إلى المنزل الآن " .

استدارت ستيلا إليها قائلة : " ماذا يدور فى خلدك يا هايلى ؟ "

" لا شىء ، ولكنى أراقب ما يحدث فقط ، إنه لا يشعر بها كما لا تشعر هى أيضاً به . والآن فسوف يقضيان وقتاً طويلاً مع بعضهما البعض . لقد لاحظت ذكاءه وأنا أتحدث معه عند شرائه لإكليل الزهور . وأقنعته بشراء الإكليل ، وثلاث أشجار صنوبر من أشجار البونسيتة ، وشجرة رأس السنة ، بالإضافة إلى شجرة مكتب " .

" انصرفى يا هايلى " .

" ولكن عليك أن تعرفى بأنه لا يرفض شيئاً ، وهذا هو جانب الذكاء لديه ، فإن لم توقعه روز فى حبها ، فسوف أوقعه أنا فى حبى " . نظرت إلى ستيلا ، ثم استطردت قائلة " إنه فى مثل عمر أبى ، ولكنه يناسب روز ، فأنا أعرف هذه النوعية من الرجال . ألم أكن على صواب بشأنك أنت ولوجان ؟ "

تنهدت ستيلا وهى تنظر إلى الخاتم الذى أهداه لها لخطبتها قائلة : " لا أنكر ذلك ، وبما أننا سنراقب الأمور أعتقد أنه سيكون هناك الكثير من الأمور المضحكة سنراها " .

الفصل الرابع



اعتاد ميتشيل أثناء عمله بأن ينظف شقته ، وأن يتخلص بين حين وآخر من تلك النفايات المتراكمة من أكواب القهوة وما يماثلها ، أو أن يعيد تنظيمها .

وبشكل روتينى كان يستأجر من ينظف له المنزل ، ولكن هؤلاء الخدم لم يكونوا يستمرون معه لوقت طويل ، وهو نفسه يعترف بأن السبب في ذلك يعود إليه بشكل كبير .

فقد كان ينسى اليوم الذى يحدده لهم ليأتوا للتنظيف ويخرج فى هذا اليوم لشراء بعض الأشياء ، أو للعمل فى أبحاثه ، أو اللعب مع ابنه . ويبدو أنه كان هناك شيء نفسى وراء نسيانه هذا ، ولكنه لم يُرد التفكير فيه بشكل عميق .

أو أنه يتذكر موعد قدومهم ويأتى فريق التنظيف ، ويؤدون المهمة المخولة إليهم ، ثم لا يراهم مطلقاً بعد ذلك .

ولكن على المرء أن يبذل جهداً استعداداً لقضاء العطلات . لقد قضى يوماً كاملاً في تنظيف المنزل إلى أن سأم ذلك ، إنـه لـن يقبل القيام بمثل تلك الأعمال حتى ولو كان هناك راتب مقابل ذلك .

لكنه لايزال بحاجة إلى من يقوم بتنظيف تلك الموائد والكراسى التي دفنت تحت النفايات المتراكمة عليها بالرغم من أنـه لا يعقد أملاً كثيراً على الاحتفاظ بها لفترة طويلـة ، إلا أن تلك النباتـات التى اشتراها من هايلى قد أضفت مسحة من الجمال على المنزل .

وبدلاً من أن يعبث بتلك الأشياء المتناثرة والمتراكمـة بـالمنزل ، كان كل ما عليه القيام به هو أن يقوم بوضع تلك الشجرة الصـغيرة الجميلة على حامل صغير فى نافذة غرفة معيشته .

علق إكليل الزهـور علـى البـاب ، ووضـع شجرة رأس السـنة الصبارية الناضرة على المنضدة ، أما شجيرات البونسيتة الـثلاث فقد وضعت على حوض الحمام . فازداد المنزل رونقا .

وعندما اغتسل ، ارتدى ملابسه وإذ بالباب يقرع فذهب لينظر من الطارق وهو حافى القدمين ، مبلل الشعر . قطب جبينـه وهـو ينظر إلى الشخص الوحيد الذى أحبه دون تحفظ قائلاً :

" هل نسيت مفتاحك ؟ "

رد ابنه جشوا كارنيجى قائلاً : " فقط أردت التأكد من أننى لم أخطىء المنزل . فهناك إكليل من الزهور معلق على الباب " .

" إنه رأس السنة " .

دخل جشوا قائلاً : " لقد سمعت شائعة تفيد ذلك " .

كان أطول من ميتش ببوصة كاملة ولكن كان لـه نفس القـوام ، وكان شعره أسود متجعداً ، ليس لأنه لا يحب تصفيفه ولكـن لأنـه أراده أن يكون هكذا .

كان يرتدى معطفاً رمادياً وبنطالاً جينزًا واسعًا .

استطرد قـائلاً : " هـل وجـدت طاقمـاً جديـداً لأعمـال التنظيف " .

" كلا ،لم أتمكن من ذلك ، بالإضافة إلى أننـى قـد دخلـت فـى مشـادات كلاميـة مـع كـل العـاملين فـى التنظيـف فـى تينيسـى الغربية " .

أخذ جوش يتجول فى غرفة المعيشة قائلاً : " ها أنت قد قمت بأعمال التنظيف ، ولديك أيضاً شجرة صغيرة وبعض من الزهـور عليها ! "

" يمكنك أن تأخذها " .

" حسناً " .

" أعتقد أننى سأتسبب فى قتلها . فلقد سمعتها تلـهث . أنـا لا أستطيع تولى مسئوليتها " .

" بالتأكيد " .

" إنهـا ستضـايقك أثنـاء نومـك . ولـديك هـذه الشـجرة أيضاً والشموع " .

قال ميتش ثانية : " إنـه عيد رأس السـنة " ، بينمـا انحنـى جوش نحو الشمعة الحمراء ليشمها .

أومأ بعينيه إلى أبيه قائلاً : " شموع معطرة ! لقد تعرفت علـى امرأة ، أليس كذلك ؟ "

" كلا ، هل تريد كوباً من " الكولا " ؟ "

أومأ جوش برأسه وهو ينظر إلى الحمـام :" نعـم ، هـل لـديك فطيرة بيتزا ؟ " أحضر ميتشيل زجاجتين من " الكولا " ، ثم اتصل جوش بمحل " البيتزا " وطلب فطيرتى بيبرونى ونقانق .

قال ميتش " إن شراييني تنسد بمجرد سماع ذلك " . وكان يعلم أن ابنه يستطيع تناول الفطيرتين وحده وبالرغم من ذلك يظل نحيفاً .

ما أجمل أن يكون المرء في العشرين .

اتصل بمحل البيتزا ثانية وطلب فطيرة كبيرة لجوش وأخرى متوسطة له .

واستدار إلى جوش فوجده متكئاً بجوار الباب وهو يقول : " لديك زهور أيضاً ، ما اسمها ؟ "

" زهور البونسيتة ، زهور رأس السنة ، ديل " .

واستطرد جوش قائلاً : " لقد تعرفت على امرأة " .

رد ميتشيل وهو يلقى إليه بإحدى زجاجات الكولا قائلاً : " كلا ، كل ما في الأمر هو حصولى على شقة نظيفة ذات لمسات من الجمال تتماشى مع مناخ الإجازة " .

" ولكنى أعرف كيف أجعلك تتحدث ، أين ستقابلها ؟ هل هى صغيرة السن ؟ "

فتح ميتشيل زجاجة " الكولا " محدثاً صوت فرقعة وهو يضحك .

قال جوش : " سأعرف الأمر لا محالة " .

مشى بجواره عبر غرفة المعيشة قائلاً : " ليس هناك ما أخفيه عنك ، إننى سعيد الآن بالانتهاء من الكتاب الذى كان بين يدى ، وهذا يعنى أن النقود ستأتى قريباً ، والآن أنا بصدد البدء فى مشروع آخر شيق " .

" إن ذلك أفضل من التفكير فى التسوق لرأس السنة " .

" ولماذا عليك أن تفكر برأس السنة الآن ؟ لا يزال أمامك أسبوعان " .

نظر إليه ميتشيل سائلاً : " وكيف حال والدتك وكيث ؟ "

ارتشف بعضاً من شراب " الكولا " قائلاً : " بخير إنها مشغولة للغاية وتحب الاهتمام بشأن العطلات " .

ربت بيده ركبة جوش قائلاً : " ليست هناك مشكلة ، إن أمك تريدك أن تقضى العطلات معها فى المنزل ، وهذا هو ما يجب أن يكون " .

" يمكنك أن تأتى أنت أيضاً " .

" أعرف ، إننى لأقدر ذلك ، ولكن من الأفضل أن أبقى هنا ، بيد أنه من المهم أن تظل أنت معها " .

" ولكن لا أحب أن تكون وحيداً ، يمكنك الذهاب إلى منزل جدتى " .

اكتسى وجه ميتشيل بالحزن قائلاً : " لماذا تريد ذلك لى ؟ " .

ارتسمت ابتسامة باهتة على وجه جوش قائلاً : " يمكنك أن ترتدى تلك السترة الجلدية التى اشترتها لك منذ عامين " .

" معذرة ؛ ولكن هناك شخصاً خفيف الظل سوف يلعب فى هذه الإجازة . متى ستبدأ ؟ " .

" فى الثالث والعشرين " .

" يمكننا القيام بما نريد فى الثانى والعشرين ، إن كان ذلك يناسبك " .

" بالطبع هذا يناسبنى . يجب أن أخدع جولى لأنها إما ستذهب إلى أمها فى أوهايو أو إلى أبيها فى لوس أنجلوس ولم يتضح الأمر بعد . فكلاهما يمارسان ضغوطاً عليها ولا تحب أن ترى أحداً منهما " .

" نحن الآباء يمكننا أن ندمر أبناءنا " .

" ولكنك لم تفعل ذلك " . احتسى شراباً آخر ، ثم استطرد قائلاً : " إن ما أريد قوله هو أنكم لم تشركونى فى مشكلاتكم ، أنت وأمى لم تجعلانى يوماً أشعر بأننى يجب أن أختار بينكما . ولم يحدث أن جعلنى أى منكم وسيلة للضغط على الآخر ، مثلما يحدث مع جولى . وهذا يجعلنى أدرك بأننى كنت محظوظاً . هذا فقط ما أردت قوله " .

" جميلٌ أن أسمع هذا " .

" حسناً ، والآن سآخذ زجاجة " كولا " أخرى ، فبرنامج ما قبل المباراة سيُعرض الآن " ، وحينئذٍ التقط ميتشيل " الريموت كنترول " وهو يتعجب من ابنه . وهنا قُرع الباب ، فذهب ميتشيل وفى يده حافظة نقوده ليدفع ثمن " البيتزا " .

مرت هايلى بغرفة ستيلا والأطفال يلعبون فى الغرفة المجاورة قائلة :

" إنى لا أفهم ما الأمر يا ستيلا . هل ذلك الحذاء الأسود المثير هو الذى يؤذى رجلى ، أم ذلك الخف المنخفض الأنيق ؟ "

وعندما وقفت ستيلا لتجرب كلا الحذاءين ، توقفت هايلى لتبدى رأيها قائلة : " إنه حقاً لحذاء مثير " .

ردت ستيلا قائلة : " حسناً ، لقد كنت قلقة بشأن ذلك " ، ثم خلعت ستيلا كلا الحذاءين ، ثم لبست ما وقع اختيارها عليه بينما شرعت فى التزين بتلك الحلى التى ارتضتها .

والآن كان كل ما عليها القيام به هو أن تهيىء الأطفال كى يخلدوا إلى النوم ، ثم ترتدى ملابسها ، تصفف شعرها ، وتصلح من زينتها ، بينما كانت هايلى تجوب الحجرة جيئة وذهابا بشكل عصبى .

وتوجهت إليها ستيلا سائلة : " ماذا بك ؟ لماذا أنت قلقة هكذا ؟ هل لديك موعد فى حفل الليلة لا أعرفه ؟ "

" كلا ، ولكنى أتساءل لماذا كان على روز أن تخبر ميتشيل باصطحاب من يحب معه ؟ ربما سيفعل ذلك الآن ، لأنه سيعتقد أنه إن لم يفعل ذلك فسوف يبدو أحمق ، وبذلك ستضيع عليهما فرصة ذهبية " .

قالت ستيلا : " كيف عرفت أن روز قد طلبت منه أن يصطحب من يحب معه ؟ كيف عرفت مثل هذه الأمور ؟ "

" إنها موهبة خاصة لدى . إنى لا أدرى ماذا بها ! فالرجل يبدو لطيفاً ومناسباً ، وفى الوقت الذى تدعوه للحضور إلى حفل الليلة تطلب منه أن يصطحب معه من يحب ! "

" ولكن ربما ظنت أن ذلك يعتبر لائقاً ومهذبًا " .

" ولكنك لن تكونى مهذبة إذا قمت بمثل ذلك " . زفرت هايلى زفرة غضب طويلة وهى تنحنى أسفل السرير لتتفحص حذاءها قائلة : " إن المواعدة ترجع إلى أصل لاتينى ، وربما إلى العصور القديمة ، وعلى أية حال فهى أمور تتعلق بالإناث ، ومن المفترض بنا أن نأخذ المبادرة " .

ولأنها لم تكن قد بدأت بعد فى وضع مساحيق التجميل أخذت ستيلا تحك عينيها بأصابعها قائلة : " كيف تعرفين مثل تلك الأمور ؟ لا أحد يعرف مثل هذه الأشياء " .

" ألا تذكرين أنى كنت بائعة للكتب ، وقد قرأت الكثير منها ؟ إنى لا أدرى لماذا تنتابنى الهواجس بشأن الأمور المقلقة التى تدعو إلى التشاؤم ، ولكن على أية حال فإن حفلة الإجازة سوف تقام هنا فى منزلها ، وكما تعرفين فإن روز سوف تبدو

رائعة بينما سيظهر ميتشيل فى الحفل فى صحبة امرأة ، ويفسد الأمر كله " .

" ولكنى لا أعتقد أن هناك أمراً ما يمكن أن يُفسد فى هذا الوقت ، وفى هذه المرحلة " .

شدت هايلى شعرها ، وعلامات الإحباط مرتسمة على وجهها وهى تقول : " ولكن ذلك من الممكن أن يحدث ، إنى أتوقع ذلك ، إن لم تصدقينى راقبى الحفل هذه الليلة ، وسوف تتحققين من صدق كلامي " .

" حسناً ، سأراقب الأمر ، ولكن يجب علىَّ أن أخرج الأطفال من الحمام ، وأرتدى ملابسى ، وأربط سير حذائى كى أنال إعجاب لوجان " .

" هل تريدين مساعدة ؟ بخصوص الأطفال ، وليس بشأن لوجان . إن ليلى نائمة بالفعل " .

" كلا ، فسوف تبللين ملابسك أو تجعليها تتجعد ، وأنت تبدين رائعة . أتمنى لو أستطيع ارتداء مثل هذا الثوب الأحمر " .

نظرت هايلى إلى فستان أحمر جذاب ، وقالت : " هل يبدو هذا مناسباً ؟ "

" نعم أعتقد أنه مناسب تماماً " .

" حسناً ، الآن سأذهب إلى الطابق السفلى لأساعد ديفيد فى تجهيز الطعام للحفل " .

كانت روز فى تلك الأثناء فى الطابق السفلى تتفقد الأمور . ربما كان عليها أن تقيم الحفل بالطابق الثالث ، فقد كان رائعاً وأنيقاً ، ولكن الطابق الرئيسى هو المكان الأمثل لإقامة الحفل بحجراته الصغيرة ، ومدفأته ، كما كان أكثر دفئاً ، وأبهى جمالا .

لم تكن هناك مشكلة في اختيار مكان الحفل ، أكدت ذلك لنفسها وهى تقوم بتفقد أماكن الموائد ، والكراسى ، ومصابيح الإضاءة ، والشموع . ويبدو أنها كانت ترغب فى أن تفتح كل الغرف لما تعرفه من أن الزائرين سيتجولون من مكان لآخر إعجاباً بذلك المنزل الذى تعشقه .

كانت ليلة الحفل ليلة صافية ، وسوف ينتشر الزائرون فى الشرفات ، فقد تم تجهيز الكثير من المدفآت تحسباً للبرودة . كما تم أيضاً توفير العديد من الموائد والمقاعد والشموع ، وتم إعداد الأضواء وتثبيتها على الأشجار وطرقات الحديقة .

وربما سيقلقون لأن هذه هى المرة الأولى التى تقيم فيها حفلا ، ولكن من المؤكد أن المدعوين إلى الحفل لن يندموا على حضورهم إلى مثل تلك الحفلة باهظة التكاليف .

تسللت إلى الخارج حيث الأضواء المتلألئة وشجرة البونسيتة التى تم تزيينها بكثير من النباتات ذات اللون الأبيض الناصع .

لقد صُمم منزل هاربر من أجل التسلية والمرح والاندماج مع هؤلاء الذين أحبتهم روز كثيراً ، وتناست نفسها من أجلهم .

وعندما سمعت صوت الباب يُفتح ، استدارت فإذا به ديفيد قد جاء وفى يديه زجاجتان قائلا : " مرحباً أيتها الجميلة . هل لك فى تناول مشروب مثلج ؟ "

ردت قائلة : " بالرغم من أننى يجب أن أكون بالداخل للمساعدة فى تجهيز المنزل للحفل إلا أنه يمكننى تناول كوب من هذا الشراب " .

رد قائلاً : " لا تقلقى ، ففى غضون عشرين دقيقة سيكون كل شىء على ما يرام . ألسنا أولاداً رائعين ؟ "

ضحكت وهى تمسك يده فى رفق قائلة : " أنت دائماً رائع " .

رد ولاتزال يده فى يدها قائلاً : " وأنت كذلك " .

كانت قد اختارت رداءً مرصعاً بالفضة ذات لون باهت . ومسحت بيدها على القلادة ذات اللون الرمادى التى يتدلى منها فصوص الحلى .

قالت : " لم تسنح لى فرص كثيرة لارتداء ذلك الثوب المرصع وتلك الحلى ، ويبدو أن هذه الليلة هى الفرصة المناسبة لارتدائها " .

" نعم ، لاسيما وأن هذه القلادة تبدو رائعة ساحرة وهى تتدلى من فوق الرقبة " .

أحست بإسترخاء بعد شرابها لذلك المشروب مع ديفيد بعد أن طمأنها قائلا : " إن الحفلة ستكون رائعة للغاية يا روز ، لا تقلقى بشأن تلك الأمور التافهة " .

هزت رأسها وهى تحدق فى الحديقة ، ثم احتست رشفة من شرابها قائلة : " إنك تقرأ أفكارى يا ديفيد ، إنى لا أزال أذكر تلك الحفلة الأخيرة حينما ذهبت إلى الطابق العلوى ؛ لكى أبدل قلادتى التى انفك مشبكها وإذ بى أرى زوجى يغازل إحداهن " .

رد قائلا : " اللعنة على ذلك ، ولكنك قد عالجت الموقف ، أليس كذلك ؟ إنى مازلت لا أدرى كيف تمالكت نفسك ، وبقيت هادئة وتراجعت إلى الحفل إلى أن انصرف الجميع بدلاً من أن تعنفى وتوبخى ذلك الوغد الحقير " .

" يالك من امرأة شجاعة ، صلبة يا روز ! " .

" لم تكن شجاعة بقدر ما حاولت احتواء الموقف ، فكشف مشهد كهذا أمام كل أولئك الضيوف لم يكن ليزيد الأمر إلا سوءاً ومذلة وعاراً لى " .

" ولكنى لو كنت مكانك لما ترددت لحظة فى أن أطردهم من المنزل ببندقية أحد أجدادك " .

تنهدت وهى تحتسى رشفة أخرى من شرابها قائلة : " أعتقد أن ذلك كان سيشعرنى بالراحة ، ويشفى غليل صدري ، لم ندع له الفرصة كي يفسد الحفل فى تلك الليلة ، وكذلك أيضا لن نسمح له بأن يفسد حفل الليلة " .

استدارت إلى ديفيد ، ونظرت إليه نظرة حازمة ، وكأنها تستعد للدخول فى معركة قائلة : " هيا لنشعل ما تبقى من الشموع ، ونستمع إلى الموسيقى . إنى مستعدة وجاهزة للحفل " .

لقد كان فتح المنزل مرة ثانية شيئاً جميلاً حقًا بما صاحبه من شراب واستماع للموسيقى ، وتقديم الطعام ، واستضافة الأصدقاء . وبينما كانت تتجول من حجرة إلى أخرى ، كانت تستمع إلى أحاديث الأصدقاء وما يدور فيها من مناقشات فى السياسة والرياضة والفن .

كانت تتجول وذراعها فى ذراع ويل دولى صديقها القديم ووالد ستيلا ، بينما ظلت جولى تغير حذاءها ، وقد ذهبت مع هايلى إلى الطابق الأعلى لتتفقد حال الطفلة .

" هل تفتقد خطيبتك يا لوجان ؟ " .

" إن النساء لا يمكنهن أن يهدأن إلا حينما ينتقدن جميع التفاصيل . حفلة جميلة يا روز " .

" أعلم أنك تكره الحفلات " .

قطب لوجان عن جبينه فازداد وجهه سحراً وهو يقول : " لقد حضر الكثير من الناس ، بالإضافة للطعام اللذيذ ، والشراب

المثلج ، بالإضافة إلى أن محبوبتى هى أجمل امرأة فى العالم ، إنى أنوى استدراجها إلى الحديقة " .

غمز بعينه إلى ويل قائلا : " لقد حضر صديقك الدكتور كارنيجى للتو ، يبدو أنه يبحث عنى أو عن شخص ما آخر " .

كانت روز تنظر حولها رافعة حاجبيها المعبرين عما يدور بخلدها . كان يرتدى حُلة رمادية اللون ، وقد قص شعره مقارنة بآخر مرة كان فيها ، وأخذت تراقبه عن كثب .

كان يبدو مرتبكا وهو يقف وسط ذلك الزحام من المدعوين ، وفى كل مرة يُقدم إليه شراب يهز رأسه رافضا .

استأذنت روز من ويل ، ولوجان وأخذت تشق طريقها فى الحجرة وهى تبطىء من خطوتها كلما تفحصت عيناه وجهها .

كانت تشعر وكأن قلبها يخفق ، ودقاته تزداد نبضا ، فأحست بارتباك وإحراج وكأنها المرأة الوحيدة الموجودة بالغرفة .

ولكن استقبالها له كان سهلا ورقيقا ، فقد بادرته وعلى وجهها تلك التعبيرات الرقيقة . قالت : " إنى سعيدة للغاية بحضورك " .

رد قائلاً : " حينما تقومين بتجهيز حفل يكون حقًا حفلا رائعا ، لقد رأيت الأضواء على بعد ميل ، ولكن أخبرينى ، هل تعرفين كل هؤلاء الضيوف ؟ "

" كلا ، لم أرهم قط فى حياتى ، ماذا تحب أن تشرب ؟ "

" ليمون " .

تعلقت بذراعه وهى تقوده إلى إحدى الطاولات قائلة : " إن مكان تقديم المشروبات هناك ، دعنا نحضر لك واحدا " .

" شكرا جزيلا ، لدى هدية لك " .

وبينما كانا يعبران البهو وفى طريقهما إلى الطاولة ، وضع يده فى جيبه ، وأخرج صندوقا صغيرا مغلفا وأهداها إياه .

" ما كان عليك أن تتحمل عناء ذلك " .

" إنها مجرد تعبير عن تقديرى لك لمساعدتك لى فى شراء الهدية لابنة أختى ، إنك حقا تبدين رائعة " .

" شكرا لك " .

وأخذ يحدق فيها من رأسها إلى أخمص قدميها وهو يتفحص صندلها ذا اللون الفضى ، وأظافر قدمها بطلائها ذى اللون الياقوتى الأحمر .

" لقد اعتادت أمى أن تخبرنى دائما بأن المرأة لن تتزوج إلا إذا اهتمت بطلاء أظافر أصابع قدميها ، ونصيحتها هذه هى إحدى نصائحها القليلة التى أتفق فى الرأى معها ، والآن هل يمكننى أن أفتح الهدية ؟ "

كان لايزال يحدق فى أصابع قدميها المثيرة .

فرد فجأة : " ماذا تقولين ؟ "

كانت سعيدة للغاية باهتمامه البالغ ، وإعجابه بأصابع قدمها ، وردت قائلة : " الهدية ، هل يمكننى أن أفتحها الآن ؟ "

" كلا ، ليس الآن ، يمكنك فتحها لاحقا " .

" لا تكن عنيدا ، سأفتحها الآن " .

نزعت شريط الغلاف ، ورفعت غطاء العلبة لأعلى ، وبداخلها وجدت ساعة صغيرة مرصعة بالفضة فصاحت : " يالها من هدية رائعة ، إنها حقا جميلة ورومانسية ، إنها بحق تفوق ما قدمته لك من جميل فى انتقاء اللعبة لابنة أختك " .

وعندما رفعت رأسها تنظر إليه ، هز رأسه قائلا : " حينما رأيتها تذكرت وجهك للتو ، لقد جعلتنى أفكر فيك " .

" وهل ذلك عادة ما يحدث لك ؟ "

" تفكيرى فيك ؟ "

" لا ، أن تفكر فى شخص ما ثم تشترى له هدية " .

" نادراً ، وهل يحدث ذلك معك ؟ "

ابتسمت قائلة : " نادراً ، شكراً جزيلاً لك ، أريد أن أضعها بأعلى ، هل لى أن أقدمك إلى ... ، ها هى ستيلا ، لن يستطيع أحد أن يصطحبك فى الحفل أفضل منها " .

مدت ستيلا يدها لتصافحه قائلة : " يسعدنى أن أراك ثانية " .

" وكذلك أنا ، يسعدنى أن أراك ثانية ، تبدين ناضرة ، من المؤكد أنك تمرين بتجربة عاطفية " .

" نعم ، بالطبع ، وكيف حال أبنائك ؟ "

" إنهم بخير ، شكرا " . قالت عندما رأت الساعة الصغيرة : " أليست رائعة ورومانسية ؟ "

وافقتها روز الرأى قائلة : " إنها حقاً جميلة ، أليس كذلك ؟ إنها هدية فى مقابل خدمة صغيرة " .

تدخل ميتشيل قائلاً : " لو تلقيت تلك المكالمة الهاتفية التى تلقيتها أنا من أختى وابنتها لأدركت أن ما قدمتيه لى من خدمة ليس شيئاً صغيرا ، بالإضافة إلى أننى أتمتع الآن بكونى خالاً جيداً " .

ردت روز : " حسناً إذن أنا أستحق هذه الهدية . هيا يا روز اصطحبى ميتشيل فى الحفل ، إنى ذاهبة لأضع هذه الهدية بأعلى " .

ردت ستيلا وهى تلاحظ كيف كان ميتشيل يتبع روز بنظراته وهى تغادر الحجرة قائلة : " حسناً سأفعل " .

سألها ميتشيل : " هناك سؤال واحد فقط قبل أن نتجول فى الحفل ، هل هى مرتبطة بشخص ما ؟ "

" كلا " .

شقت روز طريقها نحو الدرج ، ثم صعدت إلى الطابق الثانى ، وبينما تصعد تذكرت أنها قد صعدت هذه السلالم من قبل فى حفل آخر ، وكان وراءها نفس الأصوات ، الموسيقى ، والأضواء ، وبنهاية السلم ، انتهت علاقتها بزوجها .

لم تكن ساذجة ، فقد كانت تعرف جيداً أن ميتش يرغب فى بدء علاقة معها ، والغريب فى ذلك أن ردها لم يكن رفضاً صريحاً ، والأغرب أنها لم تكن تعرف حتى الإجابة ، كل ذلك تبادر إلى ذهنها وهى تصعد الدرج إلى غرفة نومها .

دخلت حجرة نومها لتضع الساعة الصغيرة الجميلة ، لم تستطع أن تمنع نفسها من الابتسام وهى تتفقد إطارها .

ربما ستكون العلاقة معه ممتعة ومسلية ، ولكنها ستكون معقدة أيضاً ، وربما يشوبها التوتر نظراً لطبيعة المهمة التى استأجرته من أجلها .

لقد سمحت للرجل بأن يؤلف كتاباً يحتوى على تاريخ أسرتها ، وربما يستعرض لها بشكل أو بآخر . فهل يمكنها أن تنخرط فى علاقة مع رجل لن يتردد لحظة إذا ما ساءت الأمور أن يسوء سمعتها وسمعة أسرتها فى كتاب ؟

إن تجربتها مع برايس قد علمتها أنه حينما تسوء الأمور فإنها تزداد سوءاً .

رفعت عينيها إلى المرآة ، وفى مخيلتها الكثير من الأمور التى يجب أن تُدرس بعناية - لم تر فقط نفسها ، بل رأت شبحاً ذا شكل شاحب من ورائها .

احتبست أنفاسها ؛ ولكنها لم ترتبك أو تنزعج ، لم تتحرك أو تستدر ، ولكنها مكثت واقفة كما هى وعيناها تحدقان فى عينى إميليا المنعكستين على الزجاج .

ثم قالت فى هدوء : " ها أنت للمرة الثانية فى غضون أسابيع ، أعتقد أنك ستطلبين منى أن أتركه ، فأنت لا تحبين الرجال كثيراً يا إميليا . أليس كذلك ؟ أنت تحبين الأولاد ولكن مع الرجال فالأمر مختلف ، إنى أعرف ذلك تماماً ، ألم يكن أحد من أجدادى هو الذى جعلك تتوقدين غضباً ؟ "

لم تسمع رداً .

واستطردت قائلة : " دعينى أنهى معك هذه المحادثة أحادية الجانب . يجب علىّ أن أفكر وأن أخطط وأقرر لنفسى كعادتى دائماً . إننى إذا ارتبطت بميتشيل فأنا التى سأتحمل عواقب ذلك " .

ابتلعت أنفاسها ببطء ، ثم استطردت قائلة : " ولكنى أعدك بأنه مهما فعلت أو لم أفعل ، فلن نتوقف عن كشف حقيقتك " .

وبينما أخذ الشبح يتلاشى ، شعرت روز بشىء ما يمسح برفق على شعرها .

كان عليها أن تتمالك نفسها ، فأمسكت فى المرآة بكلتا يديها ، ثم وضعت بعضاً من مسحوق التجميل على شفتيها ، وبعضاً من العطر على رقبتها ، ثم عادت أدراجها إلى الحفل .

لقد تبادر إلى ذهنها أن تلك الصورة المخيفة للشبح تكفى لأن تشعرها برعب ، ولكنها تعرضت لصدمة أخرى أشد من صدمتها برؤية ذلك الشبح الشاحب .

فبينما كانت على مقربة من نهاية الدرج ، وجدت برايس كليرك واقفاً فى ردهة منزلها .

توقدت غضباً ، وتبادر إلى ذهنها أن تنزل أسفل الدرج . تمطر ذلك الوغد بأقذع الإهانات ثم تطرده إلى الخارج .

كان شعوراً حاداً ذلك الذى انتابها ثم تلاشى فجأة عندما أدركت ذلك الحشد الهائل من الضيوف ، ولم تسمع سوى صوت تدفق الدم إلى أذنيها .

نظر إليها مبتسماً وفى صحبته امرأة كانت تعرفها . تمالكت روز نفسها ، وكبحت جماح غضبها خشية أن تنطلق قبضة يدها بلكمة فى وجهه .

وتوجهت إلى المرأة التى برفقته قائلة : " ماندى ! "

ردت ماندى قائلة : " روز ! " وهى تقهقه ، وتقبل روز قبلتين سريعتين . كانت روز تعرفها ، فقد كانت امرأة فى مثل عمر هاربر ، كانت شابة سخيفة وغنية ، وفشلت فى زواجها ، وانفصلت مؤخراً ، ثم استقرت مرة أخرى فى ممفيس الصيف الماضى . واستطردت ماندى قائلة : " إن منزلك رائع للغاية ، وأعرف أننا تأخرنا كثيراً ، ولكننا ... " . زاد غضب روز حدة ، ولكن واصلت الأخرى حديثها قائلة : " لا يهم ذلك ، ولكننى سعيدة للغاية ، لأنك طلبت منى الحضور . لقد كنت أتوق شوقاً لرؤية منزلك . معذرة دعينى أقدم لك صديقى برايس كليرك " .

" لقد تقابلنا من قبل " .

" تبدين رائعة كالعادة يا روز " .

وانحنى كما لو كان يريد أن يقبلها . كانت تشعر بمن حولها يراقبون الموقف ، ويستمعون فى ترقب لما سيحدث .

وتحدثت فى رفق قائلة : " إذا لمستنى فسوف أركلك بقدمى " .

رد برايس فى صوت يسمعه أولئك الذين كانوا يراقبون الموقف قائلا : " إننى ضيف فى منزلك " . ورسم على وجهه أمارات الصدمة وقال " إنك لم تتسمى بالوقاحة قط " .

وتشابكت أيديهما وهما ينظران إلى بعضهما البعض فى ترقب ، بينما ماندى تنظر مرة إليها وأخرى إليه قائلة : " إنى لا أفهم ما يحدث " .

ردت روز قائلة : " إنى متأكدة أنك لا تفهمين ما يحدث يا ماندى ، لماذا لا تأتى أنت وصديقك معى لبرهة ؟ "

وحينئذٍ استمعت إلى ضجة تأتى من ورائها ، فالتفتت قائلة فى صوت منخفض : " كلا يا هاربر ، من فضلك تمالك نفسك ، لا تفعل " .

وعندما استدارت بسرعة لتقف بينه وبين برايس ، نظر إليها هاربر قائلا : " دعينى ولو لمرة واحدة أن أتولى هذا الأمر . دعينى " .

فمسحت بيدها على ذراعه ، وأحست بعضلات يده تهتز ارتعاشاً قائلة : " من فضلك لا تفعل " .

ثم قبلته وهمست فى أذنيه قائلة : " إنه يريد فضيحة ، ولن ندعه يفعل ذلك لن ندعه ، فقط اسمح لى بدقيقتين لأتولى أنا الأمر " .

وتوجهت نحو ماندى وهى تأخذ بذراعها قائلة : " ماذا لو تحدثنا بالخارج قليلاً ؟ "

فتجمد برايس فى مكانه قائلاً : " ليس من اللائق أن تفعلى ذلك يا روزاليند ، إنك بذلك تضعين نفسك وضيوفك موضع إحراج ، كنت أتمنى أن تكونى أكثر لياقة على الأقل " .

ردت قائلة : " أعتقد أن آمالك قد تحطمت الآن " .

لاحظت تغير وجهه وهو ينظر فوق كتفها ، ونظرت إلى ميتش فوجدته يقف بجوار هاربر بينما لوجان وديفيد يتجهان نحو الردهة وقد ارتسمت على وجهيهما علامات استياء أكثر منها .

وتمتم ميتش قائلاً : " من ذلك الوغد ؟ " فسمعته روز مثلما سمعت هاربر يرد قائلاً : " إنه برايس كليرك ذلك الحقير الذى طردته من منزلها منذ سنوات قليلة " .

اصطحبت ماندى إلى الخارج وهى تتوجس خوفاً من أن يقوم برايس بافتعال شجار مع هاربر وإفساد الحفل ، ولكن لن يجرؤ على مواجهة عدة رجال غاضبين بالرغم من أنه كان يتوق إلى إحراجها فى منزلها .

وكان ظنها فى محله فقد ابتعد عن هاربر وتبعها إلى الخارج .

" ماندى ، إن ذلك الرجل هو زوجى السابق الذى وجدته فى حفل كهذا فى الطابق الثانى بين أحضان إحدى صديقاتى " .

" إن تلك كذبة حقيرة .. لم يحدث أن ... "

نظرت إليه قائلة : " يمكنك أن تخبر ماندى بما تريد ، ولكن بعيداً عن باب منزلى ، ليس مرغوباً فيك أن تأتى إلى هنا ، وإن اقتربت من منزلى ثانية فسوف أستدعى الشرطة لتقبض عليك بتهمة انتهاك حرمة وأملاك الغير ، والآن ليس أمامك سوى دقيقة واحدة لتركب سيارتك ، وتغرب عن وجهى " .

استدارت وهى تبتسم إلى ماندى التى أصيبت بصدمة قائلة : " أما أنت يا ماندى فعلى الرحب والسعة ، وسوف أتولى أمر عودتك إلى منزلك " .

" ولكن أعتقد ... أعتقد أننى يجب أن أنصرف الآن " .

" حسناً ، سأراك إذن فى اجتماع الشهر القادم . عيد رأس سنة سعيد " .

تراجعت إلى الباب خطوة قائلة : " أعتقد أنه ليس أمامك سوى أربعين ثانية لتنصرف قبل أن أدخل وأستدعى الشرطة " .

" إن الجميع يعرف حقيقة أمرك الآن " قال جرايس وهو يدفع ماندى ناحية سيارته .

" نعم إنى على يقين من ذلك " .

وقفت منتظرة إلى أن غادر بسيارته .

وحينئذٍ اعتصرت بطنها بيديها ، وأغلقت عينيها وهى تهدىء من روعها .

ثم شهقت أنفاسها وهى ترفع رأسها فى طريق عودتها إلى المنزل .

ارتسمت ابتسامة مشرقة على وجهها وهى ترفع يدها لتمسك بيدى هاربر قائلة وهى تتفحص تلك العيون المترقبة : " يمكننى أن أتناول شراباً الآن " .

الفصل الخامس



وبعد انتهاء الحفل ورحيل الضيوف إلى منازلهم كانت روز لاتزال قلقة ومضطربة وآثرت أن تذهب إلى حجرتها حيث يمكنها أن تسترخى وتتأمل ما حدث لها من إهانة .

ولكن بدلاً من ذلك ، أعدت لنفسها كوباً كبيراً من القهوة وذهبت إلى فناء الحجرة الخارجى لتستمتع بالاسترخاء وحدها وهى تسترجع تلك المذلة التى أصابتها بشكل شخصى ، وهى تنظر إلى تلك الأضواء التى لاتزال تتلألأ . جلست هناك لترتشف قهوتها ، لتستمتع وربما لتتأمل قليلاً .

كانت تعرف أن هاربر كان غاضباً منها لأنها منعته من طرد برايس من المنزل عنوة ، كان صغيراً ولكنه كان يدرك جيداً أن استخدام القوة ربما يفيد فى حل تلك المشكلة بصفة خاصة . كان يحبها ، ولحبه لها كبح جماح غضبه تلبية لرغبتها .

ولكنه استطاع على الأقل كبح جماح غضبه .

ففى المرة الأخيرة التى حاول فيها برايس دخول المنزل دون دعوة لم تستطع أن تثنى هاربر عن طرده عنوة أو حتى ديفيد . لقد قاما بطرده ، ورغم ضآلة حجمها لتركها ابنها يطرده بهذه الطريقة فإنها شعرت ببعض الراحة . ولكن هل نجح ذلك فى حل المشكلة ؟

لقد حقق برايس هذه المرة ما حققه فى المرة السابقة . فقد استطاع إثارة حفيظتها .

وتساءلت مع نفسها إلى متى ستظل تدفع ثمن غلطة طائشة ؟

وعندما سمعت صوت الباب يفتح ، أصابها التوتر والقلق فلم تكن تريد أن تسترجع تلك الحادثة القذرة مع ديفيد أو هاربر ، لأن أحداً لن يفعل شيئاً سوى أن يربت على رأسها مطمئناً إياها .

أرادت أن تجلس وتتأمل ما حدث بمفردها .

" لا أعلم إذا كنت ترغبين فى ذلك أم لا ، ولكننى أريد تناول بعض الشيكولاتة " .

وفى دهشة من جانب روز ، رأت ستيلا تضع صينية على المائدة وهى تقول : " ظننت أنك قد ذهبت لتخلدى إلى النوم " .

" إنى أحب دائماً أن أهدأ وأسترخى قليلاً بعد حفل كبير كهذا " .

لقد أعدت كوباً من الشاى وتذكرت أن ستيلا لا تشرب القهوة فى وقت متأخر من الليل . وقد قامت كذلك بغسل باقى الأطباق مما علق بها من شوائب الشيكولاتة .

" إن هايلى بأسفل هى الأخرى ، حيث إن ليلى قد استيقظت ، ربما يرجع ذلك إلى شعورها بألم فى أحد أسنانها . دائماً ما يكون منتصف ديسمبر ممتعاً ، حيث جمال الطقس وروعته " .

وسألتها روز قائلة : " هل قررت أن تكثرى من الكلام حتى تكتسبى بعض الدفء ؟ "

كان هناك أوقات تنجح فيها تلك النبرة فى إبقاء ستيلا بعيداً عنها ، أما الآن فقد تغير الحال ، وتوجهت إليها ستيلا قائلة : " أعتقد أن هذا الطقس يعتبر بداية جيدة لاثنين يعملان فى مجال البستنة ، وإنى لأفكر وأتأمل فى مدى روعة وجمال نباتات البونسيتة هذا العام ، ولكن أعتقد أننا سنطرح هذا الأمر جانباً " .

وأخذت قطعة من الشيكولاتة قائلة : " يا لروعتها ، إنها لذيذة حقاً . أعتقد أن من اخترع هذه الشيكولاتة يجب أن يُمجد " .

" اسألى هايلى . وإن كانت لا تعرف من قام باختراعها فسوف تنجح فى اكتشاف هذا " . لأن الشيكولاتة كانت أمامها ، لم تجد روز سبباً تعتذر به عن أن تأخذ واحدة .

وبادرتها ستيلا قائلة : " إننى أعيش هنا منذ عام تقريباً ، أعمل وأعيش معك فى منزل واحد ، وإننى لأقدر حقاً تفهمك لأمر زواجى من لوجان . وعلى الرغم من أنى أتطلع إلى الزواج من لوجان والانتقال إلى منزله ، إلا أنى سأفتقد هذا المنزل كثيراً وكذلك الطفلان " .

" إنى حقاً سعيدة لأن أسمعك تقولين ذلك " .

" وعلى الرغم من كل ما حدث فى الربيع الماضى ، إلا أننى أشعر بانتمائى لهذا المنزل ولك " .

" إنه حقا لشعور طيب منك يا ستيلا " .

جلست وهى تحتسى الشاى ناظرة بعينيها الزرقاوين إلى روز ثم قالت : " من خلال عملى معك لعام تقريباً فإنى أعرف جيداً كيف تفكرين وكيف تشعرين ، ولكن بالرغم من طيبتك وكرم

ضيافتك إلا أن لك خصوصية تحافظين عليها . وإنى فيما يتعلق بأمورك الشخصية ، لأعتقد أننى سأكون قد تجاوزت حدود حياتك الخاصة إذا ما قلت لك بأننى حقاً حزينة لما حدث هذه الليلة . إنى حزينة ، ضجرة ، وكذلك مندهشة للغاية ، كيف يمكن لوغد حقير مثله أن يدخل منزلك بدون دعوة وبدون أن يُرحب به متعمداً بذلك أن يضعك موضع إحراج ؟ "

لم تنبس روز ببنت شفه ، فتنهدت ستيلا قائلة : " إن كان مزاجك يسمح بأن نتناول سوياً بعضاً من الشيكولاتة ونحن نتحدث عن ذلك الوغد الحقير التافه فإنى مستعدة لأن أسمعك . أما إذا كنت تفضلين البقاء بمفردك دون أن تبوحى عما يجيش فى صدرك وتعانين من تفاقم الأمر وحدك فسوف أغادر لأحتسى الشاى بالطابق العلوى " .

جلست روز لبرهة دون أن تتحدث ، احتست رشفة من القهوة وتناولت قطعة أخرى من الشيكولاتة ثم نظرت إلى ستيلا قائلة :

" إنى أعيش هنا طوال حياتى ولدى عدد من الأصدقاء أو بمعنى آخر مجموعة من أشخاص أعرفهم فقط ، ولكن لم يحدث أبداً أن كان لدىَّ ما يمكن أن يطلق عليهم أصدقاء حميمون من النساء . ويرجع السبب فى ذلك إلىّ أنا فى المقام الأول حيث إننى قد ترملت وأنا فى ريعان الشباب ومن ثم فإن العديد ممن يعيشون معى هنا من النساء أصبحن حذرات منى إلى حد ما ، لقد كنت شابة ، جذابة ميسورة الحال أو هكذا ظنوا . وعلى الجانب الآخر كان هناك العديد من أولئك الذين كانوا يحرصون بشكل فطرى على أن أرتبط بأحد الرجال . وقد شعرت بضجر وضيق من كلا الجانبين ، ومن ثم قررت ألا أتخذ صديقة حميمة لى وهذا هو السبب فى كونى

نكدة أو فظة إلى حد ما ، ومع ذلك فإنى أراك صديقة لى ، بل أفضلهن جميعا " .

" نظراً لأنه لدى نفس الشعور تجاهك فإنى أتمنى لو تسمحين لى بمساعدتك حتى ولو كانت تلك المساعدة مجرد انتقاد ذلك الوغد الحقير برايس كليرك أو أن أحضر لك الشيكولاتة " .

ردت روز فى صوت هادىء : " لماذا أشعر يا ستيلا بأن هذه هى المرة الأولى التى أسمعك فيها طوال هذا العام تتلفظين بتلك الكلمات : " وغد ـ حقير ـ تافه ؟ "

سكتت لبرهة ثم قالت : " إنى أحتفظ بتلك الكلمات لمناسبات خاصة " .

نكست روز رأسها برفق وهى تقول : " وهذه المناسبة هى وقتها . إنه لم يفعل ذلك لكى يضعنى موضع إحراج . فلم يكن ذلك هو ما يرمى إليه " .

" إذن ، لماذا فعل ذلك ؟ هل وصل إلى هذه الدرجة من الغباء حتى يعتقد أنك ستسمحين له بحضور حفل فى منزلك ؟ "

" ربما اعتقد أننى سأحافظ على صورتى العامة أمام الناس ومن ثم يمكنه حضور الحفل " .

" إن كان الأمر كذلك ، فإن لم يفهم شخصيتك جيداً " .

" إنه يعرف جيداً أنه قد حصل على ما يريد " .

" أتقصدين تلك الفتاة التى كان يصحبها ؟ "

" إنها ثرية للغاية وساذجة كذلك ، وقد خطط لأن تتعاطف معه بعد حفل الليلة " .

ردت ستيلا : " إذن إنها ليست ساذجة فحسب بل غبية كذلك " .

" ربما ، ولكنه كذاب ومخادع كالثعبان ، أما أنا فلست ساذجة ، أو غبية " .

قاطعتها ستيلا : " لقد كنت تحبينه ، لذا ... " .

قاطعتها روز : " كلا ، لم أحبه ولكننى فقط كنت استمتع بالمشاعر العاطفية والرومانسية ومشاعر الإطراء والتملق ، بالإضافة إلى إننى كنت أشعر بفراغ فى حياتى وهو ما هيأ لى أن أتقبل تلك العلاقة ، وكانت غلطتى الوحيدة هى أننى قد تزوجته بدلاً من أن أظل مرتبطة به إلى أن أشعر بالملل منه أو أن أكتشف حقيقة أمره " .

وبعد برهة ردت ستيلا قائلة : " إننى لا أدرى إن كان ذلك يلطف من الموقف أم يزيده سوءاً " .

" ولا أنا أعرف ، ولكن هذه هى الحقيقة . وعلى أية حال فقد أراد أن يشعرنى بوجوده في نفس الوسط الذى أعيش فيه . لقد أراد أن يلفت انتباه الآخرين ، بغض النظر عن مغبة ما يقوم به وقد كان أقسى عقاباً يمكننى أن أصبه عليه هو أن أتجاهله . وهذا بالضبط هو ما فعلته بنجاح منذ عودته إلى ممفيس . والليلة قمت بطرده من منزلى وأمام ضيوفى " .

" كنت أتمنى لو شهدت ذلك الموقف كله ، فقد كنت تقريباً عند الجانب الآخر من المنزل حينما سمعت الشجار بينكما ، ولكنى لا أدرى كيف يقبل إنسان على نفسه أن يحتمل طرداً من المنزل أمام أعين الجميع وبتلك الطريقة التى قمت بها " .

" إنك لا تعرفين برايس جيداً ، فبعد كل ذلك سيأتى إلىّ هنا فى محاولة أن يصلح الأمر معى ، بالرغم من أنه هو الضحية الذى تم طرده من حفل وهو بصحبة صديقته " .

سكتت لبرهة ثم تنهدت قائلة : " أما الناس ، فسوف يقولون ، يا إلهى ، يالها من امرأة ذات مشاعر باردة " .

" الناس حمقى إذن " .

" نعم ، إنهم حمقى بالطبع وهذا هو ما جعلنى أتجنب الاختلاط معهم اجتماعياً وألا أنتقى نوعاً خاصاً سيئاً من الأصدقاء بجانبى . وهذا أيضاً هو سبب سعادتى فى أن لدى صديقة مميزة تجلس معى الآن فى هذا الوقت من الليل تتجاذب معى أطراف الحديث لتخفف عنى ما أشعر به من حزن .

تنهدت بشدة قائلة : " وهل يوجد شعور أفضل من ذلك ؟ هيا بنا لنصعد لأعلى كى ننام ، فغداً سيكون يوماً حافلاً " .

ربما سيقول البعض بأن روز أرادت أن تدفن نفسها فى العمل ، ولكن روز كانت تنظر إلى الأمر باعتباره " إنجاز ما يجب إنجازه والاستمتاع بكل دقيقة من العمل " . لقد كانت تحب العمل فى الشتاء وارتداء الملابس بأناقة ، وقضاء أيام كثيرة في صوبة ثم بدء حياة أخرى جديدة ، وقد أينعت الشتلات وأخرج النبات براعمه ، وكم كانت تستمتع وهى تشم رائحة النبات ومراقبته فى مراحل نموه .

كانت هناك آفات ومشكلات يجب أن يتم معالجتها مثلما توجد مشكلات لابد من إيجاد حلول لها في الحياة . وعندما كانت تكتشف بعضًا من أوراق النبات المصابة بالزغب ، كانت تقوم بقطع تلك الأوراق المصابة ثم ترش النباتات بالمبيدات ، ثم تتفحص دورة الهواء ودرجة الحرارة .

كانت تتخلص بسرعة من تلك الشتلات التى تظهر عليها أعراض تعفن أو إصابة بفيروس وتلقى بها بعيداً . إنها لن تسمح

بتفشى عدوى هنا فى نباتاتها كما سمحت لها بالتفشى فى حياتها .

كان العمل يشعرها بالراحة ، وكانت عندما تنهمك فى العمل ، وتتذكر كيف أنها قد قامت بطرد برايس بعيداً عن حياتها والتخلص من آفاته ، كان ذلك يشعرها بالنشوة ، ربما لم يحدث ذلك فى الوقت الذى كان يجب أن يحدث فيه ، وربما لم تكن على قدر كاف من الحذر واليقظة ، ولكن الآن عليها أن تعيد حساباتها وتمسك بزمام الأمور .

لقد كانت امرأة صلبة ، وشيدت لنفسها حياة قوية استطاعت من خلالها أن تقاوم تلك الهجمات الصغيرة المزعجة .

وريثما كانت تجوب تلك الأفكار فى مخيلتها انتهت من استعراض تلك المهام التى ستقوم بها . فى ذلك اليوم خرجت بحثاً عن هاربر .

وتسللت إلى حجرة تطعيم النبات التى يتواجد بها وفى مخيلتها أنه لن يشعر بقدومها .

وقفت لدقيقة تسترخى فيها وهى تراقبه وهو يعمل مرتدياً قميصاً قديماً ، وبنطالاً من الجينز أقدم من القميص وفى قدميه حذاءً بالياً برقبة فأدركت أنه سيخرج للعمل فى الحقل ذلك اليوم .

وكان قد شذب شعره مؤخراً ، بالرغم من أنه ينسى ذلك الأمر دوماً لأسابيع حتى يطول شعره للغاية ويضطر لربطه معاً بشريط .

كان هاربر يتمتع بروح تنافسية إبداعية ، فقد كان كل واحد من أبنائها له مواهبه وميوله الخاصة ، كانت تعى ذلك جيداً ولكن هاربر كان أكثرهم شبهاً بها فقد ورث عنها عشقها وتعلقها بأعمال البستنة .

وأخذت تسير بين الموائد المكتظة بالنباتات والأدوات وهى تنظر إليه حيث يقوم بتطعيم إحدى الورود الصغيرة بمهارة فائقة .

وعندما انتهى من تلك الوردة وأخذ زجاجة من الكولا ، وقفت روز أمام عينيه .

ورأته ينظر إليها باهتمام وهو يحتسى الكولا .

وبادرته قائلة : " رائع ، إنك لا تقوم بمثل ذلك معظم الأوقات " .

" إننى أجرى التجارب على هذه الورود فقد ظننت أننا ربما نكون بحاجة إلى تخصيص قسم خاص بتلك الورود الصغيرة التى تنمو فى الأوانى . هل تريدين كولا ؟ "

" كلا ، شكراً . إنى أعرف أنك غاضب منى يا هاربر " .

" إن غضبى لن يفيد فى شئ ؟ "

أنا لا أتحدث عن الفائدة هنا " . أرادت أن تربت بيدها على كتفه وأن تمسح بخدها فى خده ، ولكنه تجمد فى مكانه تماما مثلما كانت ستفعل إن حاول شخص لمسها دون أن تكون مستعدة .

واستطردت قائلة : " إنك غاضب من الطريقة التى عالجت بها الأمر ليلة أمس ، وغاضب كذلك لأنى قد منعتك من أن تتولاه أنت " .

فهز كتفيه قائلاً : " كان هذا هو خيارك ، وأنا لست غاضباً منك غاية ما فى الأمر هو أنى أشعر بخيبة أمل فيك " .

لو كان قد استل السكين التى يطعم النبات بها وطعنها فى قلبها ، لما شعرت بمثل هذا الألم العميق أو الصدمة المروعة : " هاربر " .

رد قائلاً : " هل يجب أن تكونى مهذبة إلى هذه الدرجة ؟ ألا تستطيعين أن تمنحيه ما يستحق بدلاً من أن تبعديني عنه وتأخذينه للخارج ؟ "

" ولكن ما فائدة ... ؟ " .

فقاطعها ـ وعيناه تتقدان غضباً وفى مخيلته صورة ذلك الوغد برايس ـ قائلا : " إنى لا أهتم ، ولا يعنينى الحديث عن فائدة تافهة يا أمى . لقد كان عليك أن تكونى أكثر شدة من ذلك ، ما كان ينبغى عليك أن تدعيه ليقف أمامك وجهاً لوجه ، ولكن كل ما فعلته هو أن وقفت بينى وبينه ، فأى فائدة تتحدثين عنها ؟ "

أرادت أن تستدير بعيداً لتهدىء من نفسها ؛ ولكنها واجهته قائلة : " لا أحد يمكنه أن يجرحنى كما تفعل أنت " .

" إنى لا أريد أن أجرحك " .

" كلا ، ولن تجرحنى ، إن تلك الطريقة هى التى تجعلنى أعرف كم أنت غاضب منى . ربما كنت مخطئة " . ورفعت يدها لتمسح على وجهها قائلة : " إنى لا أعرف ، ولكن لم يكن أمامى خيار آخر سوى طرده من المنزل بهذه الطريقة ، أريدك أن تعى بأننى قد أردت طرده من منزلنا بسرعة قبل أن يفسد الحفل ويشوه سمعتنا " .

" لقد أحضرته إلى منزلنا يا هاربر ، أنا التى فعلك ذلك ، وليس أنت ! "

رد قائلاً : " ولكن هذا لا يعنى أنك المذنبة ، أو أن عليك مواجهة شيء كهذا بنفسك ، إن لم تعتمدى علىَّ لمساعدتك والوقوف بجانبك .... " .

قاطعته : " هاربر ، ألا تدرك أنك هنا بجوارى ، وأنا فى حاجة ماسة إليك ؟ إنى لا أدرى ماذا أفعل لو لم تكن بجوارى ،

إنى لا أريد أن أتشاجر معك بسببه " . وحينئذٍ ضغطت بأصابعها على عينيها قائلة : " إنه وغد ، حقير يستأسد على من هم أضعف منه " .

" وأنا لم أعد فتى صغيراً فى حاجة إلى حمايتك من أمثاله ، إنى رجل ، ومهمتى الآن هى حمايتك ، أردت ذلك أم لا ، وسواء كنت فى حاجة إلى ذلك أم لا " .

تنهدت وهى تطوق وجهه بيدها قائلة : " أعرف أنك أصبحت رجلاً ، وهذا يقلقنى أحياناً ، ولكنى أعى بأنك رجل له حياته الخاصة به . أعلم بأنك أصبحت رجلا ، وستقف بجانبى حينما أحتاج إليك " .

وبالرغم من أنها كانت تعرف بأنه لم يسامحها فقد قبلت جبهته قائلة : " إنى ذاهبة إلى المنزل للعمل فى الحديقة ، هناك بعض من اللحم المتبقى من الحفل ، والعديد من أطباق وأصناف الطعام الأخرى ، فهل ستأتى لتساعدنى فى إعداد الغداء " .

" ربما " .

" حسناً ، أنت تعرف مكانى " .

دائماً كانت توجد بعض الأعمال اليومية التى يجب إنجازها فى الحديقة ، ولأنها قررت أن تبدأ العمل فقد أخذت تنقل بعضاً من الفروع فى عربة صغيرة لوقاية جذور النباتات الغضة من البرد ، ثم تفقدت مكان إعداد السماد ثم ذهبت لتتولى أمر تلك الشتلات التى زرعتها لاستخدامها الشخصى فى تلك الصوبة الصغيرة التى أعدتها بالمنزل .

ثم أخذت أدوات تقليم الأغصان لتشذب وتقلم ما يحتاج إلى تقليم .

وعندما رآها ميتش كانت حينذاك تقوم بنقل بعض من الفروع الصغيرة ، وتقطعها بآلة التقطيع وهى تحدث صوتاً وضجة كبيرة .

كان ينظر إليها وهى ترتدى تلك السترة المتسخة ذات اللون البنى ، وعلى عينيها نظارة شمسية ، وأخذ يسأل نفسه إن كانت ترتدى هذه النظارة لتحمى عينيها من شعاع الشمس أم وقاية من تلك الشظيات الخشبية الرقيقة المتطايرة .

كان يعلم بأنها لن تسمعه بسبب ما تحدثه آلة التقليم من ضجيج فوقف لبرهة وهو ينظر إليها فى محاولة منه لأن يستكشف تلك المرأة المتألقة حينما ترتدى ملابسها الأنيقة ، وكذلك أيضاً تلك المرأة التى تعمل فى البستنة بملابسها المتسخة القديمة .

كان ينظر إلى روز تلك المرأة الواضحة التى لا تعرف الالتواء ، والجادة فى عملها ، تلك المرأة التى تنكب على العمل فى الصوبات الزراعية ، وخدها ملطخ بآثار التربة والطين ، تلك المرأة الودودة التى ساعدته من قبل فى انتقاء لعبة أطفال .

كانت تلك المرأة ـ كما ظن ـ ذات أبعاد مختلفة فى شخصيتها ، وقد كان منجذباً إليها بشخصياتها المتعددة .

ومشى واضعاً يده فى جيبه نحوها ، وحينما لمحته بطرف عينيها من أسفل غطاء رأسها المتدلى على وجهها أطفأت آلة التقليم .

فبادرها قائلاً : " لا عليك أن تتوقفى بسببى ، فهذه هى المرة الأولى فى حياتى التى أرى فيها هذا الأمر على الطبيعة " .

وانحنى نحو الأسفل حيث إن بعض الفروع قد حشرت بداخل الآلة قائلاً : " أعتقد أنك تقومين بحشو الفروع هنا ، ثم تبدأ الآلة فى تقطيعها إلى قطع صغيرة " .

" نعم ، أنت على صواب إلى حد ما " .

" ثم ماذا تفعلين بما يتبقى ؟ "

" نحصل على حقيبة لا بأس بها من بقايا هذه الفروع والأوراق تفرش كمهاد لجذور النباتات الغضة " .

رد قائلاً : " حسناً ، لم أقصد أن أقطع عليك عملك ؛ ولكن ديفيد أخبرنى بأنك هنا وفكرت فى المجىء ، وقضاء ساعتين من البحث " .

" رائع . لم يخطر ببالى أنه سيكون لديك وقت فراغ للبدء فى العمل إلا بعد الإجازة " .

" كلا ، لدى وقت كاف ، وقد حصلت على بعض من النسخ والسجلات الرسمية ، وأحتاج إلى بعض المعلومات عن أسرتك ، وذلك قبل أن أتعمق فى الأمر " .

أزال قطعة خشبية صغيرة كانت على كتفها ، ولكم كان يتمنى لو نزعت نظارتها من فوق عينيها التى وقع فى أسرها . " وأريد كذلك أن أخصص وقتاً لعمل تلك المقابلات الشخصية بعد الإجازة " .

" حسناً " .

كان واقفاً ويده فى جيب سترته الجلدية ، فاشتم رائحة عطر أنثوى رائع مختلط بأريج وعبير الرائحة المنبعثة من الوثائق الخشبية الصغيرة قائلاً : " لم يخطر ببالى أن هناك الكثير من العمل فى الحديقة فى مثل هذا الوقت من العام " .

" إن كل وقت من السنة يتطلب منا القيام بأعمال معينة " .

" اسمعى ، لقد أردت أن أتأكد أنك على ما يرام " .

" أنا بخير " .

" سيكون غباءً منى إذا لم أخبرك بأنه قد وصل إلى مسامعى بعض الأقاويل عما كان وراء ما حدث لديه أمس من فضيحة ، أو ما كان سيصبح بمثابة فضيحة حالة عدم معالجتك للأمر بتلك البراعة " .

" إن البراعة والمهارة تعنيان بالنسبة لى كيف أعالج الأمور بما يروق لى قدر المستطاع " .

" وإذا كنت ستمتنعين عن الحديث معى فى الأمور الشخصية فإن هذا سيمثل صعوبة بالغة فى التنقيب والبحث عن تاريخ أسرتك " .

ولأنه كان ينظر إليها باهتمام ليعرف ما يدور بخلدها ، فقد رأى ذلك الضيق الذى ارتسمت علاماته على وجهها قبل أن تردف قائلة : " إن ما حدث ليلة أمس ليست له أية علاقة بتاريخ أسرتى " .

" ولكنى لا أوافقك الرأى ، فهذا الأمر يتعلق بك لاسيما وقد حدث فى منزلك " .

وكانت على وشك أن تقوم بطرده هو الآخر تماماً مثلما فعلت مع برايس كليرك . ولكن لو فعلت ذلك لكان السبب فيه يرجع فى المقام الأول إلى صراحته .

واستطرد قائلا : " إن وظيفتى هنا هى استطلاع الأمر يا روز ولن أتمكن من فحص الأمور وتمحيصها فى هدوء طوال الوقت ، وإذا كنت تريدين منى أن أستمر فى هذا الأمر فعليك أن تعتادى على تطفلى " .

ردت قائلة : " ولكنى لا أدرى كيف تساعد معرفتك بزواجى الثانى على كشف حقيقة أمر عروس هاربر ؟ "

لم يكن بحاجة إلى أن ينظر فى عينيها ليرى ذلك القلق الذى تعكساه فقد استشعر ذلك القلق فى نبرة صوتها ، وأردف قائلا :

" سواء كانت عروسًا أم لا ، فإن عائلتك تشير إليها بهذا الاسم منذ القدم ، وحينما ظهرت فى الربيع الماضى أخبرتينى أنها لم تتعرض لك بالمضايقة فى تلك الأوقات التى كنت ترتبطين بها ، أو حينما كنت متزوجة مثلما كان الحال مع ستيلا " .

" ولكن ستيلا لديها أطفال صغار ، أما أودلاى فقد كبروا الآن " .

" ولكن لا ينبغى ألا يجعلهم هذا أولادك بالنسبة لها " .

انحنت لتجمع بعضاً من الأغصان الصغيرة لتحشوها فى آلة تقطيع الأغصان قائلة : " نعم ، بالتأكيد " .

" إذن يمكننا أن نخلص إلى أنها لم تشعر بأى نوع من التهديد ، أو الخوف من برايس ، أو أنها قد اعتقدت أنك قد أنجزت واجبات الأمومة ، وليست مهتمة بما كانت عليه حياتك من قبل ، أو أنها فى وقت ما كانت تتوقف عن الظهور لأى شخص يعيش بالمنزل " .

" ولكن لا يمكن أن تظهر ثلاث مرات ، فقد رأيتها مؤخراً " .

" منذ شهر يونيو ؟ "

" منذ أيام قليلة ، ثم رأيتها ليلة أمس " .

" رائع . ماذا كنت تفعلين ، وماذا كانت تفعل هى ؟ أريد أن أدون كل شىء " .

" لم يكن هناك شىء يذكر ، لقد ظهرت ثم اختفت ، وإنى لا أتوقع أنك ستقوم بحل اللغز أثناء ظهورها ، إنى أريدك أن تكتشف هويتها " .

" إن الألغاز متعلقة ببعضها البعض ، وإنى بحاجة إلى بعض الوقت لأشرح لك . ولا أعتقد أن هذا هو الوقت المناسب ، ربما يمكننا تناول العشاء مساء غد " .

" ليس من الضرورى أن تدعونى إلى العشاء لتجرى معى مقابلة .

" ربما سيسعدنى أن أدعوك إلى العشاء ، وإن كنت تعترضين بشدة على الجمع بين العمل والترويح عن النفس فسوف أضطر آسفاً إلى أن أطلب منك أن تتنحى جانباً إلى أن أنتهى من هذه المهمة " .

" ولكنى لا أواعد أحداً يا ميتش ، لقد توقفت عن ذلك " .

" إن كلمة " مواعدة " تجعلنى أشعر دائماً كما لو كنت لا أزال طالباً بالكلية ، أو بالمدرسة الثانوية " . ثم اقترب منها ، وأنزل النظارة برفق إلى أنفها ، ونظر إلى عينيها قائلاً : " يمكنك أن تقولى بأنى أستمتع بقضاء الوقت معك بشكل اجتماعى " .

ابتسمت قبل أن ترفع النظارة إلى عينيها مرة أخرى قائلة : " وهذا هو ما تعنيه كلمة " مواعدة " بالنسبة لى ، وأنا لا أفضل ذلك " .

" حسناً ، يمكننا الاتفاق الآن على مقابلة رسمية . ففى غضون الأسبوعين القادمين ستكون لدى بعض الأعمال التى ستجعلنى أتنقل بين هنا وأماكن أخرى . ومن ثم يمكنك أن تخبرينى متى يمكنك مقابلتى حينما يسمح وقتك بذلك ، وإلا يمكنك الاتصال بى فى المنزل لنسوى الأمر معاً " .

" حسناً " .

" والآن سأدخل لأقوم ببعض الأعمال ، وأتركك لتستأنفى عملك مرة ثانية .

وحينما هم بالانصراف ، بينما كانت روز على وشك أن تشغل الآلة صاح قائلاً : " روز إذا غيرت رأيك فى أى وقت بخصوص العشاء - من فضلك أخبرينى " .

ردت : " بالطبع سأفعل " ثم شغلت الآلة ، وأخذت تحشو فيها الفروع والأغصان .

استمرت فى العمل إلى أن حل الظلام ثم وضعت أدواتها فى المخزن قبل أن تصعد إلى الطابق الثانى .

أرادت أن تأخذ حماما دافئاً لفترة طويلة ، وترتدى ملابس رقيقة ناعمة ، ثم تحتسى كأساً باردة من أى شراب ، ثم تتناول بعضاً من ذلك الطعام الشهى المتبقى من الحفل ، وربما ستقضى معظم المساء وهى تستعرض أعمال المشتل وتوسيعها .

وبينما كانت تخلع ملابسها لتأخذ حماما دافئاً أخذت تتذكر كلمة " مواعدة " ، لم يكن أمامها فى الحقيقة وقت أو رغبة كى تتواعد مع أحد الرجال فى هذه المرحلة من حياتها حتى ولو كان ذلك الرجل جذاباً وعلى قدر كبير من الذكاء ، حتى ولو أن هذا الرجل قد طلب لقاءها بالرغم من القطع الخشبية الرقيقة التى كانت تغطى جسدها .

وبينما كانت ترفع رأسها إلى الوراء ، وقطرات الماء الدافىء تنساب على وجهها وكتفها ، شعرت بأنها معجبة به . لقد كانت معجبة بقبوله العمل معها دون تردد ، ودون الحصول على عائد من وراء ذلك .

إن أحداً غيره لم يكن ليتردد فى أن يفر هارباً رافضاً مجرد فكرة العمل معها فى منزل مسكون - كما عرفوا الآن - بروح شريرة .

لقد كانت معجبة أيضاً بمدى اهتمامه بشراء شيء مناسب كهدية لطفل .

وإذا ما أرادت أن تخوض تجربة المواعدة مع رجل مرة أخرى ، فسوف يكون ميتشيل هو الرجل الذى تستطيع أن تجتذب أطراف الحديث معه ، ذلك الرجل الذى جذبها إليه .

إنها ستكون امرأة غبية لا محالة إذا ما نظرت إلى تجربتها مع برايس كمعيار يمنعها من تكرار مثل تلك التجربة مع ميتشيل ، وإذا ما استمرت فى هذا فإن ذلك يعتبر نصراً وانتصارا لبرايس ، وإن لم تستطع أن تفعل شيئاً حيال هذا الأمر فيمكنها أن تعمل جاهدة على أن تلفظ به بعيداً عن أفكارها .

وعندما أغلقت المياه ، وأخذت المنشفة خطر على بالها أنها ربما تنظر فى أمر الذهاب إلى العشاء مع ميتشيل ، ستفعل ذلك فقط لتثبت لنفسها أن برايس لن يؤثر على حياتها على أية حال .

إن الأمر ليس بهذه الصعوبة ، فمجرد تناول الغداء مع تجاذب أطراف الحديث ، سيكون بمثابة خليط من العمل والترفيه فى الوقت ذاته . وقد خطر إلى بالها أنها لا تمانع فى مقابلته بشكل شخصى ، وربما سيكون ذلك بمثابة فائدة للجميع إذا ما استطاعت أن تتعرف عليه أكثر وبشكل أفضل .

وبعد أن لفت جسدها بالمنشفة ذهبت إلى علبة مستحضرات التجميل الخاصة بها . ونظرت إلى المرآة التى تكثف عليها بخار الماء فوجدت مكتوباً عليها :

" الرجال يكذبون ! " .

الفصل السادس



توقفت روز عن التفكير فى الرجال ، وكذلك أبعدت عن ذهنها أشباح الأسرة ، والرسائل المكتوبة بالبخار على المرآة ، فقد تجمع أبناؤها فى المنزل .

امتلأ المنزل بهم ، وبأصواتهم ، وبتحركاتهم ، وكذلك بمخلفاتهم . كانت قبل ذلك تنزعج وتتضايق بشدة من أكوام الأحذية والقبعات ، وغيرها من الأشياء التى يبعثرونها حولهم . أما الآن فهى تشعر بارتياح واستمتاع وهى تنظر إلى ما يبعثرونه فى أرجاء المنزل . كانت قبل ذلك تتوق إلى منزل هادىء ، منظم ، مرتب ، أما الآن فهى تجد متعة بالغة فى تلك الضجة والضوضاء ، وتلك الأشياء المبعثرة .

سوف يعودون سريعاً إلى حياتهم الخاصة بهم ، ومن ثم فسوف تستمتع بكل دقيقة من هذين اليومين اللذين تتجمع فيهما أسرتها تحت سقف واحد مرة ثانية .

ألم يكن ممتعاً أن تنظر إلى أبنائها مع طفلى ستيلا ؟ وأن تنظر إلى هاربر وهو يداعب ليلى الشقية ، ويحتضنها بين ذراعيه ؟ كل ذلك جعلها تشعر بأنها تقف على رأس ذلك الجيل المختلط للأسرة .

اتكأت ستيلا على أريكة بجانب روز قائلة : " أود أن أشكرك لسماحك للوجان بأن يقضى هذه الليلة معنا " .

ولكن اليوم هو رأس السنة ونحن عادة لدينا الكثير من الغرف " .

" إنك تعرفين ما أعنيه ، وإنى أعرف جيداً أن ذلك يعتبر أمراً سخيفاً ، ولكنى أريد في الواقع أن أقضى أول عيد ميلاد لنا فى منزلنا حين نرتبط رسميا بالزواج " .

كانت روز حينئذٍ تنظر إلى هايلى وهى تلتقط ليلى التى كانت تزحف وتحبو نحو الشجرة ، وقالت : " أعتقد أن ذلك الأمر رائع ، إننى حقاً سعيدة للغاية بحضور الجميع إلى هنا الليلة " .

وبينما أخذ ابنها الأوسط أوستين يدحرج ويقذف لأعلى ثلاث تفاحات كان قد أخذها من الصحن صاحت قائلة : " ليس فى الردهة يا أوستين " .

" هذه نبرة معتادة ، أستطيع تشغيل بعض الموسيقى " . كان أوستين شاباً طويلاً ورشيقاً أخذ عن والده شعره الأصفر المموج ، وقد غمز لجافين وهو يلعب مرة أخرى بالتفاح وأخذ يغنى " ليس فى الردهة يا أوستين ، ليس فى الردهة " جاعلا ولدى أوستين يضحكان من قلبهما قبل أن يلقى لكل منهما تفاحة ويأكل هو الثالثة .

جلس ابنها الأصغر ماسون على ذراع الأريكة ، وأعطاها كأساً من الشراب ، وفى عينيه نظرة ثاقبة بعثت على روز بالقلق .

والتفتت إلى أوستين قائلة : " إن الردهة تعتبر مكاناً مقدساً ، ولا يجب أن تتلاعب هنا " .

وحدق لوك فى أوستين قائلاً : " يمكنك أن تتلاعب بالأحذية وتقذفها لأعلى " .

رد أوستين : " أستطيع أن ألعب بأى شىء ، فلدى موهبة خاصة ، وبراعة يدوية مذهلة " .

" ولكننى للأسف ، لم أستطع أن أطلب منه أن ينضم إلى السيرك عندما كان فى الثامنة ." ثم قام هاربر بضم ليلى إليه عندما ابتعدت عن هايلى .

وسأله لوك : " أتستطيع أن تتقاذف حذائى لأعلى ، وتلتقطه دون أن يسقط على الأرض ؟ "

" أعطنى إياه " .

تنهدت روز ، وارتشفت شرابها قائلة : " إن كسرت شيئاً فسأعاقبك بمنعك من الخروج " .

" نبرة معتادة أخرى ، إذن أنا بحاجة لتحدى أكبر . لوجان اعطنى هذا الحذاء " .

" إن أعطيتك حذائى فسوف تعاقب وأطرد أنا من عملى . أطلق علىّ جباناً كما تشاء ولكنى سرعان ما سيكون لدى طفلين مسئول عن إطعامها " .

والتقط جافين قطعة من الكعك ، والتهمها فى فمه مرة واحدة . وتوجهت روز إلى لوجان وهى تلوح بيديها قائلة : " أعطه إياه يا لوجان ، فلن يمتنع عما هو فاعله " .

وأخذ أوستين ينظر يمينه ويساره قائلاً : " لنلقى نظرة أخرى على تلك الأقدام الجميلة الرقيقة " وكان ينظر إلى أقدام هايلى التى ضحكت ، وخلعت حذاءها ، وتوجهت روز إلى هاربر قائلة :

" خـذ لعبـة جـدتك هـذه إلى مكـان آمـن إلى أن ينتهـى أخـوك من عرضه " .

" أفضل أن يطلق على ذلك لفظ أداء بدلاً من العرض " .

وعلق هاربر على ذلك قائلاً : " إننى لا أزال أذكر ذلك الأداء الذى أنكسر فيه أحد المصابيح " .

رد أوستين قائلاً : " ولكن ذلك كان فى الأيام الخوالى " . وبعد أن قام بإجراء اختبار بتجربة الأحذية الثلاثة المختلفة بدأ أوستين يتقاذفها لأعلى قائلاً : " كما ترى لقد قمت بصقل موهبتى منذ ذلك الحادث الأليم " .

وأخبره ماسون قائلاً : " لحسن حظك أن لديك عشرات فى ماضيك " .

كانت ليلى تقهقه وتتمايل فوق كتفى هاربر وهى تنظر إلى أوستين وهو يتقاذف الأحذية لأعلى ويلتقطها دون أن تسقط على الأرض . أما روز فقد كتمت أنفاسها إلى أن انتهى .

ثم قذف إلى لوك بحذائه فطلب منه لوك أن يعلمه قائلاً : " هل يمكن أن تعلمني ذلك "

وأصر جافين أيضا قائلاً : " وأنا كذلك " .

فتحت روز فمهما ، وهمت بالكلام إلى أن قاطعها أوستين قائلاً : " روز على وشك أن تقول " ليس فى الردهة " ، ولكن حسناً ، يمكننا أن نتلقى درساً غداً فى الخارج كى لا تغضب أمى " .

رد لوك قائلاً : إنها تترأس الجميع هنا " .

ثم سار أوستين نحو لوجان ليعطيه حذاءه ، ثم التفت إلى هايلى قائلاً : " حسناً يا سندريلا ، جربى مقاس هذا الحذاء " .

جعلها ترتدى الحذاء ، ثم نظر إلى هاربر ضاحكاً : " الحذاء يناسبها " . ثم أمسك يدها ، واستطرد قائلاً : " سنتزوج حالاً ريثما أعود من المطبخ " .

نظرت إليه بطرف عينيها وهى تغازله قائلة : " هذا هو ما يقوله الجميع " .

وتوجه إليه ماسون قائلاً : " هل لك أن تأتينى بكأس من الجعة معك ؟ "

رد أوستين : " حسناً ، إن كان الأمر هكذا فلنرى ماذا يطلب الجميع " .

وبعد أن أخبره الجميع بطلباتهم من المطبخ توجه إلى هاربر قائلاً : " لم لا تساعدنى فى إحضار هذه الطلبات ؟ "

أعطى هاربر ليلى إلى هايلى قائلاً : " بالطبع " ثم تبع أخاه خارجاً من الحجرة .

وهمس ماسون إلى أمه قائلاً : " لا يمكننى أن أفوّت ذلك " .

علق أوستين قائلاً : " أليست ابنة العم هايلى فتاة جميلة ، ومرحة ؟ "

رد هاربر قائلاً : " إن لديك موهبة خاصة فى تقرير الأمور الواضحة " .

رد أوستين : " وأعتقد أيضاً أنها رقيقة معى " .

رد هاربر : " ويالها من طريقة مؤكدة للنجاح فى الحكم بشكل خاطىء على النساء .

" وتدخل ماسون قائلاً : " انتظرا ، فيجب علىّ أن أجد شيئاً ما لأدون عليه نتيجة سباقكما " .

قال أوستين " إن فمها جميل للغاية ، ولكن مثلك لا يلاحظ ذلك ، ففمها ليس عادياً ، ولا يشبه النباتات التى تزرعها فأنت

لا تفهم سوى فى النبات " ، ثم أخذ زجاجة من الشراب وأخذ يتجرع .

" لكن ليس بإمكانك أن تضع شفتيك الغليظة على فمها إلا إذا انتابتها نوبة مرضية واحتاجت إلى تنفس صناعى " .

قال ماسون : " نعم ، لقد أصاب القول . وأريد أيضًا أن أؤكد أننى الطبيب هنا . وسوف أكون أول من يفعل ذلك . هل يوجد هنا فيشار " فريتوس " أو أى شيء من هذا القبيل ؟ " .

كعادته وقف أوستين زاهيا بنفسه وجلس على الطاولة " ربما يمكنك أن تعمل على رعاية الطفلة ، وتقوم بالتنزه بها فى الحديقة " .

" إنها لا تعنى بالنسبة لى أمرًا مثيرًا شيقًا " . ثم خطف هاربر زجاجة الشراب بحماس من بين يد أخيه ، وأخذ رشفة كبيرة قائلا : " كيف تتحدث عنها بهذه الطريقة ؟ عليك أن تؤثر الاحترام أكثر من ذلك " .

أشار أوستين بإصبعه إلى ماسون ، وعلى وجهه ابتسامة قائلا : " نعم ، إنه متعلق بها . ما هذا المطبخ الذى لا يحتوى على فيشار " فريتوس " ؟ " .

" فى الخزانة ، فى الرف العلوى " قالت روز لك عند الباب ، واستطردت : " إننى مندهشة لاعتقادك أننى نسيت إدمانك الطفولى للفيشار يا أوستين . هل انتهيت من التأثير على عقل أخيك ؟ " .

" لم يكن ذلك سوى مجرد بداية " .

" ولكن عليك أن تتوقف عن مزاحك هذا ، فلدينا ضيوفنا فى المنزل ، وسيكون من اللائق لو أوهمناهم بأننى قد نجحت فى تربية ثلاثة فتيان جديرين بالاحترام " .

قال هاربر متذمراً : " لا يمكن أن يعتقدوا ذلك منذ أن قام باللعب بالأحذية " .

التفتت روز نحو هاربر ، ووكزته فى خده ، ثم فعلت نفس الأمر مع أوستين ، ثم التفتت كذلك نحو ماسون قبل أن تقول : " ولكن هناك أمراً مهماً . ربما لم تصلوا إلى درجة كافية من النضج أو الاحترام بعد ، ولكنى أقسم بأنكم تتمتعون بطيبة القلب . وقد كان بإمكانى أن أكون قاسية معكم الآن . وعلى أية حال ، هيا يا هاربر اذهب بهذه المشروبات إلى ضيوفنا بالخارج ، وأنت يا أوستين كف عن المشاغبة والمزاح فهذا منزل ليس مقهى ، أما أنت يا ماسون ، فضع رقائق البطاطس هذه فى سلطانية ، ولا توقع الفتات على الأرض " .

فردوا جميعاً فى صوت واحد : " سمعاً وطاعة يا أمى " فضحكت .

ومضى الكريسماس ، وحاولت أن تختزن فى مخيلتها كل دقيقة بما فى ذلك من شجار هاربر وأوستين ، وافتتان ليلى بتغليف العلب بدلاً من اللعب ، وكيف كانت هايلى سعيدة وهى تستعرض قرط أذنيها الجديد .

كانت تستمتع بالنظر إلى لوجان وهو يجلس القرفصاء على الأرض ، ويلعب مع طفلى ستيلا .

كانت تريد أن يتوقف الوقت فى ذلك اليوم ؛ ولكنه مر سريعاً ، ومر النهار مسرعاً بما فيه من فرحة فتح الهدايا إلى أن حل الليل بأضواء الشموع ، والاستمتاع بتلك الوجبة الشهية التى أعدها ديفيد على الطريقة الصينية التى تفضلها .

ودون أن تدرى عم المنزل هدوء قاتل مرة أخرى .

وتجولت لتلقى نظرة أخيرة على شجرة الكريسماس ، لتجلس وحيدة وهى تحتسى قهوتها فى الردهة ، وذاكرتها تستعرض عيد الكريسماس هذا ، وغيره من مناسبات الكريسماس السابقة .

وفجأة سمعت صوت خطى فنظرت لأعلى فإذا هم أبناؤها .

فقالت : " ظننت أنكم قد ذهبتم إلى منزل هاربر " .

فرد هاربر : " كنا بانتظار نزولك " .

" نزولى ؟ " .

فرد ماسون : " نعم ، فأنت دائماً ما تنزلين لأسفل ليلة الكريسماس بعد أن يخلد الجميع إلى النوم " .

نظرت إلى ماسون قائلة : " ليس لدى ما أخفيه من أسرار فى هذا المنزل " .

" كلا ، لديك العديد من الأسرار ، فقط نزولك هنا بمفردك ليلة الكريسماس هو الأمر الذى لا يعد سراً " .

وجاء أوستين فأخذ قهوتها ، واستبدلها بكأس من المشروبات المثلجة فقالت : " ما كل هذا ؟ " .

رد أوستين : " إنه نخب الأسرة الصغيرة ، ولكن سنشرب ذلك المشروب بعد أن تفتحى تلك الهدية الأخيرة التى أحضرناها لك " .

" وهل هناك من هدية أخرى ؟ ينبغى علىّ أن أقوم بتجهيز غرفة إضافية بالمنزل لأضع بها ما جاءنى من هدايا هذا الصباح " .

" ولكنها هدية من نوع خاص ، وقد أعددت لها مكاناً مسبقاً ، أو شيئاً من هذا القبيل " .

" كفاك تشويقاً ، أرنى ماذا لديكم " .

تراجع هاربر إلى الردهة ، وأحضر علبة كبيرة مغلقة فى غلاف على شكل ورقة نبات ، ثم وضعها أمامها قائلاً : " لماذا لا تفتحينها ، وترين بنفسك ما فيها " .

فى فضول واشتياق ، خلعت نظارتها ، وأخذت تفتح الغلاف قائلة : " لا تخبروا ستيلا بأنى قد قطعت هذا . يا إلهى إنى حقاً مندهشة لاتفاقكم أنتم الثلاثة على شىء واحد ، كيف استطعت يا ماسون أن تبقى الأمر هكذا سراً إلى الليل ، فأنت دائماً ما تثرثر وتفشى الأسرار " .

" يمكننى ألا أفشى سراً إذا أردت ذلك ، وأنت لا تعرفين متى أخذ أوستين سيارتك و ... " .

لكزه أوستين فى كتفه قائلاً : " اصمت ، لا توجد قيود على مثل هذا النوع من الجريمة " . ثم ابتسم إلى روز ، وقال : " إن ما لا تعرفينه يا أمى أن لا شىء يجرح مشاعر هذا الأحمق " .

نظرت إلى الهدية بإعجاب ، وقد خفق قلبها بشدة حينما أخرجت مرآة عتيقة .

ورد هاربر : " لم نجد مرآة تشبه تلك التى كسرناها كهذه سواء فى شكلها ، أو فى إطار بروازها " .

قال أوستين : " إنها تعود فى طرازها وطلائها ذى اللون الأخضر إلى عصر الملكة آن منذ حوالى عام ١٧٠٠ ، وهى على الأقل الأقرب شبهاً بتلك المرآة التى كسرها ماسون " .

رد ماسون قائلاً : " لقد كانت فكرة هاربر أن تستخدم كخزانة ، وليست غلطتى أن قد أوقعتها من فوق تلك الشجرة فقد كنت لا أزال طفلاً " .

قالت روز : " يا إلهى إنى أذكر أنى قد جننت من جراء ذلك ، وقد وبختكم جميعا " .

قال أوستين : " نعم ، لازلنا نذكر هذا " .

وأخذت تتحسس الهدية بأطراف أصابعها قائلة : " لقد كانت هدية من أسرة والدكم ، وقد أهدانى إياها يوم زفافنا " .

وجلس هاربر بجوارها وهو يربت ذراعها قائلاً : " كان يجب أن نوبخ جميعاً ، نحن نعرف جيداً أنها ليست طبق الأصل كهدية والدى ولكن ... " .

فأخذتها العاطفة قائلة : " كلا ، كلا لا تقل هذا ، إنه حقاً لشعور رائع ورقيق من جانبكم أن تتذكروا ذلك ، وتفكروا فى أن تهدونى مثل هذه الهدية القيمة " .

وهمهم ماسون قائلاً : " إنى أذكر أنك قد بكيت بسبب ذلك ، وكانت هى المرة الأولى التى أراك فيها تبكين ، ولم ينس أحد منا ذلك الموقف يا أمى " .

تمالكت نفسها كى لا تنهمر عيناها بالبكاء الآن وهى تحتضن كل واحد من أبنائها ، وقالت : " إنها أجمل هدية أهديت لى ، سأحافظ عليها أكثر من أى شىء آخر ، وفى كل مرة أنظر إليها سأذكر ما كنتم عليه فى الماضى وما أنتم عليه الآن ، إننى حقا فخورة بكم ، حتى حينما أردت توبيخكم " .

ثم التقط أوستين نظارتها وناولها إياها قائلاً : " لقد نال هاربر الشرف باعتباره كبيرنا ، ولكننى أريد تأكيد شىء وهو أننى صاحب الفكرة " .

اعترض ماسون قائلاً : " لقد فكرنا فى ذلك جميعاً ، كانت فكرتنا جميعاً " .

رد أوستين : " ولكنى أنا الذى فكرت فى الأمر بشكل أكثر . هيا يا هاربر " .

رد هاربر قائلاً : " حسناً سأفعل إن أغلقت فمك لخمس ثوان " . ثم رفع نظارته قائلاً : " لأمى ، ولأجل كل شىء تعنيه لنا ، ولأجل كل شىء قدمته لنا ، ولأجل كل يوم جمعنا بها " .

ترقرقت عيناها بالدموع وهم يحيطون بها ، وقالت : " يكفى هذا " .

ο ο ο

ساعدتها العودة إلى العمل كالمعتاد أن تخفف على قلبها ألم فراق اثنين من أبنائها .

سيمر هذا الأسبوع بطيئاً ، ومن ثم أخذت ورقة من كتاب ستيلا ، وأخذت تدون وتنظم ما تم إنجازه . لقد نظفت الأدوات وموائد العمل ، وأخذت تستعرض الأشياء الموجودة بالمخزن .

لقد عملت لبعض الوقت مع هايلى فى إعداد أوانى وأصيص الزرع .

كانت هايلى تناولها السماد الثرى بالمادة العضوية وهى تقول : " إنى لا أصدق أن الكريسماس قد انقضى فى طرفة عين بهذه الطريقة . أتذكر برأس السنة الماضى بعد وفاة والدى . لقد كان عيداً سيئاً للغاية ، فكم كانت العطلة تمر بطيئة " .

" إن الحزن يطيل الوقت ، أما أوقات الفرح فسريعاً ما تمر " .

" إننى أذكر أن كل ما كنت أريده هو أن يمر ذلك الكريسماس سريعاً ، فكم كنت أعانى من الحمل والشعور بالوحدة بالإضافة إلى أن المنزل كان معروضاً للبيع . لقد قضيت معظم الوقت فى ذلك الكريسماس وأنا أحزم الأشياء لأنظر ما الذى سيتم بيعه " .

اعتدلت إلى الوراء وهى تتنهد فى سعادة قائلة : " والآن قد مر عام ، وكل شىء على ما يرام ، والجميع سعداء مسرورون ، إنى

أعرف أن ليلى لم تع ما كان يحدث ، وبالرغم من ذلك كنت أشعر بسعادة غامرة وأنا أراها تعبث باللعب لاسيما العلب " .

" إنه لا يوجد شيء يجعل الطفل يشعر بسعادة غامرة مثل اللعب بصندوق لعبة الكروت ، وكم كنت أنا والجميع سعداء ونحن نشاركها الاحتفال بعيد الكريسماس هذا " .

وبامتلاء الأصيص بالتربة والطمى أخذت هايلى تعدل الحواف بمسطرين قائلة : " إنى أعلم بأنك تحبينها يا روز ؛ ولكنى قلقة من بقائك هنا فى البيت بمفردك معها عشية عيد الميلاد ريثما أخرج لحضور حفلة " .

" ولكنى أفضل البقاء فى المنزل عشية عيد الميلاد لاسيما مع ليلى التى أتطلع إلى أن تبقى معى دائماً " .

ردت ستيلا قائلة : " ولكن من المؤكد أنك قد تلقيت دعوات كثيرة لحضور العديد من الحفلات " .

" نعم ، ولكنى لا أود الذهاب لمثل تلك الحفلات ، اذهبى أنت وديفيد واحتفلا مع أصدقائكما ، ولا تنسى أن ترتدى القرط الجديد وأن ترقصى . أما أنا وليلى فسنسعد سوياً بقضاء ليلة رأس السنة بالمنزل " .

ردت ستيلا قائلة : " لقد أخبرنى ديفيد بأنه لم يستطع أن يقنعك بشأن حضور هذه الحفلة على الرغم من أنك كنت معتادة على ذلك " . ثم أخذت زجاجة من الماء لتشرب قائلة : " وأخبرنى أيضاً بأن هاربر من المحتمل أن يقوم بزيارة ليأخذك " .

ردت روز : " أعتقد ذلك " .

ثم ربتت كتف هايلى وهى تقول " ستيلا هيا لننتهى من هذا الأصيص " .

وحينما وصلت إلى المنزل كانت مرهقة ؛ ولكنها كانت تشعر بسعادة لإنجازها العديد من قائمة الأعمال اليومية . وحينما رأت سيارة ميتش أحست بدهشة لشعورها بأنها قد غيرت رأيها بخصوص دعوته لها إلى العشاء قبل أن تقابله فى المكتبة .

وذكرت نفسها بأن قبول دعوته للعشاء إنما هو مضيعة للوقت ، وفى نفس الوقت لا يتماشى مع نسق وأسلوب حياتها ، ولكنها لم تتردد فى الذهاب إلى المكتبة بالرغم من ارتدائها لملابس العمل . وقالت : " هل حصلت على كل ما تحتاج إليه ؟ " .

نظر إليها من بين أكوام الكتب والأوراق المتكدسة على طاولة المكتبة وهو يحدق فيها من وراء نظارته التى يرتديها للقراءة وقال : " ماذا ؟ " .

قالت : " لقد دخلت وحسب لأرى ما إذا كان هناك ما تحتاج إليه " .

قال : " إن الأمر يحتاج إلى سنوات عديدة لتنظيم كل هذا " .

وسألها : " كم الساعة الآن ؟ " .

لاحظت أنه يرتدى ساعة ، ثم نظرت إلى ساعة يدها قائلة : " إنها الخامسة وعشر دقائق " .

" صباحاً أم مساءً ؟ " .

" هل أمضيت وقتاً طويلاً لهذه الدرجة هنا ؟ " .

أخذ يدلك مؤخرة كتفه ، وأدار رقبته قائلاً : " نعم قضيت وقتاً كافياً لأن أفقد الإحساس بالصباح أو المساء كالعادة . إن أقرباءك رائعون يا روزاليند فقد جمعت أقاصيص كبيرة من الجرائد عن عائلة هاربر تعود إلى منتصف القرن التاسع عشر . ألا تعرفين أن أحد أجدادك كان يعمل فى البريد عام ١٨٦٠ ، وفى عام ١٨٨٠ سافر مع بوفالوا بيل وفرقته ويلد ويست شو ؟ "

" إن عمى الأكبر جيرميه قد عمل فى مؤسسة بونى إكسبريس وحارب الهنود ، وكان أحد أفراد الكشافة فى الجيش ، وقد تزوج بامرأة كومانشية وبأخرى من ولاية كنساس تقريباً كان يجمع بينهما فى وقت واحد تقريباً ، وقد كان أحد أعضاء فرقة ويلد ويست " .

" وماذا تعرفين عن لوسيبيل ؟ "

ردت قائلة : " آه . تقصد جوتشا . لقد تزوجت من دانيال سى . هاربر عام ١٨٥٨ ، وقد تركته بعد عامين ، ثم ظهرت مرة أخرى فى سان فرانسيسكو عام ١٨٦٢ ، وفتحت هناك صالوناً خاصاً بها " .

" لم أكن أعرف ذلك الأمر " .

" لقد زعم دانيال أنه قد أرسلها إلى عيادة بينديك ، وماتت هناك إثر إصابتها بمرض عضال ، ولكنها قبل ذلك كانت تستمتع بالحياة فى ولاية كاليفورنيا المزدحمة ، حيث عاشت هناك فى صحة جيدة لمدة ٢٣ عاماً " .

" هل تحبين هذه الأسرة حقاً ؟ "

" نعم ، تخيل جيريمه وهو فى الخامسة عشرة ويقطع المسافات عبر السهول لكى يسلم البريد ، وهو لايزال غلاماً صغيراً نحيفاً . كانوا يفضلون الأطفال ذوى الأجسام النحيفة حتى لا يمثلون وزناً وثقيلاً على الجياد " .

" حقاً " . اتكأت على أحد أركان المكتب .

" وهكذا ظل ينتقل من مكان لآخر وهو مغطى بالأتربة ويتصبب عرقاً أو هو شبه مجمد من البرد " .

" وبالرغم من ذلك كان لديه وقت للاستمتاع " .

" نعم فقد أراد أن يكون شخصاً بارزاً . ثم جاءت لوسيبيل من ممفيس ، وهى كانت تتميز بارتدائها فستاناً أحمر ذا جراب تحمل فيه مسدساً " .

" ولكنك أكثر رومانسية منها " .

" لقد كانت مضطرة لأن تحمل مسدساً فى جراب ثوبها لاسيما وهى تدير البار وسط السكارى والمقامرين ليلة بعد أخرى " .

" أنا لا أعرف كيف تقابلان " .

" من الممكن أن يكون قد دلف ذات مرة إلى البار لاحتساء شيء ما " .

ثم دفع ببعض الأوراق جانباً ، وأخرج أقصوصة صحفية أخرى قائلاً : " وهذه أيضاً صورة رائعة " .

أخذت تدقق النظر فى صورتها أثناء خطوبتها حينما كانت لاتزال فى السابعة عشرة من عمرها .

قالت : " لم أكن قد تخرجت وقتها من المدرسة الثانوية ، كنت لا أزال فى ريعان شبابى وعنيدة للغاية ، ولم يستطع أحد أن يثنينى عن زواجى من جون فى شهر يونيه بعد التقاط هذه الصورة . يا إلهى ، ألا أبدو متأهبة لشىء ما ؟ "

رد قائلاً : " لدى أيضاً قصاصات عن والديك هنا إنك لا تشبهينهما " .

" كلا ، فطالما كانوا يخبروننى بأننى أشبه جدى هاربر ، وبالرغم من وفاته حينما كنت لاأزال طفلة إلا أننى قد أحببته من خلال صوره " .

" نعم ، لدى بعض من هذه الصور عن ريجنالد إدوارد هاربر ... ، فقد ولد عام ١٨٩٢ وكان الابن الوحيد لريجنالد باتريس هاربر " .

ردت قائلة : " وقد تزوج من إليزابيث ماكينون . إنى لا أزال أذكرها جيداً ، فقد عشقت العمل فى الحديقة وأعمال البستنة بسببها ، وهى أيضاً التى علمتنى الكثير عن النباتات ، وقد أخبرنى والدى بأنها كانت تحبنى كثيراً لأنى كنت أكثر شبهاً بجدى ، والآن ما رأيك في كوب من الشاى ، أو من الأعشاب ؟ "

رد قائلاً : " كلا شكرا يجب أن أذهب الآن فلدى موعداً " .

" إذن سأسمح لك بالانصراف " .

أضاف قائلاً : " سأتناول بعضاً من البيتزا مع ابنى " .

ردت قائلة : " أعتقد أن ذلك مناسب لكليكما " .

رد قائلاً : " بالإضافة إلى أن لدى بعض الأعمال علىّ إنجازها ، وسوف أعود يوم الخميس ظهراً وسأعمل حتى المساء إن كان ذلك مناسب لك " .

" ولكن يوم الخميس سيوافق عشية عيد الميلاد " .

نظر إلى ساعة يده كما لو كان مرتبكاً وهو يقول : " إن الأيام تتداخل مع بعضها البعض بالنسبة لى خصوصاً فى العطلات ، هل سيكون لديك ضيوف ؟ "

" كلا " .

" حسناً ، إن كنت ستخرجين فلن تمانعين أن أستأنف العمل ؟ "

" لن أخرج ، فسوف أبقى للاهتمام بـ ليلى ، فهايلى ستخرج لحضور حفل ، أما ستيلا وولداها فسوف يذهبون لحضور حفل أسرى صغير فى منزل لوجان " .

رد قائلاً : " أنت قد حصلت بدون شك على العديد من الدعوات لحضور حفلات " .

ردت قائلة : " ربما تبالغ كثيراً ولكننى فى حقيقة الأمر لم أعد شغوفة بالحفلات والمواعدات ، إنى أفضل البقاء بالمنزل " .

رد متسائلاً : " وهل سأضايقك إن عملت هنا ؟ "

أومأت برأسها قائلة : " أعتقد أنك قد تلقيت العديد من الدعوات لحضور حفلات ، وأن هناك العديد من النساء فى انتظارك " .

" كلا سأبقى فى المنزل فهذه هى عادتى فى قضاء عشية عيد الميلاد " .

ردت قائلة : " حسناً ، وإذا بقيت الطفلة ليلى هادئة يمكننا حينئذٍ أن نجلس سوياً فى المساء لنبدأ تلك المقابلة الشخصية التى تريد إجراءها معى " .

رد قائلاً : " رائع " .

وبعد برهة قالت : " لقد كنت مشغولة للغاية ، فقد امتلأ المنزل بأبنائى لحضور الكريسماس ، وربما كان ذلك سبباً فى عدم إخبارى لك بأمر ما " .

" وما هذا الأمر ؟ "

" لقد تركت إميليا رسالة لى منذ أسبوعين " .

" منذ أسبوعين ! ولماذا لم تخبرينى ؟ "

" قلت لك إنى كنت مشغولة ، بالإضافة إلى أنى لم أرد أن أعكر صفو مزاجى فى الإجازة . فأنا لا أرى أبنائى كثيراً فى العادة ، وأيضا كانت هناك أعمال عديدة كان علىّ الانتهاء منها قبل وصولهم " .

لم ينبس ببنت شفة ، ولم يفعل شيئاً سوى أن وضع جهاز التسجيل الخاص به قريباً منها ، ثم شغله قائلاً: " أخبرينى " .

قلت فى غيظ وحنق : " لقد قالت : الرجال يكذبون " .

قال : " هل هذا هو ما قالته لك ؟ " .

" نعم ، لقد كتبت هذه العبارة على المرآة " .

" مرآة ! هل التقطت صورة لتلك العبارة ؟ وما هذه المرآة ؟ "

ردت قائلة : " كلا ، لم التقط صورة ، وإنى لأتساءل ما الذى سيفيدك من أن تعرف أى مرآة ؟ على أية حال إنها مرآة الحمام ، كان البخار متكثفاً عليها ، وقد كتبت العبارة من خلال هذا البخار المتكثف " .

رد متسائلاً : " هل كانت الرسالة مكتوبة أم مطبوعة ؟ "

ردت وهى تتعجب قائلة : " بل كانت مطبوعة وفى نهايتها علامة تعجب بهذه الطريقة " ثم أخذت أحد أقلامه ورسمتها له ، " ونظرا لأن الرسالة لم تحمل فى طياتها تهديدا أو شيئاً مرعباً فقد ظننت أنها من الممكن أن تنتظر " .

رد وهو يقاوم نفسه ويستدعى فى مخيلته جسدها العارى فى الحمام متسائلا : " لا تظنى ذلك فى المرة القادمة ، والآن أخبرينى ماذا كنت تفعلين قبل أن تذهبى إلى الحمام ؟ "

" فى الحقيقة كنت فى الحديقة أتحدث معك " .

" معى ؟ "

" نعم ، فى ذلك اليوم الذى قابلتنى فيه وأنا أقلم الأغصان " .

رد وهو يدون فى كراسة ملاحظاته قائلا : " حينما طلبت منك قبول دعوتى للعشاء بعد الحفل الذى أقمته " .

ردت قائلة : " ولكنك كنت تتحدث عن ... "

اقترب من المائدة وجلس بالقرب منها قائلا : " كلا فقد كنت أسألك من المنظور الاجتماعى . أريدك أن تعرفى أنها حينما قالت لك بأن الرجال يكذبون إنما كانت توجه إليك تحذيراً حتى تبتعدى عنى " .

" ولكن بما أنه لا توجد دلائل على أنى أود الاقتراب منك فمن العبث أن تحذرنى منك " .

خلع نظارته ، وألقى بها على المائدة قائلاً : " يبدو أنها غير متضايقة من وجودى للعمل هنا . لقد كنت فى انتظار رؤية شىء ما ، أو مواجهة شىء ما ، ومع ذلك لم تتضايق منى . وفى الوقت نفسه تترك لك رسالة . ألم تترك لك رسالة أخرى من قبل ؟ "

ردت قائلة : " كلا ، و ... " .

ولكنه لاحظ شيئاً على وجهها ، وكأنها تفكر فى شىء فبادرها متسائلاً : " وماذا ؟ لقد خطر شىء ما إلى ذهنك " .

ردت قائلة : " لا شىء ولكنى أتعجب فقد رأيتها مباشرة بعد أن أخذت حماماً بارداً لمدة طويلة ، إنه حقاً لشىء غريب " .

أخذ يقاوم نفسه كى لا يستدعى مخيلة جسدها العارى فى الحمام ثم قال : " لا ما الذى كنت تفعلينه قبل أن تغتسلى ؟ "

" لم أكن أفعل شيئاً يذكر ، مجرد بعض الأعمال ، هذا هو كل ما فى الأمر " .

رد متسائلاً : " حسناً ، ولكن أخبرينى ما الذى كنت تفكرين فيه حينما كنت فى الحمام ؟ "

ردت : " بالرغم من أننى لا أرى علاقة بين هذا وبين ذاك ، ولكن سأقول لك . لقد كانت تلك الليلة هى نفس ليلة ذلك اليوم الذى قمت فيه بالتسوق ، لقد كنت فى حالة استرخاء " .

رد قائلاً : " وقد كنت معى فى ذلك اليوم أيضاً " .

ردت متسائلة : ماذا تريد أن تقول يا ميتش ؟ "

رد قائلاً : " تلك هى الحقائق . على أية حال ربما كانت مسرورة أو متضايقة مما كنت تفكرين فيه " .

وحينئذٍ أبدت عدم اهتمامها بما يقول ، فأردف قائلاً : " إن كان بإمكانها أن تأتى إلى ستيلا فى أحلامها ، فلماذا لا يمكنها أن تتعرف على أفكارك ؟ "

ردت رافضة فكرته : " لا أحب ذلك ، لا تروقنى فكرتك هذه البتة " .

رد موافقاً إياها : " ولا أنا ، ولكن يجب علينا أن نضع هذه النقطة فى اعتبارنا . إننى أنظر إلى هذا الأمر من منظورين يا روز . الأول : من منظور ما يحدث الآن وسببه ، والثانى : من منظور ما قد حدث وسببه ، فكلا الأمرين يتعلقان ببعضهما البعض . ولأجل هذا طلبت منى العمل معك ، ومن ثم عليك أن تخبرينى بما يستجد من أمور ، لا أن تنتظرى لتخبرينى بعد حدوث الأمر بأسبوعين " .

" حسناً فى المرة القامة التى سوف توقظنى من النوم فى الثالثة صباحاً سأتصل بك " .

رد قائلاً : " يبدو أنك لا تحبين أن تتلقى الأوامر من أحد ، أليس كذلك ؟ " فقد اعتدت كثيراً على إعطاء الأوامر ، حسناً ، إنى أتفهم ذلك ، ولا ألقى باللوم عليك ، ولكن هل تسمحين لى أن ألقى نظرة على غرفة الحمام الخاصة بك ؟ "

ردت فى استياء قائلة : " بالرغم من أن ذلك الأمر يبدو سخيفاً ، ولكن أليس من المفترض بك أن تقابل ابنك الآن ؟ "

نظر سريعاً إلى المائدة فى ارتباك قائلاً : " جوش ؟ لماذا أقابله ؟ ياه - لقد نسيت ، يجب أن أذهب الآن ، هل يمكنك أن تسدى لى صنيعاً بأن تتركى هذه الأغراض على المائدة دون ترتيب ؟ "

ردت قائلة : " إننى لست مولعة بترتيب الأغراض " .

التقط سترته ، وتذكر نظارة القراءة الخاصة به قائلاً فى عجلة من أمره : " سأعود يوم الخميس ، إن حدث شيء ما قبل ذلك ، أخبرينى " .

أسرع نحو الباب ، ثم توقف فجأة ، واستدار إليها قائلاً : " روزاليند ، لقد كنت جميلة للغاية فى السابعة عشرة " .

ضحكت ثم جلست على المائدة وهى تتفحص حذاءها القديم ، وبنطالها الملطخ حديثاً بالطين ، وأخذت تسترجع فى مخيلتها تلك العبارة " الرجال يكذبون " بينما تشعر بسعادة وهى تدوى فى أذنها .

الفصل السابع



وبينما كان المشتل مغلقاً فى وقت مبكر عن العادة بسبب الإجازة خصصت روز بعض الوقت لكى تعمل فى نباتاتها المنزلية ، فقد كان لديها العديد من النباتات التى كانت فى حاجة إلى أن توضع مرة ثانية فى أصيص ، أو أن يتم فصلها ، بينما كان لديها قليل من النباتات التى أرادت توزيعها كهدايا .

وبينما كان الهواء بارداً منعشاً والجو صافياً بالخارج ، جلست روز فى صوبتها الزراعية الخاصة بها والتى تمتلئ دفئاً ورطوبة . وأخذت تعمل فى أحد الأوانى النباتية بما فيها من نبات البنفسج الأفريقى الذى تفضله ، والذى أهدته لها جدتها منذ أكثر من ثلاثين عاماً . وبينما كان صوت نورا جونز الهادئ يحيطها ، كانت هى تقوم بانتقاء نصف دستة من الأوراق الجديدة وسيقانها ، ووضعتها فى إناء بعد أن جعلت السيقان متدلية على حواف الإناء ، كما أن هذه الأوراق والسيقان سيصبح لها جذور فى

غضون شهر ، وسوف تتكون نباتات أخرى ، وسوف تحتاج إلى أن تنقل هذه النباتات إلى أصيص آخر من الزرع ، ثم تقوم بعد ذلك بزراعة تلك النباتات . كل على حدة فى تلك الأوانى ذات اللون الأخضر الباهت التى جهزتها مسبقاً لهذا الغرض .

سترسل هذه النباتات هدية إلى ستيلا عند انتقالها إلى منزلها الجديد وحياتها الجديدة .

فكم ستكون سعادتها وهى تهدى هذه الهدية الرقيقة من تراثها إلى تلك المرأة التى كانت تفهمها ، تلك المرأة التى أحبتها .

وذات يوم ستهدى نباتات وزهور كهذه إلى أبنائها حينما يتزوجون ، نعم ستهديهم تلك الهدية الرقيقة الحية من تراثها . ستحب هؤلاء النساء اللاتى وقع عليهن اختيار أبنائها ، ستحبهن لاختيار أبنائها لهن . وإن كانت أكثر حظاً فسوف تحبهن كزوجات لأبنائها .

وأخذت تفكر وتتأمل فى زوجات أبنائها وكذلك أحفادها . ويبدو أن هذا التأمل لم يكن بعيداً عنها ، فقد بدأت تشعر بلهفة لزوجات أبنائها وأحفادها ، وربما كانت تلك اللهفة هى السبب فى إبقاء ستيلا وهايلى والأطفال بمنزلها .

يمكنها انتظار ذلك إلى أن يحدث ، لقد قبلت حدوث تغيير ما ، ولكن ذلك لم يعن أنها كانت تتعجل هذا التغيير .

فحياتها الآن تسير فى المسار الصحيح وكذلك عملها ونجاحها فيه ، ولم يكن ذلك بمثابة انتصار شخصى فقط ، وإنما كان يمثل لها راحة كبيرة .

لقد خاطرت كثيراً ، وجاهدت كثيراً لكى ينجح عملها فى الحديقة ، ولكن كان عليها أن تقوم هى بنفسها بتلك المخاطرة من أجل نفسها ، ومن أجل تراثها .

ذلك التراث المتمثل فى منزل هاربر الذى يطلق عليه " هاربر هاوس " الذى لن تتخلى عنه أبداً مهما كلفها الأمر . لقد كانت تدرك جيداً أن هناك أناساً كانوا يعتقدون أن لديها ثروة طائلة بالرغم من أنها كانت توفر كل سنت للحفاظ على ذلك التراث .

لقد قامت بتربية ثلاثة أطفال ، وتكفلت بكل احتياجاتهم من أكل وملبس وتعليم ، وقد اعتمدت فى ذلك على ما وصل إلى يديها من ميراث بدلاً من العمل فى وظيفة ما .

ولكن التحاق أبنائها الثلاثة بالجامعة بالإضافة إلى التحاق ماسون بكلية الطب قد كلفها الكثير ، وكلما كان المنزل فى حاجة إلى تجديد أعمال السباكة أو الطلاء كانت تحاول جاهدة إنجاز ذلك .

ولهذا فقد قامت ببيع بعض من أغراضها على مر السنين من تلك الرسومات والحلى التى لم تكن تمثل لها أهمية ، هذا بالرغم من شعورها بالذنب لبيعها ما قد أهدى إليها .

إلا أنها كانت تضحى باليسير لكى تحافظ على الكثير .

ولم لا وقد ارتسمت معالم المستقبل لأبنائها وقد أصبح المنزل مؤمنا . وبرغم حاجتها للمال إلا أنها لم تبحث عنه من خلال الحصول على وظيفة .

لقد كان ميتش على صواب حينما ذكر أنها لا تحب أن تتلقى الأوامر من أحد ، وإنما كانت بارعة فى إعطاء مثل تلك الأوامر .

وكان عليها أن تختار ما بين أن تستجمع شجاعتها وتدير عملها بنفسها ، أو أن تدوس على كبريائها ، وتعمل لدى شخص ما .

كان عليها أن تعتنى بذلك الصرح الذى شيدته مع هاربر .

لقد وضعت البيض كله فى سلة واحدة ، فمر أول عامين فى صراع وخلافات ، وقد زادت حدة هذا الخلاف وقد ساعدت هى على ذلك مع هاربر .

ورغم ما أصابها من صدمة طلاقها ، فقد بقيت صامدة قوية ، ولم يحصل برايس على الكثير وبرغم ذلك فقد ترك ذلك جرحاً غائراً فى كبريائها .

ولكنها تداركت الأمر وقاومت بصلابة ، وها هى ترى نجاح أبنائها وازدهار عملها وبقاء منزلها ، ويمكنها أن تفكر قليلاً فى بعض التغيرات والتوسعات سواء على صعيد عملها ، أو على صعيد حياتها الشخصية ، حيث يمكنها ذلك تماماً كاستمتاعها بحاضرها المشرق .

انتقلت من زهور البنفسج الأفريقية إلى زهورها ، وعندما انتهت من التقسيم ، قررت أن تذهب ستيلا لتحصل على إحداها . وعندما شعرت بمزيد من السعادة قررت أن تواصل العمل لساعة أخرى ، ثم قامت بفحص الزهور البصلية .

عندما شعرت بالراحة ، قامت بوضع كل ما تريده من أغراض فى عربة صغيرة لتذهب بها إلى المنزل ، لتنظمها وترتبها وكأنها غابة من النباتات قد وضعت فى مشمس ، ثم قامت بتنظيم ونشر الأوانى الأخرى بأرجاء المنزل .

ثم قامت بحمل ثلاثة نباتات بصلية الشكل فى زجاجات مضغوطة إلى المطبخ .

وبادرها ديفيد سائلاً : " ماذا أحضرت لى ؟ "

" لقد سئمت ويئست من أن أعلمك أى شىء عن البستنة يا ديفيد ، ألا ترى ؟! إنها نباتات التيوليب . وهى ستزهر فى

غضون أسابيع قليلة " ثم أخذت ترتب نباتات التيوليب فى النافذة بجوار المائدة .

رد قائلاً : " وأنا أيضاً سئمت ويئست من أن تتعلمى شيئاً عن كيفية اختيار ملابس العمل بالحديقة . منذ متى وأنت تمتلكين هذا القميص ؟ "

فتحت الثلاجة وأخرجت إناء الشاى المثلج قائلة : " لا أدرى ، ماذا تفعل هنا بالمطبخ ؟ أليس من المفترض أن تبدأ فى الاستعداد لحفل الليلة ؟ "

رد قائلاً : " نظراً لأنك قد رفضت الخروج معنا للحفل الليلة فقد قررت أن أعد لك طبقاً شهياً من الطعام " .

" لا تقلق بشأن طعامى يا ديفيد ، يمكننى أن أعد بعض الساندويتشات بنفسى " .

همهم قائلاً : " حسناً لاسيما إن كانت لديك صحبة ، على أية حال إن البروفيسور موجود فى المكتبة ، وقد وضعت بالثلاجة زجاجتين من المشروبات الباردة ريثما تشربين معه " .

ضربته على رأسه بلطف قائلة : " لن أشرب شيئاً مع أحد يا ديفيد ، سأجلس مع الطفلة " .

" ولكن الأطفال ينامون . إنه شخص رائع يا عزيزتى روز ، اغتنمى الفرصة ، ولكن عليك أن تغيرى هذه الملابس المتسخة أولاً ، فقد جهزت لك تلك السترة الكشميرية البيضاء ، وذلك السروال الأسود " .

" إننى لن أرتدى تلك السترة الكشميرية البيضاء ، وذلك البنطال الضيق الذى لم أكن لأشتريه أبداً لولا أن أوحيت لى بشرائه ، إنى سأجلس مع تلك الطفلة ذات السبعة أشهر ، فليس هناك موعد بينى وبينه " .

" ولكن ألا تحبين تلك النظارات ذات الإطار المقعر ، إن لديه نظارة ذات إطار مقعر أيضاً ! "

أخذت حبة زيتون من طبق كان قد أعده مسبقاً قائلة : " تبدو ملتوياً فى حديثك هذه الليلة يا ديفيد " .

رد وهو يغطى طبق الزيتون قائلاً : " على أية حال سوف تقضين عيد ميلاد سعيداً مع ذلك الرجل ذى النظارة المقعرة " .

" ديفيد لماذا تعتقد دائماً بأننى فى حاجة إلى رجل ؟ "

" عزيزتى روز كلنا بحاجة إلى رجل " .

غيرت ملابسها بالفعل ، ولكنها لم ترتد تلك الملابس التى اختارها ديفيد ، بل ارتدت بدلاً منها قميصاً من القطن ، وبنطلوناً (الجينز) ولايزال أمامها وقت لتتجمل فيه بوضع مساحيق التجميل .

فى المشتل كانت تستمع إلى تلك الضجة والتعليمات التى تلقيها والدة هايلى وهى تؤكد وتحلف وتتوعد بأنها ستتصل بها إن حدثت مشكلة ما ، ثم دفعت بالأم إلى الخارج .

كانت روز حينئذ تقف عند النافذة وهى تنظر إلى سيارة هايلى وهى تنطلق ، ثم عادت أدراجها إلى ليلى .

وفى حجرة المكتبة كان ميتش جالساً وهو يتظاهر بالقراءة وكتابة ملاحظاته بينما يستمع إلى مرقاب حجرة الطفلة الذى يوجد على المنضدة .

فكل حجرة كان بها واحداً ، على الأقل كل حجرة دخلها ، ومنذ ما حدث الربيع الماضى أعتقد أن مثل ذلك التصرف حكيماً وضرورياً .

كان يشعر بسعادة غامرة وهو يستمع إلى ما أحدثه رحيل هايلى من ضجة ، وإلى تعبير روز عن حبها للطفلة .

لم يستمع يوماً إلى تلك النبرة فى صوتها ، ولم يكن يدرى أنه يمكنها أن ترقق من صوتها بهذا الشكل ، فقد كان صوتها رقيقاً ناعماً ، ولم يكن يتوقع أن يستمع إليها وهى تهذى بحبها للطفلة وهى تلاعبها .

كانت تهذى بكلمات غير مفهومة كتلك الأصوات غير الواضحة التى يلفظ بها الكبار وهم يداعبون أطفالهم . ومن رد فعل الطفلة لها أدرك سعادتها تماما كسعادة روز جليستها .

كان ذلك بمثابة زاوية أخرى من زوايا شخصية تلك المرأة التى كان يراها مرعبة دائما ، واثقة بنفسها متحفظة بعض الشىء ، وصريحة بشكل غريب . كل هذه الحقائق قد اجتمعت فى امرأة كان يراها مثيرة بقوة ، ولم يكن يتوقع أن يرى منها ذلك اللين وتلك الرقة .

كان يستمع إليها وهى تضحك وتسرع الخطى فوق الأرض وهى تلاعب الطفلة فتوقف عن التظاهر باندماجه فى العمل .

كان يستمع إلى أصوات اللعب التى تصدر أصواتاً مثل الموسيقى ، وإلى الطفلة ليلى وهى تثرثر وتضحك بصوت عال ، وما يصحب ذلك من سعادة غامرة فى صوت روز ، ثم بعد ذلك استمع إليها وهى تغنى وتهدهد الطفلة كى تنام .

ثم استمع إليها وهى تهمهم بكلمات لم يفهمها وتنهدت ثم راحت فى صمت .

وحينئذٍ تنهد حزيناً لانتهاء تلك الأصوات الجميلة .

وذهب إلى إناء القهوة فوجده فارغاً ، فأخذه وذهب إلى المطبخ كى يعد لنفسه قهوة أخرى ، وحينئذٍ دخلت عليه روز فبادرها قائلا :

" مرحباً ، أردت ألا أزعجك فقد أخبرنى ديفيد أنه يمكننى أن أعد القهوة لنفسى كلما أردت " .

ردت قائلة : " بالطبع يمكنك ذلك فقد كنت قادمة لأتناول بعضا من ذلك اللحم المبرد الذى أعده ديفيد ، هل تأكل معى ؟ "

رد قائلاً : " نعم ، شكراً لك ، لقد أخبرنى ديفيد بمكان البن والسكر وما أحتاجه لإعداد القهوة " وحينئذٍ اتسعت عيناه حينما رأى روز تناوله طلبات إعداد القهوة .

ونظرت إليه روز قائلة : " إنه يعتقد أننى سأتضور جوعاً إن لم يترك لى طعاماً يكفى لستة أفراد " .

فقاطعها قائلا : " هل كنت على وشك أن تقولى شيئاً عن ديفيد ؟ "

ردت : " آه ، أعتقد أنه كان يضايقنى بعض الشىء " .

رد قائلاً : " ولكنى متأكد أنه لم يقصد مضايقتك بشدة " .

ردت " نعم ، لقد كان يفعل ذلك ولكن بأسلوبه الساحر " .

رد قائلا : " أتمنى ألا يكون قد أساء إليك " .

" كلا ، لقد كان الأمر على ما يرام لاسيما وأنا أعى فارق السن بينى وبينه " .

ثم استطردت قائلة : " إنه معجب بشكلك وأنت مرتدى للنظارة " .

" رد قائلاً : " ماذا تقولين ؟ "

" النظارات المقعرة ، إنها تثيره بوضوح . هل تريد أن أضع مكونات القهوة فى الفنجان ، أم تريد أن تفعل ذلك بالطريقة التى تروق لك ؟ "

" ضعى أنت المكونات ، وشكراً لك على ذلك " .

" لا داعى للشكر ، فأنا أعد لى قهوة أيضاً " . فنظرت لأعلى وهى تحدق وكأن صوت إميليا وهى تغنى للطفلة أخذ يتردد فى جهاز المرقاب مرة أخرى .

فقال ميتش : " إنه حقًا لشىء مزعج . أليس كذلك ؟ "

ردت قائلة : " إنها لا تذهب إلى غرفة ليلى كل ليلة كما كانت تفعل مع الأولاد ، يبدو أنها تحب الأولاد ، وأعتقد أنها تعرف بأن هايلى بالخارج وتريد أن .... "

ثم توقفت فجأة وأصابع يدها تتحسس ساندويتش الطعام فى ارتباك وهى تستدعى فى مخيلتها ذلك الوقت الذى قضته مع ليلى ، وتذكرت أيضا جهاز المونيتور الموجود بالمكتبة .

" لم يخطر ببالى جهاز المرقاب ، هل سبب لك إزعاجاً ؟ "

رد : " كلا ، لم يزعجنى ، ولم تزعجينى أنت أيضاً " .

ردت قائلة : " على أية حال يمكنك أن تغلقه أثناء العمل ، فلدينا الكثير من الأجهزة هنا ، فقد أحضرت هايلى جهازاً مزوداً بفيديو لغرفتها . إن هذه التقنيات الحديثة تجعل الحياة أكثر سهولة للأمهات " .

رد قائلاً : " حينما كنت مع الطفلة أدركت أنك كنت ـ بلا شك ـ أماً جيدة " .

ردت قائلة : " نعم ، إن ذلك كان أهم شىء بالنسبة لى " . ولكن تلك الفترة التى قضتها مع ليلى كانت فترة خاصة ، أو هكذا ظنت . ثم توجهت إليه متسائلة :

" هل ستأخذ طعامك وتتناوله بالمكتبة بينما تعمل أم ستأخذ استراحة ريثما تأكل هنا ؟ "

" بل سأتناوله هنا إن لم يزعجك ذلك " .

فقالت فى تردد : " كلا سيكون ذلك رائعاً " . ثم فتحت الثلاجة مرة ثانية ، وأخرجت زجاجة الخمر قائلة : " بما أننا نحتفل بعيد الميلاد فسوف أفتح هذه الزجاجة " .

" شكراً ولكنى لا أريد أن اتناول خمرًا ، لا أستطيع " .

ردت قائلة : " آه ! فلتشرب قهوة إذن " . شعرت حينها بحرج وغباء ، ألم تلحظ هى بنفسها أنه لا يشرب الخمر ؟ ألم يكن بمقدورها أن تفكر ملياً قبل أن تقدم زجاجتى الخمر وتحرج صديقها ؟ وتداركت الموقف سريعاً حينما قالت " فلتشرب قهوة إذن " .

وحينئذٍ وقف ممسكاً بيدها قبل أن تستبدل زجاجة الخمر قائلا : " من فضلك استمتعى أنت بشرابك فإن ذلك لا يضايقنى ، فأنا أحب أن يستمتع الناس ، والآن دعينى أفتحها لك " .

وأخذ الزجاجة قائلا : " لا تقلقى إن فتح زجاجة خمر لا يعتبر ارتداداً عن الطريق القديم ، ولا يُمثل انغماساً فى الملذات " .

فقالت : " إننى لم أقصد مضايقتك ، كان علىّ أن أدرك أنك لا تشرب " .

فرد قائلاً : " لا تهتمى ، لقد نزعت تلك العلامة التى تقول لقد امتنعت عن تناول الكحوليات من فوق رقبتى " .

ونزع السدادة بسرعة من الزجاجة ، فأحدثت فرقعة توحى بالاحتفال قائلاً : " لقد بدأت أشرب الكحول حينما كنت فى الخامسة عشرة من عمرى تقريباً ، فقد اعتدت على الشراب خلسة

من وقت لآخر كما يفعل الأولاد فى هذه السن غالباً ، لقد كنت أحب شرب الخمر " .

وضع أطباق الطعام على المائدة وصب لنفسه فنجاناً من القهوة بينما قامت هى بتولى أمر بقية الوجبة السريعة . ثم قال : " وحينما التحقت بالجامعة انخرطت فى الشراب كثيراً كما يفعل الكثيرون ، ولكن لم أتخلف عن درس بسبب الشراب ، ولم يسبب الشراب لى يوماً أى مشكلة فقد حافظت على نجاحى بتقديرات مرتفعة ، على الأقل تخرجت بتقدير مرتبة الشرف وتفوقت على زملائى ، فقد أحببت الكلية تقريباً كحبى للخمر . هل أصابك ملل من حديثى هذا ؟ "

ردت وعيناها تنظران إليه قائلة : " كلا " .

أخذ قضمة من الطعام ، وهز رأسه قائلاً : " حسناً . وبعد ذلك حصلت على درجة الماجستير وتزوجت ، ثم بدأت العمل فى الحصول على درجة الدكتوراه وأنجبت طفلاً . كنت لاأزال أشرب فى هذه الآونة ولكنى كنت أحافظ على اتزانى دائماً ، فلم يحدث يوماً أن دخلت فى مشاجرة مع أحد تحت تأثير الشراب . وبقيت على اتزانى هذا إلى أن أقلعت عن الشراب " .

ثم أخذ قطعة من البطاطس ، واستأنف قائلاً : " لقد مارست عملى فى التدريس والكتابة ووفرت حياة كريمة لأسرتى ، ولم أخسر من الشراب أجر يوم واحد من عملى وكذلك لم أفوت بسببه درساً واحداً من دروسى ، ولكنى ـ بسببه ـ فقدت زوجتى وابنى " .

" إننى حقاً آسفة يا ميتش " .

" لا عليك . لقد فعلت زوجتى السابقة سارة ما بوسعها فقد أحبتنى ، وأرادت أن تعيش معى تلك الحياة التى وعدتها بها ،

وتمسكت بى أكثر مما يمكن أن يفعله الكثير من غيرها لو كانوا فى مكانها ، وتوسلت إلىّ كثيراً كى أقلع عن الشراب ، وفى كل مرة ، كنت أقطع على نفسى وعوداً لها بأن أتوقف ، ولكن على الرغم من ذلك كنت أولى المنزل الاهتمام الكافى فلم أكن منغمساً فى الشراب إلى درجة سيئة . لم أكن أترنح مثلاً ، بالطبع كنت أعانى من آثاره السلبية فى الصباح ، لكننى قد كنت على وشك أن أقلع عن الشراب . لقد كنت فى طريقى إلى المسار الصحيح " .

توقف لبرهة ثم هز رأسه قائلاً : " من السهل على المرء أن يخدع نفسه قائلاً إنه يسير إلى الطريق القويم بينما يعيش فى غموض وتخبط أكثر الوقت . من السهل عليه أن يتجاهل ويتغاضى عن إهماله لزوجته وطفله وأن ينسى حفلات الغداء وأعياد الميلاد ، من السهل عليه أن يتسلل من فراشه كى يحتسى كأساً أخرى من الشراب ، وأن يهمل متابعة طفله فى الوقت الذى يحتاج طفله إليه ، وكأن هذا المرء غير موجود بالمرة ، ووجوده لا يمثل أهمية لزوجته وطفله لإهماله لهما " .

ردت روز قائلة : " إنه حقاً لشىء مروع أن تكون الحياة هكذا بالنسبة لكم جميعاً " .

رد قائلاً : " بل إن الأمر لأكثر صدمة لهؤلاء الذين يتحطمون وهو يعيشون مع مثل هذا المرء . ولم أكن لأتحدث معها فى هذا الأمر ، أو أذهب للعلاج ، أو أحضر لقاءات تحثنى على الإقلاع ، أو أتحدث مع أحد عما تراه من مشكلة . حتى حينما أخبرتنى بعزمها على الرحيل ، حتى وهى تحزم أمتعتها وأمتعة جوش ، حتى وهى تخرج ـ رغم كل ذلك لم أدرك رحيلها هى والطفل عنى " .

ردت روز : " ولكنها ـ بصنعها هذا ـ كانت شجاعة للغاية " .

رد وهو محدق فى وجه روز قائلاً : " نعم كانت شجاعة . وإني لأعتقد أن امرأة مثلك سوف تتفهم مدى شجاعتها ، وقضيت عاما آخر فنظرت حولى فلم أجد شيئا ، وأدركت حينها أنى قد خسرت أغلى شيء كان لدى ، وأنى لى أن أسترده مرة ثانية فقد فات الأوان . ولم يكن أمامي سوى أن أذهب إلى دار العبادة لعلى أجد راحة هناك ".

ردت روز : " إن هذا لشجاعة منك أيضاً ".

أخذ قضمة أخرى قائلاً : " لقد كان الاجتماع الأول مخيفاً فقد جلست فى مؤخرة الغرفة ، فى بدروم دار العبادة الصغير تلك وأنا أرتعش كالطفل ".

" وهذه أيضاً تمثل شجاعة كبيرة منك ".

" لقد بقيت متزنا وهادئا لثلاثة أشهر وعشرة أيام وخمس ساعات ، ثم رجعت إلى الشراب مرة أخرى ، وشربت باقتصاد دون إدمان لمدة أحد عشر شهراً ويومين وخمس عشرة ساعة . وانتابنى هاجس بأنها قد قابلت شخصا آخر ولن تثق بى أو ترجع إلىّ مرة أخرى ، واتخذت ذلك ذريعة لكى أشرب ، وشربت إلى أن عملت جاهداً على الخروج من هذا المأزق ".

احتسى رشفة من القهوة ثم استطرد قائلاً : " كان ذلك منذ أربعة عشر عاماً عندما سامحتنى سارة . لم تكن شجاعة فقط بل كريمة أيضاً ، لقد كانت تستحق منى معاملة أفضل ، وسامحنى جوش أيضاً . وعلي مدار الأربعة عشر عاماً الماضية عملت جاهدا على أن أكون والدا مثاليا قدر ما أستطيع ".

ردت روز قائلة : " أعتقد أن ذلك كان يتطلب رجلاً شجاعاً وقوياً كى يواجه تلك العثرات ويتغلب عليها وأن يتحمل هو عبء

ومسئولية ذلك بدلاً من أن يلقى بها حتى ولو بشكل جزئى على الآخرين ".

رد قائلاً : " إن عدم الشراب لا يجعل منى بطلاً يا روز ، ولكنى أشعر بأنى هادئ ومتزن حينما أكون بعيداً عنه ، وكم أتمنى أن أقلع عن القهوة هى الأخرى ، والآن هل لى أن اطلب منك أن نعقد المقابلة الأولى بعد أن ننتهى من الطعام ؟ "

ردت روز قائلة : " حسناً ، هل ستسجل حديثى ؟ "

" نعم ، بالإضافة إلى أنى سأدون بعض الملاحظات ".

قالت : " إذن يمكننا أن نجرى تلك المقابلة فى الردهة ، فالمكان هناك أكثر راحة ".

استحسن فكرتها قائلاً : " رائع ".

وبينما أخذ ميتش ما سيحتاج إليه من المكتبة ، قامت روز بإلقاء نظرة على ليلى ، ثم تلقت مكالمة هاتفية من هايلى ، وأخذت تدفع بالصينية ذات العجل وعليها الفاكهة الطازجة وأنواع من الجبن .

وبينما تدفع بالصينية نحو الردهة جاءها ميتش من الخلف قائلاً : " دعينى أقوم بذلك ".

ردت قائلة : " لا عليك ، ولكن يمكنك أن تشعل النار فالليلة باردة ولكن حمداً لله أنها صافية ، فأنا أمقت فكرة تخيل أولادى يسافرون على الطريق فى جو متقلب ".

كنت أفكر بنفس الطريقة حينما كان أولادى يسافرون . أمر متعب حقاً أن تكون أباً ".

جهزت الطعام على الصينية ، وكذلك القهوة ثم جلست على الأريكة ، ودون أن تدرى وجدت نفسها قد أسندت قدميها إلى المائدة ، فقد كانت عادتها فى الجلوس أن تجلس هكذا ، ونظرت

فى دهشة إلى قدميها . كان من عادتها الجلوس هكذا ولكنها لم تكن لتضع قدميها على المائدة أمام ضيوفها ، وألقت نظرة سريعة على ميتش بينما كان منحنياً ريثما يشعل النار .

إن جلوسها هكذا كان يعنى أنها ترتاح إلى ميتش ، ولا تنظر إليه باعتباره ضيفاً .

وعاد إليها قائلاً : " كانت فكرة جيدة أن تشعلى النار هنا " .

ثم أعد جهاز المسجل ، وكراسة الملاحظات ثم جلس على الجانب الآخر من الأريكة ، ثم قال : " أود أن نبدأ حديثنا من أول مرة تذكرين فيها رؤية إميليا " .

ردت فى تركيز قائلة : " لا أدرى إن كنت أذكر المرة الأولى التى رأيتها فيها ، لا أستطيع تحديد وقتها بالضبط فمن المؤكد أنى كنت لا أزال صغيرة ، ولكنى أتذكر صوتها ، وغناءها ، وعلى ما أذكر أنى كنت أعتقد أنها أمى ، ولكن أمى لم تكن لتنظر إلىّ كى تتفقدنى ليلاً ، ولا أذكر أنها كانت تغنى لى فلم يكن ذلك من عادتها . ولكنى أذكر تواجد إميليا لمرات قليلة حينما أكون مريضة بنزلة برد أو حمى " .

" ومن أخبرك عنها ؟ "

" أخبرنى عنها جدى وجدتى إلا أن جدتى كانت تحدثنى عنها أكثر . لقد كانت الأسرة تتحدث عنها بشكل يكتنفه الغموض . فقد كان ينظر إليها فى بعض الأحيان بوصفها امرأة يفتخر بها ، وفى البعض الآخر كانت تمثل حرجاً خفيفاً للأسرة ، وكان ذلك بحسب من يتحدث عنها ، فقد كان والدى ينظر إليها باعتبارها إحدى زوجات هاربر ، بينما كانت جدتى تؤكد دائماً أنها لم تكن سوى خادمة أو أحد الضيوف الذين ماتوا هنا ولكنها لم تكن تمت للأسرة بصلة قرابة " .

" وهل أخبرك والدك أو جدتك أو أمك أو غيرهم عن تجارب معينة لهم معها ؟ "

ردت قائلة : " لقد كانت أمى تشعر بخفقان فى قلبها كلما أثير الحديث عنها ، وكثيراً ما كانت أمى تصاب بنوبات خفقان فى قلبها " .

نظر إليها ميتش ، ثم بادرها قائلاً : " لقد كانت لى عمة على مثل تلك الحال . فلم يكن يمر يوم دون أن تصاب بنوبة ما " .

ردت قائلة : " لقد تحدثت أمى معى مرة أو مرتين بشأنها محذرة إياى من أنى سأحمل هذا العبء على عاتقى يوماً ، متمنية ألا يؤثر ذلك الأمر على صحتى كما حدث معها " .

" لقد كانت خائفة من إميليا إذن " .

لوحت روز بيديها قائلة : " كلا . فقد كانت تستمتع بأن تزعم بأنها قد عانت كثيراً ، وعلى أية حال فقد كانت فى أحيان أخرى تؤكد فى إصرار على أن هذا الأمر قد دمر صحتها حتى أصيبت بالتهاب رئوى فى النهاية " .

رد قائلاً : " رائع . إن تذكرك لصغائر وتفاصيل الأمور سيساعدنا كثيراً على أن نرتسم صورة عنها . وماذا عن والدك ؟ "

" لقد كان أبى شغوفاً بفكرة " الشبح " ، وكانت لديه ذكريات رائعة عنها منذ طفولته ، ولكنه كان يشعر بالغضب والحرج إذا ما ظهرت ، وأخافت أحد الضيوف فقد كان يتمتع بكرم الضيافة وكم كان يشعر بالخزى والأسف العميق إذا ما شعر بأن شيئاً ما يزعج أحد ضيوفه " .

" وما نوع تلك الذكريات عنها منذ طفولته ؟ "

ردت قائلة : " هى نفس تلك الذكريات التى سمعت عنها من قبل دون تغيير يذكر . مجرد ذكريات عن غنائها له وزيارتها فى غرفته وكأنها أمه إلى أن بلغ الثانية عشرة تقريباً " .

وسألها قائلاً : " ألم يشعر بأية مخاوف ؟ "

" كلا لم يخبرنى بشىء من هذا القبيل ، ولكن جدتى قد أخبرتنى بأنه حينما كان حياً كانت تنتابه بعض الأحلام المفزعة والكوابيس ، فبينما كان عمره عاماً أو عامين زعم أنه يرى فى أحلامه امرأة فى ثوب أبيض وعيون منتفخة ، وصدى صوتها لايزال يدوى فى أذنيه ، كانت تأتيه فى الحلم فى بعض الأحيان فى غرفته ، وفى البعض الآخر فى خارجها " .

رد قائلاً : " إن الأحلام ستكون بمثابة خيط آخر يوصلنا إلى حقيقتها ، هل انتابك بعض من هذه الأحلام ؟ "

" كلا ، ولكن ... ؟ "

" ماذا ؟ "

قالت : " قبل زواجى من جون بأسابيع كانت تنتابنى بعض الأحلام ، ولكنى كنت أعتقد أن الأمر يرجع إلى القلق . كنت أحلم بالعواصف ، سماوات سوداء ، رعد ورياح باردة ، كنت أرى أيضا حفرة فى الحديقة وكأنها قبر به زهور بالية ، ولكنى لم أعد أرى تلك الأحلام بعد زواجى ، ولم أعد أفكر فيها " .

" وهل رأيت تلك الأحلام مرة أخرى ؟ "

ردت قائلة : " كلا . أما جدتى فقد رأتها أكثر من أى شخص آخر ، لقد كانت تراها فى المنزل ، وفى الحديقة ، فى غرفة أبى حينما كان صغيراً ، ولم تخبرنى بأى شىء مخيف ، بل ربما لم تتعرض لأى شىء مخيف ، لقد كانت جدتى هى الأكثر تعاطفا نحو إميليا . ولكن لكى أكون صادقة لم يكن الحديث عن إميليا هو

الموضوع الرئيسى للأسرة . فقد كانوا يقبلونه ، وفى أحيان أخرى يتجاهلونه " .

أخرج نظارته من جيب سترته ليقرأ الملاحظات التى دونها قائلا : " والآن لنتحدث عن الأقرباء ، فإن أول مرة تظهر فيها إميليا لأحد كانت لجدتك إليزابيث ماكينون هاربر ، وهذا هو ما تستطيعين استرجاعه . أليس كذلك ؟ "

" كلا ، فهذه الحقيقة تعوزها الدقة ، فقد أخبرتنى أن زوجها قد رأى العروس " إميليا " حينما كان لا يزال طفلا " .

رد قائلا : " ولكن هذا هو ما أخبرت به . ولكنها لم تر بعينها أو تجرب بنفسها ، ومع ذلك هل يمكنك أن تتذكرى ما أخبرك به أحدهم عن أية تجارب قد حدثت لذلك الجيل قبل أجدادك ؟ "

" نعم لقد أخبرتنى جدتى أن حماتها التى ستصبح فيما بعد جدة أمى كانت ترفض الدخول إلى بعض الغرف " .

سألها قائلاً : " أى غرف هذه ؟ "

أجابت قائلة : " المشتل والذى كان فى الطابق الثالث آنذاك ، وغرفة النوم الرئيسية . فلم تكن لتنام فيها لبعض الوقت ، وكذلك المطبخ ، ولم تكن أيضاً لتطأ قدماً فى الجراج . ومن خلال وصف جدتى لها أقول إنها لم تكن امرأة خيالية . وإن كانت هناك حالات أخرى قبل ذلك فلا أعرف عنها شيئاً . ولا أعتقد أنه توجد حالات أخرى . فقد توقعنا ورصدنا أول تاريخ لظهورها فى التسعينات من القرن التاسع عشر " .

رد وهو يدون ملاحظاته فى عجلة قائلاً : " ولكنك قد رصدت هذا التاريخ وفقاً للملبس وطريقة تصفيف الشعر ، وهذا ليس كافياً " .

قالت : " ولكن ذلك يبدو منطقياً ومقبولاً " .

نظر إليها مبتسماً وعيناه منكمشتان خلف نظارته قائلاً :

" ربما . ربما تكونين على صواب لكنى أحتاج إلى معلومات أكثر بعض الشيء قبل أن أتحقق من شيء ما . فماذا عن أخوات ريجنالد الابن ؟ "

" ليس لدى شيء عنهن ، فلم أعرف أحداً منهن ، أو لا أذكر ، فلم تكن على صلة حميمة مع جدتي أو أبى ، وقد كانت هناك بعض المحاولات من جانب جدتي لتقوية العلاقات الأسرية بين أبنائهن وبين أبى كأبناء عمومة . ولأزال على اتصال مع بعض من أبنائهن " .

فتساءل قائلاً : " وهل سيتحدث معى أى منهم ؟ "

فأجابت قائلة : " البعض سيوافق ، بينما لن يوافق البعض الآخر ، فبعضهم قد وافته المنية ، وسوف أعطيك أسماءهم وأرقام هواتفهم " .

رد قائلاً : " بالطبع لن تعطينى أسماء من ماتوا " .

وحينئذٍ قالت : " سأذهب لألقى نظرة على ليلى " .

وسألها : " هل لى أن أصحبك ؟ "

قالت : " نعم ، يمكنك ذلك ، ففى أغلب الظن سوف تختفى قبل أن نصل إلى هناك " .

وصعدا الدرج سويًا وهى تقول : " فيما بين عام ١٨٩٠ ، ١٨٩٥ كان بالمنزل حاضنتين ، وثلاث مربيات للأطفال ، ومديرة منزل وأخرى تساعدها ، واثنتا عشرة خادمة ، وخادمة شخصية وثلاث يعملن فى المطبخ . لقد احتفظت ببعض الأسماء ولكن نظرا لعدم تدوين الأعمار فسوف أقوم بمراجعة العديد من السجلات

للتحقق من الشخصيات ، سأبدأ بسجلات الوفيات ، ثم أتتبع نسلهم " .

وفى طريقهم إلى غرفة ليلى علقت روز على الجو قائلة : " إن الجو لايزال بارداً بالرغم من أن البرودة لا تستمر كثيراً فى العادة " . وتقدمت نحو سرير ليلى وألقت عليها الغطاء فى هدوء .

ثم همست قائلة : " يالها من طفلة هادئة ، فهى تنام معظم الوقت ليلاً . ولم يكن أحد من أولادى ينام فى هدوء هكذا ليلا حينما كانوا فى مثل عمرها . يجب أن نتركها الآن " .

خرجت فى هدوء تاركة الباب مفتوحا . كانت هى وميتش حينئذٍ عند مقدمة السلم حينما بدأت الساعة تدق لتؤذن بانتصاف الليل .

فنظرت إلى ساعة يدها كى تتحقق قائلة : " لقد انتصف الليل ، لم أدرك أن الوقت قد فات بسرعة هكذا . حسناً ، كل عام وأنت بخير ، عام سعيد " .

فرد قائلاً : " عام سعيد " ثم أخذ بيدها قبل أن تهبط الدرج ، ثم وضع يده الأخرى على خدها قائلاً : " هل تمانعين ؟ "

" كلا ، لا أمانع " .

نظر إليها ، وأشار إليها بإيماءة مهذبة للاحتفال بالعام الجديد بينما انغلق الباب محدثاً ضجة مدوية كطلق نارى .

اقترب منها بشدة ، وحينئذٍ انغلق الباب مجدداً ومجدداً ، فتراجعت إلى الخلف ، وعيناها مفتوحتان فى دهشة قائلة :

" يكفى ذلك " .

رد قائلاً : " لماذا ؟ " .

فقالت : " أعتقد أنه من الأفضل أن يبقى كل شيء هادئا الليلة ، علىّ أن أرتب الردهة وأن أبقى مع ليلى " .

رد قائلاً : " حسناً سأحضر كراسة ملاحظاتي ، وأذهب إلى المنزل " .

ثم استطرد قائلاً " إنك امرأة يصعب فهمها يا روز "

" إني متأكدة من ذلك " .

فقال : " لا تعرفين ما أريده ؟ أريدك أنت " .

فقالت : " نعم أعرف ذلك . إنني لا أواعد عشاقاً هكذا دون تفكير ، لذا لو اتخذتك عشيقاً لي ، فإن الأمر سيصبح جد خطر يا ميتش ، وكلانا يجب أن يفكر في الأمر بجدية " .

" ألا تحبين أن تخوضي غمار تجربة جديدة يا روز ؟ " .

" بلى أحب ذلك ، ولكن لا أحب الخوض في أمور أندم عليها فيما بعد ، إني أحب أن أنظر دائماً أين سأضع قدمي . ولو لم أكن سعيدة بذلك لأخبرتك أو طردتك ، وها أنا أخبرك بذلك ، وأنا لم أعد صغيرة أو حمقاء لأتصرف دون تفكير وروية " .

رن جرس الهاتف فقالت : " إنها هايلي مرة أخرى ، سأرد عليها وإلا ستتضايق بشدة ، كن حذراً وأنت تقود سيارتك " .

وذهبت إلى الهاتف وطمأنت هايلي بأن الطفلة قد خلدت إلى النوم كالملاك ، ولم تحدث أية مشكلات ، وحينئذٍ سمعت الباب الأمامي ينغلق خلفه .

الفصل الثامن



وانطلق ميتش بسيارته ، وقبل أن يبتعد كثيراً أدرك أن روز كانت امرأة متناقضة ، ونظراً لأنه لا يوجد علاج ناجح لذلك النوع من النساء المتناقضات فقد كان من الأفضل - كما رأى - أن يتقبلها كما هي بدلاً من أن يرهق نفسه بالتفكير في حقيقة أمرها كثيراً .

وقرر أن يسير بالسيارة إلى مسافة أبعد قليلاً كي لا يشغل عقله بالتفكير في روزاليند هاربر ، وما يكتنفها من غموض .

وعلى أية حال فإن أمامه كثيراً من الأعمال لإنجازها . وبمساعدة جهاز الكمبيوتر الخاص به سيتمكن في غضون ساعات قليلة من التأكد ، والتحقق من المواليد والوفيات ، وكذلك الزيجات الموجودة في سجل عائلة هاربر .

لقد قام بتنظيم ذلك في جدول مخصص لذلك ؛ لأن العملاء يفضلون الجداول بالإضافة إلى أن هذه الجداول تمثل أدوات مهمة له مثلها مثل الصور ، والخطابات الخاصة بالأسرة . وقد قام

بتنظيم كل تلك المعلومات المتاحة له فى جدول كبير على ورق مقوى . واحتفظ بنسختين من هذا الجدول : نسخة سيحتفظ بها فى غرفة مكتبه بشقته ، والأخرى سيحتفظ بها فى حجرة المكتبة فى منزل هاربر .

لقد استطاع أن يرسم فى مخيلته صورة حية عن أفراد عائلة هاربر من خلال الصور العادية والصور الشخصية القديمة ، وكذلك من خلال الخطابات والمفكرات اليومية . وحينما ارتسمت تلك الصورة الحية عنهم ، وبدأ يتخيل الروتين اليومى لحياتهم ، وعاداتهم ، وأفراحهم ، وأحزانهم أصبح مهتماً بتلك المهمة أكثر من أى شىء آخر .

لقد كان يقضى ساعات كثيرة وهو يتصفح مذكرات وملاحظات إليزابيث هاربر عن البستنة ، فكيف كان له أن يعرف أن زوج روز كان يعانى من تجويف بطنى لثلاثة أشهر ولم يبدأ معالجة ذلك التجويف إلا بعد عشرة أشهر ؟

لم يكن ليعرف تلك المعلومات إلا من خلال التفاصيل الدقيقة التى جعلت الماضى كصورة حاضرة مكتملة .

ومن خلال صورة الزفاف التى تجمع بين إليزابيث وريجنالد الابن استطاع أن يدرك كم كانت روزاليند تشبه جدها فى شعره الأسود ، وطول عينيه ، وعظام وجهه القوية .

فما الصفات الأخرى التى انتقلت من ذلك الرجل الذى تستطيع روز بالكاد أن تتذكره ؟ ما الصفات التى ورثتها عنه ثم انتقلت منها إلى أبنائها ؟

واستنتج أنها ربما قد ورثت عنه الفطنة والمهارة فى العمل . فمن خلال التفاصيل الأخرى الدقيقة التى عثر عليها فى القصاصات الورقية التى كانت لديه ، ومن خلال السجلات الخاصة بالمنزل

استطاع أن يرسم صورة عن ذلك الرجل الذى كان يتميز بمهارة فائقة فى كسب المال ، ذلك الرجل الذى لم يتعثر فى أزمة البورصة كغيره من العديد من معاصريه ، ذلك الرجل العبقرى الذى نجح فى الحفاظ على منزل العائلة وممتلكاتها .

وبينما أخذ ميتش يدرس تلك الصور بعناية سأل نفسه قائلاً : " ألم يكن نجاح ذلك الرجل مرده رباطه جأشه وبعد نظره الذى يبدو من نظرة عينيه ؟ "

ربما كان الرجل يتمتع بتلك الصفات لأنه قد ولد ثرياً وحيداً فحمل المسئولية على عاتقه . ثم تساءل بصوت عالٍ قائلاً لنفسه : " ماذا تعرف عن إميليا ؟ هل قابلتها وجهاً لوجه ؟ أم هل كانت ميتة بالفعل ؟ أم كانت مجرد روح فى هذا المنزل حينما جئت إليه ؟ "

وقال لنفسه : " لقد عرفها شخص ما بالتأكيد ، وتحدث معها وعرفها عن قرب ، عرف وجهها ، وصوتها .

ومن المؤكد أن هذا الذى كان يعرفها كان يعيش بالفعل أو يعمل هنا فى هاربر هاوس " .

ذهب ميتش كى يبحث عن هؤلاء الخدم الذين وصلت إليه أسماؤهم .

وأخذ يبحث بعض الاحتمالات ، واستغرق ذلك منه وقتاً . لقد كانت إميليا ضيفة فى هذا المنزل أو خادمة قد حذف اسمها من السجلات الخاصة بالأسرة ، أو كانت من أولئك الأقرباء لتلك العائلة ولكن من صلة بعيدة ، أو كانت صديقة للأسرة .

وأخذ يقول لنفسه : إن كانت إميليا قد تواجدت فى ذلك المنزل كضيفة أو صديقة للعائلة ، أو كأحد الأقرباء من صلة بعيدة ماتت

بذلك المنزل ، فمن المؤكد أنه ستتوافر معلومات عنها حتى ولو كانت يسيرة ، وسوف يتوصل إلى تحديد هويتها .

ولكن لم يكن ذلك سوى مجرد تخمين وتصور لا يؤدى إلى القول باحتمال حدوث فضيحة ما ، ومحاولة التستر عليها .

وكذلك أيضاً لا يؤدى هذا التصور إلى القول بأنها لم تكن ذات أهمية بالنسبة لعائلة هاربر ، وماتت أثناء نومها دون أن يتكلف أحد عناء مناقشة أمرها .

إن أمرها حقًا يكتنفه الغموض ، وقد أدرك أنه كان يقضى وقتاً لا بأس به فى محاولة منه لتحديد هوية " شبح ! "

وكان عليه ألا ينظر إلى إميليا من هذا المنظور ، وإنما كان عليه أن يفكر فيها بوصفها امرأة لاتزال على قيد الحياة ، بوصفها امرأة قد ولدت وعاشت حياتها ، كان عليه أن يفكر كيف كانت ترتدى ملابسها ، كيف كانت تأكل ، كيف كانت تضحك ، كيف كانت تبكى ، وكيف كانت تمشى وتتحدث .

لقد كانت هذه المرأة على قيد الحياة يوماً ما ، وكان لها اسم . وأدرك أن وظيفته تتمثل فى كشف هويتها ، وماذا حدث لها ، ومتى حدث ذلك لها ، أما عن سبب ظهورها ثانية فالجواب عنه سيكون بمثابة شىء إضافى .

وأخذ يبحث فى ملف أوراقه ، ثم أخذ يدرس تلك الصورة التى رسمتها روز عن امرأة صغيرة نحيفة ذات شعر كث متجعد البؤس يملأ عينيها . وهز رأسه وهو يفكر فى الطريقة التى أرّخوا بها وقت ظهور هذه المرأة من خلال الزى وأسلوب وطريقة تصفيف شعرها .

لقد رأى إميليا من قبل مرة واحدة فقط ، ولم تكن تبدو هادئة أو حزينة هكذا ، بل كانت قاسية ومجنونة .

يمكن القول بأن الزى الذى كانت ترتديه يرجع إلى عشرة أو حتى عشرين عاماً على الأكثر ، أما عن طريقة تصفيف الشعر فربما كان ذلك اختياراً شخصيًا لها ، وعلى هذا فمن المستحيل أن نتوصل إلى عمرها ، أو العصر الذى عاشت فيه اعتماداً على تلك المعلومات التصورية .

وبالرغم من ذلك فمن خلال بحثه أدرك أنهم كانوا قريبين من معرفة هويتها .

الحديث عن الأحلام ، والمعلومات والتفاصيل الدقيقة ، وتلك التقاليد ، كل ذلك كان موجوداً أثناء حياة ريجنالد هاربر .

وأخذ يفكر فى ريجنالد هاربر : " ريجنالد إدوارد هاربر ، ولد عام ١٨٥١ وهو الابن الأصغر بين أربعة أبناء لتشارلز دانيال هاربر ، وكريستابل ويستلى هاربر . وهو الابن الثانى والوحيد الذى يبقى على قيد الحياة . الأخ الأكبر يدعى ناثانيال ، ومات فى يوليو من عام ١٨٦٤ وهو فى الثامنة عشرة من عمره أثناء معركة Bloody Bridge فى مدينة تشارلز تاون .

وقد تزوج ريجنالد هذا من باتريس عام ١٨٨٠ ، وأنجب منها خمسة أطفال : شارلوت ولدت عام ١٨٨١ ، إيديث آن ولدت عام ١٨٨٣ ، كاثرين ولدت عام ١٨٨٥ ، فيكتوريا ولدت عام ١٨٨٦ وريجنالد الابن ولد عام ١٨٩٢ " .

ولاحظ ميتش أنه توجد حقبة زمنية كبيرة بين مولد فيكتوريا وريجنالد الابن ، ثم أخذ يدون بعض احتمالات حدوث حالات إجهاض فى تلك الفترة .

ولكنه وضع فى اعتباره ذلك الاحتمال القوى والطبيعى الذى يتمثل فى رغبة ريجنالد فى الحصول على طفل يحمل اسم الأسرة من بعده .

وأخذ يستعرض ما جمعه من معلومات عن باتريس . كان لها أخت ، أخ ، وزوجة أخ ، ولكنه لاحظ أنه لم تحدث حالات وفاة بين النساء إلا بعد ما قيل عن رؤية الشبح والأحلام . ولم يوجد بين هؤلاء النساء امرأة تسمى إميليا مما يجعل احتمال تغطيتهم بالبحث احتمالاً ضعيفاً .

وهو لم يجد خادمة بهذا الاسم أيضًا . ربما ليس بعد .

ولكنه رجع مرة أخرى ليبحث فى ريجنالد هاربر الذى كان رب المنزل فى ذلك الوقت .

وأخذ يسأل نفسه : من أنت يا هاربر ؟ إنه رجل ثرى ميسور الحال ، فقد ورث المنزل وهذه الممتلكات نظراً لوفاة شقيقه الأكبر حينما كان جندياً فى المعركة ، والآن فقد آلت كل هذه التركة إلى الابن الأصغر ريجنالد .

ووفقاً لما ذكرته روز فقد تزوج ريجنالد زيجة جيدة ، وحصل على مكاسب كثيرة من وراء هذا الزواج فقام بتوسيع وتحديث المنزل . ومن المؤكد أنه كان يحتفظ بعدد كبير من الخادمات رهن إشارته .

وأخذ ميتش يتساءل : " هل رغبة ريجنالد للحصول على ابن قد طال انتظارها ؟ هل كانت بمثابة أمر محبط ومزعج بالنسبة له ؟ أم كان سعيداً ببناته ؟ إن معرفة ذلك سيكون أمراً مهماً لا شك .

ولكن لم يكن أحد من هؤلاء على قيد الحياة كى يخبرنا .

اتجه ميتش نحو جهاز الكمبيوتر الخاص به وهو يكثف تركيزه على الحقائق .

ونظراً لأنها كان لديها العديد من النباتات المنزلية ، فقد قامت روز بوضع بعض من هذه النباتات فى المخزن مرة أخرى .

كانت تعمل وتستمتع بالعمل مع ستيلا ، ولم يكن هذا أمراً عادياً ، فقد كانت روز تفضل صحبة نباتاتها ، والاستماع إلى الموسيقى أثناء العمل .

وتوجهه إليها ستيلا وهى تنتقى إحدى النباتات قائلة : " إنى أشعر بسعادة وأنا ألطخ يدى فى الطين هكذا " .

وقالت روز : " أعتقد أنك ستكونين أكثر سعادة حينما تعملين فى حدائقك الجديدة بمنزلك " .

وتوجهت إلى روز قائلة : " لا يمكننى الانتظار ، إنى أعرف أن لوجان قد تضايق منى كثيراً بسبب تغيير وتعديل الخطة . ومرة أخرى أقول إن كلمة الخطة لا تشير بالضبط إلى ما كان يقوم به بشأن المناظر الطبيعية التى أعدها دائماً ، وأعتقد أنى لو قدمت له رسماً تصويرياً آخر فربما سيأخذه ويضعه فى فمى . إن زهرة القوليوس هذه رائعة للغاية " .

ردت روز " إن الاهتمام بالحدائق يريح الأعصاب من القلق بشأن الزفاف " .

توقفت ستيلا ويدها فى الطين وعيناها محدقتان قائلة : " ومن قال إننى سأكون قلقة ؟ إن هذه ليست المرة الأولى لى بالإضافة إلى أننا قد عزمنا على إبقاء أمر الزفاف بسيطاً وصغيراً . لقد كان أمامى شهور لكى أخطط فيها لأمر الزفاف ، وهذا هو ما يضايقه أيضاً . ولكن كان علينا على الأقل أن نقوم بطلاء غرفة المعيشة وغرفة الأطفال وتزويدها بالأثاث ، فأنت لن تصدقى عينيك لو رأيت بعضاً من ذلك الأثاث الرائع الذى أهدته له أمه ، والذى قام بتخزينه فى المخزن " .

ردت روز : " أعتقد أن شجرة التنينة سيكون لها دورها فى تهدئة أعصابك . فالعروس هى العروس دائما سواء كانت هى المرة الأولى التى تتزوج فيها أم لا " .

وسألتها ستيلا قائلة : " وهل كنت قلقة فى زواجك الثانى ؟ إنى أعرف أن الأمر قد تطور سوءا ، ولكن ... "

ردت روز فى نبرة قوية قائلة : " كلا لم أكن قلقة ، لكن سأخبرك بشىء ما . إنك قلقة ومتوترة لأنك سعيدة ومسرورة للغاية ، ولأنك من ذلك النوع الذى يقلق بشأن التفاصيل الدقيقة لاسيما وإذا كان الأمر مهماً ويستدعى القلق " .

ردت ستيلا قائلة : " إننى أريد فقط أن أبدو متميزة ، رائعة . ومن المؤكد أننى كنت مجنونة حينما قررت أن نقيم حفل الزفاف فى الحديقة بينما لم يكن العمل قد انتهى بعد ، والآن ليس لدينا وقت إلا من الآن وحتى حلول شهر أبريل للانتهاء من كل شىء " .

ردت روز قائلة : " وسوف تنجحين فى ترتيب الأمور ، فأنت ولوجان تعرفان جيدا ما يجب القيام به بخصوص كل شىء بالإضافة إلى أن كلا منكما يفهم الآخر جيدا " .

" أرجوكى ، كررى هذا الكلام على مسامعى كثيرًا " .

" يسعدنى ذلك . ما أخبار الأسعار ؟ "

" أربعة وثلاثين وخمسين . وخمسة وأربعين وخمسة وتسعين بالنسبة للحجم الكبير "

قالت روز : " سنحصل على هامش ربح جيد ، فمعظم النباتات تم إعدادها هنا " .

ردت ستيلا : " وسوف تُعجب الزبائن كثيراً ببضائعنا . فكيف لهم أن يجدوا نباتات بمثل تلك الخضرة فى أى مكان آخر ؟ دعينى أساعدك فى حمل بعض النباتات هذه إلى المخزن " .

قاما معاً بتحميل عربة مسطحة ، ثم انطلقا نحو المبنى الرئيسى . وحينما بدأت ستيلا فى ترتيب وتنظيم المخزون من النباتات توجهت إليها .

قالت روز : " اذهب الآن لتنهى الأعمال الكتابية فلن تنتهى من ذلك الأمر قبل ساعة على الأقل ، وسوف أقوم أنا بترتيب ذلك ريثما تعودين " .

ردت ستيلا قائلة : " لقد كنت أريد فقط أن نقوم بتجميع بعض من النباتات الصغيرة ، ونضعها هنا ، ثم نستخدم اثنين من تلك الموائد المثبت فوق سطحها قطع السيراميك " .

ردت روز : " سأتولى أنا هذا الأمر ، وريثما تعودين يمكنك أن تقومى بما ترينه من تعديل وتحسين " .

ردت ستيلا قائلة : " أعتقد أننا لو قمنا بوضع إحدى تلك الموائد الضخمة على واحدة من تلك الموائد المزخرفة بالحديد أمام الفناء ، ثم وضعنا عليها واحداً من تلك المصابيح النحاسية الصغيرة ، ثم وضعنا ذلك الإناء الطينى ذا الست عشرة بوصة المصنوع على شكل عصفور الجنة بجوار تلك المائدة ، أعتقد أن ذلك سيكون عرضاً رائعا للغاية " .

وفى هدوء قامت روز بتغيير النباتات المخزونة وترتيب النباتات الجديدة ، ولأنها كانت تدرك أن ستيلا كانت على صواب فقد قامت بتنظيم الموائد كما اقترحت ستيلا . وحينئذٍ سمعت صوتًا يناديها :

" لماذا أنت هنا يا روزاليند ؟ "

ولأنها كانت تعطى ظهرها باتجاه ذلك الصوت فقد استمرت فى العمل لبرهة قبل أن تدير وجهها إلى مصدر الصوت لترحب به قائلة :

" مرحباً سيسى " .

حيتها بالشكل التقليدى ، واقتربت منها بشدة ، ثم أخذت تتحدث معها لمدة ربع ساعة .

" تبدين جميلة للغاية يا سيسى . هل هذا فستان جديد ؟ "

ردت سيسى وهى تنظر إلى الفستان قائلة : " إنه ليس جديداً ، لقد أخرجته من خزانة ملابسى هذا الصباح " ، ثم استطردت بعد وقفة صغيرة : " لماذا كلما أراك أشعر بأن وزنك قد ازداد ؟ إننى حينما أراك أشعر بأنه يجب على أن أقوم بتمارين رياضية أكثر " .

ردت روز " ولكنك تبدين غاية فى الجمال يا سيسى " . لقد كانت حقا جميلة ، فقد كانت إحدى مهارات سيسيليا برات تتمثل فى تغيير شكلها باستمرار ، وشعرها الأشقر المتموج الجذاب المتدلى على وجهها الناضر الجميل ، وعينيها بلونهما البنى .

ومنذ أن رأتها روز توقعت أنها كانت فى حفل غداء للسيدات أو في اجتماع ثم مرت عليها كى تتجاذب معها أطراف الحديث قليلا .

فقد كانت سيسى مولعة بتبادل القيل والقال مع الآخرين .

بادرتها سيسى قائلة : " إنى حقا لا أدرى كيف استطعت الحفاظ على جمالى ، إننى منهكة للغاية . فالإجازة مليئة بالحفلات هذا العام ، ومنذ العيد لا أذكر أنى قد ارتحت قليلا . وقريبًا هناك حفل الربيع فى النادى ، هل ستحضرين هذا الحفل هذا العام يا روز ؟ إن الأمر سيكون رائعاً بحضورك " .

ردت روز قائلة : " لم أفكر فى ذلك الأمر بعد " .

ردت سيسى قائلة : " حسناً . فكرى بالأمر . وهيا لنجلس هنا لدقيقة ، فإننى منهكة للغاية ، ولا أستطيع أن أقف على قدمىَّ لدقيقة أخرى " . كانت منهكة للغاية فجلست على مقعد بالقرب من مائدة العرض التى أعدتها روز قائلة : " إن المكان رائع هنا ، إنى أشعر كما لو كنت جالسة فى حديقة استوائية ، سأذهب مع هانك إلى منتجع كايمانز الأسبوع القادم . إنى فى حاجة إلى قضاء فترة استجمام " .

انضمت إليها روز ، وجلست بجوارها على المقعد قائلة : " سيكون ذلك رائعا " .

ربتت سيسى برفق على يد روز قائلة : " وأنت أيضاً يجب أن تحصلى على إجازة يا عزيزتى فما أجمل الاستمتاع بالشمس والمياه الزرقاء ، والبحر ، وما عليك إلا أن تحجزى لنفسك تذكرة ، إنى قلقة عليك للغاية فأنت تحبسين نفسك فى هذا المكان ، وبالنسبة لأمر العمل فإن لديك إحدى الفتيات التى يمكنها أن تدير العمل هنا ، بالمناسبة أخبرينى : كيف حالها فى العمل معك ؟ "

ردت روز : " إنها تدعى ستيلا وهى تعمل معى منذ عام ، ولابد أن هذا دليل على توافقنا مع بعضنا البعض " .

ردت سيسى : " رائع ، عليك أن تغتنمى الفرصة وتهربى بعيدا لبرهة " .

" ولكن ليس هناك مكان أود الذهاب إليه " .

" حسنا سأحضر لك قائمة ببعض الأماكن التى يمكنك الذهاب إليها . وهذا هو ما سأفعله . ولا أعرف إن كان بإمكانى أن أمر عليك غدا أم لا ، وفى حالة عدم مجيئى سأكون إذن على الشاطىء . وحسنا فعلت حينما صرفت ذهنك عن حضور معظم الحفلات هذا العام بالرغم من أنى كنت حزينة لعدم حضورك حفل عشية عيد

الميلاد الذى أقامته جان . قد كان حفلاً جميلاً ولكن شتان ما بينه وبين الحفل الذى أقمته ، فلم تكن الزهور رائعة بما يكفى ، كانت زهوراً رديئة النوع ، أما مستوى الطعام فقد كان أقل من المتوسط وبالطبع لن أخبر جان بذلك ـ ألا تدرين أنها ستقوم بعملية شفط للدهون الأسبوع القادم ؟ "

" كلا " .

اقتربت سيسى منها ، وهمست فى أذنيها قائلة : " لقد أبقت الأمر سراً للغاية ، وقد توارد إلى مسامعى بعض الشائعات من هنا وهناك . لقد عدت للتو من حفل غداء معها ، وقد أخبرتنى بأنها ستقوم بقضاء أسبوع فى أحد المنتجعات بفلوريدا فى حين أن الجميع يعرف أنها ذاهبة لعمل شفط للدهون ، والمكوث فى منزلها لفترة من الوقت إلى أن تخدع الجميع مرة أخرى ، ولكنى أعتقد أنها ستحتاج إلى أكثر من أسبوع قبل أن تتمكن من السير مرة أخرى ، إنى لا أدرى كيف سيتحمل قلبها تلك العملية " .

ردت روز وهى تضحك : " إن خصرها يبدو ممتازاً لى ! " .

قالت سيسى : " إنها على علاقة الآن بمساعدها الذى يبلغ من العمر ثمانية وعشرين عاماً ، وهى لا تمانع فى ابتلاع السيليكون كى تحظى بإعجابه " .

" أتمنى ألا يكون هذا صحيحاً . فأنا أعلم أن علاقتها بزوجها وثيقة " .

ثم استطردت سيسى قائلة : " منذ متى ونحن أصدقاء يا روزاليند ؟ " .

ردت روز : " لا أدرى " .

ردت سيسى قائلة : " من الأفضل لنا ونحن فى مثل هذا العمر ألا نحصى عدد السنوات ، ولأننا نعرف بعضنا البعض منذ فترة

طويلة ، أريد أن أقول إننى لم أشعر بصدمة مثل تلك التى شعرت بها حينما دخل ذلك الوغد برايس كليرك إلى منزلك ليلة الحفل " .

ردت روز قائلة : " لا عليك يا سيسى فقد طردته " .

" وحسناً ما فعلت ، ولكنى لا أتخيل أن تقوم ماندى بذلك . إنها حقاً لعديمة الإحساس ، ولكن ذلك لا يبرر عدم محاولتك معرفة ذلك الرجل الذى سيكون بصحبتها قبل أن تأتى وهى ترافقه ، تتأبط ذراعه " .

ثم لوحت بيدها قائلة بنبرة صوت عالية : " لا أستطيع الحديث عن ذلك " .

ردت روز : " حسناً ، كفى . يجب أن أعود إلى العمل الآن " .

فقالت : " معذرة لأننى نسيت ، إننى أكون هكذا حينما أكون غاضبة ، لقد كان هناك يا روز فى حفل جان مع تلك الفتاة السخيفة الطائشة ، وكأن شيئاً لم يحدث . كان يحتسى الخمر ، ويرقص ، ويدخن السجائر فى الشرفة ، ويتحدث عن شركته ، لقد شعرت بغثيان من جراء ذلك " .

ثم استطردت قائلة : " رغم أنى عرفت من جان أنك قد أرسلت لها اعتذاراً عن الحضور إلى الحفل ، إلا أننى كنت قلقة للغاية من أن تغيرى رأيك وتذهبى إلى هناك ، ولم أكن أنا وحدى التى ذهبت إلى هناك ، وشعرت بنفس الشعور " .

ردت روز قائلة : " نعم إنى متأكدة من ذلك " . كانت روز على يقين من أن الجميع كان ينظر نحو الباب فى ترقب وانتظار لما سيحدث .

ثم استطردت روز قائلة : " إن جان لها الحق فى استضافة من تريده بمنزلها " .

ردت سيسى مستنكرة : " إنى لا أتفق معك فى هذا ، إنها مسألة ولاء ، أو على الأقل مسألة ذوق ، وسوف أتناول الغداء معها اليوم لأخبرها بذلك " .

وبينما استمرت فى حديثها أخرجت منديلاً من حقيبة يدها لتمسح أنفها قائلة : " وما كان من كويل " زوج جان " إلا أن أفسح لهما الطريق فهما يعملان معاً ؛ ولكن جان على ما يبدو لا تعرف شيئاً عن ذلك فهى ليست مثلك أو مثلى لتهتم بأمر العمل والمال " .

" ياه ! " كان هذا هو أفضل رد يمكن أن تقوله روز بشكل مهذب لسيسى ، فهى تعلم جيداً أن سيسى لم تعمل ليوم واحد فى حياتها .

أخرجت أحمر الشفاه كى تزين شفتيها قائلة : " ولكن إنصافاً لها ، فقد شعرت بغضب وخزى حينما تجاذبنا أطراف الحديث عن ذلك على الغداء . ولكن هناك بعضاً من الناس استمتعت بالحديث إليهم فى الحفل ، وهناك آخرون يشعرون بنوع من التعاطف نحو برايس ، فهم يعتقدون أنه قد تلقى معاملة سيئة منك ، بل أسوأ من ذلك فالبعض يقول إنك قد اشتبكت معه بالأيدى ليلة الحفل ثم قمت بطرده بينما كان يريد تسوية الأمر معك وبدء صفحة جديدة . وإنك قمت بعد ذلك بتهديده هو وتلك الفتاة السخيفة بالرغم من خروجها من المنزل . وبالطبع فى كل مرة أستمع إلى مثل هذه الأقاويل فإنى أفعل ما بوسعى كى أوضح لهم الأمر " .

ردت روز قائلة : " دعى الناس تقول ما تقول وتعتقد ما تعتقد ، فهذا أمر لا أهتم به " .

" حسناً ، ولكن بعضهم يعتقد بأنك لم تذهبى لحضور حفل جان وغيرها من الحفلات الأخرى لأنك كنت تعرفين أنه سيكون هناك بصحبة فتاة تقريباً فى نصف عمرك " .

ردت روز : " إنى حقاً لمندهشة كيف يمكن لأحدهم أن يقضى كل هذا الوقت ، ويشغل باله وفكره فى ردود أفعالى لشخص لم يعد يمثل جزءاً من حياتى ؟ إذا رأيت جان أخبريها ألا تقلق بشأن ذلك نيابة عنى " .

" والآن علىّ أن أعود إلى العمل . سررت بلقائك " .

نزلت سيسى من فوق المقعد ، ثم أرسلت فى الهواء قبلة إلى روز وهى تقول : " علينا أن نتناول الغداء معاً فى وقت ما يا عزيزتى . أرجو أن تقبلى دعوتى " .

" أتمنى لك رحلة سعيدة أنت وهانك فى منتجع كايمانز " .

" شكراً ، وسوف أرسل لك قائمة بأماكن يمكنك قضاء رحلة فيها " .

همهمت روز قائلة : " إنى بانتظارها " .

مشت فى الطريق المقابل غاضبة وحزينة لشعورها بالإهانة والتجريح ، وبدأت تخطو نحو مكان بذر البذور ولكنها تراجعت بعد أن قررت أن تسلك ذلك الطريق البعيد إلى المنزل .

لم ترد رؤية أحد أو التحدث معه ، ولكن ديفيد كان يلعب أمام المنزل مع طفلى ستيلا وكلبهما .

وحينما رآها الكلب أولاً هرع إليها وهو ينبح ، ثم وثب إلى ركبتها وهو يرحب بها .

وحينئذٍ انحنت نحو الكلب وهى تربت أذنيه قائلة : " ليس الآن يا باركر ، ليس هذا الوقت مناسباً " .

وجرى لوك نحوها قائلاً : " إننا نبحث عن كنز مدفون ولدينا الخريطة وكل الأدوات " . كان يضع على وجهه لحية سخيفة سوداء اللون تتدلى من أذنيه وتغطى نصف وجهه المنمش .

ردت فى عجب قائلة : " عن أى كنز تتحدثون ؟ "

" إننى القرصان ذو اللحية السوداء ، جافين هو لونج جون سيلفر أما ديفيد فهو الكابتن مورجان . يقول ديفيد إن الكابتن مورجان يمكنه أن يجعل الشمس مشرقة فى يوم سيىء . ولكنى لا أفهم هذا " .

ابتسمت وهى تداعب بيدها شعره كما كانت تفعل مع فراء الكلب ، وسألت مرة ثانية : " ما قصة هذا الكنز ؟ "

" إنها مفاجأة ، ولكن ديفيد ـ أقصد الكابتن مورجان ـ يقول إن لم نستطع نحن الأوغاد العثور على الكنز فسوف يقبض علينا القراصنة " .

ونظرت إلى جافين وهو يسير كالأعرج وقد ربط فى قدمه عصا المكنسة ، بينما كان ديفيد مرتدياً رقعة سوداء على عينيه وعلى رأسه قبعة كبيرة .

ثم قالت : " إذا كان الأمر كذلك فمن الأفضل أن تعثروا عليه " .

" ألا تريدين اللعب معنا ؟ "

" ليس الآن يا حبيبى " .

وجاء ديفيد قائلاً : " اعثر على الكنز وإلا شنقتك " .

ثم توجه إلى روز سائلاً : " ما الخطب يا عزيزتى ؟ "

هزت رأسها قائلة : " لا شىء ، مجرد صداع بسيط ، لقد عدت إلى المنزل مبكراً ، أتمنى ألا تكون قد دفنت شيئاً بالفعل ليبحثوا عنه . فأنا أكره أن أقوم بطردك " .

" نعم ، فقد علقت لعبة بلاى ستيشن هناك على طرف الفرع السفلى لشجرة الجميز " .

" إنك لشديد الذكاء يا كابتن مورجان " .

" أعرف تلك الحقيقة فلا يوجد أحد فى مثل ذكائى " ، ثم رفع يده وهو يشير إلى حيث علق اللعبة قائلاً : " لن يلاحظها أحد . ماذا بك ؟ وكيف تسيرين هكذا طوال الطريق بدون معطفك ؟ "

" لقد نسيته ، وأشعر بصداع فقد هجمت علىَّ سيسى برات وأخذت تثرثر " .

رفع تلك القماشة السوداء من فوق عينه قائلاً : " يوماً ما سينحشر لسانها فى حنجرتها ، هيا معى إلى الداخل ، وسوف أعد لك بعضاً من شراب الذى أجيده ، ثم أخبرينى بما حدث " .

ردت قائلة : " أعتقد أن ما أحتاج إليه قرصين من الأسبرين ، وأن أنام قليلاً ، هذا بالإضافة إلى أن كلينا يعرف جيداً أنه يجب عليك ألا تخيب آمال هؤلاء الأولاد هيا ، اذهب الآن يا كابتن " .

دخلت المنزل ، ثم صعدت مباشرة إلى الطابق الثانى ، وأخذت الأسبرين الذى وصفته لنفسها ، ثم ألقت بنفسها فى سريرها .

أخذت تسترجع كيف كانت تود أن تنهض قائمة وتصفعها على وجهها ، وأخذت تتساءل إلى متى ستظل تلك الأحاديث حول زوجها السابق تنغص عليها حياتها ؟

وأخذت تتخيل أمانى واهية بأنها لو كان لديها ذلك المبلغ الذى يقدر بخمسين ألف دولار الذى اختلسه من حسابها لتمكنت من تسديد ديونها ، وتدارك ما يمكن إدراكه .

وعلى أية حال قد ضاعت النقود كما أنه لا فائدة من الندم على قرارها الخاطىء بالزواج من ذلك الوغد ، فقد تم الزواج على أية حال ولا فائدة من أن تعاقب وتوبخ نفسها على تلك الغلطة .

وعاجلاً أو آجلاً سيقع فى مشكلة لا محالة فقد أخطأ في اختيار تلك المرأة ، ولا شك فى أنه سيخرج فى صمت تاركاً ممفيس ويبتعد عنها .

وفى النهاية سيجد الناس شيئاً ما وشخصاً ما آخر غيرها يتناولونه فى أحاديثهم دائماً .

وشرعت فى التخيل كيف استطاع أن يقنع الجميع بأنها قامت بطرده والاعتداء عليه في منزلها . إنها لم تقابل أحداً فى مثل مهارته فى الكذب .

إنها لن تدافع عن نفسها ، فدفاعها عن نفسها هو غاية ما يبغيه ، ولكنها ستفعل كما فعلت من قبل ، ستنأى بنفسها بعيداً عن تلك الأحاديث ، وتلك الشائعات . وستعود إلى حياتها مرة أخرى لتعيشها كما تريد .

أغلقت عينيها ولم تتوقع أن تنام ، ولكنها انحرفت بذهنها لتتخيل أنها تجلس على مقعد فى حديقتها وهى تستنشق الهواء المعبق بعبير الزهور .

يمكنها أن ترى المنزل الرئيسى وتلك الأوانى بألوانها الزاهية وما فيها من أزهار وورود رائعة قد زرعتها فى تلك المزهريات التى جهزتها ووضعتها فى الشرفات .

كانت تستنشق عبر الورود البيضاء التى زرعتها إجلالاً وتقديراً منها لجون .

ونادراً ما كانت تذهب إلى قبر جون وإنما كانت تذهب إلى تلك الورود .

وأخذت تنظر إلى الورود والأزهار وإلى تلك الحديقة التى تعد فيها الشتلات ، وإلى تلك الطرقات والممرات التى تتخللها الزهور

والأشجار ، وإلى تلك البقعة التى أراد برايس أن يحفر فيها حماماً للسباحة .

لقد تشاجرت مع ذلك المقاول الذى استأجره رغماً عنها .

وتذكرت ما قالته لذلك المقاول بأنه لو حفر شبراً واحداً فى أرضها فسوف تستدعى الشرطة .

أما مع برايس فقد كانت أقل صبراً وهى تذكره بأن المنزل والحديقة من ممتلكاتها وعلى أية حال فقد قامت بطرده والتخلص منه ، ألم تفعل ذلك ؟

ولكنه عاد ثانية يعتذر ويحمل إكليلاً من الورود .

وأخذت تذكر نفسها أن بقاءها وحيدة هو الحل الأفضل ، بينما صوت عقلها الباطن يقول لها : لقد شيدت كل هذا بمفردك ، وقد ارتكبت غلطة ذات مرة ، وانظرى كم تدفعين ثمنها ولا تزال تكلفك الكثير فلا ترتكبى خطأ آخر .

" لن أرتكب خطأ آخر ، مهما حدث لن أخطىء ثانية " .

وارتفع صوت عقلها الباطن : " الوحدة أفضل ، إنى وحيدة " .

وتخيلت روز للحظة واحدة أنها رأت امرأة ذات ثياب بيضاء ملطخة بالطين ترقد فى قبر مفتوح ، وفى تلك اللحظة فقط اشتمت رائحة الموت تحت الورود .

ثم فتحت المرأة عينيها وهى تحدق فى عينى روز بشدة .

الفصل التاسع



دخلت روز إلى المنزل هرباً من المطر المتجمد ، خلعت معطفها وجلست على مقعد فى الردهة لتخلع حذاءها ، وحينئذٍ دخل ديفيد وجلس بجوارها ، ثم أعطاها كوباً من القهوة .

قال ديفيد : " إن الدكتور دليش فى المكتبة " .

" نعم ، لقد رأيت سيارته " ، ثم أخذت تحتسى القهوة ممسكة بالفنجان بكلتا يديها لتستمد منه الدفء .

وقال ديفيد : " إن هاربر هناك يجرى معه مقابلة ، أما نحن فقد أجرينا مقابلاتنا قبله . ونحن نتناول كعكة من التفاح " .

" كعكة من التفاح ؟ "

" لقد ادخرت لك قطعة كبيرة منها ، فأنا أعرف أن صحتك ضعيفة " ثم استطرد قائلاً : " يقولون إن المطر ربما يتحول إلى جليد " .

قالت : " وهكذا سمعت أيضاً " .

قال : " لقد ذهبت ستيلا مع الأولاد إلى منزل لوجان ، ستتناول الغداء هناك ، بينما يتمنى الأطفال أن تمطر السماء جليدا ليقضوا الليل هناك " .

قالت : " رائع ، إنى بحاجة إلى أن آخذ حماماً دافئاً " .

أخذ منها فنجان القهوة قائلا : " أعتقد أنه ربما تودين أن تطلبى من البروفيسور الوسيم أن يبقى ليتناول الغداء معنا . إننى أعد دجاجة ، وزلابية كى نشعر بالدفء " .

قالت : " بخصوص الدجاجة فهى فكرة رائعة ، أما بخصوص ميتش فعلى الرحب والسعة أن يبقى إن كان يود ذلك ، وإن لم يكن لديه خطط أخرى " .

رد ديفيد فى ثقة قائلاً : " ليست لديه خطط أخرى فقد سألته " .

نظرت إليه قائلة : " بمن تريد أن تجعله يتوافق يا ديفيد ؟ أنا أم أنت ؟ " .

رد قائلاً : " تبدين رومانسية للغاية " .

همت فى الانصراف ، ثم شعرت بالخجل حينما قال : " ارتدى ثوباً يبعث على الإثارة " .

كان هاربر فى المكتبة يحتسى الشراب الذى اعتاد تناوله بعد العمل ، وقد بدا له أنه لن يستطيع أن يخبر ميتش بأكثر مما يعرفه بالرغم من أنه قد أجاب عن كل الأسئلة ، وفسر كل الأمور المتعلقة بوالدته ، وديفيد .

وابتدره ميتش قائلاً : " لقد أخبرنى ديفيد عن تلك الليلة حينما رأيتموها فى الحديقة ، وكنتم لاتزالون أطفالاً " .

هز هاربر كتفه موافقاً وهو يقول : " نعم رأيناها فى تلك الليلة حينما كنا نعسكر فى الخلاء ، وكان معنا ديفيد وإخوتى " .

" يقول ديفيد إنك قد رأيتها أولاً ثم أيقظته " .

هز هاربر كتفه قائلاً : " لقد رأيتها وسمعت صوتها وشعرت بها ، وقد أيقظته غير أنى لا أستطيع أن أتذكر وقت حدوث ذلك بالضبط ، ولكن الوقت كان متأخراً ، فقد سهرنا لفترة طويلة ونحن نقص قصصاً مخيفة لنرعب بعضنا البعض ، ثم سمعت صوتها ، ولكن لا أعرف كيف عرفت بالضبط أنه صوتها ولم يكن كغيره من المرات السابقة " .

" وماذا كان مختلفاً فيه ؟ "

" لم تكن تغنى ... وإنما كانت تنوح بتلك الأصوات المزعجة . كانت أشبه بأصوات شبح فى ليلة حارة مقمرة . فنظرت حولى فوجدتها مختلفة عن ذى قبل " .

وأعجب ميتش بشجاعته حينما قرر أن ينظر إليها بدلاً من أن يدفن رأسه تحت وسادته ، ثم قال : " وكيف كانت تبدو ؟ "

أخذ رشفة من الشراب ثم قال : " كانت ترتدى ثياباً بيضاء أو شيئاً من هذا القبيل تماماً كما كانت تبدو فى الربيع الماضى حينما ظهرت بالطابق الثانى . كان شعرها متموجاً ومتدلياً على وجهها . ويتخللها ضوء القمر " .

فأيقظت ديفيد وأوستين وماسون ، وطلبت من أوستين أن يبقى مع ماسون ؛ ولكن لم يكن هناك وقت فخرجنا جميعاً نقتفى أثرها " .

وأخذ ميتش يتخيل ذلك المشهد ، مجموعة من الصبية تحت ضوء القمر ، وفى أيديهم كشافات والجو صيفى حار ، وهناك شبح يتجول وسط الحدائق .

واستطرد هاربر قائلاً : " كانت تمشى فوق زهرة الربيع الخاصة بأمى ، وفوق النباتات الأخرى ، وكنت رابط الجأش

بالرغم من ذلك الضجيج الذى كانت تحدثه وكأنه عويل ونحيب أو شىء من هذا القبيل . كانت تنطق بكلمات غير مفهومة وهى فى طريقها إلى المرآب ثم استدارت ونظرت خلفها ، كان وجهها مثل ذلك الوجه الذى ظهرت به فى الربيع الماضى ، كانت تبدو كالمجنونة ، تبتسم لكنها كانت مخيفة ومرعبة . وحينما نظرت إلىّ ونظرت خلفى شعرت ببرودة فى الجو ، ثم استدارت واستأنفت السير وأنا أتبعها " .

" هل تبعتها ؟ هل اقتفيت أثر شبح مجنون ؟ من المؤكد أنك كنت مرعوباً ؟ "

" كلا لم أكن مرعوباً إلى تلك الدرجة ، فقد كنت رابط الجأش مستمتعاً بالأمر ، فقد كنت أريد أن أعرف حقيقتها . ولكن ماسون أخذ فى الصياح فشعرت بالخوف فقد ظننت أنها قد نالت منه ، وكان غباءً منى أن أظن ذلك فقد كانت أمامى بينما كان ماسون خلفى ، ورجعت أجرى إليه فوجدت قدميه تنزفان ، وهرع أوستين إلى الخيمة كى يحضر شيئاً نوقف به نزيف الدم فلم نكن نرتدى شيئاً سوى سراويل ، وحاولت أنا وديفيد أن نحمله كى نعود به وحينئذٍ جاءت أمى تهرول إلينا " .

ضحك حينئذ وهو يغمز بعينه إلى ميتش ثم قال : " آه لو رأيتها وهى ترتدى الشورت والـ " تى - شيرت " وشعرها الطويل ينساب على ظهرها وهى تهرول ، وفى يديها مسدس لأحد أجدادى ، أتدرى لماذا ؟ لأنه لو كان هناك شبح يتعقبنا لأخرجت مسدسها وأردته قتيلاً ، ولكن حينما رأت ما حدث وضعت المسدس فى جرابها ، والتقطت ماسون ثم أمرتنا أن نرتدى بعض الملابس ، وانطلقنا جميعاً بالسيارة كى نسعف ماسون " .

وحينئذٍ دخلت روز المكتبة قائلة : " لم تخبرنى من قبل بأنك قد رأيت المسدس " .

" لم أقل ذلك لأنى ظننت أنك لم تريدى أحداً أن يعرف ذلك " .

فمشت نحوه ، وقبلته على جبهته قائلة : " ولم أريدك أن تعرف أنت أيضاً ، ولكنك ترى الكثير من الأشياء " . ثم توجهت إلى ميتش قائلة : " هل قاطعتكما ؟ "

رد ميتش قائلاً : " كلا ، يمكنك أن تجلسى ولو لدقيقة . لقد استمعت إلى هذه القصة من شخصين مختلفين ، وأريد أن أسمعها منك إن لم يكن لديك مانع " .

ردت قائلة : " وليس لدى الكثير لأقوله . لقد أراد الأولاد أن يناموا بالخارج فقد كان الجو شديد الحرارة كالجحيم بالإضافة إلى أنهم كانوا يحبون نصب الخيمة ، وأردت أن أبقى عينى عليهم فتركت الباب مفتوحاً " .

فاعترض هاربر قائلاً : " ولكننا لم نبعد كثيراً فقد كنا فى الفناء ، فهل ذلك كان سيسبب مشكلات كثيرة ؟ "

ردت روز قائلة : " نعم ، وقد أثبتت الأحداث ذلك ، وقد حالفنى الصواب حينما أبقيت عينى عليكم طوال الليل . وحينما خلدوا إلى النوم ذهبت كى أنام أنا الأخرى ، ولم يوقظنى سوى صراخ ماسون فأخذت مسدس والدى الذى كنت أحتفظ به آنذاك قريبا من مخدعى ، والتقطت الرصاصات من صندوق الحلى الخاص بى ، ثم حشوت المسدس بها وانطلقت . وحينما وصلت إلى هناك كان هاربر وديفيد ينقلان ماسون فى عربة تجرها الخيل بينما قدماه تنزفان . كانا يتحدثان معا فى وقت واحد فأمرتهما أن

يلتزما الصمت ، وأخذت ماسون إلى الداخل لأنظف له جرحه ، ثم انطلقنا نحو المستشفى لإسعافه " .

هز ميتش رأسه ، ثم نظر قائلاً : " ومتى ذهبتم إلى المرآب ؟ "

ابتسمت قائلة : " لقد ذهبت إلى هناك عند أول ضوء للصبح ، فقد استغرقت طوال هذا الوقت أهدىء من روعهم " .

" وهل أخذت معك المسدس ؟ "

" نعم أخذته معى فإن ما رواه كان فى واقع الأمر أكثر مما تصوره " .

فاعترض هاربر قائلاً : " لقد كنت وقتها كبيراً مما يكفى للذهاب معك ، ما كان لك أن تخرجى بمفردك " . حكت رأسها برأسه قائلة : " لقد كنت أنا المسئولة ، وعلى أية حال فلم يكن هناك شىء ، وأعتقد أنه لم يكن هناك شىء حقيقى " .

" وماذا كان ذلك فى رأيك ؟ "

" لقد كان الجو هناك بارداً على غير العادة ، كان المناخ أشبه بالميلودراما ، ولكنى شعرت بالموت يحيط بى وقد جبت المكان كله ولم يكن هناك شىء " .

" ومتى تحول المكان هكذا ؟ "

أغلقت عينيها وهى تفكر ثم قالت : " عند نهاية القرن العشرين . لقد كان ريجنالد هاربر معروفاً بشغفه فى اقتناء الأشياء الحديثة . وقد كانت السيارات أحد تلك الأشياء التى شغف باقتنائها ، وقد كان يركن سيارته فى المرآب لفترة من الوقت . ثم اعتاد بعد ذلك أن يركن السيارات فى الإسطبل ، وبعد ذلك تم تحويل المرآب إلى حجرة تشبه المخزن بينما كان البستانى يعيش فى الطابق الثانى . وأعتقد أنه فى القرن العشرين تم تحويل ذلك المخزن إلى حجرة لاستقبال الضيوف " .

" إذن فمن غير المحتمل أن تكون قد أقامت هناك ، أو حتى زارت البستانى لأن هذه التواريخ تأتى بعد الحالات الأولى لرؤيتها . ولكن ما الذى كان يُحفظ بالمكان حينما كان يستخدم كمرآب ؟ "

" كانت تحفظ به تلك العربات الخفيفة ذات المقعد الواحد والتى يجرها جواد ، وكذلك بعضِ الأدوات على ما أعتقد " .

" ولكن هذا المكانِ يعتبر غريباً بالنسبة لها كى تذهب إليه ".

علق هاربر قائلا : " إنى أشك أن تكون قد ماتت هناك " .

ثبت ميتش نظره عليه وقال " هل مررت بأية تجارب هناك ؟ " .

" لا ، فهى تبتعد عن الأطفال بمجرد وصولهم إلى سن معينة . انظرا إنها تمطر ثلجًا " .

نظر من النافذة ثم توجه إلى ميتش قائلاً : " هل تحتاج شيئاً آخر منى ؟ "

" ليس الآن ، شكراً على وقتك " .

هزت روز رأسها وهو يمشى خارجاً ثم قالت : " سيذهب للتو إلى الخارج كى يأتى ببعضِ كرات الجليد ليرمى بها ديفيد ، هناك بعض الأشياء لا تتغير أبداً . وبمناسبة الحديث عن ديفيد ، إنه يقوم الآن بطهى دجاجة وزلابية إن كنت تود البقاء " .

رد قائلا : " وهل من رجل عاقل يرفض الدجاج والزلابية ؟ على أية حال فقد قمت ببعض الإنجازات ، وها أنا سأنتهى قريباً من البحث فى بقية أولئك الذين اعتقدنا أنهم قد يكونون إميليا " .

أخذت تنظر إلى الصور والمخططات والملاحظات ثم قالت " وحينما تنتهى من ذلك ماذا ستفعل ؟ " .

توجه إليها قائلاً : " سأبدأ فى البحث عن منظور مختلف . ما رأيك فى كرة السلة ؟ "

فقالت : " عما تتحدث ؟ "

فقال : " عن الذهاب لحضور مباراة ، فأنا معى تذكرة إضافية لحضور المباراة التى سيلعب فيها فريق ابنى مساء غد ، فهل تأتين معى ؟ "

" إلى مباراةِ كرة سلة ؟ "

ابتسم قائلاً : " ستقابلين العديد من الناس هناك ، إنها متعة ذات طابع خاص ، ويبدو أن الذهاب لحضور مباراة كرة السلة سيكون بمثابة مكان جيد نبدأ منه فربما تميلين أكثر إلى الدعوات ذات الطابع الاجتماعى أكثر من تلك التى تحتوى فقط على وجبة عشاء لاثنين ، ولكن إن كنت تفضلين العشاء فسأكون جاهزا بعد غد ليلاً " .

" أفضل مباراة كرة السلة " .

جلست ليلى فى حجرة روز وهى تلعب بأزرار هاتفها اللعبة ، بينما كانت هايلى واضعة رأسها بداخل خزانة الملابس .

ثم قالت بصوت مكتوم وهى تنبش بيدها وسط الملابس : " جربى ظل الجفون هذا يا روز ، أعرف أن لونه لا يناسبنى ، كنت أعرف ذلك عندما اشتريته ، ولم أستطع أن أمنع نفسى من شرائه . ولكن سيكون رائعاً عليك . أليس كذلك يا ستيلا ؟ "

ردت ستيلا : " نعم ستبدو رائعة عندما تضعه " .

واعترضت روز قائلة : " إن لدى أدوات تجميل تكفى لثلاث نساء " . قالت ذلك وهى تحاول التركيز على استخدام مستحضرات التجميل .

وهنا أخرجت هايلى البنطال الذى أشار ديفيد على روز بشرائه ، والذى ولم ترتده سوى مرة واحدة .

ثم قالت فى دهشة : " يا إلهى . هل يجب أن ترتدى هذا ! "

ردت روز رافضة : " كلا ، لا يروق لى " .

أمسكت هايلى بالبنطال وهى تلوح به إلى ستيلا قائلة : " هل تمزحين يا روز ؟ انظرى إليه يا ستيلا " .

ردت روز : " إنه ضيق للغاية لا يمكننى أن أدخل فيه " .

ردت هايلى : " بلى يمكنك أن ترتديه ، إنه مصنوع من قماش مطاط . أتعرفين تلك السترة التى أهديت لى فى الكريسماس ؟ تلك السترة التى أعطاها لى ديفيد ستكون رائعة مع هذا البنطال " .

ردت روز : " ارتد أنت تلك الملابس إن كانت تروق لك " .

ردت هايلى : " كلا ، بل سترتدينها أنت ، اعتن بالطفلة ريثما أعود بالسترة " .

ردت روز : " لن أرتدى سترتك فلدى الكثير منها ، إنها ليست إلا مباراة كرة سلة " .

ردت هايلى : " ليس هناك سبب يمنع من أن تبدين رائعة الجمال " .

قالت روز : " سأرتدى (جينز) " .

ألقت هايلى بنفسها على السرير بجوار ستيلا ثم قالت فى ضجر : " إنها عنيدة للغاية " .

ردت روز قائلة : " حسناً سأستخدم ظل الجفون ذلك " .

قالت هايلى وهى تنقر روز فى ظهرها قائلة : " هل لى أن أختار قرطاً لك ؟ "

أدارت روز عينيها فى المرآة إلى هايلى قائلة : " هل لك أن تتوقفى عن النقر فى ظهرى ؟ "

وأخذت هايلى تنتقى القرط من علبة الحلى الخاصة بروز ثم قالت : " ما الذى سترتدينه بأعلى ؟ "

ردت روز : " لا أدرى ، ربما أرتدى سترة " .

فقالت ستيلا : " ما رأيك لو ارتديت الكشمير الأخضر وذلك المعطف الجلدى الأسود ؟ "

نظرت إليها روز قائلة : " حسناً ، أعتقد أن ذلك سيبدو رائعاً " .

واستدارت هايلى إلى ستيلا قائلة : " وماذا عن الحذاء ؟ "

قالت ستيلا : " أعتقد أن الحذاء الجلد الأسود ذا الكعب القصير سيكون رائعاً " .

ردت هايلى : " حسناً ، أحضرى أنت الحذاء وسأحضر أنا السترة و ... "

وحينئذٍ قاطعت روز حديثهما قائلة : " كفى ، يمكننى أن أتولى بنفسي بقية ذلك " . ثم انحنت لتقبل ليلى قائلة : " هيا لتلعبا بعيداً عنى الآن " .

فقالت ستيلا وهى تجذب هايلى إلى الخارج : " هيا بنا يا هايلى قبل أن تغير رأيها ، وترتدى ملابس العمل فى الحديقة كى تغيظنا ، وحسناً فعلت أن رضيت باستخدام ظل الجفون " .

كانت روز تعرف جيداً كيف تستخدم ظل الجفون هذا ليضفى عليها مسحة من الجمال . وكم كان لديها الكثير من الوقت قبل ذلك كان يمكنها استغلاله فى الاهتمام بمظهرها حينما كانت فى حاجة إلى القيام بذلك . وفى الوقت نفسه كان مفيداً لها أن تعيش مع نساء أصغر منها فى المنزل لتسألهن النصيحة والمشورة عند ارتداء ملابسها .

وذهبت إلى خزانة ملابسها وفتحت الدرج الأوسط حيث تحفظ ستراتها به ، كانت تحب تلك الملابس المصنوعة من الكشمير والقطن والحرير .

وأخرجت فستاناً ذا لون أخضر غامق مطوياً ثم قامت بفرده .

وانقلب الجو فجأة بالحجرة إلى برد بعاصفة خفيفة مما جعلها ترجع خطوة إلى الوراء ، ثم تجمدت مكانها حينما طارت السترة من بين يديها مرتطمة بالحائط ، ثم وقعت السترة على الأرض .

وكادت أن تقع هى الأخرى على الأرض ، ولكنها تمالكت نفسها ومشت ببطء نحو السترة على وجل ، واستجمعت قواها كى تبقى هادئة متماسكة :

قالت بصوت عال : " حسناً ، إنها حقًّا لحقارة منك أيتها المسكينة الحقيرة . لقد كنت مولعة حقا بتلك السترة ، ولكن ذلك لن يؤثر فى " .

ثم استشاطت غضباً فنظرت حولها فى ترقب لترى شيئاً أو شخصاً ما كى تتشاجر معه قائلة : " على أية حال إن لدى الكثير من الملابس ، وإن كنت تفكرين فى تكرار ذلك مع بقية ملابسى فسوف أخرج من هنا حتى ولو عارية قبل أن تعوقينى بابتزازك هذا . فلتذهبى لتنفثى عن غضبك فى مكان آخر غير هذا " .

ألقت روز بالسترة على سريرها ، ثم عادت إلى خزانة ملابسها ، والتقطت سترة بشكل عشوائى ، ووضعتها على رأسها بينما أصابعها ترتعش من فرط الغضب والتوتر وهى ترتدى (الجينز) ثم صاحت فى غضب : " لا أحد يملى علىّ ما أقوم به ، عليك أن تعى ذلك جيداً وسوف أقيم علاقة معه فقط كى تشتاطى غيظاً " .

ارتدت ملابسها ولبست حذاءها ، ثم سحبت المعطف الجلدى وهى تحدث نفسها بألا ترتطم بالباب ، ثم تواردَ إلى ذهنها أنها هى وميتش سيجدان ما يتحدثان عنه أثناء المباراة .

وحينما انطلقت هى وميتش بعيداً عن هاربر هاوس نظرت إليه قائلة .

" هناك شيئان أريد أن أخبرك عنهما ، لذا فمن الأفضل أن نضع الحديث عن العمل جانبا لبضع ساعات " .

فسألها : " هل حدث شىء ما ؟ " .

" نعم ، أولاً تعرضت إلى مقابلة مستفزة أثناء عملى مع أحد معارفى ، والتى لا يفوقها أحد فى الثرثرة لأكثر من عشرين عاما " .

رد قائلاً : " يا له من رقم قياسى " .

ثم أكملت : " والعجيب أنها فخورة بذلك . لقد تحدثت عن زوجى ، هذا الأمر فى حد ذاته لا يعنينى غير أنها تعمدت مضايقتى مما سبب لى صداعاً عصبياً ، فذهبت إلى المنزل وتناولت بعضا من الأسبرين لأحصل على قسط من الراحة ، ولكن فى مخيلتى أصبحت وكأنى فى الحديقة جالسة على مقعد فى الظل ، وكأن ذلك فى نهاية الربيع " .

" وكيف عرفت أن ذلك كان وقت الربيع ؟ "

قالت : " كان الوقت وكأنه فى أواخر الربيع ، أوائل شهر يونيو ، عرفت ذلك من خلال النباتات والزهور التى كانت مزهرة ، ثم أصبح الجو بارداً " .

ثم أخبرته بكل صغيرة وكبيرة .

" هذا لم يكن حلمًا ، فلم أكن نائمة " . ثم لوحت بيدها قائلة : " أعلم أن الكثير من الناس يرون أحلاماً ويخيل إليهم أنهم

لم يكونوا نائمين ، ولكنى كنت مستيقظة ، لم أكن نائمة ، لقد أخذتنى بخيالى إلى هناك فشعرت بالبرد ، وشممت عبير الزهور وشعرت بالهواء ، وطوال كل ذلك الوقت كنت أعى بجانب آخر من عقلى بأنى كنت فى حجرتى ، على سريرى ، أعانى من الصداع " .

قال : " لقد كنتِ مشوشة " .

قالت : " بالضبط . كنت مشوشة ومتضايقة فإنى لا أحب أن يوجه أحد أفكارى . وحينما نظرت إلىّ وفتحت عينيها فى ذلك القبر شعرت بنظرتها ، وكأن فيها ... الحب ، إنها لم تؤذينى قط ، ولم أشعر يوماً أنها ستؤذينى إلا الليلة " .

وحينئذٍ توقف بالسيارة فجأة على جانب الطريق ، وتحول ذلك الهدوء الذى كانت تراه فيه وتشعر به ـ تحول ذلك الهدوء إلى غضب شديد وهو يقول : " ماذا تعنين ؟ هل قامت بمهاجمتك ؟ " .

قالت : " لم تعتد على وإنما على سترة جميلة من الكشمير كنت قد حصلت عليها كهدية عيد ميلاد وبالرغم من أنى لم أرتدها منذ نوفمبر إلا أنى لا أزال غاضبة للغاية لإتلافها " .

سألها : " أخبرينى عما حدث بالضبط " .

" إنها لا تريدنى أن أخرج معك " .

نظر إليها ثانية ثم قال : " ولكن لماذا لا تريد منى أن أخرج معك ؟ " .

" قلت لها بأنى سأخرج وأنى أفعل ما أقول . يمكنك أن تقول بأنى قلت ذلك حينما أغضبتنى وأثارت حنقى ، بالإضافة أيضاً إلى أنى أردت أن أرى هل ستروقنى صحبتك من الناحية الاجتماعية أم لا " .

" إنك صريحة للغاية " .

" نعم ، وهذا يضايق البعض " .

" ولكنى لست أحدهم ، معذرة بشأن السترة " .

" وأنا كذلك حزينة عليها " .

" يمكننا أن نتخيل بأن ... "

قاطعته روز قائلة : " يمكننا ذلك ولكن ليس الآن ، لم لا نتحدث عن شىء آخر إلى أن يحين وقت الحديث عن العمل مرة أخرى ؟ " .

" بالطبع ، ماذا تفضلين أن نتحدث عنه ؟ " .

قالت : " كبداية أود أن أسأل : إلى متى ستظل واقفاً بالسيارة هنا على جانب الطريق ؟ وهل سنتأخر كثيراً عن موعد مباراة ابنك ؟ " .

انطلق بالسيارة إلى الطريق مرة أخرى ثم قال : " حسناً ماذا لو أخبرتك بأنى قد عثرت على سيدة تقوم بأعمال التنظيف " .

قالت : " حقاً ؟ " .

قال : " لقد عرفتها عن طريق أصدقائى ، وهى تقوم بترتيب وتنظيم كل شىء ، بالإضافة إلى أنها تُعد لى قائمة بالأشياء التى علىّ شراؤها . إنها تقول لى إنى يجب أن أحصل على نبات أخضر ، أعتقد أن ذلك يتعلق بالجانب الصحى أو بشىء من هذا القبيل . وإنى لأتساءل إن كان بإمكانى الحصول على ذلك النبات الذى أخذته من عندى الربيع الماضى " .

قالت : " أتقصد ذلك النبات الذى كنت تتلفه ؟ " .

قال : " لم أكن أعرف ذلك ، لم أكن أعرف حتى بوجوده هناك " .

قالت : " إن الإهمال عن دون قصد هو أيضاً إهمال " .

قال : " يا إلهى . أتريدينني أن أقسم لك بأنى ساعتنى به ؟ ولكن في الحقيقة هي التى ستعتنى به مرة كل أسبوعين على الأقل . أما أنت فيمكنك متابعته بزيارتنا " .

ردت : " سأفكر فى هذا الأمر " .

وحينما وصلا إلى الصالة كانت ممتلئة عن آخرها بالجماهير التى تهمهم بقوة قبل المباراة . وشقا طريقهما وسط الضوضاء والإثارة إلى المقاعد الخاصة بهما بينما كان الفريقان يؤديان مرانا فى الملعب .

فقال : " ها هو جوش ، يرتدى القميص رقم ٨ " .

نظرت إلى الفتى الطويل بقميصه الأبيض المقلم بالأزرق وهو يتقدم نحو الأمام ليبعد الكرة عن مرماه .

قال : " لقد كان يلعب لفريق NBA ، وسوف ينتقل إلى نادى سيلتكس العام القادم ، على أية حال إنه يلعب فى نقطة الارتكاز وهو المركز الذى يوجه منه هجوم الفريق " .

" من الواضح أنك فخور به للغاية " .

كانت تستمع إليه وهى تحتسى الشراب الذى اشتراه لها بينما أخذ يقرأ فى كتيب صغير عن مصطلحات كرة السلة وتوضيحاتها .

كانت تستمتع بالأضواء المتحركة فى أرض الملعب ، وبصدى أصوات الجماهير ، وبصوت الكرة حين ترتطم باللوح الخشبى .

وبين حين وآخر كان ميتش ينحنى قريبا منها كى يوضح لها خطة ما ، أو لعبة ما إلى أن نهضت واقفة مع جماهير ممفيس استهجانا لكرة ضائعة وقالت " هل يحتاج هؤلاء الحكام إلى عملية جراحية فى أعينهم ؟ " .

وحينما جلست ثانية ، حك ميتش ذقنه قائلاً : " حسناً ، هناك شيء من اثنين : إما أنى مدرس ممتاز ، أو أنك تفهمين فى لعبة كرة السلة " .

ردت قائلة : " إن لدى ثلاثة أبناء ، لذا فأنا أعرف وأفهم فى كرة السلة وكرة القدم والبسيبول ، وفى وقت ما كنت أعرف الكثير عن مصارعة المحترفين ، ولكنهم قد توقفوا عن متابعتها " ، ثم التفتت إليه قائلة : " ولكنك أمضيت وقتاً رائعاً وأنت تعلمني ، لم أحب أن أقطع عليك ذلك " .

رد قائلا : " شكراً ، أتريدين بعض الفيشار ؟ "

قالت : " لا مانع " .

كانت سعيدة للغاية لاسيما حينما نظر جوش إلى أبيه وسط الجماهير ، ثم زادت سعادتها بينما نظر إليها هى الأخرى ، ثم عاد ونظر إلى والده رافعاً يده لأعلى .

وحينما وصلت المباراة إلى نهايتها بفوز فريق ممفيس على أولى ميس ربيلز بفارق ثلاث نقاط أدركت أن هذه التجربة كانت تستحق خوضها .

ثم توجهت إلى ميتش سائلة : " أتريد الانتظار لتهنئة ابنك ؟ "

" كلا ، ليس الليلة ، فلا يزال أمامه أكثر من ساعة قبل أن يخرج من غرفة الملابس . ولكنى أود أن تقابليه فى وقت آخر " .

قالت : " يسعدنى ذلك ، لقد كان رائعاً وقد أعجبت كثيراً بحماسته ، يمكنك أن تقول إنه يعشق كرة السلة " .

" نعم ، إنه يعشقها منذ أن كان طفلاً صغيراً " .

ثم طوقها ميتش بذراعه كى يساعدها فى الخروج وسط الجماهير المنصرفة .

ثم قالت : " سيكون الانتقال إلى بوسطن أمراً صعباً عليك وعليه " .

قال : " إنه طالما أراد ذلك . إن جزءاً منى يريد أن يذهب معه ، ولكن عاجلاً أم آجلاً علىّ أن أسمح له بالذهاب إلى بوسطن " .

قالت : " حينما ذهب ابناى الاثنان الصغيران للعيش بعيداً عنى شعرت بأن ذلك يقتلني " .

رفع ذراعيه عنها آخذا بيدها فى طريقهما إلى مكان انتظار السيارات قائلاً : " هل لى أن أدعوك إلى وجبة طعام ما بعد المباراة ؟ "

قالت : " لا أستطيع الليلة ، فعلىّ أن أبدأ العمل غداً مبكراً ، شكراً جزيلاً لك " .

قال : " إذن لنتناول العشاء غداً " .

نظرت إليه قائلة : " معذرة ، إن لدى اجتماعاً غداً ، ولأسباب شخصية لا يمكننى أن أفوته " .

" إذن بعد غد " .

" أعتقد أنى مشغولة أيضاً بعد غد ، ولكن يمكنك أن تتناول الغداء معي بعد يومين ، ولكن أحذرك لأنى سأكون بالمطبخ لإعداد الطعام ، لأن ديفيد سيكون فى إجازة " .

قال : " هل تطبخين ؟ "

قالت : " بالطبع ، ولكن حينما يكون ديفيد بالمنزل فإنه لا يسمح لى بالطهى ، ومع ذلك فإنى طاهية ماهرة " .

قال : " ومتى سيكون وقت العشاء ؟ "

ضحكت قائلة : " لنجعله فى السابعة " .

الفصل العاشر



لقد كان بمقدور هاربر أن يقضى ساعات كثيرة يومياً فى حجرة التطعيم دون أن يشعر بملل أو افتقاد صُحبة الآخرين ، فلم يكن يمل أبداً من النباتات التى يعمل معها سواء كان يقوم باختراع أسلوب جديد ، أو تجربة أسلوب آخر فقد كان ينشغل بالعمل الذى يعشقه .

كان أيضاً يستمتع بالعمل الخارجى " خارج حجرة التطعيم". وقد اختار بالفعل تلك الأشجار التى ينوى تطعيمها ، وسيحتاج إلى يوم أو اثنين يجمع فيهما الشتلات الجديدة ، ويقلم تلك الأشجار الجديدة التى تم تطعيمها العام الماضى .

لقد جعلته أمه مسئولاً عن ذلك ، وكان يدرى مدى الثقة التى منحتها إياه لدرجة أن تتراجع هى ، وتترك له زمام الأمر كله .

إنها لم تعلمه أساسيات العمل فقط بل غرست فيه الحب والعشق لما يزرعه . وكم من ساعات كثيرة لا تحصى قضتها معه فى

الحديقة والصوبة بينما كان صغيراً . لقد علمت اخوته أيضاً ، ولكنهم لم يكونوا على نفس الدرجة من الشغف الذى أبداه فى منزل هاربر ، وفى الحدائق ، وفى العمل .

بالإضافة إلى أن دراسته فى الجامعة قد أسهمت فى ذلك كثيراً .

لقد كان يشعر بمسئولية حقيقية تقع على كاهله نحو المنزل ، والحدائق ، والعمل ، وكذلك نحو تلك المرأة التى علمته .

كان هاربر حينئذٍ يرتدى فى أذنيه سماعة يستمع بها إلى تلك المقطوعة الموسيقية التى عزفها تشايكوفسكى عن النبات " سيدات عاريات حافيات " وفى الوقت نفسه يتفقد أوانى النبات .

كان مسروراً للغاية بزهرة الداليا التى قام بتطعيمها في الربيع الماضى تلبية لطلب لوجان . وفى غضون أسبوعين سيحضر نبات المسك الرومى الذى تشبع بمياه الشتاء ثم يأخذ منه شتلات فى الربيع . وفى الحديقة ، عليه أن يوفر ما يمكنه من نبات الداليا ذى اللون الأزرق الجميل والذى تحلم به ستيلا .

وأخذ يقول لنفسه : " إن الأمور تسير على ما يرام ، فها هو لوجان يقع فى غرام ستيلا الأنيقة ، وها هو لوجان أيضاً يبدى إعجابه بزهرة الداليا الزرقاء التى كانت تحلم بها ستيلا ، بالطبع كان يبدى إعجابه هذا كنوع من التعاطف مع ستيلا " .

إن كل الأمور تتداخل مع بعضها البعض ، فما كان لستيلا أن تحلم بزهرة الداليا لولا وجود عروس هاربر ، وما كان لعروس هاربر أن تكون لولا منزل هاربر ، وما كان لذلك المنزل " هاربر هاوس " أن يبقى بدون عزيمة الأم على الإبقاء عليه وادارة العمل .

ولأنه كان فى مقابل الباب فقد رآه ينفتح ، ومن خلفه هايلى قادمة .

وما كان لهايلى أيضاً أن تكون هنا لولا أمه . فلولاها ما كان لتلك المرأة الحامل الجميلة التى جاءت تقرع باب منزل هاربر فى الشتاء الماضى باحثة عن عمل تقوم به أو مكان تعيش فيه ، ما كان لها أن تكون هنا الآن .

وعندما ابتسمت خفق قلبه ثم هدأ ثانية . ونقرت يدها على رأسها فنزع السماعة من أذنه . ثم قالت : " معذرة لإزعاجك . ولكن روز قد أخبرتنى بأنك قد انتهيت من بعض الأوانى لأخذها إلى المخزن " .

فقال : " حسناً ، أتريدين منى أن أضعها لك بالخارج ؟ "

قالت : " حسناً ، لقد أحضرت الصناديق والعربة المسطحة بالخارج " .

مشى إلى جهاز الكمبيوتر قائلاً : " والآن دعينى أولاً أراجع قائمة الأسعار ، أتريدين (كوكاكولا) ؟ "

" كنت أود ذلك ولكننى لا أتناول الكثير من الكافيين " .

" آه ، نعم " ، وتذكر أنها لازالت ترضع ليلى . " يوجد ماء فى المبرد أيضاً " .

قالت : " حسناً ، هل لك أن ترينى بعض أعمال التطعيم حينما يسمح وقتك بذلك ؟ فقد أخبرتنى ستيلا بأنك تقوم بذلك تقريباً فى مثل هذا الوقت من كل عام " .

رد قائلاً : " نعم بالطبع إن كنت تريدين ذلك . ويمكنك أن تجربى ذلك أولاً على شجرة صفصاف ، فإن أول ما علمتنى أمى عن التطعيم كان على شجرة صفصاف ، بالإضافة إلى أن شجرة الصفصاف هى أفضل ما يمكن أن تتدربى عليها " .

" سيكون ذلك رائعاً ، فقد ظننت أنه فى أحد الأيام حينما أحصل على مكان لى وللطفلة أستطيع زراعة بعض النباتات بنفسى " .

ثم توجه إلى جهاز الكمبيوتر ليستأنف التركيز فى عمله ، كانت تضع عطراً أنثوياً اختلطت رائحته الجميلة بعبق الأرض والنباتات النامية . ثم قال : " إن لدينا غرف كثيرة بالمنزل " .

ضحكت وهى تحاول القراءة من فوق كتفه قائلة : " بل أكثر ، لقد مر عام تقريباً ولا أزال لا أستطيع أن أعتاد على كل هذا الاتساع ، إنى أحب العيش هنا ، إنه لشىء رائع بالنسبة إلى ليلى أن تجد نفسها وسط أناس كثيرين من حولها ، والجميع يحبها لاسيما أمك . لم أر فى حياتى إنسانة أكثر روعة ورقة منها ، ولكن عاجلاً أو آجلاً سأكون بحاجة أنا وليلى إلى مكان نمتلكه نحن " .

رد قائلاً : " لو لم تكن أمى تحب بقاءكما هنا ، لما سمحت لكما بالبقاء " .

قالت : " نعم ، إنها تعرف حقاً كيف تنظم الأمور . أليس كذلك ؟ إنها ترتب وتنظم كل شىء بما سيتوافق معها . أعنى بالطبع أنها قوية وذكية ، ولا تخشى شيئاً أو أحداً ، وهذا هو ما يشدنى إليها " .

" ولكن يبدو أنك أيضاً شجاعة وذكية " .

وببطء انحنت والتقطت واحدة من ألياف شجرة الرافيا ولفتها على إصبعها ثم قالت : " حينما أتذكر ما حدث لى ، فإنى لا أدرى كيف تحملت كل ذلك بينما كنت حاملاً فى الشهر السادس . إننى حقاً مدينة بالكثير لروز " .

قال : " ولكنها لن تحب ذلك " .

قالت : " ليس لها خيار فى ذلك . لقد منحت ابنتى منزلاً جميلاً مليئاً بالحب ومنحتنى وظيفة أعمل بها ، وأقسم إن حبى لعملى هذا يزيد يوماً بعد يوم ، لقد أصبح لنا أصدقاء وأسرة وما كان لى أن أكون هنا أنا وليلى بدون روز " .

رد قائلاً : " حقاً ، إنى دائماً ما أقول لنفسى إن السبب فى بقاء المنزل ، فى هذا المكان ، وحتى السبب فى بقاء لوجان وستيلا إنما يرجع إلى أمى ، وربما كذلك كانت هى السبب فى بقاء عروس هاربر هنا " .

سألت قائلة : " ولماذا تعتقد ذلك ؟ "

قال : " لو أن أمى قامت ببيع المنزل ربما غادرت العروس هى الأخرى هذا المكان ، فربما يرتبط بقاءها ببقاء أحد من آل هاربر بالمنزل ، أو شيئاً من هذا القبيل ، إنه مجرد تخمين " .

سألت قائلة : " وحينما يؤول إليك المنزل هل ستبيعه ؟ "

قال : " كلا بالطبع لا يمكن أن أقوم بذلك ، ولا أحب أن أعيش فى مكان آخر غير هذا المنزل . بالإضافة إلى أن أمى مهما كانت ذكية وقوية إلا أنى أشعر بارتياح حينما أكون بجوارها . وأعتقد أنها ستشعر بالحزن والوحدة إن ذهبت أنت وليلى إلى مكان آخر لاسيما وأن ستيلا والولدين سينتقلون إلى منزل لوجان فى غضون شهرين " .

قالت : " ربما كان ذلك صواباً ، وعلى أية حال فليست لدى خطط أود القيام بها فى الوقت الراهن ، غير أنه من خلال مواعدتها لميتش يمكن القول بأنها ستحصل على الصحبة التى تريدها " .

رد فى دهشة قائلاً : " ماذا تقولين ، مواعدة ؟ ، إنهما لا يتواعدان " .

قالت : " حينما يخرج شخصان لمرتين أو ثلاث مرات سوياً ، وحينما يذهبان لحضور مباراة كرة سلة ، وحينما تقوم هى بإعداد وطهى الغداء له ، أعتقد أن هذا هو ما يسمى بالمواعدة " .

قال : " إنهما يعملان سوياً ... إنها مجرد اجتماعات عمل بينهما " .

نظرت إليه مبتسمة قائلة : " وهل يحدث فى اجتماعات العمل قبلات طويلة حارة ، إن كان الأمر كذلك فأنا إذن غير محظوظة حيث لم أحضر اجتماعاً كهذا مع شخص ما " .

رد فى دهشة قائلاً : " قبلة ؟ ماذا تقولين ؟ "

ردت بسرعة قائلة : " لم أكن أتجسس أو شيئاً من هذا القبيل ولكن تصادف أن كنت أنا وليلى بالطابق العلوى ذات ليلة ونظرت من النافذة حينما كان ميتش يوصلها إلى المنزل . وفى حقيقة الأمر ، لقد نظرت حينما سمعت صوت السيارة لأستطلع الأمر ، وإن كانت تلك القبلة الحارة التى رأيتها تدل على شىء فإنما تدل على أنهما على علاقة مع بعضهما البعض " .

ألقى بالنبات جانباً ثم قال : " يا إلهى ! ماذا يحدث ! "

نظرت إليه وهى ترمش بعينها قائلة : " لا تكن سخيفاً ، لا توجد هناك مشكلة من مواعدتها لرجل كهذا " .

رد قائلاً : " فى المرة الأخيرة كانت تواعد رجلاً كهذا أيضاً ، وانتهى الأمر بزواجها من ذلك الوغد " .

ردت قائلة : " نعم لقد أخطأت بزواجها هذا ؛ ولكن ميتش يختلف عن ذلك الوغد الذى يدعى برايس كليرك " .

قال : " وكيف لنا أن نعرف ذلك ؟ "

قالت : " لأننا نعرف ذلك ، نحن نعرفه جيداً " .

قال : " ولكن هذا لا يكفى " .

قالت : " إنه يناسبها بشكل كاف " .

قال : " ليس هذا ما أعنيه ، إنى أعنى ... "

قاطعته قائلة : " إن كونه ليس غنياً أو أن دماء عائلة هاربر لم تسر فيه لا يعنى أنك يجب أن تكون متحيزاً ضده " . ثم ضربت بإصبعها برفق على صدره قائلة : " عليك أن تخجل من نفسك وأنت تتحدث هكذا مثل الغوغاء " .

قال : " إنى لم أقصد ذلك ، لا تكونى غبية " .

قالت : " أتقول إنى غبية ؟ "

رد : " يا إلهى ، لم أقصد ذلك " .

أعطته ظهرها ثم قالت : " كفى ، لننهى هذا الحديث الآن " .

رد قائلاً : " حسناً وأنا أيضاً لا أريد أن أستمر فى الحديث معك الآن " .

ثم قام وأخذ يحمل وينقل النباتات بنفسه .

ثم خرج غاضباً يبحث عن أمه مستعداً للشجار .

كانت هناك فى الحقل تتفقد أعمال المشتل والورود التى جهزها آنفاً .

كانت ترتدى ثياباً رمادية اللون ، وتضع فى يديها قفازين بلا أصابع وفى قدميها حذاء قديم ، وحينما رأته نادت عليه قائلة :

" هل قابلتك هايلى ؟ "

رد قائلاً : " نعم قابلتنى " .

ثم استطردت قائلة : " أتعرف أنى أفكر فى عمل وحدة توالد أخرى للحصول على أشجار نخيل أكثر ؟ أود أن أقول لك يا حبيبى بأنى سعيدة للغاية بتلك الأشجار التى قمت بتوليفها ، إن عملاءنا سيسعدون بها للغاية ، وإنى لأفكر فى أن أحصل على شجرة من أشجار الخوخ لى شخصياً " .

وأخذت تتفحص إحدى تلك الأشجار الصغيرة التى قام هاربر بتطعيمها ، ثم توجهت إليه فى إعجاب قائلة : " إنه حقا لعمل رائع يا هاربر وكذلك شجرة الكمثرى هناك ... " .

قاطعها سائلا : " أمى ، هل تواعدين ميتش كارنيجى ؟ "

استدارت إليه قاطبة جبينها وهى تقول : " ماذا قلت ؟ "

رد قائلا : " لقد سمعت ما قلته ، وأريد جواباً " .

ردت قائلة : " ولماذا أجيب عن شىء لا يعنيك السؤال عنه " .

رد قائلا : " أريد أن أعرف مدى علاقتك به ، ولى الحق فى أن أعرف ذلك " .

قالت : " كلا ، ليس لك حق فى ذلك " .

رد قائلاً : " لقد التزمت الصمت حيال كليرك ، وقد كان ذلك خطأ منى ، ولن أقع فيه ثانية ، إنى أهتم بأمرك سواء شئت أم أبيتِ ، وإن لم تخبرينى فسوف أذهب إليه وأسأله " .

مشت بعيداً عنه ، وأعطته ظهرها قائلة : " لن تفعل شيئا كهذا يا هاربر ، وإنى لأريد أن أسألك ما هى آخر مرة سألتك فيها عمن تتقابل معه اجتماعيا ، أو من تحب ؟ "

فرد على سؤالها بسؤال قائلا : " وما هى آخر مرة تزوجت فيها من شخص جشع طماع ؟ "

استدارت إليه والغضب يتوهج فى عينيها قائلة : " لا تكرر ذلك مرة أخرى أمامى ، لا أحب سماع ذلك ثانية " .

رد قائلاً : " إنى لا أحب ذلك أنا أيضاً ، ولن يجرؤ أحد على أن يجرح مشاعرك مرة أخرى وأنا بجوارك . ولكنى أتساءل : ماذا تعرفين عنه ؟ ومن ثم أقول بأنه يتخطى حدوده مع الإنسانة التى يعمل لديها " .

تنهدت قائلة : " دعنى أسألك سؤالاً : هل تعرف عنى أنى أقع فى نفس الخطأ مرتين ؟ "

قال : " لا " .

قالت : " إن ثقتك فىَّ لا حدود لها " . ثم نزعت أحد القفازين ، وأخذت تضرب على ركبتها قائلة : " سأوضح لك الأمر . إنه رجل مسل وجذاب وقد قابلته مرتين بشكل اجتماعى ، وله علاقة ودية وحميمة بابنه ، وبما أنى أفخر بنفسى لأنى لى نفس هذه العلاقة مع أبنائى فقد وجدت أن هناك شيئا ما مشتركا بيننا . إنه أيضاً مطلق ولايزال يحتفظ بعلاقة حميمة مع أم ابنه وزوجها الثانى ، وهذا فى واقع الأمر ليس أمراً سهلاً بالإضافة إلى أنه لم يفعل شيئاً مشيناً وفقا لمعاييرك المتزمتة " .

رد قائلا : " إنها دائما كذلك حينما يتعلق الأمر بك " .

قالت : " إننى لست بالغة حد الكمال ، يا هاربر " .

" ومن يريد منك أن تكونى كذلك ؟ إن ما أريده هو أن تكونى سعيدة وفى أمان " .

اقتربت منه واضعة يدها على خديه وهى تهز رأسه برفق قائلة : " حبيبى من المفترض أن يكون هذا هو دورى نحوك ، ولكنى أعدك وأقسم لك بأنى قد تعلمت الدرس جيداً من تجربتى مع برايس . هل اطمننت الآن ؟ "

رد قائلا : " لن أطمئن إلا إذا وعدتنى بأن تخبرينى إذا ما حاول أن يدفع بك إلى شىء لا تريدينه " .

ردت قائلة : " حسنا ، أعدك بذلك ، والآن هيا لنلقى نظرة على بقية النباتات " .

لقد أثار هذا اللقاء العديد من الأشياء كان على روز أن تضعها فى اعتبارها . وكيف كان لها أن تكون على دراية بابنها الأكبر وتتفاجأ بهذه الطريقة أنه قد حزن وتضايق لما حدث من تلك المهاترات التى قامت بها ذلك المساء ؟

ومرة ثانية ، هل وضعت أمى فى اعتبارها أن أطفالها سيقلقون عليها ؟ لم يكن هناك مكان لا فى القلب أو العقل للنظر فى ذلك الاحتمال لاسيما وأن كلا الوالدين يمتلئ قلبهما قلقاً واهتماماً بأبنائهما .

ثم أخذت تذكر أنها قد سببت جرحاً لهاربر أكثر مما سببته لنفسها .

وهل هذا هو ما تقدمه لمن تحبه .

ولأنها كانت تريد أن تبقى هادئة فقد ذهبت إلى غرفتها من المدخل الخارجى .

وأخذت تتجول فى غرفة المعيشة الخاصة بها ، ثم أخذت تستمع إلى الموسيقى ، وحينئذ وقعت عيناها على أكوام البريد على سطح مكتبها ، وقد قام ديفيد كعادته بفصل الرسائل الخاصة والتى لم تكن كثيرة فى تلك الآونة .

وقررت أن تبدأ بالأخبار السيئة أولاً . فجلست وأخذت تفتح الفواتير ، وحينما رأت تكلفة هذه الفواتير بقيت واجمة لبرهة ، ولكن كانت هذه الفواتير هى التكلفة التى ينبغى دفعها .

وأخرجت كراسة ملاحظاتها وهى تحدث نفسها بأنها ستقوم قبل حلول الشهر القادم بتنظيم دفع الفواتير .

لقد دفعت فواتير الكهرباء ، والغاز ، والتليفون ، ثم أخذت تحدق فى مظروف آخر من شركة أخرى ، وظنت أنه ربما أرسل

إليها طلباً لدفع أى مستحقات مالية ، ثم فتحت المظروف كى ترى ما فيه .

وحينما رأت المبلغ الواجب دفعه اتسعت عيناها دهشة ، فقد كان المبلغ المطلوب يتجاوز ثمانية آلاف دولار !

لم تكن على علاقة بتلك الشركة وبالطبع لم تكن تدين لها بثمانية آلاف دولار ، فأخذت الهاتف كى تبلغ عن ذلك الخطأ .

ثم اتصلت بعد ذلك بالمحامى الخاص بها .

وحينما أدركت أن الأمور قد تعقدت ، وجدت نفسها متقززة مما حدث . فقد تم إرسال الفاتورة باسمها وعنوانها وبرقم تأمينها الاجتماعى ، بينما كان الشخص الحقيقى صاحب هذه الفاتورة يسمى بـ " آشبى هاربر " .

إنه لم يستخدم اسمه الحقيقى . وحينئذٍ أدركت على يقين بأن هذه الفاتورة قد تم تزويرها والذى زورها هو ذلك الوغد برايس كليرك .

وأدركت أن الهدف من ذلك لم يكن مجرد إحداث خسارة مالية فهو لن يهتم بأمر ثمانية آلاف دولار وبعض الدولارات . ولكن أراد أن يقلقها ويثير حنقها ، وأكثر من ذلك ، فقد أراد أن يجعلها تذكر دائماً بأنه لايزال على الساحة .

ولم تكن متيقنة من إمكانية نسب تكاليف هذه الفاتورة إليه فمن المؤكد أنه قد خدع الشركة ، ومن المؤكد أنه كان يعلم بأنها لن يكون أمامها خيار آخر سوى حل ذلك اللغز ، مضيعة بذلك وقتاً وجهداً بالإضافة إلى أنها ستتحمل كل الأتعاب القانونية .

لم يكن ذلك سوى خسّة ووضاعة منه ، ولم لا فهذا شأنه دائماً .

وهاربر المسكين يظن انها قد تقع فى نفس هذا الخطأ ثانية . مستحيل .

لم تتناول الغداء كى تجد وقتاً لتحل تلك المشكلة ، ثم كتبت رسائل بريدية مطولة إلى أوستين وماسون قبل أن تخبر هاربر بالأمر .

وعندما تيقنت من ذهاب الأولاد إلى النوم ، طلبت من هاربر ، وديفيد ، وستيلا ، وهايلى أن يلحقوا بها إلى الردهة الأمامية .

وبدأت حديثها قائلة : " معذرة ، أعرف أن البعض منكم ربما لديه ما يقوم به الليلة ، ولكن لا أعتقد أن لقاءنا سيطول " .

ردت ستيلا قائلة : " حسناً ، هل حدث شىء ؟ أخبرينا ما الخطب " .

ردت قائلة : " لقد اتخذت بالفعل خطوات لحل هذه المشكلة ، ولكنى أعتقد أنكم جميعاً يجب أن تجيبوا لى عن بعض الأسئلة . فأثناء تصفحى للفواتير هذا المساء ، عثرت على فاتورة لبطاقة ائتمان ، فى حين أن بطاقة الائتمان هذه ليست ملكى وكذلك أيضاً لم أقم باستهلاك ما جاءت به الفاتورة من تكاليف . ومع ذلك تم إرسال هذه الفاتورة باسمى محتوية على كثير من البيانات الشخصية التى تخصنى . وبالطبع فإن شركة التأمين التابع لها هذه البطاقة سوف تفحص الأمر ، ولكنى أردت أن أخبركم جميعاً بأن الذى دبر هذا الأمر إنما هو برايس . فهو يعرف البيانات الخاصة بى ، وهذا هو أسلوبه دائماً " .

ردت هايلى بسرعة قائلة : " لا تدفعى تكلفة هذه الفاتورة . لقد حدث شىء كهذا فى محل الكتب الذى كنت أعمل به ، وليس عليك أن تدفعى شيئاً " .

ردت روز قائلة : " كلا لن أدفع هذه الفاتورة . لكن الأمر فى حد ذاته يزعجنى وهذا هو ما دفعه للقيام بذلك . ويسبب أيضاً مضايقة لمن فى المنزل ، وهذا الأمر سيسعده كثيراً ، إنى متأكدة من ذلك . على أية حال . إنى آسفة " . ونظرت إلى هاربر ، ثم قالت ثانية : " إنى آسفة " .

رد عليها بصوت رقيق قائلاً : " لا تقولى ذلك ثانية ، لا أريد أن أسمعك تعتذرين مرة أخرى يا أمى . ما رأيك لو أخبرنا الشرطة ؟ " .

ردت قائلة : " إنه اقتراح غير مستبعد ، ولكنى أود أن أخبرك بما أخبرنى به المحامى . فبينما ستقوم الشركة بتتبع الأمر ، سيكون من الصعب أن نثبت أنه هو الذى استخدم بطاقة الائتمان ، فلم يستخدم اسمه فقد دبر للأمر جيداً " .

قامت كى تضيف إلى النار قطعة خشبية أخرى قائلة : " إن أفضل ما يمكننا القيام به هو أن نتجاهل الأمر قدر ما نستطيع ولنتركه يلعب كما يشاء . وأعتقد أنه سيقوم بعمل شىء من ثلاثة ، عاجلاً أو آجلاً : سيمل من الأمر كله ، أو سيجد شخصاً آخر يضايقه ، أو أنه سيشنق نفسه " .

رد ديفيد قائلاً : " أتوقع أن يعمل بالخيار الثالث " .

ردت روز : " نتمنى ذلك " . ثم جلست روز قائلة : " لقد أرسلت بخطابات إلى كل من أوستن وماسون كى أطلعهما على الأمر كى يكونا على حذر . فربما أراد أن يسلى نفسه بتكرار مثل ذلك الأمر " .

وحينما تخيلت ذلك ، ازداد التوتر إلى أن شعرت بانقباض عضلاتها ، ثم قالت : " ستيلا يجب أن تكونى على حذر بخصوص تكاليف العمل " .

ردت قائلة : " لا تقلقى يا روز ، لن يقترب منا ، هل من شىء تريدين منى أو منا القيام به ؟ "

وقفت روز قائلة : " إن احتجت إلى شىء سأخبركم به ، أعدكم بذلك . والآن سأصعد إلى الطابق العلوى لإنجاز بعض الأعمال التى كنت قد أجلتها " .

فذكرها ديفيد بالغداء قائلاً : " ألم إنك لم تتناولى طعام العشاء ؟ سأعد لك بعض الطعام " .

قالت : " لا أريد أن أتناول شيئاً الآن . سآكل فيما بعد " .

وحينما ذهبت إلى حيث لا تسمع ، قال ديفيد : " يا للوغد ! " .

وحينئذٍ كان هاربر لايزال جالساً فى مقعده وبصوت ناعم ينم عن نضج مبكر توجه إليهم قائلاً : " لماذا لا نذهب أنا وأنت الآن لمقابلته ؟ "

فقامت هايلى من مكانها قائلة : " إنها فكرة لا بأس بها . هيا بنا لنذهب إليه الآن " .

رد ديفيد قائلاً : " مهلاً يا زينا ، يجب ألا نتعجل الأمر . فلن يكون هذا هو الحل الأمثل " .

رد هاربر قائلاً : " ولكنى أعتقد أن هذا هو الصواب " .

فتدخلت ستيلا قائلة : " إن ديفيد على صواب . إننا إذا فعلنا ذلك ، فإن هذا سيضع روز محل إحراج وسوف تغضب ، سيزداد الأمر بالنسبة لها إحراجا وسوءا أكثر مما هو الآن " .

ردت هايلى وهى تلوح بذراعها : " إذن لا نخبرها ، ولكن يجب أن نفعل شيئا فلن نمكث مكتوفى الأيدى " .

رد هاربر فى حماس : " لن أجلس مكتوف الأيدى " .

وكأنه حكم فى مباراة كرة قدم ، هب ديفيد واقفاً بين هاربر وهايلى قائلاً : " مهلاً ! اهدأ يا هاربر وفكر فى الأمر جيداً . إننا نستطيع أن نذهب إلى برايس وننال منه غير أن جروحه سريعا ما ستلتئم ، وفى الوقت ذاته سيشعر بنشوة الانتصار حينما يدرك بأنه قد نال منها ، ونغص عليها حياتها . وهذا هو ما لا تريده هى ، وأنا وأنت نعلم ذلك جيداً . إن أهم سلاح لديها الآن هو تجاهلها له ، إنها تريد أن تشعره بأنه لا يمثل قيمة . وبالطبع لن تشعر بذلك إن اضطرت أن تخرجك من السجن بكفالة بعد اعتدائك عليه " .

جلست ستيلا قائلة : " ماذا هناك لأقوله ؟ كلما حاولنا أن نحل الأمر بأنفسنا ، ستزداد روز غضبا . إن أفضل ما يمكننا تقديمه لها هو أن نحذى حذوها ونعالج الأمر بهدوء كما نفعل فى العمل . وعلينا أن نتذكر دائما إن كان هذا الأمر بمثل هذه الصعوبة علينا فكيف بها ؟ "

ردت هايلى فى غضب قائلة : " نعم أنت على صواب ؛ ولكننى مستاءة للغاية من كونك على صواب ، وكم كنت أتمنى لو كان كلامك هذا قد قيل بعد قيامنا بتلقين ذلك الوغد درسا . إننا إذا فعلنا ذلك يا هاربر فسيكشف ذلك لها عن شخصيتك ، ستعرف أنك تريد الوقوف بجوارها ، وفى الوقت ذاته ستعرف أن هذا لم يكن هو الحل الصواب " .

ربما كان ذلك صحيحاً ، ولكن هاربر لم يستطع أن يمحو من مخيلته صورة برايس وهو مضرج فى دمائه أسفل قدميه . وربما لم يشغل باله بكيفية العثور على الرجل . إنه لا يعرف أين يجده بالتحديد

غير أنه ببعض الاتصالات القليلة سوف يتمكن من العثور عليه ؛ ولكن هذه المكالمات ربما يتسرب أمرها إليه .

وأخيراً أدرك أن ديفيد كان على صواب .

ومع ذلك لم يستطع أن يجلس هكذا فى المنزل دون أن يفعل شيئا . وكان هناك أمر آخر كان عليه أن ينظر فيه ، ولم يأخذ فى اعتباره ما إذا كانت أمه سيروق لها ذلك أم لا .

لقد كان يزال يبحث عن فرصة للشجار حينما ذهب إلى ميتش فى منزله .

كان يتوقع أن يجده مع امرأة أخرى ، وفى هذه الحالة سيعطيه لكمة فى فمه وينفث عن غضبه ؛ ولكن حينما فتح ميتش الباب تأكد هاربر أنه بمفرده يشاهد مباراة كرة سلة . وبادره ميتش قائلا : " مرحباً ، كيف حالك ؟ ادخل " .

رد هاربر : " أريد الحديث معك " .

رد هاربر : " بالطبع ، انتظر " . كان ميتش حينئذٍ ينظر إلى شاشة التلفاز الضخمة على الحائط قائلا : " لم يبق سوى أقل من دقيقة علي انتهاء الشوط الأول " .

ورغما عنه وجد هاربر نفسه واقفاً أمام التلفاز يتابع المباراة مع ميتش ، ثم وكزه ميتش فى ذراعه بلطفٍ قائلا : " أتريد شراباً ؟ "

رد هاربر : " أفضل مشروباً كحولياً " .

ميتش : " معذرة ، ليست لدى مشروبات كحولية . ما رأيك فى (كوكاكولا) ؟ "

هاربر : " حسناً ، شكراً " . وبينما ذهب ميتش ليحضر (الكولا) ، وضع هاربر يده فى جيبه ، وأخذ يلقى نظرة سريعة

على الحجرة . وعندما عاد ميتش توجه إليه هاربر سائلاً : " إلام ستؤول علاقتك بأمى ؟ "

جلس ميتش وهو ينظر إلى هاربر وهو يحتسى (الكولا) قائلا : " لا يمكننى أن أجزم بالأمر ، فذلك يعتمد عليها بشكل كبير . وفى الحقيقة أريد أن أقول بأننى لست أعمى العينين أو أصم الأذنين ، وكذلك لست ميتاً لقد شعرت بجاذبية نحوها لقد أعجبت بما قامت به فى حياتها ، وإنى لسعيد برفقتها " .

رد هاربر قائلا : " إن كنت تبغى من وراء ذلك مالها أو وضعها الاجتماعى فعليك أن تتوقف عن ذلك الآن " .

وبهدوء التقط ميتش جهاز (الريموت كنترول) وكتم صوت التلفاز ثم وضع (الريموت) ثانية وتوجه إلى هاربر قائلا : " كيف لك أن تقول مثل هذا الهراء ؟ "

لقد مرت والدتى بظروف صعبة ولهذا فقد تمالكت أعصابى ولم أقم بطردك من منزلى حتى الآن " .

" إن والدتك ليست فى حاجة إلى المال أو المكانة الاجتماعية كى أشعر بجاذبية نحوها - إنها واحدة من أكثر النساء جمالاً ، ورقة ، وإنى لأشعر بشىء ما تجاهها ، وأعتقد أنها تبادلنى نفس الشعور " .

رد هاربر : " ولكنك قد دمرت زواجك الأول " .

رد ميتش قائلا : " نعم ، لقد أفسدت زواجى الأولى . ولكن أتعرف ؟ ليست لدى خمر لأنى قد أقلعت عن الشراب منذ أربعة عشر عاماً . فقد كان الشراب هو السبب الرئيسى فى انهيار زواجى الأول . وقد أخبرت والدتك عن ذلك الأمر برمته ، وبكل تفاصيله ، وذلك لأنى اعتقدت أنها تستحق أن تعرف ذلك قبل نبدأ أولى خطواتنا نحو ما آمل أن يكون عليه علاقتنا " .

قال هاربر : " إنى آسف إن كنت قد سببت لك إحراجاً " .

قال ميتش " كلا ، ولكنك أغضبتنى قليلا " .

هاربر : " إنها أمى ، وأنت لم تر ما هى فيه الآن ، لم تر تلك العواقب التى لاتزال تعالجها حتى الآن " .

رد ميتش قائلاً : " ماذا تعنى بذلك ؟ "

" لقد اكتشفت أنه قد فتح لنفسه حساباً ببطاقة الائتمان الخاصة بها ، وعلى الرغم من أننا لم نثبت ذلك بعد ولكن من سيفعل ذلك غيره ؟ والآن فهى تتحمل معالجة الأمر من الناحية القانونية " .

وضع ميتش الشراب جانباً ثم قام وأخذ يدور فى الحجرة ثم قال : " أعتقد أنه يجب علينا أن ننال منه ونبرحه ضرباً " .

رد هاربر قائلاً : " لقد حذرنى ديفيد وستيلا من أن أقوم بمثل ذلك ، لأن ذلك سيضايق أمى ، بالإضافة إلى ما سينشأ عن ذلك من قيل وقال ، ولذا قررت أن آتى إلى هنا ، وأن أنفث عن غضبى فيك أنت " .

رد ميتش : " وهل نفثت عن غضبك " .

رد هاربر : " يبدو كذلك " .

رد ميتش : " وماذا عنها الآن ؟ هل هى بخير ؟ وكيف تتعامل مع هذا الأمر ؟ "

رد هاربر : " إنها تتعامل مع الأمر كما تتعامل مع غيره من الأمور . تتبين الخطوات اللازمة أولاً . ولكنها قلقة من أن يقوم بمثل ذلك معى ، أو مع أحدٍ من إخوتى ، بالإضافة إلى أنها تشعر بالحرج من ذلك " .

امتعض وجه ميتش وقال : " وهو يعرف ذلك جيداً . وهذا هو ما يريده ، ربما أكثر من الأموال التى سلبها " .

ثم استطرد هاربر قائلاً : " وإنى أريدك أن تعرف جيداً بأنك لو سببت لها جرحا بأى شكل من الأشكال فسوف تدفع ثمن ذلك غالياً . وها أنا أحذرك " .

نظر إليه ميتش لبرهة ، ودون أن يتحدث رمى إليه بكيس من البطاطس المحمرة ، ثم قال : " إن زوجتى السابقة وزوجها متفاهمان للغاية ، ولا أخفيك سراً أننا قد تعاونا سوياً فى تربية ابنى دون أن أتحمل الكثير خلال الست سنوات الأولى وإنى لفخور بذلك . لقد خضت غمار تجربتين منذ أن انفصلت عن زوجتى ، وكذلك خضت غمار تجارب كثيرة ، ولكنها لم تكن بنفس جدية هاتين التجربتين . إننى مهتم حقاً بأمر والدتك فأنا أحترم وأقدر ما قامت به من إنجازات ، وليست لدى أى نوايا فى إلحاق أى ضرر بها . وإن كانت لدى مثل هذه النوايا فإنى أشعر بأنها هى التى ستبتعد عنى حتى قبل أن تشعر أنت بذلك " .

ثم توقف قليلاً واحتسى شرابه ثم قال : " والآن هل من شىء آخر تريد أن تعرفه ؟ "

أخذ هاربر كيس البطاطس المحمرة ثم قال : " ثمة شىء واحد فقط ، هل لى أن أشاهد بقية المباراة ؟ "

الفصل الحادى عشر



أخذت روز تسير واضعة يدها خلف ظهرها وهى تتفحص منطقة إعداد التربة فى الحديقة ، والتى تم إعادة تنظيمها مؤخراً . وقد استغرق ذلك يومين كاملين ، فقد كانت تختلس الوقت فيما بين الأعمال اليومية الرئيسية مع ستيلا للانتهاء من ذلك .

وفى تقدير روز فإن إعادة تنظيم منطقة إعداد التربة كان سيستغرق يوماً واحداً فقط لو توقفت عن الأعمال اليومية الأخرى . ولكن لو حدث ذلك لظهر المكان وكأنه ليس مكان عمل . كانت هناك أحواض مليئة بالتربة والتى قامت بخلطها مسبقا ، كان هناك أيضاً حقائب لتعبئة التربة ، وميزان ، وجواريف ، وبعض المقاعد .

كان كل شى مرتباً ، ومنظماً في صفوف بكفاءة .

وقد كانت النفقات قليلة نسبيا ، الأمر الذى أسعد ستيلا التى كانت تتطلع إلى تحقيق ربح كبير ودقة وجودة عالية . وبالتنظيم

البسيط للحقائب ، والتسويق الجيد وجودة المنتج ، اطمأنت روز إلى أنها تسير في المسار الصحيح .

كانت سعيدة للغاية حينما استدارت لتحيى هاربر قادماً ، وهى تقول : " ما رأيك فى مشروعنا الجديد ؟ "

ثم أخذت تضحك وهي تلتقط حقيبة فئة الخمسة كيلو جرامات مملوءة بالسماد ومختومة ، ثم ألقت بها إليه .

فالتقطها قائلاً : " تبدو جميلة وأنيقة وشكلها يوحى بأنها تحتوى على سماد جيد . إنها تبدو كتلك الحقائب المعروضة على الأرفف العليا في محلات أدوات البستنة " .

ردت قائلة : " بالضبط . وسوف نبقى السعر منخفضاً فى البداية إلى أن يتم تسويقها بشكل جيد ، وقد أضفنا أوقتين إضافيتين على كل عبوة ، كنوع من الإغراء في البداية " .

رد هاربر قائلاً : " إنه عمل رائع يا أمى ، فأنت بارعة للغاية "

" أعتقد لى ذلك ، فهل لازلت غاضباً منى ؟ "

رد قائلاً : " كلا ، ولكن ربما تغضبين حينما أخبرك بأنى قد ذهبت إلى ممفيس لأقابل ميتش كارنيجى " .

تغيرت تعبيرات وجهها ، ثم قالت فى صوت هادىء : " لماذا فعلت ذلك يا هاربر ؟ "

رد قائلاً : " أولاً لأنى كنت مغتاظاً للغاية ، ثانياً لأن ديفيد وستيلا طلبا منى ألا أعاقب برايس كليرك وأوسعه ضرباً ، ثالثاً لأنى أردت أن أسمع بنفسى ما سيقوله ميتش عما يجرى بينكما " .

قالت : " إنى متفهمة للسبب الأول ، وأقدر السبب الثانى ، ولكنى لا أستطيع أن أفهم لماذا تريد أن تستجوب رجلاً أقابله ،

إنها وقاحة لا تغتفر بالإضافة إلى أن ذلك يعد تطفلاً وتدخلاً منك فى شئونى الخاصة ، إنى لا أقتفى أثر امرأة تختار أن تقابلها " .

رد قائلا : " لم يكن ذلك تلصصاً أو اقتفاءً لأثره ، بالإضافة إلى أنه لم يسبق لى أن اخترت مواعدة امرأة تسرقنى ، أو تسعى للتدخل فى شئون حياتى ، أو تشوه سمعتى " .

ردت قائلة : " إنك لاتزال صغيراً . أتعتقد أننى أنا المرأة الوحيدة الغبية التى تقرر الانخراط فى علاقة كهذه ؟ "

رد قائلا : " كلا لا أعتقد ذلك ، ولكننى لا أهتم بالنساء الأخريات فأنت أمى الوحيدة " .

" ولكن هذا لا يعطيك الحق أن ... " .

" إنى أحبك " .

" لا تستخدم هذا السلاح ضدى " .

" لا أستطيع ، فحبى لك هو كل ما أملك " .

ضغطت بإصبع يدها على جبهتها ، ثم مسحتها بقوة قائلة : " سيكون حبك هذا رائعا إذا ما أضفت إليه قليلا من الثقة والاحترام يا هاربر " .

" إنى لا أثق أو أحترم أحداً مثلك يا أمى ، ولكننى لا أثق بالرجال ، وعلى أية حال فقد حاز ميتش على ثقتى واحترامى ليلة أمس ، وربما كان جديراً بأن يواعد أمى " .

قالت : " إنه لا يواعنى ، لقد ذهبنا معاً إلى مباراة كرة سلة لطلاب الجامعة وتناولنا الغداء " .

" أعتقد أنه مغرم بك " .

حدقت فيه وهى تمسك رأسها بكلتا يديها قائلة : " إن رأسى تلف بى ، وأشعر بدوار " .

اقترب منها وضمها بذراعيه نحوه قائلاً : " لا أحتمل أن أرى أحداً يسبب لك جرحاً مرة ثانية " .

" لم يجرح برايس سوى كبريائى " .

قال : " وهذا فى حد ذاته جرحاً غائراً لعائلة هاربر . وقد فعل أكثر من ذلك ، لكنى لا أعتقد أن ميتش سيكون مثله " .

" هل يعتبر كلامك هذا موافقة ؟ " .

تجهم حينما رفعت رأسها لتنظر إليه قائلاً : " إنه لسؤال خادع وأمى لم ترب أبناءً أغبياء ، أقول نعم بالرغم من أنك لا تحتاجين إلى موافقتى ، ولكنى أحبه ، وهو يروق لى " .

" إنك لمراوغ يا هاربر آشبى ، ماذا أقول لك ! " . ربتت كتفه قائلة : " هل لك أن تساعدنى لبعض الوقت ، فعلىّ أن أقوم بتعبئة عشرين شيكارة من جميع الأوزان " .

" أعتقد أنك أردت أن تفعل روبى هذا " .

" لقد غيرت رأيى . فقيامك ببعض الأعمال المملة والبسيطة لابد أن يجعلك تعيد النظر فى الطرق السيئة لمعالجتك الأمور " .

" وتتحدثين عن المراوغة " .

" إن اليوم الذى ستفوقنى فيه ذكاء يا عزيزى هو اليوم الذى سأنتقل فيه لأعيش فى دار للمسنين . دعنا نبدأ " .

ذهبت بعد العمل إلى المنزل مباشرة ، ثم صعدت إلى الطابق العلوى لتغتسل . وفى حذر أخذت تتفحص الرسائل البريدية على سطح مكتبها ، ثم ألقت نظرة على الفواتير . لم تشعر بارتياح على الرغم من أنها لم تجد شيئاً وكأنها تنتظر شيئاً ما سيئاً ليحدث .

لقد مرت فترة شبيهة بتلك الفترة ، ومليئة بالأمور المزعجة بعد الطلاق ، ثم تلتها فترة هدوء أخرى وذلك عندما تعرف على امرأة أخرى رهن إشارته .

لقد عالجت ذلك الأمر وقتها ، وسوف تتولاه ثانيةً فى الوقت الحاضر .

وبينما كانت ترتدى ملابسها دق جرس الهاتف . وحينما لم يرد أحد ظنت أن ديفيد ربما كان مشغولاً فردت هى .

" مساء الخير . هل يمكننى أن أتحدث مع روزاليند هاربر ؟ "

" إنها تحدثك " .

" أنا ديرك من كارينجتون جاليرى بنيويورك ، ونحن نتصل بك الآن لنخبرك بأن لوحة فيرجانو ستصل إليك غداً " .

ردت قائلة : " لا أعتقد أن ذلك سيكون بمثابة فكرة جيدة لأنى لم أطلب شيئاً من معرضكم " .

رد قائلاً : " إنها لوحة كريستينا فيرجانو Cristina Vergano ، فقد تحدث مندوبكم معى شخصياً الأسبوع الماضى بشأنها " .

ردت قائلة : " لا يوجد مندوب لى " .

قال : " إنى حقاً متحير . لقد تم تحرير التكلفة على حسابك ، فقد أخبرنا مندوبكم بأنك مهتمة للغاية بالرسم التصويرى ، وطلب منا أن نرسل اللوحة بمجرد انتهاء العرض . نحن نهتم بذلك كثيراً ، ولكن نظراً لأنها قد بيعت بالفعل ... " .

مسحت بيدها بشدة على مؤخرة عنقها ، ثم هدأت قائلة : " يبدو أن هناك التباساً فى الأمر يا ديرك ، فدعنى أخبرك ببعض الأخبار السيئة " . وأخذت توضح له الأمر بإيجاز وهى تمشى

أثناء حديثها بينما تشعر ببوادر صداع جديد ، ثم دونت اسم شركة الائتمان والرقم .

ثم رد عليها قائلا : " إنه لشىء مضجر " .

وافقته الرأى قائلة : " نعم إنه حقاً لشىء يبعث على الضجر ، إننى أعتذر لك وللشركة عن تورطكم فى ذلك ، ولكن من قبيل الفضول هل لك بأن تخبرنى باسم اللوحة ؟ "

قال : " إنها إحدى اللوحات القوية والمؤثرة من أعمال الفنانة كريستينا ، والتى تتم باستخدام الدهانات الزيتية على الكتان الأبيض ، ولوحة فيرجانو هذه هى إحدى لوحات مجموعتها المعروفة باسم " مجموعة العاهرات " ويطلق على لوحة فيرجانوا اسم " العاهرة المذهلة " .

ردت روز : " بالطبع " .

ثم عادت إلى عملها النمطى الذى اعتادت عليه ، فاتصلت بشركة الائتمان ، وبمحاميها ، ثم كتبت إلى كليهما لكى يقوما بتوثيق الحادث .

تناولت قرص أسبرين ، ثم نزلت إلى المطبخ لكى تعد لنفسها مشروبها المفضل .

ووجدت على المنضدة رسالة صغيرة تركها ديفيد فى وضع ارتكاز .

توجد يخنة رائعة تركتها فى الفرن لتبقى ساخنة . ذهبت هايلى والطفلة مع ستيلا والولدين إلى منزل لوجان لحضور حفل صغير للرسم . إن اليخنة تكفى لأكثر من شخص . الدكتور ستادلى فى المكتبة . كل ما عليك القيام به هو تسخين الخبز ، أما السلاطة ففى الثلاجة ، وأتمنى لك وجبة لذيذة .

ديفيد

ملحوظة : الإسطوانات موجودة فى الكاسيت ، والآن من فضلك استمعى إلى إسطوانة جيمى كو .

قالت : " حسناً " ، ولاحظت أن ديفيد قد حول المطبخ إلى ركن ملىء بأطباق الطعام ، والشموع ، وزجاجات المشروبات المفضلة ، والكنوس ذات اللون الأخضر الباهت . قالت بصوت عال : " إن اليخنة جميلة ولكن لن أرتدى ذلك الحذاء لأتناولها " .

ثم ذهبت إلى المكتبة مرتدية شراباً سميكا ذا لون بنى ، اعتادت أن ترتديه بالمنزل وهى تشعر آنذاك برضا وارتياح .

كان يجلس هناك على المنضدة مرتدياً نظارته وقميصاً ماركة " ممفيس تايجر " ، وأصابع يده تتحرك بسرعة على لوحة مفاتيح جهاز الحاسب الشخصى . وعلى المنضدة كانت توجد زجاجة من الماء وضعها ديفيد هناك لا شك ، فمن المؤكد أنه قد ألح على ميتش أن يستبدل قهوته التى اعتاد عليها بزجاجة الماء هذه .

كان يبدو ، كما رأته ، جذاباً وهو منهمك فى الفكر والتأمل ، مرتدياً نظارته وبشعره الكث الأشعث بلونه البنى تعتريه مسحة من اللون الأشقر .

واعتقدت أن هذه النظارة كانت تخفى وراءها عينين جميلتين ثاقبتين بغض النظر عن لونهما المميز ولولا ذلك التوتر الطفيف لكان عليها أن تقر بأن ذلك كان مثيراً .

وبينما هى تنظر إليه وهو يكتب توقف عن الكتابة وحرك أصابع يده فى شعر رأسه وهو يهمهم بينه وبين نفسه .

كان رائعا بالنسبة لها أن تستمتع إليه وهو يهمهم ، فقد كانت معتادة على أن تهمهم بينها وبين نفسها هى الأخرى .

كان أيضاً إحساساً رائعاً وهى تشعر برغبة يسيرة للرقص شعرت بها فى عمودها الفقرى . ألم يكن ذلك رائعاً أن تعرف أن هذه الشحنات الغريزية لاتزال تومض فيها ؟ وألم تكن تشعر بفضول لأن ترى ما الذى سيحدث إن اغتنمت هذه الفرصة ، وتركت لنفسها العنان ؟

وبينما كانت تفكر فى ذلك تطايرت الكتب من فوق الرف وهى ترتطم ببعضها البعض ، ثم أخذت ترتطم بالحوائط ، ثم بأرضية المكتبة . واشتعلت ألسنة اللهب فى المستوقد وقد كان الهواء بارداً .

" يا إلهى ! " .

اندفع ميتش قائماً من مكانه فلم يلبث مقعده أن ارتطم بالباب ، ونجح فى الإمساك بأحد الكتب قبل أن يقع وبيده الأخرى أسند كتاباً آخر كى لا يقع . وعندما انطلقت روز إلى الأمام تجمد كل شىء فى مكانه .

وقال : " هل رأيت هذا ؟ ، هل رأيت هذا ؟ " ثم انحنى ليلتقط كتاباً ووضعه على المنضدة . لم يكن هناك ما يخيفه وهو يتشدق بكلامه بشكل جميل ، بل كان انبهاراً منه ، وهو يقول : " إنها عاصفة كالثلج " .

التقطت أحد الكتب بينما تخدرت أناملها تقريباً من شدة البرد قائلة " : " يبدو أن مزاجها سيئ للغاية " .

رد قائلا : " إنى أعمل هنا تقريباً منذ الثالثة " وارتسمت على وجهه تكشيرة عريضة كالطفل وهو ينظر إلى ساعة يده ، قائلاً : " إنى تقريباً أعمل منذ أربع ساعات ، وقد كان المكان هادئاً كالمقبرة ، معذرة فى هذا التشبيه ، حتى حدث هذا " .

ردت قائلة : " أعتقد أنها ستنتهى الآن ، فقد كنت على وشك أن أدعوك إلى تناول العشاء ، فقد ترك ديفيد لنا طعاماً " .

ثم أخذا يرتبان الكتب فى أماكنها ، ثم قالت : " لا ريب أنها لا تحب اجتماعنا معاً " .

رد قائلاً : " هذا واضح للغاية " .

ثم وضع آخر كتاب على الرف قائلاً : " ماذا لديك على العشاء ؟ " .

نظرت إليه مبتسمة ، وحينئذٍ أدركت أنه بالإضافة إلى حبها الرومانسى فهى أيضاً تحب فيه كل شىء . ثم قالت : " لدينا يخنة يقول ديفيد عنها بأنها " يخنة استثنائية " وبما أنى قد تذوقتها قبل ذلك يمكننى القول بأنه على حق " .

رد قائلاً : " عظيم ، رائع - يا إلهى إن رائحتك جميلة . معذرة " . وحينما نظرت إليه فى تعجب أضاف قائلاً : " دعينى أقول لك بأننى قد قمت باستبعاد أسماء كثيرة ، وأقوم الآن بنسخ المقابلات التى أجريناها حتى الآن ، وقد أعدت ملفاً لك بذلك " .

قالت : " حسناً " .

فقال : " وسوف أقوم بتتبع أسلاف العائلة ، وكذلك ما نسميه بالفروع الخارجية للأسرة ، ولكن إن أكبر شخص يمت بصلة قرابة لك ولاتزال على قيد الحياة هى ابنة عمك كلاريس ولحسن الحظ فهى تعيش هنا ، وأود الحديث معها " .

" أتمنى لك حظاً موفقاً " .

" إنها لاتزال تعيش فى المنطقة ، فى ... "

قاطعته قائلة : " فى ريفربانك سنتر ، إنى أعرف ذلك " .

فقال : " إنها جعلتنى أقترب بجيل كامل من إميليا ، وأعتقد أنه سيُسهل علىّ الاقتراب منها أكثر إذا تحدثت معها أنت أولاً " .

" معذرة فأنا وابنة العم كلاريس لسنا على وفاق أو اتصال من أى نوع " .

قال : " أعرف ذلك فقد قلت بأنه كان هناك خلاف ولكنى أتساءل : ألن تكونى مهتمة بما أقوم به بخصوص العائلة ؟ " .

قالت : " ربما ، ولكنى أؤكد لك بأنها لن ترد علىّ إذا ما اتصلت بها " .

قال : " إنى أتفهم تلك الشقاقات العائلية ، ولكن فى هذه الحالة ... " .

قاطعته قائلة : " إنك لا تعرف كلاريس هاربر ، لقد تخلت عن اسم عائلتها منذ سنوات ، وفضلت أن تتعامل قانونيا باسمها واسم والدها . وهذا هو كل ما يربطها باسم عائلة هاربر ، ولم تتزوج ، وأعتقد أن سبب ذلك هو أنها لم تستطع العثور على شخص رقيق أو غبى بما فيه الكفاية كى يتحملها " .

قطب جبينه ، ثم قال : " هل هذه هى طريقتك التى تخبريننى بها بأنك لا تريدين منى أن أتصل بها لأن ... "

قاطعته قائلة : " لقد استأجرتك للقيام بمهمة فلا تغضبنى ، ولا أنوى أن أقول لك كيف تنجز هذه المهمة . ولكنى أقول لك بأنها فضلت أن تقصينى أنا وكل ما يتعلق بى عن طريقها وخيراً فعلت . إن الشىء الوحيد الجيد الذى أعرفه عنها هو أنها متى اتخذت قراراً بشأن شىء ، فإنها تمضى فيه قدماً " .

قال : " ولكن ليس لديك اعتراض على حديثى معها ، أو الاتصال بها " .

قالت : " كلا ، ومن الأفضل أن تكتب لها بشكل رسمى ، وأن تقدم إليها نفسك ؛ ولكن عليك التأكد من أن تقدم نفسك بصفتك طبيبا ، ولا تنس أن تقدم أية مؤهلات أخرى لك تكون ذات تأثير . وإذا ما أخبرتها بأنك تريد القيام بتتبع لتاريخ العائلة ، ثم أوهمتها بأنك ستنال شرفا رفيعا بإجراء مقابلة معها ، فربما توافق " .

فسألها قائلاً : " إنها تلك المرأة التى قمت بطردها من المنزل ، أليس كذلك ؟ "

قالت : " أعتقد أنى لم أخبرك بذلك " .

رد قائلاً : " إنى أتحدث مع الناس . أليست هى التى قمت بمطاردتها وفى يدك مقصلة الحشائش " .

اكتسى وجهها بنظرات سعادة ، ثم قالت : " هل تتحدث مع الناس ؟ "

قال : " إنه جزء من المهمة " .

قالت : " ربما ، ولكننى لم أطاردها بمقصلة الحشائش ، وإنما طاردت عمال الحديقة بالمجرفة وليس بمقصلة الحشائش ، ولم تكن لتحدث إصابات خطيرة . ولو لم أكن فى حالة هياج شديد ، واستطعت التفكير بروية وقتها لسحبت مقص تقليم الأشجار الذى استخدمه هؤلاء الأوغاد لتقليم الأشجار ، ولتمكنت على الأقل من طعنهم فى المؤخرة وهم يجرون أمامى " .

رد قائلا : " مقص التقليم . أليس هو ... " ثم لوح بذراعيه وكأن فى يده مقصا .

قالت : " نعم ، هذا صحيح " .

وحينئذ تأوه قائلا : " لنرجع ثانية إلى ابنة عمك ، لماذا طردتها من المنزل ؟ "

قالت : " لأنى حينما دعوتها ، وليتنى لم أفعل ، لحضور حفل شواء هنا فى الهواء الطلق منذ سنين أخذت تسب أولادى وتنعتهم بصفات قبيحة ، وتقول إنهم أولاد غير مهذبين قائلة عنى - بالرغم من أنها ليست أما - إنه لو أننى كنت أما جيدة لاهتممت بهم بانتظام ، وحينما أخذ هاربر يتسلى مع أبناء عمه الصغار ويقص عليهم قصصا وحكايات عن العروس ، وصفته بأنه قد جبل على الكذب ، ونهرته كى يصمت " .

أومأ برأسه الذى أخذ شكل زاوية قائلاً : " ومع ذلك لا تزال على قيد الحياة ! "

تورد وجهها خجلاً ، وارتسمت على شفتيها ابتسامة صغيرة على تعليقه ثم قالت : " لم تكن تقف وقتها على أرض صلبة ، فقد أخذت تنتقد باستمرار أقربائى ، والعاملين لدى ، وأسلوب حياتى ، ومن حين لآخر كانت تنتقد أخلاقياتى ، ولكنى لا أحتمل أن يهين أحد أبنائى فى منزلى ، وحينما قررت عتابها أدركت أن أشد عقاب يمكن أن أنزله بها هو إقصاؤها عن هاربر هاوس " .

رد قائلاً : " إنك صلبة وعنيدة كما ظننت وكما قلت من قبل ، ولكن أحب ذلك فيك " .

قالت : " جيد لأنه لن يتغير هذا الأمر فى هذه السن المتأخرة " . وعلى أية حال فعندما ذهبت خارجة من الباب أخذت تلعننى قائلة إن ذلك اليوم الذى أصبح فيه هاربر هاوس فى قبضتى ، وأنا غير كفء لذلك ، كان يوما أسود " .

رد مازحاً : " يبدو ذلك حسناً ، سأكتب إليها غداً " .

" ولكن لا تخبرها بأنك تعمل لدىّ " .

" ولكن لن يصعب عليها اكتشاف ذلك " .

" نعم ولكن كلما حاولت إخفاء علاقتى بك كان ذلك أفضل ، هل ثمة شىء آخر يدور فى خلدك ؟ "

رد قائلا : كلا غير أنى أريد أن أعرف كيف تعملين طوال اليوم ومع ذلك لا تزالين جميلة للغاية . على أية حال ليس هناك ما أود الاستفسار عنه الآن " .

انتظرت لدقيقة أخرى ، ثم أومأت برأسها قائلة : " إذن لا تريد أن تخبرنى " .

قال : " وبماذا أخبرك ؟ "

" بزيارة ابنى لك ليلة أمس " .

ولأنها كانت ترُقب وجهه فقد لاحظت ما اعترى وجهه من دهشةٍ قبل أن يلتقط نظارته ليمسحها بمعطفه قائلا : " آه . هل أخبرك بذلك ؟ "

قالت : " نعم . لقد كان غاضباً فتصرف بتهور " .

" مثل ما قمت به عندما سحبت المجرفة بدلاً من مقص التقليم ؟ "

فانفلت الضحك منها قائلة : " تماماً . إن كلينا يتمتع بذكاء حاد ، ولهذا نبذل جهداً مضنياً كى لا تثور ثائرتنا وأحياناً ما ننجح فى ضبط أنفسنا . أود أن أعتذر عما قام به " .

قال : " لا يمكننى قبول اعتذارك هذا " .

فارتسمت تعبيرات التوتر فى عينيها والتى نادراً ما كان يراها ثم قالت : " ميتش ، إنى أعرف أنه قد تخطى حدوده ، ولكنه لايزال صغيراً و... " .

قاطعها قائلا : " لقد أسأت فهمى . لا يمكننى قبول اعتذارٍ حينما لا تكون هناك حاجة إليه لاسيما منك أنت ، لقد كان قلقاً عليك " .

قالت : " لا أحتاج ولا أريد من أحد أن يهتم لأمرى " .

رد قائلاً : " ربما لا تحتاجين ذلك ، ولكن هذا لن يوقف من يحبك عن القيام بذلك وقد تناقشنا معاً ، وفهمنا بعضنا البعض ، وهذا هو كل ما فى الأمر " .

قالت : " إذن لم تكن لتخبرنى بذلك " .

" لقد كان ذلك بينى وبينه " .

قالت : " يا للرجال ! لديكم دستور الشرف الخاص بكم " .

رد قائلاً : " وأنت أيضاً لم تخبرينى عما تعرضت له من إزعاج مؤخراً " .

فتبادر إلى ذهنها لبرهة تلك المكالمة الهاتفية التى تلقتها من نيويورك ثم نحتها جانبا . وقالت : " ليس هناك ما أخبرك به ، وأنا أعالج الأمر " .

فسألها قائلاً : " ماذا حدث منذ ليلة أمس ؟ تبدين بخير لذا فمن المؤكد أنه جد شىء ، فأخبرينى ، ماذا حدث أيضاً ؟ "

" مجرد مضايقة بسيطة ، وقد توليت أمرها . إنه أمر ليس بذات أهمية ، أو بمعنى آخر أدق لن أدع لذلك الأمر أن يمثل أهمية لى . لأننى إن اهتممت به فهذا يجعل منى ضحية ، وبهذا يكون قد انتصر علىّ . فلن أكون ضحية ، لن أسمح لنفسى أن أكون هكذا " .

رد قائلاً : " إن إخبارك لى ، وتنفيس بعض التوتر عن نفسك لا يجعل منك ضحية " .

" ليس من عادتى أن أعرض مشكلاتى على الآخرين ، فهذا أمر لا يريحنى ، ولكنى أقدر ما تعرضه علىّ " .

فأمسك بيدها قائلاً : " لتعتبرى ذلك عرضاً دائماً منى . وهل لى أن أدعوك إلى العشاء فيما بعد ؟ "

ردت قائلة : " ربما ألبى دعوتك ، ولكن لماذا ؟ "

مسح بإصبعه على يدها قائلا : " أحب أن أقول بأنى أتودد إليك برومانسية " .

" إنها لكلمة جميلة كلمة رومانسية ، لقد كنت حريصة على ألا تدفعى بهذه الرومانسية إلى الانخراط فى التودد والملاطفة " .

" لأنى لو ضغطت عليك فلن يكون ذلك رومانسية أو ملاطفة ، بالإضافة إلى أنى أتخيل الباب وهو يرتطم بمؤخرتى حينما تقومين بطردى " .

تهللت أسارير السعادة وجهها قائلة : " إنك لذكى وثاقب الفكر " .

قائلا : " أعلم فإنى متيم حباً " .

" وهذه أيضا كلمة أخرى جميلة " .

" علىّ أن أنتقى كلماتى ، لأن الكلمات هى ذلك الشىء الذى لا تثقين به " .

كان أمامها خيار ، وقررت القيام به ، فقالت : " نعم ، إنك حقاً لرجل ذكى . هيا بنا إلى الطابق العلوى " .

وللمرة الثانية فى تلك الليلة رأت الدهشة قد ارتسمت على وجهه ، وحينئذٍ رفع يدها إلى شفتيه قائلاً : " هل سيكون ذلك عملا جادا ؟ "

" نعم سيكون جاداً للغاية " .

" إذن أحب ذلك " .

وبعدما دخلا غرفتها وأصبحا وحدهما ظلت الأبواب تفتح وتغلق ولكنهما لم يكترثا لذلك ولم يهتما بوجودها .

الفصل الثانى عشر



ذهبت روز إلى المطبخ وهى تشم رائحة القهوة ، وتسمع ضجة هناك . لم تستطع ممارسة رياضة الجرى التى اعتادت عليها فى الصباح بسبب المطر الشديد ، ومن ثم استنفدت طاقتها بالجرى بما يوازى ثلاثة أميال على جهاز الجرى لديها . كانت تفعل ذلك بديلا عن جرى الصباح ، وغالباً ما كانت تشعر بالملل من ذلك الجهاز . ولكن اليوم وجدت نفسها تغنى مع موسيقى الإعلانات التى كانت تتخلل فواصل عرض البرنامج اليومى .

وفى المطبخ كانت الطفلة تطرق على مقعدها العالى بمطرقة معدنية ثقيلة ، بينما كان طفلا ستيلا يصرخان وهما يتناولان طعامهما .

وقالت ستيلا بصوت مملوء بإحباط الأمومة قائلة : " نعم ، عليكما أن ترتديا معاطف المطر لأنى متسلطة وأريد أن أجعلكما تعيسين " .

فرد جافين قائلاً : " إننا نكره معاطف المطر " .

" حقا ؟ ولكن ليس هذا هو ما قلته عندما توسلت إلىّ كى أشتريها " .

" كان ذلك فى الماضى " .

فتوقفت ليلى عن الجلجلة والصلصلة ، ورمت بالمطرقة بعيداً مع البقسماط ، فالتقطها الكلب باركر ذو البصر الحاد قبل أن تقع إلى الأرض بينما وقعت (الشخشخية) بفرقعة فى طبق طعام لوك . ربما فعلت ليلى هذا لتستعطف أمها أو ربما كانت تلعب .

فار اللبن إلى أن تخطى حافة السلطانية فصرخت ليلى فرحاً . وكردود فعل متوالية ، أخذ الكلب باركر ينبح بشدة ، أما جافين فتمادى فى تصرفاته الهيستيرية .

وكانت ستيلا سريعة فى رد فعلها . أما لوك فكان أسرع منها حيث أخرج لعبة (الشخشخية) من السلطانية ورمى بها فأخذت تقطر على طرف ثوب أخيه .

فصاحت ستيلا قائلة : " يا إلهى " ثم خطفت منشفة بإحدى يديها بينما رفعت الأخرى لتمنع جافين من العراك مع أخيه قائلة : " إياك أن تفعل ، حذار أن تفكر فى ذلك " .

فأسرعت هايلى لترفع السلطانية لأعلى ، ولتحضر المزيد من المناشف بينما جافين ولوك يتدافعان بالأيدى وكانت ستيلا سريعة فى رد فعلها ، وبهدوء تقدم ديفيد ومعه قطعة قماش مبللة ثم نظر إلى ليلى قائلاً : " سأنظفها " ، فأجابته ليلى بتكشيرة عريضة سريعة .

تفقدت روز تلك الفوضى وما كان منها إلا أن ابتسمت .

ثم دخلت قائلة : " صباح الخير " .

فتحولت الأنظار إليها .

وحدقت ستيلا فيها قائلة : " روز ؟ ماذا تفعلين هنا ؟ " قالت : " بما أن هذا منزلى فقد ظننت أنه يمكننى الدخول لأعد لنفسى كوباً من القهوة " . ثم انحنت لتقبل ليلى على رأسها قائلة : " مرحباً يا أولاد . إن هذه الطفلة ماهرة فى التصويب . أليس كذلك ؟ "

وأثار ذلك فضول الولدين فتوقفا عن الشجار . فشد لوك أمه من كمها قائلاً : " أعطيها إياها لتفعلها ثانية يا أمى " .

" ليس الآن ، عليكم أن تتوقفا عن ذلك وإلا ستتأخران عن المدرسة " ونظرت إلى ساعة يدها ، فرأت أنها قد تجاوزت الثامنة ، وهذا يعنى أن روز قد تأخرت ساعة كاملة عن وقت خروجها .

وتذمر لوك قائلاً : " لقد أفسدت ليلى طعامى " .

" يمكنك أن تأخذ فطيرة من الحلوى بدلاً منه " .

فدفع جافين هو الآخر بطعامه قائلاً : " وأنا أيضاً أريد فطيرة حلوى ، فلو أخذ لوك فطيرة فسوف آخذ أنا أيضاً فطيرة مثله " .

" حسناً ، حسناً " .

فأومأت هايلى إلى ستيلا قائلة : " سأحضر لهم الفطائر " .

اشتمت روز السلطانية المتلشة بفطائر الحلول المصنوعة من التفاح الطازج ، ثم أخذت واحدة واستندت إلى المنضدة ممسكة بفنجان القهوة فى يدها ، وفى الأخرى فطيرة الحلوى قائلة : " إن رائحتها رائعة " ، ثم استطردت قائلة : " أليست هذه طريقة جيدة نبدأ بها اليوم ؟ انظروا إلى المطر ، إنه شديد ، ولا شىء يضاهى جمال يوم شديد المطر " .

وبعد أن وزعت هايلى فطائر الحلوى ، اقتربت من أذن ستيلا قائلة : " لقد قام شخص بإثارتها " .

قاومت ستيلا نفسها وهى تحبس الضحك قائلة : " سنغرب عن وجهك الآن " .

أخذت روز قضمة من الفطيرة قائلة : " لا داعى للعجلة ، لقد نلت قسطاً قليلاً من النوم " .

لم يخف ديفيد ابتسامته المصطنعة وهو يصب لها القهوة قائلاً : " وهذا يفسد ما سمعته من الأخبار هذا الصباح عن البرد الشديد " .

قالت : " ألست ممتلئاً بالوقاحة هذا الصباح ؟ "

فقال : " لست وحدى الممتلىء بشىء ما . هل أعجبتك اليخنة ؟ "

" كانت رائعة للغاية " . ثم نظرت إليه نظرة رقيقة من تحت حافة غطاء رأسها وهى تتساءل عما إذا كانت مرتدية لافتة تقول : " لقد أقمت علاقة مؤخراً " .

" ولكن عليك أن تتناولينها باستمرار فقد جعلت خديك يتوردان " .

" سأفعل " .

وعلقت هايلى قائلة : " يمكننى إعداد طبق ساخن جميل من اليخنة بنفسى " ثم أخذت ليلى واستطردت قائلة : " هيا أيتها الطفلة الجميلة لتغتسلى " .

وتوجهت ستيلا إلى الولدين قائلة : " هيا ليحضر كل منكما أغراضه بما فى ذلك (البالطو) . لقد حان وقت الذهاب إلى المدرسة ".

ولكنها تلكأت لدقيقة أخرى ، وسألت روز قائلة : " هل ستأتين معى ؟ "

" أعتقد ذلك " .

انتظرت ستيلا إلى أن ركبوا السيارة . وبحساباتها أدركت أن مجرد الانعطاف عن الطريق لنصف ميل لتوصيل ليلى إلى منزل جليسة الأطفال سيعطيهم وقتاً كافياً .

وتوجهت إلى روز قائلة : " لقد أنجزنا الكثير فى دهان حجرة الطعام ليلة أمس . ستبدو تلك الحجرة جميلة عند الانتهاء من أعمال الدهان بحلول وقت الزفاف . إننى حقاً أود أن أقيم حفل عشاء بمجرد انتقالنا إلى هناك . سيكون ذلك الحفل لديفيد ولعائلة هاربر ، ووالدىّ ، وكذلك ميتش بالطبع " .

" سيكون ذلك رائعاً " .

قالت ستيلا : " إنه يتواجد بكثرة هذه الأيام ويشعر وكأنه واحد من الأسرة " . وحينما تجاهلتها روز ، نظرت ستيلا فى المرآة العاكسة فوجدت هايلى تشير لها بعينيها كى تدخل فى الموضوع .

فاستأنفت ستيلا حديثها قائلة : " هل كنت تعملين مع ميتش ليلة أمس ؟ أم اغتنمت فرصة هدوء المنزل وذهبت لتستريحى ؟ "

" ستيلا ، لماذا لا تسألينني بصراحة عما إذا كنت قد أقمت علاقة معه بدلاً من المراوغة هذه ؟ فما من شىء أبغضه أكثر من المراوغة " .

ردت ستيلا قائلة : " لم أقصد ذلك " .

" كلا ، بل كنت تقصدين " .

ردت هايلى من المقعد الخلفى قائلة : " لقد أخبرتها ألا تقحم نفسها فى كل الأمور . بالإضافة إلى أننا نعرف عن علاقتك بميتش " .

" يا إلهى ! "

ردت ستيلا وهى ترمق هايلى بنظرة حادة فى المرآة قائلة : " وبالطبع ليس هذا من شأننا " .

" بالطبع ليس من شأنكما " .

قالت ستيلا : " لكننا أردنا فقط أن نعثر على طريقة نخبرك بها بأننا سعداء لسعادتك ، وذلك أننا نعتقد أن ميتش رجل رائع ، ونريد أن نقدم مساعدتنا فى ... " .

اتكأت هايلى إلى الأمام بقدر ما سمح لها حزام الأمان لتقاطع ستيلا قائلة : " حقا . إن ما تريد أن تقوله ستيلا بطريقتها هو : اغتنمى الفرصة " .

" ليس هذا بالضبط ما أعنيه ، ولكنى أريد أن أقول اغتنمى الفرصة ببعض من الرقة ... "

" لأن الناس وإن كانوا كباراً فهذا لا يعنى أنهم ليسوا فى حاجة أيضاً إلى الشعور بالرقة من الطرف الآخر " .

ردت روز : " يا إلهى ، يا إلهى " .

استأنفت هايلى قائلة : " إنك جميلة ومثيرة ، وهو أيضاً وسيم ومثير ، ويبدو لى أن الحب ... إنها لا تستطيع أن تفهم كل ذلك ، أليس كذلك ؟ " نظرت إلى ليلى وهى تعض على شفتيها . كانت ليلى آنذاك تعبث بأصابعها . واستطردت هايلى قائلة : " لقد قرأت تلك النظرية التى تقول بأن الأطفال ينشغلون بكل المؤثرات من حولهم بما فى ذلك الأصوات والكلمات " .

أخذت حقيبة الحفاضات ، ثم خرجت من السيارة فى المطر . ثم سارت ببطء حول السيارة وفتحت بابها لتخرج أغراض ليلى ، ثم غطت رأسها ببطانية قائلة : " لا تقولى شيئاً عنى حينما أغادر ، إنى أعنى ذلك " .

وحينما انطلقت بعيداً تنهدت روز بعمق قائلة : " إن هذه الفتاة تجعلنى أشعر بأنى عجوز تئن ، وفى بعض الأحيان تجعلنى أشعر وكأنى فى الثامنة عشرة فى ريعان الشباب " .

ردت ستيلا : " إنى أعرف بالضبط ما تعنيه ، وأعرف كذلك أن الأمر يبدو وكأننا نقحم أنفسنا فى حياتك الشخصية ، ولكننا نفعل ذلك لأننا نحبك ، فهذا هو كل ما فى الأمر ، بالإضافة إلى أننا كنا نتساءل متى سيتطور الأمر بينك وبين ميتش " .

قالت روز : " تتساءلان ؟ هل كنتما تتحدثان عنى ؟ "

انتفضت ستيلا قائلة : " ربما تطرقنا إلى ذلك مرة أو اثنتين فى حديثنا العادى " .

" لماذا لا أخبركما بالوقت الذى أحب أن تتحدثا فيه بشكل عادى عن ذلك الأمر ، إذا كنت أود ذلك ؟ "

" بالطبع " .

وعندما عادت هايلى فتحت الباب بقوة ، وتنحنحت ستيلا بصوت عال وهى تهز رأسها بسرعة بينما تنهدت هايلى بامتعاض . انطلقت ستيلا بالسيارة من جانب الطريق .

وتحدثت بشكل واضح قائلة : " لقد كنت أفكر فى طرق لعرض السماد المصنع فى الأوانى " .

وذكرت روز نفسها بأن حياتها لم تتغير بعد علاقتها العاطفية مع رجل شعرت نحوه بجاذبية . واستمرت الحياة بما فيها من واجبات والتزامات وما فيها من سعادة وكدر .

وبينما انطلقت إلى حضور الاجتماع الشهرى لنادى الزهور ، لم تكن تدرى بالضبط إلى أين تمضى بها حياتها .

لقد كان هاربر عضواً بنادى الزهور منذ وفاة جدته التى ساعدت فى تأسيس ذلك النادى عام ١٩٢٨ ، وقد تولى هاربر هاوس عقد العديد من اجتماعاته الأولى .

وبوصفها تمتلك مركزاً بستانيا ، فقد شعرت بمسئولية مزدوجة نحو دعم المجموعة وكونها عضواً نشطاً . لقد كانت تشعر بسعادة هناك فقد كانت تستمتع بالحديث مع أشباه المفكرين عن البستنة ، وقد شعرت بأن النادل قد بذل جهداً كبيراً لإيجاد ممولين لمشاريع التجميل .

ولكن فى الوقت ذاته كان هناك الكثير ممن كانوا يهتمون فقط بالمظهر ، والطعام ، والقيل والقال .

ودخلت إلى حجرة الاجتماع بالنادى وسط طنين الأصوات النسائية وكأنها خلية نحل . وقد وضعت الأوانى الطلية مربعة الشكل ، والمليئة بأزهار النرجس بشكل جميل على موائد قد زينت بمفارش كتانية خضراء اللون . بينما وضعت منصة صغيرة أمام الغرفة للأعضاء الذين سيلقون بتقاريرهم أو خُطبهم .

لقد حمدت الله أنها لم تكن تترأس أى شىء فى الوقت الراهن .

وحينما دخلت الغرفة رمقتها الأنظار ، وتدريجياً انخفضت حدة الأصوات إلى أن ساد الهدوء الغرفة .

ولم تلبث الأصوات أن أخذت تعلو مرة ثانية بشكل أعلى وأوضح قليلاً ، وخلعت المعطف من عليها ، واستمرت فى طريقها نحو مائدة .

ونظرت مباشرة إلى جان فورستر كما لو كانت لا تستطيع سماع تلك الهمسات ، وأسنانها تصطك رغماً عنها وقالت : " أليست

هذه الزهور جميلة ؟ إنها توحى بمقدم الربيع ، كيف حالك يا جان ؟ "

" بخير يا روز ، بخير ، كيف حالك أنت ؟ "

" بخير ، كيف حال كويل ؟ "

كان وجهها متورداً وناضراً حينما سألتها : " أتعرفين كويل ؟ "

" بالطبع أعرفه ، وبالطبع بلغيه تحيتى " .

وبشعور بكبريائها وجدت نفسها تسير وسط الناس فى ثقة وهى تتحدث مع الكثير منهم ، وذلك قبل أن تسير نحو أوانى القهوة والشاى . لقد وجدت فى نفسها رغبة إلى كوب من الشاى البارد بدلاً من قهوتها التى اعتادت عليها .

فقد كانت تشعر بحرقان فى حلقها .

واقتربت منها سيسى فى هدوء قائلة : " إنك تبدين رائعة يا حبيبتى . أقسم إنه لا يوجد أحد يرتدى ثياباً كثيابك ، ما لون هذا الفستان يا روز ؟ "

نظرت روز لأسفل إلى (الجاكت) الأنيق والبنطلون قائلة : " لا أدرى " .

" مشمش ، إنه يبدو كلون المشمش الناضج الجميل ، إن هذه المرأة ماندى برأسها الصغير تثرثر طوال الوقت بأسرع ما يمكنها " ، ثم همست قائلة : " أريد أن أتحدث معك على انفراد " .

" حسناً . لقد فهمت ، معذرة " . ثم مشت تقصد ماندى وهى تستمتع بمشاهدة وجه المرأة وهو يتحول إلى اللون الأبيض بينما توقفت عن استئناف حديثها .

" كيف حالك يا ماندى ؟ لم أرك منذ الكريسماس وأنت لم تحضرى اجتماع الشهر الماضى " .

" لقد كنت مشغولة " .

ارتشفت روز رشفة من الشاى ببطء قائلة : " إن الحياة تشبه السيرك ، أليست كذلك ؟ "

ردت ماندى فى عدم اكتراث قائلة : " لقد كنت أنت مشغولة كذلك " .

ردت روز قائلة : " لو لم يكن هناك شىء واحد يجب إنجازه فهناك العديد من الأمور التى يجب إنجازها " .

فقالت ماندى : " ربما لو شغلت وقتك بالاهتمام بعملك بشكل أكثر فلن يتبقى أمامك الكثير من الوقت لإجراء مكالمات هاتفية مزعجة ، أو اختلاق أكاذيب واهية " .

توقفت المحادثات الأخرى فجأة كما لو ألقى مفتاحاً على الأرض .

وردت روز بنفس النبرة التى كانت تتحدث بها قائلة : " إنك لا تعرفيننى جيداً ، وإلا لعرفت أننى لا أجرى أية مكالمات هاتفية غير ضرورية ، فأنا لا أهتم بقضاء وقت كثير فى المحادثات الهاتفية بالإضافة إلى أننى لا أكذب ، فأنا لا أرى فى الكذب فائدة حينما يكون الصدق أفضل فى العادة " .

نهضت ماندى فى وضع عدوانى وعقدت ذراعيها قائلة : " إن الجميع يعرف ما أصبحت عليه ؛ ولكنهم يخافون مواجهتك " .

ردت روز قائلة : " ولكن لحسن حظك أنك لا تخافين مواجهتى مثلهم ، هيا أفصحى عما يدور برأسك ، ويمكننا أن نتحدث على انفراد إن كان هذا يريحك أكثر " .

" نعم فأنت تودين ذلك . أليس كذلك " .

ردت روز قائلة : " كلا إننى أفضل أن يكون حديثنا علانية أكثر منه سرا " .

فقالت ماندى : " تقولين ذلك لأن أسرتك قد عادت إلى شِلْبى كاونتى ، ولم يمكنك الله من أن تتسلطى على الجميع . إن لعائلتى نفس مكانة عائلتك ، ولى ثروة ومكانة كبيرة " .

" ولكن الأخلاق الحسنة لا تشترى بالمال أو المكانة ، فأنت الآن لست على خلق " .

" أتتحدثين معى عن الأخلاق الحسنة بينما تبذلين ما فى وسعك لتشوهى سمعة برايس وسمعتى ؟ " .

فقالت روز : " إن برايس هو نفسه المسئول عن سمعته ، أما عن سمعتك يا حبيبتى فلا أعيرها اهتماما فأنت لست إلا فتاة تحظى بحب الجميع ولا أهتم بأمرك " .

" ولكنك تخبرين الناس بأنى عاهرة وضيعة أستغل ثروة أبى للحصول على مكانة اجتماعية " .

فقالت روز : " ومن أين لك أن تسمعى مثل هذا الحديث ؟ أعتقد أن برايس هو من أخبرك بذلك " .

" ليس هو فقط " . واحمر وجهها وهى تنظر إلى جان .

" جان ؟ " دهشت روز فهدأت من حدة صوتها وقلبها يعتصر ندماً ، ونظرت إليها قائلة " عارٌ عليك " .

هزت جان كتفها قائلة : " لقد سمعت ذلك من مصدر موثوق به " .

لم تكترث روز لتخفى استياءها قائلة : " مصدر موثوق به ؟ وهل تعملين كمحققة وتتبعين المصادر ؟ كان بإمكانك أن تأتى إلىّ وتسأليننى ، فقد كان ذلك هو السبيل السهل المهذب قبل أن تقومى بترويج مثل هذا الهراء " .

فقالت جان : " إن الجميع يعرف أنك قد جننت حينما جاء برايس إلى منزلك مع ماندى ، وليس هذا بالمكان اللائق لمناقشة ذلك " .

" كلا ، ليس هذا بالمكان المناسب ، ولكن سبق السيف العذل . إن هذه الفتاة على الأقل لديها الجرأة لتقول ما تريد قوله لى مباشرة ووجها لوجهى ، فهى أكثر منك جرأة " .

نبذت جان ، ثم عادت ثانية إلى ماندى قائلة : " ماندى ، هل بدا علىّ أنى قد استشطت غضباً حينما جئت إلى منزلى مع برايس لحضور الحفل الذى قمت بعقده فى الإجازة ؟ "

" نعم . لقد كنت غاضبة للغاية ، لقد قمت بطردنا بينما كان يسعى إلى الصلح معك ، أليس كذلك ؟ "

" يمكننا أن نختلف بشأن ما كان يسعى إليه ، ولكن أخبرينى كيف بدا الغضب علىّ ؟ هل قمت بالصراخ والصياح ؟ "

" كلا ، ولكن ... " .

" هل لعنتك ودفعتك بيدى خارج الباب ؟ "

" كلا ، لم تفعلى لأنك باردة كما يقول ، وكما يقول الكثيرون غيره فى غيابك ، ولكنك انتظرت إلى أن ذهبنا ثم قلت عنا أشياءً سيئة للغاية " .

فاستدارت إلى الناظرين كي تنهى الأمر قائلة : " هل فعلت ذلك ؟ كان معظمكم هناك فى تلك الليلة ، وربما يوجد بيننا من يذكرنى فأنا لا أذكر أنى قد تفوهت بأشياء سيئة للغاية " .

وحينئذٍ تقدمت السيدة هاجرتى ، إحدى زبائن روز القدامى ، وأحد المهتمين بعالم البستنة ، قائلة : " لم تفعلى شيئاً من هذا القبيل . إننى مهتمة بما يثار من أقاويل ، ولا أمانع فى معرفة المزيد عن قصة ما ، ولكن كل ذلك كذب . لقد تمالكت روز نفسها

تحت تلك الظروف الصعبة للغاية . لقد كانت طيبة ، وتعاملت معك بصورة طيبة أيتها الشابة . فعندما عادت إلى داخل المنزل لم تقل شيئاً لا عنك ولا عن ذلك الوغد الذى كنت تصحبينه . وإن كان لدى أحد منكم شيء آخر غير ما قلت فلنستمع إليه " .

وتدخلت سيسى قائلة : " لم تنبس بكلمة واحدة ضدك " . ثم ابتسمت بسخرية قائلة : " لم تقل شيئاً عنك حتى عندما قلت أنا " .

فقالت ماندى لروز : " لقد قال بأنك سوف تؤلبين على الناس " .

فردت روز فى حدة قائلة : " ولماذا أفعل ذلك ؟ ولكن صدقى ما تصدقينه . فأنا لا أهتم بالحديث عن ذلك ، أو حتى عنك " .

" ولكن لىّ الحق فى أن أكون هنا مثلك تماماً " .

" بالطبع لك الحق فى ذلك " ولكى تنهى ذلك ، استدارت روز وسارت نحو المائدة ، وجلست تشرب الشاى .

وتبع ذلك عشر ثوان من الهمهمة إلى أن انفجرت ماندى بالبكاء ، وخرجت مسرعة من الغرفة فتبعها قليل من النساء وهن يرمقن روز بنظراتهن .

" يا إلهى " قالت روز ذلك عندما جلست هاجرتى بجوارها قائلة : " إنها صغيرة ، أليست كذلك ؟ "

" ولكن ذلك لا يبرر غباءها ناهيك عن وقاحتها " ، ونظرت إلى سيسى التى جاءت لتنضم إليهما قائلة : " لقد أصابتها دهشة منك " .

" مندهشة منى ؟ لماذا ؟ "

" لأنك قد تحدثت بصراحة " .

هـزت سيسـى كتفهـا ، وجلسـت قائلـة : " إنـى أحـب المشاجرات ، ولكنـى لا أحـب بـرايس كليرك ، وأحيانـا يكـون الحديث بصراحة أكثر متعة وتشويقا . لم يبق سوى شىء واحد ، حسنا وهو أن نرى روز وهى تصفع تلك الحمقاء ماندى ، ولكـن ليس هذا أسلوبك " .

ثم لمست روز برقة قائلة : " سأذهب معك ، إذا كنت تريـدين الانصراف " .

" كلا ، شكراً ، سأمكث . يمكننى احتمال ذلك " .

انتهت من الاجتماع . لقد كان ذلك بمثابة شجاعة منها وتحمل وشعور بالواجب . وعندما وصلت إلى المنزل غيرت ملابسها ، وذهبت إلى الحدائق لتجلس على أريكتها فى هدوء ، وهى تتأمل العلامات المبكرة لمقدم الربيع .

كانـت النباتـات البصلية آخـذة فـى النمـو ، بينمـا نباتـات النرجس الأصفر ونباتـات النـاردين فـى طريقهـا إلى الإزهـار قبـل أوانها بكثير . أما نباتات الزعفران فقد أينعت زهورها .

كانت تنظر إلى البراعم المتشابكة بشجر الأضاليا بينما اكتسبت نباتات الفورثيسيا بهتان الضباب .

وبينما كانت جالسـة أخـذت تفقد ذلك التحكم الـذى كانـت تفرضه ، ومن ثم بدأت تهتز من أعماقها . بدأت تهتز غضباً وهـى تشعر بالإهانة والقلق والجرح ، وأطلقت لنفسها العنان لتسبح فـى ذلك البحر الذى تعترك فيه كل تلك المشاعر السوداء المظلمـة وهـى تجلس وحيدة فى هدوء .

وقد وصل غضبها إلى ذروتـه وتـأجج إلى أن هـدأت واستطاعت التنفس بهدوء ثانية .

وقالت لنفسها إنها قد فعلت الصواب ، لقد واجهت الموقف بالرغم من أنها كانت تكره القيام بذلك علانية ، فقد كـان من الأفضل لها أن تواجه الموقف بدلاً من أن تتهرب منه .

وتساءلت : هل تبادر إلى ذهنه أنها ستقوم بذلك ؟ هـل تبـادر إلى ذهنه أنها ستقوم بذلك علانية مع ما ستشعر به من مذلة وهـى تضمد جرحاها ؟

وتخيلت أنه تبادر إلى ذهنـه كـل ذلك ، حيث إن بـرايس لم يفهمها يوماً .

وتبـادر إلى ذهنهـا أن جـون كـان يفحـص ويتفقـد مجموعـة الأشجار التى زرعها حيث ستعترش زهورها ، وتزهر من الربيع إلى الصيف والخريف . لقد فهمها وأحبها منذ أن كانت فتاة .

فهل كان سيحبها وهى امرأة ؟

أسندت رأسـها إلى الـوراء ، وأغلقت عينيهـا وهـى تفكـر فـى ذلك . ربما لن تكون هى نفس المرأة التى كانت فى الماضى .

وإذ بصوت تردد فى رأسها يقول : " لو قدر له أن يعيش فقد كان سيتخلى عنك ، فالجميع يفعل ذلك . كـان سيكذب عليك ويغشك ويدمرك ، كان سيعاشر العاهرات بينما أنت فى انتظاره ، إنهم جميعاً يفعلون ذلك " .

" أنا أعرف ذلك " .

وأخذت تفكـر : " كـلا لـيس جـون " ، وهـى تعتصـر عينيهـا مغلقة إياها بينما ذلك الصوت يتردد فى رأسها قائلاً :

" لحسن حظك أنـه قـد مـات قبـل أن يطـول بـه العمـر ويـدمر حياتك ، مثله مثل الآخر ، ذلك الذى أنت على علاقة به الآن " .

فهمست روز قائلة : " يالك من مثيرة للشفقة ، أتحـاولين أن تشوهى ذكرى وشرف رجل طيـب ؟ " وإذ بيـدٍ توضـع علـى كتفهـا

فوثبت قائمة ، فتحدث ميتش قائلاً : " روز ، أتتحدثين وأنت نائمة ؟ "

" كلا " ، ألم يشعر بذلك البرد ؟ أم كان ذلك البرد بداخلها هى فقط ؟ فى أعماق أحشائها التى كانت ترتعد . استطردت قائلة : " لم أكن نائمة ، بل كنت أفكر ، كيف عرفت أنى هنا ؟ "

" لقد أخبرنى ديفيد بأنه رآك من النافذة وأنت تأتين إلى هنا منذ أكثر من ساعة . إن الجو بارد وأنت تجلسين هنا بمفردك طوال ذلك الوقت " . وأخذ يدها وظل يفركها بيديه وهو يجلس بجوارها قائلاً : " إن يدك باردة " .

" لا ، أنا بخير " .

" ولكنك لست كذلك ، فأنت تبدين حزينة " .

فكرت لبرهة ، ثم ذكرت نفسها بأن هناك أشياء لا يمكن أن تبقى سرية . لقد كان يعمل لديها ، فقالت : " أعتقد أنى حزينة فقد كانت تتحدث إلىّ فى مخيلتى " .

فأمسك يدها بقوة قائلاً : " الآن ؟ "

" نعم ، لقد قطعت حديثنا ، ذلك الحديث القديم " الرجال خائنون " أو شيئاً من هذا القبيل من جانبها " .

ألقى نظرة سريعة على الحديقة قائلاً : " يساورنى شك فى قدرة شكسبير على أن يختلق شبحاً أكثر عزيمة وإصرارًا من شبح إميليا ، وقد كنت آمل أن تأتى إلى المكتبة لأسباب عديدة ، وهذا أحدها " .

واستدار بوجهه إلى وجهها قائلاً : " هناك شىء ما خطأ " .

كيف استطاع أن يراها ويفهم ما بداخلها ؟ كيف استطاع أن يرى ما كان بمقدورها إخفاؤه عن الكثيرين ؟ وردت قائلة : " كلا لا شىء ، إنه مجرد مزاج متعكر بعض الشىء " . ثم سحبت يدها

من يده قائلة : " فقط بعض المشكلات النسائية ، فالرجال أقل ميلاً نحو الدراما . أليس كذلك ؟ "

" لماذا لم تخبرينى عن ذلك ؟ "

" إن الأمر لا يستحق " .

وأخذ يتحدث ثانية ، وهى تشعر به يبحث عن الغريزة ، ولكن بدلاً من ذلك ربت كتفها قائلاً ، وأشار إلى كتفه : " ضعى رأسك هنا " .

" ماذا ؟ "

" ضعيه هنا " . ولكى تفعل وضع ذراعه حول خصرها وجذبها نحوه قائلاً : " كيف تشعرين ؟ "

وضعت رأسها حيث قال ، وابتسمت قائلة : " ليس شعوراً سيئاً " .

فقال : " إن العالم لن يضطرب لمجرد أنك قد اتكأت على كتف شخص ما لدقيقة " .

" كلا ، لن يضطرب العالم ، شكراً " .

" على أية حال ، مرحباً بك ، لقد كنت أتمنى أن تأتى إلىّ وأنا أعمل ، فقد أردت أن أخبرك بأننى قد أرسلت خطاباً إلى ابنة عمك كلاريس هاربر ، وإن لم يصلنى منها رد فى غضون أسبوع فسوف أتابع الأمر . ولدى أيضاً العديد من أشجار عائلة هاربر ، وعائلة والدتك ، وكذلك عائلة زوجك الأول . لقد عثرت بالفعل على امرأة تدعى إميليا " .

وحينما حاولت أن تبتعد قال لها : " كلا ، دعى رأسك حيث كان " .

ثم استطرد قائلاً : " ولكن هذه المرأة ليست لها علاقة بها لأنها عاشت وماتت فى لويزيانا مؤخراً . وقد حاولت أن أتتبع

أصلها فى محاولة منى لأن أكتشف إن كانت تمت بصلة إلى إميليا فكلتاهما تسميان بنفس الاسم ؛ ولكن لم أجد صلة بينهما . ولدى أيضاً بعض من الرسائل الإلكترونية من أحد أحفاد مديرة المنزل التى كانت تعمل فى هاربر هاوس في الفترة من ما بين ١٨٨٧ إلى ١٩١٢ . وهى تعمل كمحامية في شيكاغو ومهتمة بتاريخ العائلة ، ومن الممكن أن تكون مصدرا جيداً على الأقل فى هذا الشأن " .

أخذ يمسح بيديه برفق جيئة وذهاباً على ذراعها فشعرت باسترخاء . ثم قالت : " لقد كنت مشغولاً " .

فقال : " إن معظم ذلك يمثل المعيار الرئيسى فى المشروع ، ولكنى كنت أفكر فى تلك الأجزاء الأقل أهمية فى مشروعنا . فحينما مارسنا الحب معاً ... "

فقاطعته قائلة : " وما الجزء الذى يندرج تحته هذا الأمر فى مشروعنا ؟ "

ضحك من نبرة صوتها الجافة ومسح بخده على شعرها قائلاً : " لقد أدرجت هذا الأمر فى العمود الذى يحمل عنوان : " الجزء الأكثر خصوصية " وأتمنى أن أملأ الكثير من الصفحات فى هذا الملف ؛ ولكنى قد وصلت إلى أمر ما . لقد كشفت النقاب عن غيظها وضجرها . فقد فتحت الأبواب ، وأخذت تغلقها بشكل عنيف ، وعبثت بساعات الحائط وما إلى ذلك . لقد أعلنت عن شعورها بما كان يجرى بيننا ، ومنذ ذلك الوقت فقد أصبح هذا بمثابة ملف شخصى " .

فسألته : " وماذا فى ذلك ؟ "

فقال : " إننى لست أول رجل يدخل إلى هذا المنزل " .

" كلا ، لست كذلك " .

" ولكنك لم تذكرى أنها قد ثار غضبها بهذا الشكل حينما كنت مع جون أو مع برايس ، أو مع أى شخص آخر كانت تجمعك علاقة به " .

فقالت : " لأن ذلك لم يحدث من قبل " .

قام واقفاً ، ثم أخذ يتمشى جيئة وذهاباً بينما تتكلم ثم قال : " حسنا . لقد كنت تعيشين فى ذلك المنزل حينما كنت تتواعدين مع جون ، وكذلك عندما أصبحت مخطوبة له " .

" نعم بالطبع . إنه منزلى " .

" وقد عشت هنا كذلك بعد أن تزوجته بعد وفاة والديك " .

كانت ترى أنه يحاول استنتاج شىء ما برأسه ، وعدلت عن ذلك ؛ لقد استنتج شيئاً ما بالفعل ، إنه فقط يحاول عرضه تدريجيا لصالحها .

وردت عليه قائلة : " لقد عشنا هنا . فلم تكن أمى على ما يرام ، ولم يستطع أبى تحملها . وعندما مات كنا نأتى لنقيم هنا أحياناً . وعندما ماتت أمى ، انتقلنا لنعيش بشكل دائم فى هاربر هاوس " .

فسألها قائلاً : " وطوال هذه الفترة ألم تعترض إميليا عليه ؟ على جون ؟ "

" كلا ، فعندما بلغت الحادية عشرة من عمرى توقفت عن رؤيتها . ولم أرها مرة ثانية إلى أن تزوجت . لقد كنا نريد الحصول على أطفال ، وظننت أننى ربما أكون حاملاً فلم أستطع النوم ، فخرجت لأجلس فى الحديقة ورأيتها . لقد رأيتها وأنا أشك بأنى كنت حاملاً ، وفى بوادر كل مرة أحمل فيها كنت أراها . وبالطبع كنت أراها ، أو أسمع صوتها حينما كبر الأولاد قليلاً " .

فسألها : " هل رآها زوجك " .

" كلا ، لم يرها " ثم قطبت جبينها ، واستطردت قائلة : " كلا ، إنه لم يرها لقد سمع صوتها ؛ لكنه لم يرها مطلقاً . أما أنا فقد رأيتها ليلة وفاته " .

" ولكنك لم تخبريني بذلك من قبل " .

" لم أخبرك بذلك فى كل مرة ... " وحينئذٍ هزت رأسها قائلة : " كلا ، معذرة . لم أخبرك لأنى لم أناقش هذا الأمر مع أحد ، فهذا من أمورى الخاصة بالإضافة إلى أنه لايزال يؤلمنى " .

فقال : " إنى لا أعرف كيف تحبين وتفقدين شخصاً ما بهذه الطريقة التى أحببت بها جون وفقدته . وأعرف أن ذلك ربما يشبه التلصص فى أمورك الخاصة ، ولكن الأمر كله متعلق ببعضه يا روز . ويجب أن أعرف كى أتمكن من أداء عملى ، يجب أن أعرف هذا الأمر " .

" ولكنى حينما طلبت منك العمل معى لم يخطر ببالى أنك ستسأل عن أمورى الشخصية ، أو أنك ستحتاج إلى أن تعرفها ، ولكن انتظرِ " ، رفعت يدها قبل أن تستأنف قائلة : " إننى أتفهم الأمر جيداً الآن . أتفهم كيف تعمل ، وكيف ترى الأشياء والناس من خلال تلك اللوحة التى أعددتها فى المكتبة وكذلك الصور ، ومن خلال كل تلك التفاصيل الدقيقة التى جمعتها . إننى أكبر من مجرد صفقة ، وأعتقد أنى أعنى ذلك بشكل مهذب " .

فقال : " إنى أحتاج إلى معرفة دقائق الأمور " .

أومأت برأسها قائلة : " تريد أن يكون الأمر كحالك مع شاعر ذكى معقد . وإنى أيضاً أدرك جيداً أنك لابد أن تعرف ، إنى أستطيع أن أخبرك بهذه الأمور ، وذلك بسبب ما أصبحنا عليه معاً . ومع ذلك ربما يكون ذلك هو ما يزيد الأمر صعوبة

لأخبرك . فليس من السهل علىّ أن أشعر بالقرب من شخص ما ، من رجل ، ليس سهلاً على أن أثق برجل أو أتمناه " .

" أتريدين أن تجعلى الأمر سهلا ؟ " .

فهزت رأسها قائلة : " لازلت لا تعرفنى جيداً . لا أريد أن أسهل الأمر . إنى أشك فى ذلك ، إننى أفكر بك دوما يا ميتشيل " .

" وهذا أيضاً هو ما يحدث معى " .

نظرت إليه بإمعان وهو يقف هناك مفعماً بالحيوية والنشاط والزهور من خلفه ، تلك الزهور التى لاتزال نائمة والتى ستستيقظ بالدفء وبالشمس ، ولكن جون قد مات ، واستطردت قائلة :

" كان جون فى طريقه إلى المنزل عائداً من مكتبه فى ممفيس ، كان عائداً متأخراً . فقد كان فى اجتماع ، وكانت الطرق مليئة بآثار الشتاء ، وكان الجو ضبابا " .

خفق قلبها خفقة يسيرة كعادتها دائماً حينما تتذكر ذلك .

" وكان هناك حادث . فقد كان أحدهم يقود مسرعاً للغاية ، وعبر الرصيف الموجود بمنتصف الطريق . كنت مستيقظة وقتها فى انتظاره وأنا أرعى الأولاد . ورأى هاربر كابوساً ، أما ماسون وأوستن فقد أصيبا بنزلة برد . وبقيت معهم إلى أن ذهبا إلى النوم ، كنت أشعر بقلق لتأخر جون تلك الليلة . ورأيتها هناك واقفة فى غرفتى " .

" ضحكت ضحكة خفيفة ومسحت يدها على وجهها . وقد جعلنى ذلك اعتقد أننى حامل ، وفى ذلك الوقت لم أكن فى مزاج يسمح لى بمثل هذا التفكير فى تلك اللحظة بعد أن فرغت للتو من تهدئة ثلاثة أطفال . ولكن كان فى عينيها شىء لم يبد جيداً . لقد

كان فى عينيها بريق شديد فشعرت ببعض الخوف ، وحينئذ جاءت الشرطة فغابت عن مخيلتى " .

كانت تتحدث بصوت هادىء ، ولكن عينيها الجميلتين كانتا عكس ما تشعر به من حزن .

استأنفت قائلة : إنه حقاً لشىء صعب ، لا يمكننى حتى أن أتخيله " .

فرد ميتش قائلاً : " إن حياتك قد توقفت هناك ، وحينما بدأت مرة ثانية فقد أصبحت مختلفة ، لم تعد حياتك الآن كحياتك من قبل تلك اللحظة " .

لم يلمسها ، لم يخفف عنها ، لم يشد من أزرها . فما كان فى قلبها فى تلك اللحظة ، فى تلك الحديقة وقت الشتاء كان ينتمى لشخص آخر غيره .

واستأنف قائلاً : " لم يكن بجوارك أحد . لم يكن لديك أم أو أب أو أخ أو أخت " .

فقالت : " كان معي أبنائى ، وكان هذا المنزل ، كان معى نفسى " . ونظرت بعيدا فأحس بها تريد أن تنهى ذلك الحديث عن الماضى ، واستأنفت قائلة : " إنى أعرف ما ستفعل بذلك . ولكنى لا أفهم ، إنها لم تظهر احتجاجاً على أحد من قبل . لم تغضب حينما كنت مع جون ، أو مع أى شخص آخر بعده ، لم تغضب حينما كنت مع برايس . ولكنها من حين لآخر كانت تعبر عن استيائها ، وقد أخبرتك عن ذلك من قبل . ولكنها لم تكن تثور غضباً كما فعلت مؤخراً ، فلماذا فعلت ذلك ؟ "

" إنى أعمل جاهداً على معرفة سبب ذلك . والآن هيا بنا لندخل فسوف يحل الظلام وتشعرين بالبرد ، فأنت نحيفة " .

فأومأت بعينيها ، فأضاف قائلاً : " لم يكن ذلك مجاملة " .

فردت قائلة : " إنى إحدى أولئك النساء ذوات القوام الرشيق " .

فأخذ بيدها إلى المنزل قائلاً : " لا يوجد بك شىء رقيق ، فما أنت سوى وردة صحراوية طويلة ، وردة سوداء مليئة بالأشواك " .

" ولكن الوردة السوداء لا تنمو فى الصحراء ، ولكنها تزرع ، ولم يستطع أحد أن يزرع وردة سوداء حقيقية " .

أخذ بيدها إلى شفتيه قائلاً : " إن الورود السوداء نادرة ونفيسة " .

" بكلامك هذا سأضطر إلى أن أدعوك لتصعد معى إلى غرفتى " .

" ظننت أنك لن تطلبى ذلك ثانية " .

الفصل الثالث عشر



وبدأت روز الحديث وهما يسيران نحو المنزل قائلة : " أعتقد أنى يجب أن أخبرك . إن أهل المنزل مسرورون وسعداء للغاية ، بعلاقتى الحميمة معك " .

" حسناً ، وهكذا أنا أيضاً ، إنى سعيد للغاية بعلاقتى الشخصية معك " .

نظرت لأسفل إلى أيديهما المتشابكة وهى منبهرة بتشابك تلك الأصابع الجميلة مع بعضها البعض فى انسياب . قال ميتش : " إن يدك أكبر من يدى ، وكف يدك أوسع من كف يدى وأصابعك أطول ، انظر إن أصابعك خشنة فى أعلاها . أما أصابعى فهى أكثر نعومة ورقة " .

ورفعت ذراعها ويدها متشابكة بيده لأعلى قائلة : " ولكنهما متناسبان " .

وبابتسامة رقيقة نطق باسمها فى رقة ، روزاليند . ثم توقف لبرهة ومال برأسه قائلاً : " واسمانا أيضاً يتناسبان معاً " .

" لقد كنت أفكر فى نفس الشىء . ولكنى أريد أن أحتفظ بتلك الأفكار بينى وبينك " .

" من الصعب أن يتم ذلك ، فهناك أناس آخرون فى حياتنا . وابنى يريد أن يعرف من أين أتيت بتلك المرأة الجميلة التى كانت معى فى مباراة كرة السلة " .

" وهل أخبرته " .

" لقد أخبرته بأننى قد نجحت أخيراً فى أن أجعل روزاليند هاربر تعطينى نظرة ثانية " .

" وقد أعطيتك الكثير من النظرات " ثم نظرت إليه مرة ثانية بينما يصعدان معاً إلى شرفتها ، ثم قالت : " ولكنى قد تعودت على أن أحتفظ بحياتى الخاصة ملكاً لى . وأنا لا أرى هناك سبباً يمنعنا من أن نستمتع بحياتنا معاً بدون أن نسجل وقائع حياتنا العاطفية فى ملفات " .

وصلت إلى باب الشرفة فانفتح فجأة ، وكاد أن يصطدم بوجهها ، وهبت رياح باردة عنيفة من داخل حجرتها فدفعتها بقوة إلى الوراء فأدركها ميتش قبل أن تقع على الأرض وقد التصق جسده بجسدها .

وصاح وسط ضجيج الهواء قائلاً : " حسناً ، حسناً " .

فاستشاطت غضبا ، ودفعته جانباً وهى تدفع بنفسها نحو الباب قائلة : " لن أسمح بذلك . لن أسمح بمثل تلك الأشياء لتحدث فى منزلى ! "

وتطايرت الصور من فوق الموائد ، وكأنها قذائف بينما أخذت الأضواء تضىء تارة وتطفىء تارة . وتطاير أحد المقاعد وسط الحجرة

مصطدماً بخزانة ذات أدراج فتأرجحت المزهرية التى كانت على الخزان ، وعندما رأت تلك المرآة التى أهداها لها أبناؤها على وشك أن تنزلق قفزت إلى الأمام لتمسك بها .

" أوقفى ثورتك هذه فلن أحتمل ذلك " .

كانت هناك أصوات لكمات قوية عنيفة وحشية على الحوائط ، بينما اهتزت أرضية الحجرة تحت قدميها ، ووقعت زجاجة العطرِ على الأرض محدثة فرقعة شديدة ، وتناثرت محدثة دوياً كبيرا .

وفى وسط هذه الريح الهائجة وقفت روز ممسكة بالمرآة وصوتها يعلو فوق دوى الزجاج المكسور ، وسط الفرقعة الرهيبة وكأنه تساقط الجليد .

" سأوقف كل المحاولات لكشف حقيقتك ، وتصحيح أى خطأ حدث لك ، سأبذل قصارى جهدى لأخرجك من هذا المنزل . لن يُرحب بك هنا " .

ثم صرخت والنار تستعر فى المستوقد والشموع تتطاير لأعلى قائلة : " هذا منزلى ، وأقسم بأنى سوف أخرجك منه ، أقسم بحياتى بأننى سأقتلعك منه " . وهدأ الهواء فى الحال ، ووقعت تلك الأشياء التى كانت تتأرجح ، وقعت على الأرض محدثة أصواتاً مكتومة أو فرقعة .

وانفتح الباب فدخل ديفيد ، ولوجان ، وستيلا ثم تبعهم هاربر .

وهو يطوقها بذراعيه قائلاً : " هل أنت بخير يا أمى ؟ "

" إنى بخير " .

فلمست ستيلا ظهر روز ويداها ترتعشان قائلة : " لم نستطع الدخول ، لم نستطع فتح الأبواب " .

" إن الأمر على ما يرام الآن . أين الأطفال ؟ "

" لقد أخذتهم هايلى إلى أسفل عندما سمعنا تلك الفرقعة ، لقد كان ذلك أشبه بالحرب يا روز " .

" اذهب الآن وأخبرها أن كل شىء على ما يرام " .

وسألها ديفيد قائلا : " ماذا حدث هنا ؟ ماذا حدث هنا يا روز ، بحق الجحيم ؟ "

" لم نكد ندخل حتى ثارت معترضة .... بشكل عنيف " .

توجه ميتش إلى هاربر قائلا : " إن والدتك قد صمدت أمامها ، وجعلتها تعرف من يدير أمر هذا المنزل " .

فقال هاربر بكآبة : " إنك تنزف " .

فدفعت روز بمرآة الزينة إلى يدى هاربر ، وتحولت سريعاً إلى ميتش كى تلمس الجرح فى خده قائلة : " يا إلهى " .

" إنه ليس جرحا خطيرا ، مجرد قطع من الزجاج المتطاير" .

" وهناك بعض الجروح فى يديك أيضا " ، ثم خفضت يديها لأسفل قبل أن تهتز قائلة : " حسنا ، لنطهر هذه الجروح " .

عرضت ستيلا مساعدتها قائلة : " سأبقى معكما هنا " .

" كلا ، انزلى لتطمئننى على هايلى والأطفال ، عليك أن تأخذهم إلى منزلك يا لوجان " .

وتجمدت ستيلا مكانها قائلة : " لن أتركك ، لا نقاش فى ذلك " .

وطوق لوجان كتفى ستيلا بذراعيه قائلاً : " سأبقى هنا أيضاً إن لم يزعجك ذلك " .

" حسناً " وأخذت المرآة من هاربر وهى تشهق قائلة : " لو كسرت هذه المرآة لنالت منى أكثر من ذلك التوبيخ " ، ووضعتها ثم

استدارت لتعتصر يدى هاربر قائلة : " إن الأمر على ما يرام يا حبيبى ، أؤكد لك هذا " .

" إن فعلت شيئاً لتؤذيك فسوف أجد طريقة أخرجها بها " .

ابتسمت له قائلة : " من شابه أمه فما ظلم ، لقد أخبرتها نفس الشيء ، وبما أنها قد توقفت عندما أخبرتها ذلك فمن المؤكد أنها تعرف أنى أعنى ما أقوله . اذهب لأسفل الآن ، فلن تستطيع هايلى أن تترك الأطفال ، ومن المؤكد أنها قلقة للغاية ، أما أنت يا ميتش فهيا معى إلى الحمام سأنظف تلك الجروح " .

فقال هاربر حينما غادرت أمه الحجرة : " لا أريدها بمفردها هنا الليلة " .

طمأنه ميتش قائلاً : " لن تكون بمفردها " .

وحينما ذهب إلى الحمام كانت روز تقوم بغمس قطعة من القماش فى محلول الأكسجين ، وقال لها : " إنها مجرد خدوش " .

" ولكن هذا لا يعنى أنه لا ينبغى تطهيرها ، وبما أنى لم أقم قبل ذلك بتطهير جروح أحدثها أحد الأشباح فسوف أطهرها بطريقتى المعتادة . اجلس " .

" سمعاً وطاعة " ، جلس وهو يمعن النظر فى وجهها ، ثم قال : " لا يوجد بك خدش واحد " .

نظرت إلى يديها ، ثم نظرت إلى وجهها فى المرآة المعلقة فوق الحوض قائلة : " أعتقد أنك على صواب " .

" لا أعتقد أنها كانت تريد إيذاءك ، ولكن ذلك لا يعنى أنها لن تحاول ذلك إما بشكل مباشر أو غير مباشر ، يبدو أنها مجنونة . لقد كان ذلك بمثابة تحذير . إنه لأمر مثير " .

" إننى أشعر بإعجاب نحو رجل قد أصيب بجرح من شبح عاهرة ومع ذلك يجد الأمر مثيراً " .

فقال : " وإنى لأشعر بإعجاب نحو امرأة تقف الند بالند أمام شبح غاضبة وتنتصر عليها " .

" إنه منزلى " ، ثم ترققت نبرة صوتها وهى تلمس فكه برفق قائلة : " لن تشعر بألم " .

" هذا ما يقولونه جميعاً " .

وأخذت تطهر الجروح بيد رشيقة ، ماهرة ولطيفة بينما استمر فى النظر إلى وجهها .

فسألته : " أتبحث عن شيء ما ؟ " .

" إنى أتساءل إن كنت قد وجدته بالفعل " .

فقالت : " إنك لم تر ذلك الجرح هناك " ثم انحنت لأسفل ومسحت على الجرح ، ثم تراجعت إلى الوراء قائلة : " ستعيش " .

" شكراً " . وأخذ بيدها وهو يحدق فى عينيها بعينه ذات اللون الأخضر الحاد قائلاً : " لدىَّ بعض النظريات " .

" وإنى لأتوق إلى سماعها ؛ لكنى أريد أولاً أن أنظم وأرتب تلك الفوضى بالداخل ، ثم أحتسى مشروبى المفضل " .

فقال : " سأساعدك " .

" كلا ، إنى أفضل أن أقوم بذلك بنفسى ، أعتقد أنى فى حاجة إلى ذلك " .

فقال : " إنك تجعلين الأمر صعباً ، فأنت دائماً تطلبين منى أن أكون بعيداً " .

خللت شعره بيدها قائلة : " أعتقد ذلك . ربما يتضح الأمر لك إذا ما أخبرتك بأننى سأشعر براحة إذا ما عرفت بأن لديك ثقة كافية بنفسك لتبقى بعيداً حينما أريدك أن تكون بعيداً " .

فقال : " ربما كان ذلك مناسباً بشكل جيد لنا " .

فقالت : " أعتقد ذلك ، هل لك أن تنزل لأسفل مع الآخرين ، وتمنحنى نصف ساعة لأرتب الأشياء كما كانت ؟ فهذا سيجعلنى أشعر بالهدوء قليلاً " .

" حسناً " ، ثم قام واقفاً وهو يقول : " سأبقى هنا الليلة وسوف أحصل على صفحة من كتاب ستيلا ، وهذا غير قابل للنقاش . ولكن يمكنك أن تقررى فى خلال نصف ساعة ما إذا كنت تفضلين أن أبيت الليلة معك أم فى غرفة استقبال الضيوف " .

ثم تركها وهى قاطبة جبينها تنظر إليه .

* * *

وجد الجميع فى المطبخ . لقد تجمعوا جميعاً كأسرة واحدة فى قلب المنزل ، كان هناك شىء ما فوق الموقد ، وطفلة تزحف على الأرض ، وولدان صغيران يتجاذبان الجاكت وبينما كلبهما الصغير يقفز ويثب فى مرح .

وتحولت الأنظار إليه ، وبعد برهة من الصمت تحدثت ستيلا إلى ابنيها فى نبرة قوية قائلة : " اذهبا بعيداً ودعاه يجرى ، ولكن ابقيا بعيداً عن أحواض الزهور . وسوف نتناول الطعام حالاً " .

كانت هناك ضجة وصياح وصراخ وضحك من ليلى ، ثم انطلق الأولاد والكلب وتبعهم صوت ارتطام الباب الخلفى .

وتسللت يد ستيلا ممسكة بيدى لوجان قائلة : " كيف حالها ؟ "

" إنها رابطة الجأش كالعادة ، لقد احتاجت إلى نصف ساعة " . ونظر ميتش إلى هاربر قائلاً : " سأبقى هنا الليلة " .

فقالت هايلى : " حسناً ، أعتقد أن هذه فكرة جيدة . فكلما بقيت هنا لفترة أطول كان ذلك أفضل . يبدو أنك قد تعودت على وجود شبح بالمنزل " .

فتدخل لوجان قائلاً : " وأنت على وجه الخصوص " .

" هل لاحظت ذلك ؟ " مسح ميتش على الجرح الموجود فى خده ثم قال : " إنه لأمر مثير ، أليس كذلك ؟ " لقد كانت هناك ثورة وغضب كبيرين فى تلك الغرفة ، وكانت ترمى أى شىء نحو روزاليند ، مبدية حرصاً بالغاً ومتعمدة على ألا تصاب بأذى " .

رفع هاربر ليلى لأعلى عندما حاولت أن تتسلق ساقه قائلاً : " لو لم يكن الأمر كذلك ، لرحلت هى عن هنا . وأنا لا أتحدث عن أمى " .

أومأ ميتش برأسه قائلاً : " كلا ، وقد عبرت روز عن شعورها " .

فتدخل ديفيد فى الحديث قائلاً : " وها هى بأعلى بمفردها " . ثم نظر إلى الفرن قائلاً : " لأنها تعنى ذلك . إن الجميع فى هذا المنزل حياً أو ميتاً يعرف أنها تعنى ذلك " .

فاتكأ لوجان إلى المنضدة قائلاً : " وكلنا هنا بأسفل وقد تركناها لأنها هى التى تدير هذا العرض " .

رد ميتش قائلاً : " ربما كان ذلك صحيحاً . ولكن بعد ذلك سيكون عليها أن تتخلى هى عن تولى الأمر من وقت لآخر " . ثم

أومأ برأسه ناحية إناء القهوة وسأل قائلاً : " هل هذه القهوة ساخنة ؟ "

كانت روز باعلى تلتقط أغراضها الشخصية الثمينة التى كانت تحتفظ بها فى غرفة نومها وكانت تحتفظ ببعض التذكارات القليلة التى تبعثرت الآن .

وأدركت أن ذلك التدمير المتعمد كان أسوأ ما فى الأمر ، وكذلك تدمير تلك الأشياء الثمينة بسبب هياج أنانى .

وأخذت تهمهم بينما تعمل على ترتيب الحجرة كما كانت ، قائلة : " تماماً مثل الطفل الشقى ، إننى لم أسمح بمثل هذا السلوك أن يحدث حتى من أبنائى ، ولن أسمح بأن يحدث ذلك ثانية مهما كان الأمر " .

رتبت قطع الأثاث ، ثم ذهبت كى تعيد ترتيب السرير كما كان قائلة : " من الأفضل لك يا إميليا أن تتذكرى ذلك دائماً ، يجدر بك أن تتذكرى من هى سيدة هاربر هاوس " .

وهدأت بشكل أفضل ، وأحست بارتياح بشكل مذهل ريثما تقوم بترتيب وتنظيم غرفتها وهى تتحدث حتى لو كان لومها هذا موجها لحجرة فارغة .

وبهدوء أكثر ذهبت إلى الحمام وقد انسدل شعرها القصير فى شكل سنابل ، بسبب تلك الرياح التى هبت فى الغرفة . وأدركت روز أن ذلك لم يكن منظراً جيدا بالنسبة لها فأخذت تمشط شعرها لتصففه ، وببطء أخذت تضع مسحوق التجميل وهى تفكر فى ميتش .

إنه لرجل رائع . لم تستطع أن تتذكر آخر رجل شعرت بسعادة مثل هذه معه . وكم كان رائعا وهو يخبرها بأنه سيقضى

الليلة هنا دون أن يطلب ذلك بشكل مهذب ، وإنما قال ذلك فى شكل عبارة صريحة ، ثم ترك لها تقرر أين سينام .

نعم ، لقد كان رجلا رائعاً بمقدوره أن يكون مسيطراً ومهذباً فى وقت واحد .

وقد كانت تريده ، وشعرت بإحساس رائع وهى تريده وتحتاج إليه ، لقد كان شعوراً رائعاً وهى تشعر بتلك الشهوة الجيدة الصحية تغلى بداخلها .

وقد كانت بالطبع قد تجاوزت تلك المرحلة التى يمكن أن تنكر فيها ذلك الحبيب ، إنها تدرك الآن أن ذلك الحبيب كان رجلا تكن له الاحترام ، وربما الثقة . ولكن مسألة الثقة كانت أكثر صعوبة من مسألة الاحترام ، وأشد قوة من شعورها بالشهوة .

ومن ثم فسوف يبدآن ، كما بدا لها ، من حيث يجب أن يبدأ به ثم ترى إلى أين يمضى بها هذا الأمر .

وعندما خرجت ، سمعت أصوات الموسيقى تنبعث من غرفة جلوسها ، لقد كانت موسيقى ممفيس الكئيبة وقد كانت تعزف بصوت منخفض . فتجهمت ناظرة إلى الوراء ، ثم مضت فى طريقها .

وعلى المائدة كان هناك غداء أعده ديفيد بنفسه به شرائح من الدجاج المشوى ، والبطاطس المهروسة المثلجة ، والبسكويت الذهبى .

وتعجبت كيف استطاع الغلام أن يجمع بين أطعمتها المفضلة . ولكن هذا هو ديفيد الذى يمكن أن تتوقع منه أى شيء .

وهناك كان ميتش يقف فى ضوء الشموع ويصب لها مشروبها المفضل .

فأحست بارتجاف يسرى فى قلبها وأحشائها ، شيئاً ما يرتجف بداخلها أكثر من مجرد الشهوة فى وقت كانت فيه الشهوة هى كل ما تريده ، ولكنه حرك فيها أحاسيس كثيرة بوقفته هناك ، وبيده ووجهه وما فيها من جروح .

وحينئذٍ نظر إليها مبتسماً .

" ولم تستطع التفكير حينها فى شئ " .

وقال : " اعتقدنا أنك ربما تكونين بحاجة إلى وجبة خفيفة ، وبعض من الهدوء بعد تلك العاصفة ، ولأنى أريد أن أتحدث معك أنت ، فلم أتحدث مع جنودك الشجعان فى أى شئ " .

" جنود . إنه تعبير رائع " .

" بل هم أكثر من جنود . فهاربر على أهبة الاستعداد لينتزع سيفاً يضرب به من أجلك ، وأعتقد أن بقية أولادك مثله تماماً " .

" أعتقد أنى أفضل أن أخوض معاركى بنفسى " .

" وهذا هو سبب وقوفهم بجوارك ومعهم ديفيد ، ابنك الرابع ، نعم إنه حقاً ابنك الذى لم تلديه ، إنه يهيم بك حباً " .

" وأنا كذلك أحبه كثيراً " .

" أما لوجان ، فإنى أراه كفارس للملكة المتمثلة فيك أنت ، أعتقد أن هذا التشبيه لن يروق له " .

" أعتقد أنه لا يروق لى أيضاً " . ثم أخذت رشفة من الشراب .

" ولكنه كذلك " .

ثم أخذ مشروبه قائلاً : " ألا تعرفين أنك تمثلين لهم الكثير ؟ فأنت بمثابة الجانب الحيوى الحنون فى حياتهم الآن . فعندما نزلت هنا ، وذهبت إلى المطبخ لم أر سوى عائلة ، وأنت تمثلين قلب ولب هذه الأسرة ، لقد صنعت هذه الأسرة " .

حدقت إليه ، ثم شهقت قائلة : " حسناً ، إنى لا أدرى كيف أرد على ذلك " .

" يجب أن تفخرى بهؤلاء الناس الطيبين فى مطبخك . بالمناسبة ألا يعرف هاربر أنه يحب هايلى ؟ " .

حينئذ حدقت إليه ثم جلست على المقعد قائلة : " إنك تتمتع بسرعة بديهة وقوة ملاحظة أكثر مما كنت أتوقع ، إنى أشهد لك بذلك . كلا ، لا أعتقد أنه يعرف ، أو على الأقل لا يعرف ذلك كلية ، وهذا ربما يفسر عدم اهتمامها كلية بما يشعر به نحوها . إنها تعرف أنه يحب ليلى ، وأعتقد أن هذا هو كل ما يتراءى لها فى هذا الوقت " .

" وكيف تشعرين حيال ذلك ؟ " .

" أريد أن يشعر هاربر بسعادة ، وأن يحصل على ما يبغيه طوال حياته . يجب أن نتناول الطعام قبل أن يبرد " .

وظن ميتش أن ذلك لم يكن سوى أسلوب مهذب أخبرته به أنها قد ناقشت معه خصوصيات أسرتها بما فيه الكفاية . وأدرك أن المرأة تضع حدوداً ، وحدوداً واضحة للغاية . ولكن أياً من هذه الحدود سيعبره ؟ ومتى ؟ وكيف سيقوم بذلك ؟ كل هذا سيمثل له تحديا مثيراً .

وسألها : " كيف تشعرين ؟ " .

" إنى بخير ، لقد كنت فى حاجة إلى أن أهدأ مع نفسى قليلاً " .

" إنك تبدين بخير . أخبرينى يا روزالنيد ، كيف تحتفظين ببقائك جميلة للغاية ؟ " .

" إن أضواء الشموع تظهر جمال المرأة . ولو كان الأمر بأيدينا لما احتاج إديسون إلى اختراع ذلك المصباح الكهربى اللعين " .

" ولكنك لست بحاجة إلى أضواء الشموع كى تبدى جميلة " .

رفعت حاجبيها قائلة : " إن كنت تفكر فى إغوائى أثناء تناولنا لذلك الدجاج المشوى حتى لا أصطحبك لإحدى الغرف المعدة لاستقبال الضيوف بعد الغداء ، فلا تقلق بشأن ذلك . إنى أريدك فى مخدعى " .

" بغض النظر عما إذا كنت أريد إغواءك ، إنى لا أقول سوى حقائق فى هذه اللحظة . وبعيداً عن ذلك ، إن هذا الدجاج المشوى رائع للغاية " .

" إنى أحبك وأريد أن أقول ذلك . أحب طريقة تصرفك ، ولا أشعر بكثير من التوتر أو القلق نحوك فأنت لا تنافق أو تتجمل ، وهذا فى حد ذاته لتغير جيد بالنسبة لى " .

فقال : " إنى لا أكذب ، فقد أقلعت عن الكذب منذ أن أقلعت عن الشراب . وهذا هو ما يمكننى أن أعدك به يا روز ، إنى لن أكذب عليك " .

" إنى لأقدر ذلك كثيراً " .

فقال : " وفى هذا السياق أريد أن أقول بأن ما حدث مؤخراً من ذلك الاضطراب كان شيئاً جديداً " .

" نعم ، وإنى لأتمنى ألا يتكرر ذلك ثانية " .

فقال : " إنها لم تظهر اعتراضا بأى شكل من الأشكال على خطوبتك ، أو زواجك من جون هاربر " .

" كلا ، كما أخبرتك من قبل " .

فقال : " ولم تعترض كذلك على أية علاقة لك بعد جون ، إنها لم تعترض على كليرك " .

هزت كتفها قائلة : " لم تفعل شيئاً سوى بعض المضايقات القليلة على فترات متقطعة ، مجرد استياء ، ولكنها لم تشتاط غضباً كما فعلت مؤخراً " .

فقال : " إن لدى تفسيراً ، ربما لا يروق لك . ولكن إضافة إلى وعدى بأنى لن أكذب عليك ، فسوف أتحدث عما يراود فكرى ، كما توقعت منك أن تكشفى عما يجوب بخلدك " .

" إذن سيكون ذلك مثيراً " .

فقال : " إنها تحتاج إلى أطفال فى هذا المنزل ، فهذا هو ما يجعلها تشعر بارتياح . وأنت وجون بزواجكما سوف تنجبان أطفالاً فى المنزل ، ومن ثم فلم تعترض أو تثر بشدة ، لقد كان جون مجرد وسيلة لتحقيق غاية " .

فقالت : " إنها لنظرية باردة للغاية " .

" نعم ، وستصبح أكثر برودا . وبمجرد أن جاء الأطفال ، لم تعد هناك حاجة إليه . وفى رأيى أنها كانت ترى ذلك شيئاً صوابا بل وعادلاً " .

امتقع لونها وابيض وجهها وقد اكتسى بالذعر قائلة :

" إن كنت تريد أن تقول بأنها هى السبب فى ... " .

فقاطعها وهو يضع يده على يدها قائلاً : " كلا . إن حدودها لا تتجاوز هذا المنزل . إننى لست خبيراً فى تلك الأمور الخارقة للعادة ، ولكن هذا هو واقع الأمر ، إنها متمركزة هنا بغض النظر عن هويتها ، أو عما تمتلكه " .

أومأت برأسها وهى تستعيد استرخاءها قائلة : " نعم ، إنى لم أسمع يوماً عن أحد قد رآها أو سمعها خارج حدود أرضى ، وكذلك أنا أيضاً ، ولو حدث شيء من هذا القبيل فإنى على يقين من أنى كنت سأعرف ذلك " .

فقال : " إنها مرتبطة فقط بهذا المكان وربما بهذه العائلة فقط ، ولكنى أشك فى أنها قد شعرت بذلك الحزن الذى شعرت به أنت وأبناؤك إثر وفاة جون . لم تشعر بشىء بالرغم من أنها من الممكن أن تشعر ، فقد تجلى لنا ذلك واضحا مع ستيلا فى الربيع الماضى عندما تعاملت معها كأم " .

أومأت برأسها وهى تلتقط شرابها قائلة : " حسناً أنا مقتنعة بما تقول حتى الآن " .

فقال : " وعندما بدأت تتعاملين مع الناس اجتماعيا وتقابلين رجالاً ، تحبين بعضهم لم تشعر سوى باستياء وضجر يسير ، وذلك لأنك لم تعيرى هؤلاء اهتماماً ، لأنهم لن يمثلوا جزءاً من حياتك فى هذا المنزل " .

فسألته قائلة : " أتقول بأنها تعرف ذلك ؟ " .

" إنها مرتبطة بك يا روز . إنها تعرف ما يدور بداخلك ، أو على الأقل تعرف ما يكفى لتفهم ما تفكرين فيه وما تشعرين به فيما بينك وبين نفسك " .

فردت فى هدوء قائلة : " إنها بداخل رأسى ، نعم لقد شعرت بذلك ، وهذا لا يروق لى . لكن ماذا عن برايس ؟ لقد تزوجته ، وقد عاش هنا . وبالرغم من أنها قد ثارت غاضبة فى مرات قليلة ، إلا أن غضبها وثورتها لم تكن بمثل هذا العنف وهذه القوة " .

" لأنك لم تحبيه " .

" ولكنى تزوجته " .

" وانفصلت عنه بالطلاق . إنه لم يشكل خطراً عليها ، ويبدو أنها كانت تعرف ذلك قبل أن تتزوجى منه . ودعينا نقول بأنه كان بالنسبة لها ليس إلا نكرة ، وربما يرجع السبب فى ذلك إلى ضعفه ، وأياً كان السبب فقد تراءى لها أنه لا يمثل تهديداً لها " .

" ولكنك تمثل خطراً عليها " .

" نعم ، بالطبع . ويمكننا أن نفترض أن عملى هو السبب فى ذلك ، ويجب ألا نستهين بذلك " .

" إنها تريدنا أن نعرف ونكشف حقيقتها ، إنها تريدنا أن نمضى فى ذلك قدماً فقط " .

" يبدو أنك تعرفها جيداً . معرفة قصيرة " .

فقال : " إنها معرفة قصيرة ولكنها مكثفة . وفهم الموتى هو جزء من عملى ، وهو أكثر ما يشدنى ويثير اهتمامى لاسيما تجسيد وتشخيص هؤلاء الموتى . إنها غاضبة لأنك سمحت لى بدخول حياتك ومعاشرتك " .

فقالت : " لأنك لست ضعيفاً " .

" نعم لست ضعيفاً . وأيضاً لأنك تهتمين أو ستهتمين بى ، وسوف أتأكد من ذلك ؛ لأن ما سنقدم عليه أنا وأنت أمر مهم " .

فقالت : " ميتش إننا على علاقة ، ولأننى لا أستخف بذلك فإنى ... " .

قاطعها قائلاً : " روزاليند " ثم وضع يده على يدها وعيناه تنظر إلى عينيها قائلاً : " إنك تعرفين جيداً أنى أحبك منذ أن فتحت باب شقتى وإذ بك هناك ، وشعرت بخوف ولكن ذلك لم يغير حبى لك " .

رجعت إلى الوراء وضغطت بيدها على قلبها ، ثم على حلقها لأعلى ولأسفل ، ثم قالت : " لم أعرف ذلك . وهذا يجعلنى مثل هايلى فقد اعتقدت أننا قد انجذبنا إلى بعضنا البعض بقوة ، وأن هناك احتراماً متبادلاً وما يرتبط بذلك من ... فيم تحدق ؟ "

" إنك تبدين عصبية ، لم أرك هكذا من قبل ، ماذا هناك ؟ "

قضمت آخر قطعة لهـا مـن الـدجاج بقـوة ، ثـم قالـت : لسـت عصبية . ولكنى مندهشة . هذا هو كل ما فى الأمر " .

" إنك خائفة " .

قامت من على المائـدة ، وهـى تشـعر بـبعض الحـرارة قائلـة : " لست خائفة ، لسـت خائفـة ... حسـناً إنـى خائفـة " . وعنـدما ضحك ضربت قدميها ببعضـهما البعض ، ثـم قالـت : " إن هـذا بـالطبع يسرك ، فالرجـال يحبـون أن يضعوا النسـاء فـى مواقـف حرجة " .

" لا ، هذا مجرد هراء " .

كان هناك شىء ما بارد حتى فى طريقة مزاحهما ، فاستدارت قائلة : " إنك تتمتع بثقة فى نفسك بشكل كبير " .

" حينما قلت ذلك أول مرة كنت تقصـدين مجـاملتى . أمـا الآن فأنت تريدين أن تقولى بـأنى متعجـرف ، إن هـذا يرجـع إليـك يـا حبيبتى " .

فضحكت وهى تضغط بيدها على عينيها قائلة : " ميتش ! إنى لا أعرف طبيعة ما أشعر به ، فهنـاك الكـثير مـن العمـل ، وربمـا كان الحب أحد هذه الأعمال . إنى لا أعرف إن كان ما أشعر به هـو من منطلق القوة ، أم الحب ، أم الكرم " .

" لا أشك فى أنك تشـعرين بالثلاثـة ومشـاعر كـثيرة . ولكننـا سنمضى فى الأمر كما يمضى ونرى ما سيحدث " .

ثم نهض واقفاً وهو يقول : " لا يمكننى أن أقول بأنى لا أحـب أن أراك ثائرة الأعصاب " .

ثم مشى نحوها قائلاً : " لا يوجد أشياء كثيرة تهزك ، أو على الأقل تثير أعصابك كما فعلت " .

" ليست لديك فكرة " .

" أعتقد أنى أعرف ذلك " ثم طوقها بذراعيه برقة وبرفق وأخذ يرقص معها وهما يتمايلان سوياً على صوت الموسيقى ، ثـم قـال : " إن أحد تلك الأشياء المثيرة التى تتمتعين بها هـو عـدم انهيـارك أمام المشكلات " .

رفعت رأسها قائلة : " نعم ، هذا صحيح " .

" إنى أرى ذلك مثيراً للغاية " .

" هل هذا هو جانب الإغواء هذا المساء " .

" إنها مجرد بداية ، هل تمانعين ؟ " .

وأدرك أنها قادرة على الرقص ، وأدركت أن ذلك سيروق لهـا . لقد أشعرها بالرقة والدلال .

وقالت : " لقد طلبت منى ذلك من قبل ، ولم أمانع وقتها " .

" أحب فيك جمالك " .

وشعرت بسعادة فمسحت بأصابعها على مؤخرة رقبته قائلة : " إن إتقان الأمور لشىء ممل ، ولكن لا تخبر ستيلا بذلك " .

" إذن لن أجعلك تشعرين بملل " .

وسمعت أحد الأبواب يغلق بهدوء ، وفتحت عينيهـا فوجـدت أنه قد أخذها إلى غرفة النوم .

ولم تزعجهما عروس هاربر فى هذه الليلة .

الفصل الرابع عشر



ارتدى ميتش بدلة ورابطة عنق وفي يده دستة من الورد الأصفر وعلبة من الشيكولاتة ، واستقل المصعد إلى شقة كلاريس هاربر فى الطابق الثالث فى عمارة منعزلة . كان يحمل فى حقيبته خطابها . لقد أدرك من تلك السيدة المتحفظة ذات اللكنة الجنوبية أن هذه المرأة تفضل ممن يقابلها أن يكون مرتدياً بدلة ومعه هدية من الزهور ، وفعل كما أخبرته روز تماماً .

وظن أنها لن توافق على ذلك اللقاء ، ولكنها فعلت ، وحرص على الفرصة حرصاً شديداً .

لم يتطرقا فى خطاباتهما إلى الحديث عن روزاليند ، أو أى فرد من هاربر هاوس .

رن جرس الباب بعد أن هيأ نفسه ليكون أنيقاً ومقنعاً .

وفتحت الباب امرأة صغيرة بالكاد يتجاوز عمرها العشرين ، كانت ترتدى تنورة سوداء بسيطة وبلوزة بيضاء اللون وحذاءً ذا

كعب منخفض ، وقد لفت شعرها فى شكل دائرى لا يناسب جمال وجهها النحيف أو صغر سنها .

لقد كان يتوقع أن يجد كلباً صغيراً مهذباً يحضر النعال دون أن يترك أثراً واحداً من آثار أسنان على الجلد .

" تفضل بالدخول يا دكتور كارنيجى ، إن الآنسة هاربر فى انتظارك " .

كان صوتها ملائماً لشكلها ، كان صوتها هادئاً ومهذباً .

" شكراً " ، ثم خطا نحو الداخل مباشرة إلى غرفة المعيشة ، وقد زودت بأثاث قديم غير متناسق . ووقعت عينيه على صندوق يعود إلى عصر جورج الثالث ، كما رأى خزانة عرض ترجع إلى لويس السادس عشر ، وغيرها من النماذج والعصور المتنوعة .

كانت المقاعد الجانبية ذات نسق إيطالى ، أما الأريكة فكانت ذات نسق فيكتورى ، وقد بدت جميعها غير مريحة بشكل سيىء .

كان هناك الكثير من التماثيل . تمثال لفتاة ريفية ، وآخر لقطة ، وآخر لبجعة ، وكذلك عدد من المزهريات . أما الأطباق الصينى والبورسلين والكريستال فقد تم تثبيتها فوق فوط أو قطع من القماش ، أما الحوائط فقد تم طلاؤها بلون وردى ، وقد فرشت الأرضية بسجادة كبيرة ذات لون بيج ، وزينت بالرسوم النباتية .

وقد ملأ المكان رائحة الرحيق حينما ينقع فى ماء الورد .

" اجلس من فضلك ، سأخبر الآنسة هاربر بقدومك " .

" شكراً آنسة ... " .

" بولسون ، جين بولسون " .

وحينما سمع ذلك الاسم استرجع فى مخيلته سريعاً شجرة العائلة . ثم قال : " إذن أنت أحد أقرباء الآنسة هاربر من جهة الأب " .

فتورد خداها بما يعتريهما من لون باهت قائلة : " نعم ، إنى من أحفاد أحد أخوات الآنسة هاربر . معذرة " .

وحينما ذهبت قال لنفسه : " مسكينة تلك الفتاة " . وألقى نظرة على قطع الأثاث ، وعلى مضض جلس على أحد المقاعد .

وبعد دقائق سمع صوت خطى وظهرت المرأة نفسها .

وبالرغم من أنها كانت نحيفة إلا أنها لم تكن واهنة بالرغم من سنها ، ومن أول نظرة بدت له ككائن صلب قد بلى ولم يتبق منه سوى أصوله . كانت ترتدى فستاناً من الأرجوان الفاخر ، وقد اتكأت على عصا من الأبنوس ذات مقبض من العاج .

أما شعرها فقد كان كخوذة قديمة بيضاء ، ولها وجه رفيع ، وجسدها نحيف ، وقد امتلأ بالتجاعيد تحت هالة من البودرة ومساحيق التجميل ، ولها فم أحمر كلون الخشخاش ورفيع كنصل السكين .

كانت ترتدى حُلياً من اللؤلؤ فى أذنها ورقبتها ، بينما امتلأت أصابع يدها بخواتم تتلألأ بقوة فبدت كالنحاس .

جاءت والكلب الصغير بجوارها يجر ذيله .

فوقف ميتش وانحنى انحناءة يسيرة قائلاً : " إنه ليشرفنى أن أقابلك يا آنسة هاربر " .

فبسطت إليه يدها ، فرفعها إلى شفتيه يقبلها وهو يقول : " إنى ممتن لك لسماحك لى بمقابلتك " ، ثم قدم لها الورود ، وعلبة الشيكولاتة قائلاً : " هذا شىء يسير ينم عن تقديرى لك " .

أومأت برأسها وكأنها تستحسن صنيعه قائلة : " شكراً لك . ضعى هذه الورود الجميلة فى المزهرية يا جين . تفضل بالجلوس يا دكتور كارنيجى ، لقد أثار خطابك اهتمامى " ، واستمرت فى حديثها وهى تجلس على الأريكة وقد أسندت عصاها على ذراع الأريكة قائلة : " هل أنت أصلاً من ممفيس ؟ "

" كلا ، بل أنا من شارلوت حيث يعيش والدى وأختى ، وقد التحق ابنى بالجامعة هنا فجئت لأعيش بجواره " .

" لقد طلقت أمه ، أليس كذلك ؟ "

فأدرك ميتش أنها قد تحرت عنه ، حسناً فقد تحرى هو الآخر عنها ، ثم قال لها : " نعم " .

فقالت : " إن الطلاق لشىء بغيض ، فالزواج ليس رحلة ترفيهية " .

فنظر إلى عينيها التى كانت تحدق فيه ، ثم قال : " بالطبع إنه ليس كذلك . وإنى لأعترف بأنى أنا المسئول فى المقام الأول عن مشكلات زواجى ، فقد كنت مدمنا لشرب الخمر ، وقد تسببت لزوجتى السابقة فى الكثير من التوتر والتعاسة أثناء زواجنا . ويسعدنى أن أقول بأنها قد تزوجت من رجل طيب ، ومازالت تجمعنا علاقة حميمة " .

ضغطت كلاريس على شفتها ذات اللون الأحمر الساطع وأومأت قائلة : " إنى أحترم الرجل الذى يتحمل نتيجة أخطائه " .

" لقد أثبتَ ذلك " .

ظلت جالسة ، وعلى الرغم من أنها كنت تقارب الثمانين من عمرها إلا أنها لم تكن منحنية ، وسألته قائلة : " هل تعمل بالتدريس ؟ "

" لقد اشتغلت بالتدريس من قبل ؛ ولكنى مشغول فى الوقت الراهن بعمل أبحاثى وكتاباتى عن التأريخ للعائلات ، وكتابة السير الذاتية عن الآخرين ، فأجدادنا هم أصولنا " .

" بالطبع " ، ثم نظرت إلى جين حينما دخلت ومعها الزهور ، ثم قالت : " كلا ، لا تضعيها هنا ولكن ضعيها هناك وكونى حذرة . والآن أحضرى المرطبات ، فهل سيجلس ضيفنا هنا هكذا دون أن نقدم له أصول الضيافة ؟ "

ثم اتجهت مرة ثانية إلى ميتش قائلة : " هل أنت مهتم بعائلة هاربر ؟ "

" نعم ، بدرجة كبيرة " .

" إذن فأنت تعى تماما أن عائلة هاربر لا تمثل أصولى فقط ، وإنما تشكل جانباً وجزءاً حيوياً من أصول مقاطعة شيبلى ، وكذلك ولاية تينيسى " .

" إننى أعى ذلك تماماً ، وأتمنى أن أكون منصفاً بشأن إسهاماتهم ، ولهذا جئت إليك من أجل مساعدتك والاستماع إلى ذكرياتك ، وآمل كذلك أن تولينى ثقتك بشأن أية خطابات ، أو كتب ، أو أية وثائق مكتوبة من شأنها أن تساعد فى كتابة تقرير شامل ومفصل عن تاريخ عائلة هاربر " .

ونظر سريعاً لأعلى ـ بينما جاءت جين تحمل على صينية كبيرة إناء الشاى والأكواب ـ قائلاً : " دعينى أساعدك " .

وبينما قام إليها رأى عينى المرأة تنظران نحو جدتها فى اضطراب ، ثم سمحت له أن يأخذ الصينية قائلة : " شكراً " .

" صبى الشاى أيتها الفتاة " .

جلس ميتش فى مقعده ثانية ثم قال : " إن الآنسة بولسون هى حفيدة أخيك من ناحية الأب . من المؤكد أنه لأمر طيب أن تكونى على قرب من بعض أفراد عائلتك " .

مالت كلاريس برأسها كما يفعل الملوك قائلة : " إن الشعور بالواجب نحو العائلة أمر عظيم ، وأعتقد أنك قد قمت ببحث كبير لتؤرخ للعائلة " .

" نعم ، يمكننى أن أريك ذلك إن سمحت لى " ، ثم فتح حقيبته وأخرج منها ذلك الملف الذى أعده لها قائلا : " أعتقد أنه ربما يسعدك أن تحتفظى بهذا ، إنه ملف عن شجرة نسب العائلة " .

أخذت الملف ، وأشارت بإصبعها فى الهواء لجين ، فأحضرت نظارة مخصصة للقراءة ذات سلسلة ذهبية .

وبينما أخذت تنظر فى الأوراق حاول ميتش جاهداً أن يشرب ذلك الشاى الردىء المصنوع من الأعشاب .

وسألته قائلة : " كم تكلفة ذلك ؟ " .

" إنها هدية يا آنسة هاربر ، فأنت لم تطلبى ذلك منى . إنه أنا الذى يطلب مساعدتك فى مشروع أحرص بجدٍ على استكشافه " .

فقالت : " سنكون صرحاء يا دكتور كارنيجى ، فلن أسمح أن يُطلب منى مالٌ فى نهاية الأمر " .

" بالطبع لا " .

قالت : " من الواضح أنك قد أرخت إلى القرن الثامن عشر حينما هاجرت أوائل عائلتى من آيرلندا . فهل تنوى أن تؤرخ لأبعد من ذلك ؟ " .

فقال : " إنى أقوم بذلك على الرغم من أنى أنوى فى خطتى أن أركز على العائلة بشكل أكثر هنا فى تينيسى ، وعلى ما قاموا به بعد قدومهم إلى أمريكا فى مجال الصناعة ، والثقافة ، وكذلك ما قاموا به من أدوار ريادية فى كلا المجالين بالإضافة إلى دورهم فى المجتمع . إن العائلة نفسها تمثل الجانب الأهم فى مشروعى من ناحية الزيجات ، والمواليد ، والوفيات " .

ومن خلال عدسات نظارة القراءة الخاصة بها كانت عيناها تشبهان عينى الصقر المفترس ، وقالت : " لماذا أدرجت طاقم العمل والخدم بالمنزل هنا ؟ " .

وعلى الرغم من أنه قد فسر هذه النقطة من قبل فقد قال : " ببساطة لأنهم كانوا يمثلون جزءاً من نسيج المنزل . وإننى فى الواقع على اتصال بامرأة من نسل أحد مديرى المنزل أثناء طفولة والدتك ، فيكتوريا هاربر . فالحياة اليومية بالإضافة إلى حفلات التسلية التى عُرفت بها عائلة هاربر تمثل عناصر ضرورية لكتابى " .

تأففت قائلة : " وماذا عن تلك الأشياء القذرة الخاصة بالخدم وما إلى ذلك ؟ " .

فقال : " أؤكد لك أنى لا أنوى أن أكتب شيئاً تافهاً ، وإنما أريد أن أكتب تاريخاً مفصلاً شاملاً ، ومزوداً بالحقائق عن العائلة ، لاسيما عائلة كعائلتك يا آنسة هاربر ، وما كان لها قطعاً من انتصارات ومآس ، وفضائل وفضائح ، ولن يغفل بحثى شيئاً من ذلك ؛ ولكننى أعتقد أن عائلتك بتاريخها وتراثها بمنأى عن الإخفاقات البشرية " .

" ولكن هذه الإخفاقات والفضائح هى التى تثير الأمر ، وتزيد من حجم مبيعات الكتب " .

" لن أجادل فى ذلك . ولكن سيكون لهذا الكتاب ثقل كبير من ناحية الحقائق " .

وضعت الملف جانباً وارتشفت الشاى قائلة : " من المؤكد أنك قد اتصلت بروزاليند هاربر " .

" نعم " .

" وهل هى متعاونة ؟ " .

قال : " لقد أبدت تعاوناً كبيراً ، فقد قضيت بعض الوقت فى هاربر هاوس . إنه حقاً لرائع . إنه يمثل صرحاً لما قامت به عائلتك من تشييد منذ قدومها إلى مقاطعة شيلبى . إنه يمثل السحر والجمال والاستمرارية " .

" إن جد ... جد .. جدى الأكبر هو الذى قام ببناء هاربر هاوس ، بينما قام ابنه برعايته إبان حرب الشمال ، أما جدى فهو الذى قام بتوسعته وتحديثه مع الحفاظ على تاريخه وعراقته " .

وانتظر دقيقة كى تستأنف حديثها ، كى تتحدث عن إسهامات عمها لممتلكات الأسرة ، ولكن عندما توقفت ، أومأ فقط برأسه قائلاً : " إن هاربر هاوس يُعد شاهداً على عائلتك وكنزاً من كنوز المقاطعة " .

" إنه أقدم منزل من نوعه تعيش فيه أسرة واحدة باستمرار فى هذا البلد . وحقيقة ليس هناك ما يقارن به ، إنه لا يضاهى لا فى تينيسى ولا فى أى مكان آخر . وللأسف الشديد إن ابن عمى لم يرزق بولد ليحمل اسم العائلة " .

" إن الآنسة هاربر تستخدم اسم العائلة " .

ردت على ذلك فى أنفة ، وهى تنقر على أصابعها المزينة بالخواتم قائلة : " ولكنها تدير محلا لبيع الزهور فى العقار ،

أتمنى حينما يرثها ابنها الأكبر أن يكون أكثر عقلانية وكرامة منها بالرغم من أنه لا يلوح لى أية بوادر لذلك ".

" ولكن عائلتك طالما كانت تعمل بالتجارة والصناعة ".

ردت قائلة : " ولكن ليس بالمنزل . وربما أقرر أن أساعدك يا دكتور كارنيجى نظراً لأن ابنة عمي روزاليند تعتبر بالكاد أفضل مصدر لتاريخ عائلتنا . وربما تكون قد استنتجت بالفعل أننا لسنا على وفاق ".

" يؤسفنى أن أسمع ذلك ".

" من الصعب أن نتفق . فقد نما إلى مسامعى أنها الآن تعيش مع أناس من خارج العائلة . أحدهم نازح من الولايات المتحدة الشمالية ".

انتظر ميتش لبرهة ، ورأى أن عليه أن يوضح الأمر فقال : " وأعتقد أن من يعيشون هناك ما هم إلا ضيوف على صلة قرابة من ناحية زوج الآنسة هاربر الأول ، ومنهم واحدة على صلة قرابة بعيدة ".

" ولها طفل ". انكمشت تلك الشفاه فاقعة اللون وعبست بوجهها بينما تقول : " إنه لأمر مشين ".

فرد قائلاً : " إنه ... لموقف حساس ، ولكن هذا غالباً ما يحدث كثيراً فى تاريخ أى عائلة . وبما أنه يحدث فإن إحدى الأساطير التى سمعتها بشأن المنزل والعائلة تتحدث عن شبح لسيدة صغيرة ربما وجدت نفسها فى نفس هذا الموقف الحساس ".

" هراء ".

فطرف بعينيه ، ولم يصدق أن يستمع لأحد يستخدم مثل هذا المصطلح فى محادثة رسمية ، واستطردت قائلة : " أشباح ؟ كنت أظن أن رجلاً متعلماً مثلك سيكون أكثر عقلانية ".

فرد قائلاً : " إن الأشباح مثلها مثل الفضيحة تضفى على الموضوع إثارة ، ناهيك عن أن أسطورة عروس هاربر ذائعة الصيت فى المنطقة ، ويجب أن تُذكر بالطبع فى تاريخ العائلة . وسيكون أمراً مدهشاً لو أن منزلاً فى عراقة وقدم هاربر هاوس لم يحدث أن قيل عنه إنه مسكون بالأرواح . ومن المؤكد أنك قد سمعت هذه القصة فى طفولتك ".

" إنى أعرف القصة وحتى حينما كنت لا أزال طفلة لم أكن لأصدق مثل هذا الهراء ، فلم أكن كهؤلاء الذين كانوا ينظرون إلى الأمر باعتباره أمراً مسلياً ، وإن كنت خبيراً وذا مهارة فى عملك فمما لا شك فيه أنك ستكتشف أنه لم يكن هناك ما يسمى بعروس هاربر ، والتى ماتت فى ذلك المنزل فى سن صغيرة ، والتى اشتهرت بها هذه الروح ، ولا منذ أن بدأت هذه القصة تتناقل على الألسن ".

" ولكن متى بدأت ؟ ".

فقالت : " فى عصر جدى بكل المقاييس ، فأوراقك هذه تنفى مثل هذه الحماقات . لقد عاشت جدتى إلى أن تقدم بها العمر وكذلك أمى وخالاتى ، أما جدة أمى وكل أولادها الذين بلغوا سن الخامسة قد ناهزوا سن الأربعين حين وفاتهم ".

" لقد سمعت عن نظريات تقول بأن هذا الشبح له صلة بعيدة ، ربما بإحدى القريبات أو إحدى الضيفات أو الخادمات ".

" كلها نظريات لا أساس لها من الصحة ".

ابتسم وهو يومىء برأسه وكأنه يوافقها الرأى قائلاً : " ولكن الأمر لايزال مثيرا . وفقا لمعلوماتك فإن أحداً من أفراد عائلتك لم ير بالفعل هذه العروس الأسطورة ؟ "

" بالطبع لا " .

" يا للحسرة . إن هذه القصة كانت ستشكل فصلاً شيقاً فى التاريخ ، وكنت أتمنى لو أن أقابل شخصاً لديه قصة يريد أن يقصها ، أو أن يكتب عنها فى صحيفة ، أو فى مذكرات يومية ، وإنى آمل أن أضيف بعض القصص إلى بحثى كى استخدمها فى تشخيص تاريخ هذه العائلة . فهل لديك أية قصص لأمك أو لأبيك أو لأحد من أسلافك ؟ أو أية قصص لجدتك أو لخالاتك أو لأبناء عمومتك ؟ "

" كلا " .

وبطرف عينيه لمح جين تفتح فمها كما لو كانت تريد أن تتكلم ، ثم أغلقته بسرعة مرة ثانية .

" أتمنى أن تسمحى لى بإجراء مقابلات أكثر عمقاً معك لنتحدث عن تلك الأمور الخاصة ، وعن أية قصص أو نوادر تودين أن تقصيها علىَّ . وكذلك بالنسبة لأى صور يمكنك أن تقومى بطبع نسخة لى على نفقتى ، وذلك لأضمنها فى كتابى " .

فردت قائلة : " سأفكر فى ذلك بجدية ، وسأتصل بك ريثما أتخذ قرارى " .

" شكراً جزيلاً لك ، إنى أقدر لك قضاء ذلك الوقت معى " ثم نهض واقفا وهو يمد يده إليها قائلا : " إنى مهتم جداً بأمر عائلتك ، وقد أسعدنى الحديث معك " .

" إلى اللقاء يا دكتور كارنيجى ، اصطحبى الرجل خارجاً يا جين " .

وعند الباب مد يده إلى جين وهو ينظر فى عينيها مبتسماً قائلاً : " لقد سعدت بلقائك يا آنسة بولسون " .

ثم مشى نحو المصعد وهو يهز كعبيه منتظراً الباب ليفتح .

لقد كان لدى المرأة العجوز شىء ما لم ترد الإفصاح عنه ، وتلك الفتاة الصغيرة الهادئة تعرف ذلك الشىء " .

أخذت روز تتجول فى المنزل وسط نباتاتها وهى تشعر بسعادة غامرة . فقد اقترب موسم الافتتاح الكبير فى الربيع ، وسيكون موسماً قويا ، فالعمل سيكون طويلا وشاقا ، وسوف تستمتع بكل دقيقة فيه .

لقد كان ذلك السماد الجديد الذى تم تجهيزه فى الأصيص على وشك أن يباع ، وبمجرد أن يهل الموسم فسوف تبدأ عمليات شراء أجولة السماد التى يزن كل منها خمسة وعشرين كيلو جراما .

لقد استشعرت ذلك .

لقد أقرت بأنها كانت تستشعر ، فى الحقيقة ، كل شىء . كانت تستشعر ذلك الطنين فى الهواء والذى يوحى بالربيع ، كانت تستشعر آشعة ضوء الشمس وهى تتخلل فروع الأشجار ، وكانت تستشعر ذلك الارتخاء فى عضلاتها .

وقد اندهشت لأن عضلاتها كانت مرتخية بعد ليلة أمس . لقد وصلت إلى الذروة بتلك اللذة أربع مرات ، وقد صدق ميتش فى وعده وسيصدق فى وعده فقد قال : " ابقى معى ، ولن تكون هذه هى المرة الأخيرة التى ستصلين فيها إلى الذروة أربع مرات " .

ولقد أثبت لها ذلك فى منتصف الليل .

مع جون ... كانا جامحين ولا يكتفيان من بعضهما البعض حتى بعد إنجاب أطفالهما .

بعد ذلك مضى وقت طويل قبل أن تسمح لأحد آخر بأن يمسها . وفى الواقع لم يفعل أحد ذلك ـ سوى جسديا فقط .

فلم يستطع برايس مسها .

لقد كانت تظن أن ذلك ربما يكون خطأها ، أو أن هذه هى طبيعتها . إنها لم تشعر نحوه بحب عميق ، وإنما كان يروق لها فقط ، كانت تستمتع به ، وتشعر نحوه بانجذاب .

كان ذلك غباءً منها ، ولكن ليس هذا هو بيت القصيد الآن .

لقد كان الحب هو ما يكفيها ، لقد كانت فى حاجة إلى صاحب وإلى شريك .

وقولاً للحق ، فمنذ طلاقها ، بل قبل طلاقها بفترة كبيرة كانت عازبة ، ولم يكن أمامها خيار آخر ، فقد كان ذلك خيارها .

إلى أن ظهر ميتش في حياتها .

لقد قلب كيانها رأسا على عقب ، وشعرت باطمئنان ، إن صح التعبير ، على أنها لاتزال في حالة جيدة .

لقد قال إنه يحبها ، وهذا أيضاً يقلقها بعض الشىء ، فالحب لايزال يعنى أشياء معينة بالنسبة لها . فالحب بالنسبة لها يعنى زواجًا ، وأسرة ، وكلاهما يجب ألا يستخف بهما .

إنها لن تستخف بأمر زواجها مرة ثانية ، ومن ثم فلن تستخف بأمر الحب الذى كانت تنظر إليه على أنه إحدى مقدمات الزواج .

ولكنها ستستمتع به فقط ، وبتلك الطريقة التى أحست بها فى ذلك المساء الذى لا ينسى .

ومرت بحديقتها ، وأدركت أن ذلك النرجس الذى زرع مبكراً قد أزهر واكتسى بلون أصفر زاهٍ ، ربما ستدخل وتحضر مقصها كى تأخذ بعضًا منه إلى غرفة نومها .

وحينما اقتربت من المنزل رأت ستيلا وهايلى فى الشرفة فلوحت إليهما بيدها .

وقالت : " إنـى لأشم رائحة الربيع ، نريد أن نبدأ العمل ... " . وعندما رأت وجهيهما تلكأت قليلا ، ثم قالت : " هل هناك من مشكلة ؟ "

فردت ستيلا : " كلا ، ولكن السيدة هاجرتى كانت هنا اليوم " .

" وهل هناك من مشكلة معها ؟ "

فقالت ستيلا : " كلا ، ولكنها كانت تسأل عنك ، وقد اندهشت لأنك بخير " .

" ولم لا أكون بخير ؟ " .

فقالت ستيلا : " لقد ظنت أن ما حدث فى نادى الزهور قد أزعجك " .

هزت روز كتفها قائلة : " آه ! إن معرفتها بى أفضل من ذلك " .

فسألتها ستيلا قائلة : " لماذا لم تخبرينا ؟ "

" معذرة ! "

" لقد قالت إن تلك العاهرة الحقيرة قد أهانتك أمام الجميع هناك " ، فقاطعتها هايلى قائلة : " وقالت بأنها كانت تروج للأكاذيب والشائعات ، واتهمتك أيضاً بأنك قد ضايقت ذلك الوغد الذى كان بصحبتها " .

فردت روز قائلة : " يبدو أنكما تعرفان حقيقة الأمر . ولكن ألم تخبركما بأن ماندى كانت أكثر حرجاً مما حدث أكثر منى ؟ "

فكررت ستيلا قائلة : " ولكنك لم تخبرينا بذلك ؟ "

فغيرت روز من نبرة صوتها قائلة : " ولماذا كان عليّ أن أخبركما ؟ " .

ردت ستيلا : " لأنه بغض النظر عن كونها قد شعرت بالحرج أكثر منك أم لا ، إلا أن ذلك قد أزعجك ونظراً لأنك الرئيسة ، وإلى نهاية هذا الكلام ؟ " .

" إلى نهاية هذا الكلام ؟ " .

أضافت ستيلا : " فإنك تشعرين بالخوف بعض الشيء " .

" بعض الشيء ؟ " .

" لقد تضاءل عامل الخوف لديك خلال العام الماضي " .

فردت هايلى : " إنى لا أخاف منك " وحينما حدقت إليها روز ، استدركت هايلى قائلة : " أخاف منك كثيراً " .

" وعلى الرغم من أننا تعمل لديك إلا أننا أصدقاء ، أو هكذا اعتقدنا " .

ردت روز قائلة : " يا إلهى ، إن البنات أكثر تعقيداً من الأولاد " . ثم تنهدت بعمق وجلست على الأرجوحة وهى تتأرجح قائلة : " بالطبع نحن أصدقاء " .

" حسناً ، إذا كنا أصدقاءً فنحن إناث بصفة خاصة " ، واستأنفت هايلى حديثها ، وجلست بجوار روز على الأرجوحة قائلة : " فمن المفترض أن تخبرينا حينما تقوم إحدى العاهرات بإثارة غيظك ، وإلا كيف سنعرف أننا يجب أن نكرهها ؟ كيف سنعرف بمواقفها السيئة معك كهذا الموقف مثلاً ؟ " .

" إنها ليست إلا فتاة حمقاء تصدق رجلاً كذاباً مراوغاً " .

فجلست ستيلا بجوار روز من الناحية الأخرى قائلة : " ليس من حقها أن تتحدث عنك بمثل هذه الأشياء لا فى حضورك ولا فى غيابك " .

" كلا ، إنها لم تفعل ذلك ، وقد انقلب الأمر سوءاً عليها ، لقد أثارت حنقى وقتها ، وذلك لأنى لا أحب أن أعالج أمورى الخاصة فى منتديات عامة " .

فردت هايلى فى حزم قائلة : " ولكننا لسنا فى منتدى ، ولسنا من العامة " .

صمتت روز لبرهة ، ثم وضعت يدها على فخذيها وهى تربت عليهما قائلة : " كما قلت لكما إن النساء أكثر تعقيداً من الرجال . وبما أننى أنثى فإننى أتفهم الرجال بشكل أفضل من النساء . إننى لم أقصد أن أجرح مشاعركما بالاحتفاظ بشىء كهذا لنفسى " .

" إننا فقط نريد منك أن تعرفى أننا هنا بجانبك فى الخير وفى الشر " .

تأثرت روز بكلمات هايلى ، فقالت : " إذن يجب أن تعرفا بأننى قد أبعدت ماندى عن حيز تفكيرى منذ وقت طويل ، وذلك كما أفعل مع أولئك التافهين . إننى الآن أشعر بسعادة تمنعنى من أن أفكر فى ذلك . فحينما تجد امرأة ـ لاسيما فى الخمسينيات ـ لنفسها عاشقاً يمنحها كل ما تحلم به ، فإن آخر ما سيتبادر إلى ذهنها أن تفكر فى فتاة سخيفة ليست على خلق " .

نهضت واقفة وهى تقول : " هناك ، توجد أمور جيدة " ثم دخلت إلى المنزل .

وجهت ستيلا حديثها إلى هايلى قائلة : " أتعرفين فيم كنتُ أفكر حينما رأيت روز لأول مرة ؟ لقد أردت أن أصبح مثلها حينما أكبر " .

عادت روز إلى المطبخ ، وذهبت مباشرة إلى إناء القهوة . وبمجرد أن جهزت لنفسها كوباً من القهوة ، تسحبت نحو ديفيد حيث يقف أمام الفرن وهو يعد تلك الشيكولاتة الساخنة ، وطبعت على خده قبلة قائلة :

" هل الأولاد بالخارج ؟ "

" إنهما يلعبان بالخارج مع الكلب باركر ريثما أنتهى من الشيكولاتة " .

نظرت ستيلا مقطبة جبينها إلى المقعد العالى حيث ليلى تجلس وهي تئن قائلة : " إنك طفلة شقية . ولكنك يا ديفيد تحوى قلباً طيبا حتى تقوم برعاية الأطفال الثلاثة حتى يتسنى لكل من هايلى وستيلا الانفراد بى " .

" إننا نفعل ما بوسعنا . وكان يجب عليك أن تخبرينا بما فعلته تلك السخيفة " .

فقالت : " وهل عرفت عنى أنى لا أستطيع أن أتولى أمر مثل هذه السخيفة ؟ "

فرد قائلاً : " كلا ، ولكن كان يجب عليك أن تذكرى لنا ذلك ، حتى أبدأ فى وضع خطة للنيل منها " .

" لا تقلق ، فإن برايس لن يتركها وحالها " .

" لا تتوقعين منى أن أتعاطف معها ؟ "

" عليها أن تتحمل نتيجة تصرفاتها " .

وعندما بدأت تسير خارج الغرفة نادى قائلاً : " سيكون الغداء جاهزاً فى غضون ساعة تقريبا ، وتوجد بعض الرسائل الهاتفية لك . إنها على هاتفك الخاص لذا لم أستعرضها " .

" سأستمع إليها فى الطابق العلوى " .

أخذت قهوتها معها وخلعت نعليها حينما دخلت غرفتها ، ثم ضغطت على زر الرد الآلى .

" روز ، إننى لم أرغب فى إزعاجك فى العمل " .

قالت بصوت مرتفع وهى تلقى بنفسها على الفراش : " يا له من صوت جميل تتمتع به يا دكتور كارنيجى " .

" نسيت أن أخبرك أننى يجب أن أتناول البيتزا مع جوش هذه الليلة ، أحب أن أقول لنفسى بأنك سوف تفتقديننى ، يمكننى أن أصحبك فى نزهة غدا فى أى مكان تحبينه . إذا كنت تودين ذلك ما عليك إلا أن تخبرينى . بالإضافة إلى ذلك فقد قمت ببعض الأعمال اليوم ، وأحب أن أحدثك عن ذلك غداً ، سأكون هناك فى وقت الظهيرة . وإن لم أرك ، يمكنك أن تتصلى بى على هاتفى المحمول . إنى أفكر فيك دائماً " .

" هذا جميل . رائع جدًا " .

كانت لاتزال فى أحلام يقظتها عندما بدأت الرسالة الثانية .

" آنسة هاربر . أنا ويليام رولز من نادى ريفربيند . لقد تلقيت خطابك هذا الصباح ، ويؤسفنى للغاية أن أعرف بأنك غير راضية عما نقدمه من خدمات ، وأنك قد أسقطت عضويتك . وإنى حقا لندهش ، بل مذهول من قائمة الشكاوى التى قدمتها ، وإنى لآمل أن نتحدث عنها مجتمعين . إننا نقدر ارتباطك بريفربيند لسنوات عديدة ، ونأسف على قرارك بإسقاط عضويتك . إذا كنت تهتمين لمناقشة هذا الأمر ، فما عليك سوى أن تتصلى بى فى أى وقت على أى رقم من الأرقام التالية . ومرة ثانية ، إنى أعتذر بشدة عما حدث " .

جلست ساكنة تماماً إلى أن انتهت الرسالة ، ثم أغلقت عينيها .

" تباً لك يا برايس " .

وخلال الساعة التى تحدثت فيها مع ويليام رولز أكدت له فيها أنها لم ترسل بأى خطابات شكوى ، وأنها راضية عن عضويتها ، وأن لديها نسخة من ذلك الخطاب الذى وصل إليها بالفاكس .

يبدو أن الأمور ستتصاعد بشدة .

كانت ترتدى حذاءها عندما دخلت هايلى تحمل الطفلة خلف ظهرها قائلة : " يقول ديفيد إن الغداء سيكون ... ، ما الخطب ؟ "

ردت روز قائلة : " ما الخطب ؟ أتريدين أن تعرفى ما حدث ؟ سأخبرك بما حدث " . واختطفت الخطاب من فوق السرير قائلة : " انظرى هنا . إن ذلك الوغد الحقير الخبيث لا يكف عن إثارة أعصابى " .

أخذت هايلى تقرأ الخطاب وهى تمسك به بعيداً عن يدى ليلى : " السماح لأفراد من طبقات اجتماعية متدنية وذوى أنساب مختلطة ، طاقم العمل لهم شخصيات مريبة وغامضة ، فتور العلاقة بين طاقم العمل وبين الأعضاء ، خدمة متدنية " . نظرت إلى روز وعيناها تحملقان فيها قائلة : " هل كتبت هذا ؟ "

" طبعاً لم أكتب ذلك . سوف آخذ هذا الخطاب ، وأبحث عن برايس كليرك لأحشوه فى حلقه " .

" كلا ، لا تفعلى هذا " ، ثم قفزت هايلى لتعترض طريقها نحو الباب ، كانت حركتها سريعة فضحكت ليلى وابتهجت وهى تتوقع أن تقوم هايلى بحركة أخرى سريعة .

فردت روز قائلة : " كلا ؟ ماذا تعنين بذلك ؟ لقد عزمت على ذلك ، وسوف يعرف حينما أفعل ذلك " .

ردت هايلى قائلة : " كلا ، إنك فى حالة سيئة لا تسمح لك بالذهاب إلى أى مكان " . إنها لم تر روز فى حالة غضب كهذه من قبل . ويبدو أن ما قالته ستيلا لها بأنها جبانة بعض الشىء لم يكن صحيحاً . ثم استأنفت هايلى قائلة : " وبالرغم من أننى لا أعرف تفاصيل كثيرة عن هذا الأمر ، إلا أننى أراهن براتب شهر أن هذا هو ما يرجوه . أنت بحاجة إلى الجلوس " .

" إنى بحاجة إلى أن أركله بقدمى فى مقتل " .

" حسناً ، إن هذا لرائع ، ولكن توقعى أنه يتوقع منك ذلك ، وربما يدبر مكيدة ليقبض عليك أو شيئاً من هذا القبيل بتهمة الاعتداء عليه . إنه يتلاعب بك يا روز " .

" وهل تعتقدين أنى لا أعرف ذلك ؟ " بسطت ذراعيها وهى تبحث عن شىء ما لتضرب به ، " هل تعتقدين أننى لا أعرف ما يفعله ذلك الوغد ؟ لن أجلس ها هنا دون أن أفعل شيئاً " .

أخذ وجه ليلى يتجعد خوفاً من صياح روز ، وارتعش فمها الصغير قبل أن تنفطر بالبكاء .

" يا إلهى . إننى أخيف الأطفال الآن ، معذرة ، معذرة ، دعينى أحملها " .

استمرت ليلى فى بكائها وهى تتشنج بينما روز قد أخذتها من ذراعى هايلى وأخذت تضمها بين يديها . " لا تخافى يا حبيبتى ، لست غاضبة منك ، ولا من والدتك ، إنى آسفة يا حبيبتى ، ولكنى غاضبة من ذلك التافه ، الوغد ، الحقير ، الذى يسعى جاهداً إلى أن ينغص علىّ حياتى " .

قالت هايلى هامسة : " لقد قلت شتائم قبيحة " .

" معذرة . على أية حال إنها لا تعرف ما أقوله ، فلن تجرحها شتائمى " . نزلت دموع ليلى كالمخاط ، وأخذت تشد فى

شعر روز ، واستأنفت روز قائلة : " كان يجب علىّ ألا أصيح أمامها ، إنها خائفة من نبرة وحدة صوتى ، وليست خائفة من الكلمات " .

فقالت هايلى : " ولكنك قلت لفظاً قبيحاً " .

ضحكت روز هذه المرة ثم قالت : " إننى غاضبة للغاية ، إنك على صواب ، وإن ذلك ما هو إلا شعور بالضيق والضجر ، فلن أخرج هكذا لأنال منه ، فهذا ما يريده ، سأكون على ما يرام ، فلن يستطيع القيام بشىء لا نستطيع معالجته " .

ردت هايلى قائلة : " أنا حزينة لأجلك يا روز ، أتمنى لو أذهب وأركله بقدمى فى مقتل بدلاً منك " .

" شكراً يا حبيبتى ، إن هذا يسعدنى ، سننزل لنتناول الغداء " ثم رفعت ليلى لأعلى وهى تداعبها فى بطنها كى تضحك ، ثم قالت : " سننزل لنتناول الغداء ، وننسى أمر ذلك الوغد الحقير ، أليس كذلك يا حبيبتى الصغيرة ؟ "

" هل أنت متأكدة من ذلك ؟ "

" تماماً " .

" حسناً ، بالمناسبة لم أكن أعرف من قبل أن الثعابين لها عمود فقرى " .

نظرت إليها فى تعجب قائلة : " ماذا ؟ "

" لقد قلت عنه إن له عمودًا فقرياً كالثعبان ، ولست متأكدة أن الثعبان لديه عمود فقرى . ربما هناك نوع ما من الغضروف الفقرى أو ربما أكون مخطئة ، إنى لا أحب الثعابين ، ومن ثم لم أقرأ عنها كثيرا " .

" إنك لا تتوقفين يا هايلى عن إثارة غيظى " .

الفصل الخامس عشر



ابتعدت روز عن ميتش ليوم ، ثم ليومين . لقد أرادت أن تفكر بوضوح ، وتريح أعصابها ولم يكن ذلك ليحدث بسرعة . كانت فى حاجة إلى لقاء مع المحامى الخاص بها ، ووجدت نفسها مرغمة على أن تحدد لقاءً آخر مع ويليام رولز بالنادى .

كانت تكره بشدة أن يجتذبها شىء ما بعيداً عن عملها لاسيما عند بداية موسم كبير . ولكنها كانت واثقة من أن أعمالها قد عُهد بها إلى أيد ماهرة ، إنها تحمد الله على وجود ستيلا ، وهاربر ، وهايلى بجوارها .

ولكن هذه الأيدى الماهرة لم تكن يدها ، على الأقل حينما كانت تعمل جاهدة على إصلاح ما أفسده برايس مؤخرا .

وعندما انتهت من ذلك على مضض ، سارت بصعوبة وسط المطر نحو صوبة البذر ، فسوف تمضى ساعة أو ساعتين على الأقل تنظر فى الاستعدادات التمهيدية الأخيرة لموسم الربيع ، وسوف تتحمل

ذلك الصداع ، وذلك المزاج المتعكر وتترك العنان للعمل وما له من سحر فى بقعة خاصة .

وعندما انتهت من عملها ذلك اليوم فكرت فى البحث عن ميتش ، إن لم تجده فى المكتبة فسوف تتصل به . لقد كانت تريد صحبته ذلك المساء .

كانت تريد الحديث عن شيء ما غير مشكلاتها . ألن يكون جميلاً أن تسترخى معه ، ربما فى غرفة الجلوس أمام النار لاسيما إذا ما استمر المطر وهى تنعم وتستمتع بنظراته إليها ؟

إن المرأة لتعتاد على نظرات الرجل إليها كما لو كانت جميلة ومرغوبًا فيها ، ولا يفكر بأخرى سواها .

إنها تعتاد على ذلك بل بدأت تصدقه . إنها تريد أن تصدقه ، فهل شعورها بأنها منجذبة نحو رجل تثق فيه يغير فى الأمر شيئًا ؟

فتحت باب صوبة الزهور .

ودخلت إلى غرفة نومها .

كانت النار مشتعلة اشتعالاً خفيفاً وقد أضاءت الحجرة ، كانت النار تنير المكان بأضوائها ذات اللون الذهبى . فسمعت صوت اشتعال النار أولاً ، ثم الأنفاس السريعة ، ثم الضحكات المنخفضة ، ثم حفيف الملابس .

ثم رأتهما فى ضوء النار . رأت برايس زوجها وتلك المرأة التى استضافتها . يا للإحراج . كلا ... المزيد من تشابك الأيدى ، والرغبة فى اللمس ، والرغبة فى القبلات ، إنها تشعر بمتعة ذلك ، إنها تشعر بتلك السعادة الخفية السريعة . وعرفت فى هذه الثوانى القليلة العصيبة أن هذه المرة لم تكن الأولى .

نهضت واقفة ومن خلفها أصوات الحفلة خافتة . واستغرقت بتفكيرها فى الخيانة وما نجم عنها من مذلة .

وكما فعلت من قبل ، أخذت تنسحب إلى الوراء تاركة إياهما هناك . ولكنه استدار برأسه إليها ، نظر إليها بالرغم من أن يديه كانتا ممسكتين بامرأة أخرى .

وابتسم ابتسامة ساطعة ماكرة ، وضحك بصوت منخفض يدل على سعادته .

ثم قال : " امرأة غبية ، لم أكن مخلصاً لك يوماً ، ولا أنت أيضاً " .

وبينما تحدث ، تغير وجهه ، وارتسمت عليه أشكال الأضواء والظلال ، ثم تحول ذلك الوجه إلى وجه ميتش .

" لماذا يجب أن نكون هكذا ؟ لقد خلقت النساء للاستمتاع بهن ، هل تعتقدين حقاً أن إحداكن تتسم بالأهمية أكثر من الأخرى ؟ " كان هذا الصوت ينم عن السخرية وهو يلاطف المرأة ويربت عليها بين ذراعيه ، فواصل حديثه قائلاً : " كلنا نكذب ، لأننا نستطيع أن نكذب " .

أخذت هذه الظلال تطفو وتهتز وتحول الوجه إلى وجه جون ، زوجها ، حبيبها ، والد أبنائها : " هل تعتقدين أنى كنت صادقاً معك ؟ إنك حمقاء مثيرة للشفقة " .

" جون " أحست بألم فى ركبتها ، وتذكرته صغيراً ، مفعماً بالحياة : " يا إلهى . جون " .

فقال فى سخرية " يا إلهى ! جون ! " بينما يداه تعانقان المرأة التى كانت معه وهى تتأوه وهو يقول : " لقد كنت بحاجة إلى أبناء ، أليس كذلك ، ولم أتزوجك إلا من أجل ذلك ، ولو كنت

أكثر حظاً لطال بى العمر وهجرتك ، ولأخذت معى ما يهمنى ، أبنائى ولتركتك وحيدة " .

" كذب " .

" كلنا نكذب " .

وعندما ضحك ضغطت بيديها على أذنيها ، عندما ضحك كانت ضحكته أشبه بلكمات تدق على جسدها ، على قلبها إلى أن خارت قواها .

وسمعت نفسها تبكى وتنتحب .

لم تسمع الباب وهو يُفتح من خلفها ، ووجدت ذراعيه تحتضنها بشدة فاشتمت رائحة ابنها .

وقال : " ما الخطب يا أمى ؟ هل هناك من شىء ؟ "

" كلا " ، وتعلقت به ووجهها على كتفه وهى تحاول جاهدة أن توقف الدموع قائلة : " إنى بخير ، لا تقلق " .

" إنك لست على ما يرام ، ولا تطلبى منى ألا أقلق ، أخبرينى ما الأمر ، أخبرينى بما حدث " .

" سأخبرك حالا " . واستندت عليه وهو يضمها إليه إلى أن شعرت بحرارته تتسلل فى أوصال عظامها المتجمدة . ثم قالت : " منذ متى أصبحت كبيراً وقوياً بهذه الطريقة يا حبيبى ؟ "

فقال : " إنك ترتعشين . إنك لست مريضة ؛ ولكنك خائفة " .

تنهدت قائلة : " إنى لست خائفة ، ولكنى متوترة قليلاً " .

" سأصطحبك إلى المنزل لتخبرينى بالأمر هناك " .

" أنا ... نعم ، سيكون ذلك أفضل " . ورجعت إلى الوراء قليلاً ، ومسحت على وجهها . قالت : " لا أريد أن أرى أحداً الآن ، إنى أشعر وكأنى قطعة من حطام " .

" لا تقلقى ، أتريدين أن أحملك ؟ "

ترقرقت عيناها بالدموع مرة ثانية ؛ ولكنها هذه المرة كانت دموعاً دافئة ، ثم قالت : " إنى بخير يا حبيبى ، أستطيع أن أسير وحدى ، ولكن قل لى : هل كل شىء كما هو هنا ؟ هل كل شىء كما يجب أن يكون ؟ "

ولأن صوتها كان يبعث على التوتر ، نظر حول الصوبة قائلاً : " إن كل شىء على ما يرام " .

" حسنا ، هيا بنا إلى المنزل " .

سار بجوارها وهو ممسك بيدها فى المطر ، وحول المبنى ، وحينما ركبت سيارته تنهدت ، وهى تشعر بارتياح .

فقال لها : " استرخى " ثم انحنى لكى يربط لها حزام مقعدها قائلاً : " سنصل إلى البيت حالا ، إنك بحاجة إلى الدفء " .

" سوف تصبح أبًا حانيًا "

" ماذا ؟ " .

" لقد أصبحت لديك نزعة إلى الرعاية ، ربما السبب فى ذلك يرجع إلى البستنة ، ولكنك لا تعرف كيفية ذلك ، لقد مررت بيومين عصيبين " .

" هل تشاجرت مع ميتش ؟ أو شىء من هذا القبيل ؟ "

كانت مغمضة عينيها بينما يقود السيارة ، ثم ردت : " كلا ، إننى لا أصاب بحالة هيسترية لمجرد شجار بسيط " .

" إننى لم أرك تبكين هكذا ، ولا حتى عند وفاة أبى " .

" نعم ، لا أعتقد أنى بكيت هكذا من قبل " . وأحست بتشغيل السيارة ، ففتحت عينيها لترى هاربر هاوس أمامها ، وسألته قائلة : " هل جاء فى خاطرك مرة أن أترك هذا المكان ؟ "

نظر إليها ، وفى صوته نبرة قوية ثم قال : " كلا " .

" حسنا ، يعجبنى أن أسمع تأكيدك هذا " .

فصاح قائلاً : " إنه منزلنا وسيظل منزلنا " ، ثم خرج من السيارة مسرعا إلى الجانب الذى ساعدها لتخرج منه .

" هاربر ، إننى متوترة فقط بعض الشىء ، ولست جريحة للغاية " .

" سوف تصعدين لأعلى وترتدين ملابس جافة ، وسوف أحضر لك مشروبك المفضل " .

" هاربر ، إن هذا يبدو حماقة ، لكنى لست مستعدة للصعود لأعلى " .

" سوف أجلب لك بعض الملابس الجافة . يمكنك تبديل ملابسك فى حجرة ديفيد " .

" شكرًا لك " . إنه لم يسألها حتى عن السبب فى ذلك ولم يتردد . فياله من رجل قد أحسنت تربيته !

وفى نبرة أمر قال : " اذهبى إلى ديفيد وأخبريه بأنى قد قلت بأنك يجب أن تحتسى مشروبك ، أو بعضا من الشاى الساخن " .

" سمعا وطاعة يا سيدى " .

وقبل أن تذهب نحو السلم خرج ميتش من المكتبة نازلاً إلى الردهة ، فقال : " لقد سمعت صوت الباب ... " ، ثم مشى بتثاقل إلى أن اقترب منها ، ثم أسرع نحوها قائلا : " ماذا بك ! هل أنت مريضة ؟ هل جرحت ؟ " .

" كلا . وهل أبدو مريضة ؟ " .

" إنك تبدين شاحبة اللون ، وقد كنت تبكين . ما الأمر ؟ " ونظر من فوق رأسها إلى هاربر قائلا : " ماذا حدث ؟ " .

" إنها فى الواقع لا تريد أن ترى أحداً الآن " .

" حسناً " ثم ضغطت على يدى هاربر بشدة قائلة لميتش : " لقد قلت ذلك فعلاً ، وبعد أن أهدأ بعض الشىء فسوف أخبركم أنتم الثلاثة بما حدث ، فأنا أعتقد أن ديفيد فى المطبخ الآن " .

فقال هاربر : " إنها بحاجة إلى ملابس جافة . خذها أنت إلى ديفيد وأعطها مشروبًا وسوف أجلب لها الملابس " .

فردت قائلة : " يا إلهى ، إن هذا هو نتيجة كونى المرأة فى منزل ملىء بالرجال . لست فى حاجة إلى أن يأخذنى أحد إلى مكان ما " .

فأومأ هاربر إلى ميتش قائلاً : " سوف تعتنى بها ريثما أعود حالاً " .

وبينما صعد هاربر السلم سريعاً قالت روز لميتش :

" لقد أقلقته ، إنى أكره أن أقلقه " .

" حسناً ، وقد أقلقتنى أنا الآخر " .

فقالت : " بالرغم من أنى أعتقد أنه لن يجدى ، فلن أمانع فى بعض من مشروبى المفضل " .

وبمجرد أن دخلا إلى المطبخ ، اندفع ديفيد نحوهما قاطباً جبينه ، فرفعت روز يدها قائلة :

" إننى لست مريضة ، ولست جريحة ، ولا حاجة إلى جلبة لا داعى لها ، إن ما أريده هو ملابسى الجافة التى يحضرها هاربر من الطابق الثانى . هل لديك مانع فى أن أغير ملابسى فى غرفتك ؟ " .

" كلا ، اجلسى " . وبينما خطا نحو إحدى الخزانات ، انتزع منشفة الأطباق من حزام بنطاله (الجينز) ليمسح بعض الدقيق من يديه قائلاً : " من الذى أبكاها ؟ "

ولأن السؤال كان اتهاماً موجهاً إلى ميتش ، رفع ميتش يده نافيا ذلك عنه وهو يقول : " تذكر أننى كنت هنا ، إن هاربر هو الذى جاء بها فى هذه الحالة " .

فردت قائلة : " يجب أن ألفت أنظاركم إلى أننى جالسة هنا ، وبما أنى هنا ، فأنا أستطيع الحديث عن نفسى " .

وحينما دخل هاربر ومعه قميص أنيق ، وبنطال جينز ، ابتسمت قائلة : " فقط امنحونى دقيقتين ، وسأحاول توضيح ما حدث " .

انتظر هاربر إلى أن ذهبت إلى حجرة ديفيد ، وأغلقت الأبواب ، ثم قال : " لقد وجدتها جالسة على أرضية صوبة البذر وهى تبكى وبشدة . إنها نادرا ما تبكى بهذه الطريقة . فحينما تفرح من شىء أو تتعاطف مع شىء لا تفعل شيئا سوى إسالة بعض الدموع القليلة ، ولكن حينما تكون حزينة أو جريحة فإنها لا تدع أحدا يرى دموعها " .

فسأل ميتش قائلاً : " ماذا حدث فى اليومين الماضيين ؟ "

تبادل هاربر وديفيد النظرات ، ثم استأنف ميتش كلامه قائلاً :

" أعرف أن هناك شىء ما حدث ، فقد كانت تتجنب مقابلتى " .

رد هاربر قائلاً : " من الأفضل أن تخبرك هى بنفسها . إنها ستحتاج إلى بعض من الشاى يا ديفيد ، ألا تعتقد ذلك ؟ "

" سأعد الشاى ، ولكن عليك أن تخرج علبة شيكولاتة من الثلاجة ، فسوف تشعر بتحسن أفضل إذا ما تناولت بعضاً من الشيكولاتة . أما أنت يا ميتش فلماذا لا تشعل النار هناك ؟ إنها لن تضايقنى اليوم " .

وعندما دخلت روز مرة ثانية كان ديفيد يُعد الشاى ، وهاربر يجهز الشيكولاتة اللذيذة ، أما ميتش فقد كان يوقد النار فى موقد المطبخ .

فقالت : " إن هذا يجعلنى أتساءل لماذا لم أتعرض لمثل هذا الإعياء الخفيف منذ وقت طويل . وقبل أن نجلس ، علىّ أن أخبرك يا ميتش . أعتقد أنك ستحتاج إلى جهاز التسجيل " .

" سوف أحضره " .

أخذت تهدىء من نفسها إلى أن جلسوا . وأخبرتهم بما حدث . لقد كانت قادرة على أن تروى ما حدث باعتباره حقيقة الآن . وعلى الرغم من شعورها بالبرد فى يديها مرة أخرى إلا أنها ببساطة أخذت تدفىء يدها على كوب الشاى ، وانتهت من وصف تجربتها فى الصوبة .

فقال ديفيد : " لطالما كنت أشعر بأن العروس لديها جانب رقيق فى شخصيتها ، أما الآن أعتقد أنها ليست سوى عاهرة متحجرة القلب " .

" ومن الصعب أن نجادل حول ذلك . إنها تؤمن بأن الرجال كذابون وأوغاد ، وهى تريدنى أن أصدق ذلك لئلا يستغلنى أحد وأجرح مرة ثانية " .

فحدق هاربر فى الشاى قائلاً : " ماما ، أتعتقدين أن أبى لم يكن مخلصاً لك ؟ "

" إنى لا أصدق أى شىء من هذا ، بل أكثر من هذا فإنى أعرف أنه كان مخلصاً دون أدنى شك " .

" لقد جعلتك ترينه خائنًا " .

ردت روز قائلة : " لقد جعلتنى أراه . لقد حطمت قلبى ، فقد رأيته كما كان ، رأيته صغيرا ، نابضا بالحياة وواقعيا ، ولكنه

بعيد عنى . لقد كان بعيداً عنى على الرغم من أن كل شىء شعرت به نحوه أحسست به فى أعماقى ينبض بالحياة مرة أخرى . لقد عرفت أن ذلك لم يكن سوى كذب . أما تلك الكلمات اللاذعة التى قيلت على لسانه فلم تكن كلامه . إنه لم يكن أبداً قاسى القلب " .

فرد ميتش قائلا : " لقد استغلت تجربتك مع برايس ، تلك التجربة المرعدة ، ثم نقلتها إلى من كان قبله ، إلى جون ، ثم إلى من جاء بعده ، إنها تريد أن تجرحك ، إنها مجبرة على ذلك لكى تنقذك من التورط معى " .

" لقد تأخرت فى ذلك " .

" حقاً ؟ "

فقالت : " أتظن أننى محدودة الفكر ، معدومة الإرادة كى أدعها تؤثر علىّ بحيلها هذه ؟ "

" أعتقد أنك واسعة الفكر ، وقريبة من الوقوع فى الخطأ بشكل خطير ، إننى فقط غير متأكد من مدى اختلافك معها " .

" حسناً ، حسناً . أعتقد أنى قد أخبرتكم جميعاً بكل شىء . إنى ذاهبة إلى الطابق الثانى لأنجز بعض الأعمال الكتابية . هاربر ، إنى ذاهبة لأريح فكرى قليلا ، وإن ذهبت إلى المشتل عليك التأكد من أن كل شىء على ما يرام . لقد كان الشاى رائعاً يا ديفيد . شكراً " .

نهضت واقفة ثم خرجت من الغرفة دون أن تنظر إليهم ثانية .

وعلق ديفيد على ذلك قائلاً : " إن إغاظتها قد جعلت وجهها متورداً " .

" إذن فسوف تصبح متوردة بشكل دائم حينما أنتهى معها . معذرة " .

وحينما خرج ميتش قال ديفيد : " ياله من رجل شجاع ! " .

فرد هاربر قائلاً : " أو أنه أحمق غبى على أية حال . أعتقد أنه يحبها ، فإن كان غبياً فسوف تلقى به خارجاً ، وإن كان شجاعاً فربما نجح فى إسعادها ، وأتمنى أن ينجح " .

وبمجرد أن وصلت روز إلى غرفة نومها لحق بها ميتش . فاستدارت فى بطء قائلة :

" لا أعتقد أنى قد دعوتك إلى هنا " .

وفى بطء ، وفى ثقة مثلما كانت تبدو ، أغلق الباب وأوصده فازدادت دهشتها ، ثم قال : " أنا لا أعتقد أنى قد طلبت دعوة " .

فقالت : " عليك أن تفتح الباب ثانية وتخرج ، وإلا فإن غضب هذه الشبح المجنونة لن يكون شيئاً مقارنة بما سأقوم به " .

" أتريدين أن توجهى إلى ضربة عنيفة ؟ إذن افعلى ذلك ولكن أخبرينى أولاً بالسبب " .

" لقد أخبرتك للتو . إنى لا أحب أن أراك تنتهك خصوصيتى بهذه الطريقة ، وعلى افتراض ... "

فقاطعها قائلا : " إن هذا هراء لا طائل منه ، فما الذى أدى إلى ذلك ؟ لقد كنت تتجنبين مقابلتى منذ عدة أيام . إن آخر مرة رأيتك فيها ، كنا فى هذا السرير سوياً أنا وأنت يا روزاليند ، فما الذى تغير ؟ "

" لم يتغير شىء ، ولكن لى حياتى الخاصة بى مثلما لك حياتك الخاصة بك " ثم سارت فى ثقة نحو الأبواب وفتحتها قائلة : " لدى الكثير من الأشياء علىّ القيام بها " .

وفى هدوء سار عبر الغرفة ، وأغلق الأبوب وأوصدها .

قالت : " لو كنت تظن لدقيقة واحدة أننى سوف أتغاضى عن ذلك ... "

" إهدئى ، إهدئى " . وبالرغم من أنها كانت تغلى غضباً ، إلا أنها وجدت نفسها تنظر إليه من منظور جديد .

ثم قال : " أجيبى عن سؤال واحد فقط . لقد أخبرتك بأنى أحبك . فهل كان هذا خطأ ؟ "

" أخبرتنى ؟ ، كلا ربما حبك لى هو الخطأ . إننى امرأة صعبة المراس " .

" ليس هذا بالشيء الجديد " .

" ميتشيل ، إنى متعبة ، أشعر بالغضب ، إننى منهكة عاطفياً ... ، إننى لا أعرف من أكون ؛ ولكنى لا أريد أن أتشاجر معك لأننى سأتشاجر بشكل سيئ ، وسوف أندم على ذلك فيما بعد ، لا أريد أن أتحدث معك ، لا أريد أن أكون معك " .

" لن أتركك الآن ، لأنك متعبة ، وغاضبة ، ومضطربة عاطفياً بشكل شديد ، إنك لا تريدين الحديث أو الشجار ، حسناً . استلقى وخذى سنة من النوم ، وسوف أنتظر إلى أن تستردى قوتك " .

" يا إلهى ، يا إلهى " . واندفعت بقوة مسرعة نحو أبواب الشرفة وفتحتها بقوة والمطر ينهمر قائلة : " إنى بحاجة إلى الهواء ، لا أريد سوى الهواء " .

" حسناً ، لك ما تريدين ، ولكن هذه المرة سوف تتحدثين معى يا روزاليند " .

" ماذا تتوقع منى أن أقول ؟ ماذا تريد أن تسمع ؟ "

" الحقيقة " .

" الحقيقة أنها جرحتنى " . وضعت يدها على قلبها والعاطفة تملأ صوتها قائلة : " لقد دخلت فى أعماقى وجعلتنى أرى جون

على تلك الصورة . إنى لا أستطيع أن أشرح أو أعبر عما جعلتنى أشعر به من ألم " .

ثم اندفعت إلى الوراء نحوه ، ورأى الدموع تبلل عينيها . لم تنزل الدموع ، كان فى مخيلته ذلك الجهد البالغ الذى بذلته كى تحبس دموعها .

واستأنفت قائلة : " لقد أوقعت بى على الأرض . ولم أستطع أن أفعل شيئاً ، فكيف يمكننى أن أقاوم ذلك ؟ كيف لى بأن أحارب شيئاً لا وجود له فى الواقع ؟ كيف يمكن حتى معرفتى لسبب قيامها بذلك ؟ حتى معرفتى لسبب قيامها بذلك لن يجعلها تتوقف عن أن تعتصر قلبى ألماً " .

وبعد أن أومأت إيماءة تنم عن نفاد صبرها أخذت تمسح بطرف يدها تلك الدموع التى خرجت رغماً عنها .

واستأنفت قائلة : " إنه لم يستحق أن يُستغل بهذا الشكل ، أليس كذلك يا ميتشيل ؟ لم يستحق ذلك فقد كان رجلاً طيباً ، وزوجاً وأباً صالحاً ، لقد أحببته عندما كنت فى الرابعة عشرة من عمرى . فى الرابعة عشرة أتتخيل ذلك ؟ لقد جعلنى أشعر بأنى امرأة ، وأماً ، وكم شعرت بالترمل من بعده ، لقد أحببته بكل المقاييس " .

فقال : " إنى لا أستطيع أن أمس ما تشعرين به نحوه ، ولا تستطيع هى الأخرى أن تمس مشاعرك نحوه . إنى لم أعرفه ، ولكنى أنظر إليك الآن يا روزاليند ، وأستطيع أن أرى ذلك فى عينيك ، أستطيع أن أراه " .

تنهدت فى حزن قائلة : " إنك على صواب ، إنك على صواب " ، ثم استندت إلى مقبض الباب وهى تحدق فى المطر قائلة : " وأنت أيضاً لم تستحق ذلك ، لم تستحق تلك الصورة التى

حاولت وتحاول أن ترسمها فى مخيلتى عنك . لم أصدقها لا بشأن جون ولا بشأنك أنت . ولكنها ، على الرغم من هذا ، تؤلمنى بذلك " .

ثم أخذت نفساً آخر عميقاً ، وهى تقول : " إننى لا أشبهك ببرايس ، وأتمنى أن تعرف ذلك " .

" أفضل أن أعرف ما تشعرين به بدلاً من أن أعرف شيئاً لا تشعرين به ، ولكن لماذا أحجمت عن رؤيتى يا روز ؟ "

" لم يكن هناك شىء يتعلق بك ، إن الأمر برمته يتعلق بى . ألا تشعر بالكراهية حينما تسمع الناس يقولون ذلك ؟ "

" إننى أشعر بضيق أكثر . وأنت تشعرين بكل هذا . إنك لست المرأة الوحيدة التى تشعر بجزء من الغضب بشكل صحى " .

" كلا . وأعتقد أنى قد أمسكت بمصدره الرئيسى الآن . إن أحد تلك الأشياء التى أحبها فيك هو أنك لديك حس قوى فى التحكم بالأمور . ولكنى حادة المزاج ومن ثم فإنى أعرف كل ما يتعلق بالتحكم فى الأمور " .

فقال : " ألسنا شخصين ناضجين ؟ "

" آه . إذن أنت لاتزال غاضباً منى " . ثم ضحكت ضحكة يسيرة ، ثم حاولت أن تعطيه ما كان يسأل عنه ؛ الحقيقة . ثم قالت : " أتذكر ليلة أمس التى قضيتها معك ؟ "

واستدارت إليه كليةً وجهها إلى وجهه ومن ورائها أبواب الشرفة المفتوحة ، ثم قالت : " لقد كانت ليلة جميلة وقد كانت تعنى لى الكثير . فقد أخذت أفكر فيك فى اليوم التالى ، وعندما رجعت إلى المنزل من العمل كانت هناك رسالة لى منك على جهاز الرد الآلى فى الهاتف " .

قال : " روز ، إن لدى موعداً ثابتاً ألتقى فيه بجوش . جوش ابنى .... "

قاطعته قائلة : " إنى أعرف ذلك . إن رسالتك لم تضايقنى . يا إلهى ، لا تقلق فإننى لست إحدى النساء اللائى يتقن بشدة إلى اهتمام الرجل فى كل دقيقة وفى كل يوم . ولكن الرسالة التى كانت بعد رسالتك هى التى أثارت غضبى ، لقد كانت بشأن عضويتى فى نادى المدينة ، وقد جاء فيها أنى قد ألغيت عضويتى ، وأرسلت إلى النادى خطاباً مليئاً بالشكاوى والتعليقات الوقحة ، وما إلى ذلك . وأنا بالطبع لم أفعل ذلك " .

" إذن كليرك هو من فعل ذلك " .

" بلا شك . وقد استشطت غضباً ، وعزمت على ملاحقته والإيقاع به ككلبٍ حقير . وحينئذٍ اعترضت هايلى ــ ومعها الطفلة ـ طريقى عند باب غرفة نومى . لقد أوقفتنى هايلى ، وإنى لممتنة لصنيعها هذا ، فإنى لا أعرف ما الذى كنت سأقدم عليه فى حالة غضبى ، فربما كان سيزج بى فى السجن على الأقل بتهمة التعدى بالضرب . لقد كنت أستشيط غضباً لدرجة أفزعت الطفلة فأخذت تبكى ، وقد تفوهت أمامها بألفاظ وشتائم نابية تتعلق ببرايس " .

" ولكن بما أن الطفلة ليلى لم تبلغ العام الواحد ، لا أعتقد أن الكلمة قد أثرت فيها بشكل كبير " .

" بغض النظر عن ذلك ، قد كنت فى حالة غضب شديد ، وقد تمالكت أعصابى رغم أننى كنت شديدة الغضب ، ثم شعرت بحاجتى إلى الهدوء والاسترخاء ، وكان علىّ أن ألتقى بالمحامى الخاص بى ، وأن أجرى مكالمة رقيقة مع النادى ، وأن أهدىء من روع الجميع " .

" فى المرة القادمة ، أتمنى لو أتيحت لى الفرصة كى أهدىء من روعك " .

" إنى لا أملك نفسى حينما يثار غضبى " .

" إنى أراهن أنك غاضبة الآن " .

فجلست حينئذٍ على أحد المقاعد .

" يجب أن تخبرى الشرطة بهذا يا روز " .

" إن ذلك سيمثل لى إحراجاً آخر . ولا تقل لى بأنه ليس هناك ما أشعر بالحرج منه . إنى أشعر به ومن ثم فسوف يحدث . ولن تستطيع الشرطة أن تفعل الكثير . وعلى أية حال فقد قمت بتوثيق كل شيء أعرفه فى هذا الصدد . وحينما يثبت أنه وراء ذلك ، فسوف ينظر إلى الأمر باعتباره خداعاً ، كم أتمنى أن أشعل النار فيه يا ميتش ، ولو أستطيع ذلك ، أراهن أنى سأفعل " .

فاقترب منها وانحنى جاثماً أمامها وهو يقول : " أود أن أساعدك فى ذلك " .

فوضعت يدها على خده قائلة : " لم أكن أحاول الانصراف عنك أو التخلص منك ، فقد كنت أفكر فيك ، أفكر فى العثور عليك ، لأطلب منك أن تقضى المساء معى ، كنت أفكر فى ذلك للتو قبيل أن يعترينى ذلك الكابوس المزعج " .

" لقد كنت أفكر فيك أنا الآخر فى الوقت ذاته ، وأتساءل إن كان بإمكانك أن تقضى المساء معى . أتريدين أن تخرجى من المنزل لساعات قليلة ؟ "

" كلا ، لا أريد الخروج " .

" إذن سنبقى هنا " .

" أود أن أسألك عن شيء ما " .

" إسأل " .

" سيقام بالنادى حدث كبير بارز . حفل راقص مسائى ، يقام سنوياً فى الربيع . وقد كان من المقرر أن يقوم ديفيد بمرافقتى ، فبالرغم مما يحدث بيننا فقد قررت أن يرافقنى ديفيد كى أتجنب ما سيحدث من قيل وقال وأحاديث عنا إذا ما ظهرنا سوياً . أما الآن فسوف أتغاضى عن ذلك ، وأود أن ترافقنى أنت " .

" أتريدين أن أظهر معك فى شكل رسمى بملابس سهرة نصف رسمية ؟ "

" نعم " .

" يمكننى أن أتدبر ذلك الأمر ، فنحن متفاهمان . أليس كذلك ؟ "

" بلى ، نحن نبدو كذلك حقاً " .

فقال : " أتريدين أن تنالى قسطاً من الراحة الآن ؟ "

" كلا ، لا أريد ، إن ما أريده هو أن آخذ حماماً طويلاً دافئاً .

ثم نهض واقفاً على قدميه وهو يقودها إلى الحمام قائلاً : " وربما يكون هذا هو الوقت الأمثل لأخبرك فيه عن زيارتى التى قمت بها مؤخراً إلى كلاريس هاربر " .

" ابنة العم ريسى ؟ إن هذا هو ما أريد أن أعرفه " .

" إن كلاريس تزداد حقارة دائماً ، ويصبح جسمها أكثر هزالاً كل عام ، وأقسم أنها لو ماتت فلن تكون بحاجة إلى تابوت ، فكل ما سيحتاجون إليه حين دفنها هو أن يقوموا بفلقها إلى نصفين كغصن شجرة ، هذا بالرغم من أننى لست على يقين من أنها تعتقد فى الموت " .

" يمكننى أن أقول بأنها تنظر إليك بنفس هذه الدرجة من الاحترام والتقدير " .

فقالت : " إنها تبغضنى لأسباب عديدة ، ولكن السبب الرئيسى فيها هو أننى أمتلك هذا المنزل وليست هى " .

" نعم ، إنى أرى هذا أحد أهم الأسباب " .

فقالت : " لقد كانت تكذب حينما قالت إنها لم تر إميليا مطلقاً ، فقد سمعت جدتى تتحدث عنها ، ولكن ذاكرة كلاريس لا تحتفظ إلا بما يروق لها . وقد رأيت أنها لا تنظر بعين الاعتبار إلى أى هراء ، والأشباح تندرج تحت هذا " .

تركت روز رأسها تميل إلى الوراء وهى تضحك قائلة : " نعم ، إنها تقول مثل هذه الكلمات ، كما تبادر إلى مسامعى ، فهى تنعت أى شىء يروق لها بأنه ليس إلا هراء ، ولكنها تكذب . وإنى على يقين من أنها تحتفظ بخطابات وربما ببعض الصحف ، وربما تحتفظ أيضاً بعدد لا بأس به من الصور . فعندما مات والدى أخذت من المنزل بعض الأشياء . وهى دائماً ما تستنكر ذلك ، فإن إحدى مشاجراتى الشهيرة معها قد وقعت عندما أمسكت بها وهى تأخذ زوجاً من الشمعدان من الردهة ، ولم يكن والدى قد مات وقتها . يالها من عجوز حقيرة ! " .

فرد قائلاً : " إنى لا أتخيل أنها قد خرجت بهما " .

فقالت : " إننى لم أكن لأهتم بأمر الشمعدان ، فما هى إلا أشياء حقيرة على أية حال . ولكن والدى لم يكن قد مات بعد . وهذا هو ما يضايقنى حتى الآن . لقد زعمت وقتها أنها كانت قد أعطتهما لوالدى ، وهذا بالطبع لم يحدث ، ثم زعمت بأنها تريد استردادهما لأسباب عاطفية ، ولم يكن ذلك سوى هراء أحمق ، فإنه لا يوجد بجسدها النحيف الهزيل خلية واحدة من العاطفة أو الوجدان " .

فرد قائلاً : " ربما أخذت أشياء أخرى لم تريها أنت معها " .

إنى أعرف أنها قد فعلت ذلك . فما هى إلا مصاصة دماء لا تشبع . فقد كانت هناك صورة لجدى وهو صبى فى إطار فضى يرجع إلى عصر الملك إدوارد ، وأحد أطباق الكومبوت ، وتمثالان لفتاة ريفية ، وغيرها من الأشياء التى اختفت بعد زياراتها للمنزل " .

همهم قائلاً : " ماذا تعرفين عن تلك التى تدعى جين بولسون ؟ "

فردت قائلة : " لا أعرف عنها الكثير سوى أننى قد قابلتها فى مناسبات زواج وجنازات متنوعة ، وبالكاد يمكننى أن أتذكر شكلها . وحينما أتذكرها تتراءى أمام عينى تلك الفتاة الصغيرة ذات الوجه الجميل ، والتى تصغرنى بخمسة وعشرين عاماً تقريباً إن لم يخطىء تقديرى " .

فرد قائلاً : " إننى حينما رأيتها تبادر إلى مخيلتى صورة كلب صغير ظل يضرب إلى أن أصبح ذيله بين رجليه " .

فقالت : " إن كانت تعيش مع ابنة العم ريسى فيالها من مسكينة ! " .

فقال : " إنها تعرف شيئاً ما " .

وفى فضول استدارت روز برأسها لترى ميتش قائلة : " لماذا تقول ذلك ؟ "

فرد قائلاً : " لأن شيئاً ما قد ارتسم على وجهها عندما زعمت كريس أنها ليست لديها أى صحف أو مفكرات يومية ، لقد كانت تبدو كما لو تريد أن تقدم مساعدة وتقول : ألا تتذكرين كذا ، وكذا ؟ ولكنها التزمت الصمت ، إنى واثق من أن ريسى السمجة هذه لديها بعض المعلومات التى يمكن أن تفيدنا " .

فقالت : " إنها إن لم يكن فى نيتها أن تطلعك عليها ، فسوف تقوم بحرقها قبل أن تعطيها لك ، إنها امرأة مشاكسة عنيدة " .

فقال : " لن تفعل ذلك إن لم تعرف أنى أعرف أن لديها هذه المعلومات ، ويمكننا كذلك الحصول على تلك المعلومات إذا ما نجحنا فى إقناع جين أن تخبرنا بها " .

فقالت : " ما الذى تنوى القيام به ؟ هل ستغوى تلك الفتاة المسكينة ؟ "

فانحنى لأسفل قائلاً : " كلا ، ولكنك أنت التى ستقومين بذلك . لقد تبادر إلى فكرى أن تصادقيها من منطلق البحث لها عن وظيفة أخرى . فإذا ما استطعت الاتصال بها دون معرفة كلاريس بذلك ، عليك أن تعرضى عليها بعض الخيارات ... "

قالت : " إنها حقاً لخدعة ماكرة ، وإنها لتروق لى كثيراً " .

الفصل السادس عشر



وتحت وطأة موسم الربيع كان هناك نوع من التوتر الشديد ، ورغبة فى التوسع بشكل أكبر ، لاسيما وأنها هى التى تمتلك المشتل . كانت تتمنى لو أنها قامت بإعداد أماكن واسعة بشكل كافٍ ؛ فهل قامت بالفعل بتجهيز أماكن واسعة بشكل كاف ؟ هل كانت تعرض الأنواع والأعداد المناسبة من النباتات المعمِّرة ؟

هل كانت الأزهار كبيرة ، ويانعة بما يكفى لجذب العملاء ؟ هل كانت النباتات قوية وصحية بشكل كافٍ للحفاظ على سمعة الجودة التى كانت تتمتع بها ؟

هل قاموا بتجهيز سلال ، وأوان فخارية بشكل كافٍ ؟

وماذا عن الشجيرات الصغيرة والأشجار ؟ هل ستكون الأعمال الإضافية بمثابة إضافة تجميلية للنباتات أم ستنتقص من قدرها ؟

هل أخطأت بشأن اختيارها للون طبقة النشارة التى فرشتها على الأرض ، أم أن زبائنها ستعجب بهذه التشكيلة ؟

لقد عهدت بكثير من هذا إلى ستيلا ولأجل هذا عيَّنتها للعمل كمديرة ، لقد أرادت روز أن تقوم بتقسيم العديد من التفاصيل فى مقصورة شخص ما إلى أجزاء وفئات مستقلة لأن الحديقة كانت عندها بمثابة طفلها ، فقد كانت تقلق على حديقتها كقلق أم على طفلها .

كانت تستمتع بالزحام وبتلك الجلبة التى يحدثها الزبائن وهم يتجولون بسيارتهم المغلقة والمكشوفة حول الموائد ، وفوق الأرضية المعبدة بالحصى ينتقون من النباتات ما يناسب حدائقهم ، أو ما يناسب أصص الزهور التى توضع فى فناء المنزل . كانت تستمتع وهى تتشاور معهم وتوصى إياهم عند انتقائهم للنباتات ، واستغلت ذلك كى تتناسى ما تشعر به من ألم وغصة فى بداية الموسم الكبير حينما ترى نباتاتها التى قامت برعايتها تنتقل بعيدا عنها إلى بيوت جديدة .

وفى مثل هذا الوقت من العام تقوم بتذكير نفسها بأنها يجب أن تكون متعاطفة مع تلك النباتات التى قامت بزراعتها ، غير أن هذه النباتات لم تكن ، بالنسبة إليها ، مجرد منتجات ولن تكون كذلك . إن تلك الأسابيع والشهور والسنين التى قضتها وهى ترعى هذه العينات والنماذج قد أحدثت نوعاً من الارتباط الشخصى بينها وبين تلك النباتات . وفى أوائل كل موسم من مواسم الربيع تشعر بحزن شديد على فراقها لنباتاتها ، ثم تبدأ رحلة العمل من جديد .

وذهبت إلى صوبة البذر لترتاح قليلاً من ذلك الزحام ، ولتنظر أيًا من النباتات سيتم نقلها إلى ركن البيع بالتجزئة . وحينئذٍ اندفعت سيسى نحو الداخل قائلة :

" إننى يائسة يا روز " .

فضغطت روز على شفتيها . إن تلك العروس سيسى التى تتأنق دائماً ، تتسم فى العادة بشدة التدقيق فى صغائر الأمور بالنسبة لزينتها ، وهى الآن متضايقة لأن شعرها يبدو كما لو أنه تحرك من مكانه ، فقالت روز : " يمكننى أن أرى ذلك ، فهل أحيل مزين الشعر الخاص بك إلى المعاش ؟ أم أن المدلكة قد فرت مع أحد الموسيقيين ؟ "

" لا تمزحى ، إنى جادة " ، ثم أخذت تسير بسرعة بين الموائد إلى أن وصلت إلى المكان الذى تعمل فيه روز قائلة : " إن عائلة زوجى سيزوروننى " .

" حقا ! " .

" لقد تلقيت هذه الصدمة صباح اليوم ، إنهم سيصلون فى غضون يومين ، كم أكره أولئك الذين يعتقدون أن الآخرين يرحبون بهم " .

" إنهم عائلتك " .

" وهذا هو ما يزيد الأمر سوءاً ، إن حماتي دائماً ما تضايقنى ، إنها على هذا الحال منذ ستة وعشرين عاما . وإن لم ينتقلوا إلى تامبا ، فسوف يجن جنونى الآن أو سيُزَج بى فى السجن بتهمة القتل ؛ سأقتلها . إنى بحاجة إلى مساعدتك يا روز " .

" لن أقتل حماتك لأجلك يا سيسى ، فالصداقة لها حدود " .

" إنى واثقة من أنك تستطيعين ذلك " ، وحينئذٍ ضاقت عيناها وألقت نظرة طويلة على ما حولها قائلة : " إنى واثقة من وجود جميع أنواع السموم اللذيذة هنا ، يمكننى أن أدس السم لها فى شرابها ، وأنتهى من هذا العذاب . سأبقى هذا الأمر كحل احتياطى الآن . ألا تعرفين ما قالته لى ؟ "

" كلا ، ولكن أعتقد أنى سأعرف الآن " .

" إنها تقول بأنها كانت تتمنى لو أنى لم أقم بتغيير السجادة فى حجرة الطعام ، وكيف أنها تحب الخروج بينما هى هنا ، للبحث عن الشىء المناسب . أما عن الوقت فإن لديها سعة منه بعد أن أحيلت هى " ودون " إلى التقاعد ، وكيف أننى سوف أكتشف هذا بنفسى الآن وأنا قد قاربت على هذه السن . هل تتخيلى هذا يا روز ؟ " .

" بما أننا فى نفس السن تقريباً فربما أجد بعضاً من السم هنا " .

" آه ، وهذا لا يمثل شيئاً ، فسوف أبقى هنا طوال اليوم فقد ظلت كذلك تسخر منى بشأن الحديقة ، وأخذت تقول بأنى مهملة إياها . لماذا لا أشعر بكرامتى فى البيت الذى وفره لى ابنها ؟ " .

" إن لديك فناء جميلا " .

" إنها تضايقنى كما تفعل دائماً ، وقد أفشيت عما فى نفسى من تعذيبها لى . لقد تفوهت بكلام أحمق يا روز ، وإن لم تساعدينى الآن فسوف أتعامل معها بطريقتى " .

" إن كنت تريدين لوجان فيمكننا أن نسأل ستيلا عن جدول أعماله " .

" لقد قابلتها فى طريق العودة . إنها تقول بأنه سيكون معها فى الأسبوعين القادمين " ، ثم ضمت يديها معاً وكأنها تصلى قائلة : " إنى أتوسل إليك يا روز ، أن تجعليه لى ولو ليومين فقط " .

" لا أستطيع أن أنتزعه لوظيفة أخرى ، انتظرى ..... " . وحينما رأت الدموع فى عينى سيسى قالت : " سنجد حلا لهذا الأمر ، ليومين " ، ثم تنهدت قائلة : " ستتحملين تكلفة ذلك " .

" إن النقود هى آخر ما أفكر فيه . إن حياتى على المحك هنا ، وإن لم تساعدينى فسوف أطير إلى تامبا لأقتلها الليلة وهى نائمة " .

" فلنبدأ إذن فى إنقاذ حياتك وحياتها " .

كانت لديها رؤية فى مخيلتها . وقامت بتجهيز قطعة من المشتل بأن نظفتها من الأعشاب لتبنى عليها . أنصتت سيسى باهتمام ولم تبد دهشتها عندما رأت روز تجمع النباتات والشجيرات الصغيرة وأشجار الزينة ، وأوانى الفخار ، وأصيص الزهور .

ثم قالت رزو لهاربر : " أريدك أن تذهب إلى المنزل لتحضر سيارتى ، سوف نقوم بتحميل هذه الأشياء عليها ، وأريدك أن تبقى معى لساعات قليلة . أما أنت يا ستيلا فاذهبى كى تخبرى لوجان بأن يأتى إلى هنا عندما ينتهى من عمله اليوم ، فسوف يتم تكليفه ببعض الأعمال الإضافية ، ويمكنه أن يقوم بتلك الأعمال التى وضعت عليها علامة بارزة ، وأن يحضرها إلى هذا العنوان " .

ثم كتبت مسرعة عنوان سيسى على قصاصة من الورق ، ثم قالت لستيلا : " تعالى معه ، فيمكننى أن أستفيد منك فى مساعدتى " .

فسألتها ستيلا قائلة : " هل تعتقدين حقاً أنه بمقدورك القيام بكل هذا فى أقل من يومين ؟ " .

" سوف أنتهى من ذلك فى أقل من يومين ؛ لأن ذلك يجب أن يتم " .

كانت تحب التحدى ، ولم يكن هناك ما يريح فكرها أكثر من الحفر فى الطين .

وكانت تقوم بأعمال المقايسات ، ووضع العلامات ، وأعمال الحرث ، ودفن الطحالب المتحللة .

" إن البدء في تجهيز حوض جديد حدث مهم ، وفي غالب الأمر أحتاج إلى وقت كثير كى أنتهى من إعداد وتجهيز التربة " .

فأخذت سيسى تعض شفتيها ، وتلف ذلك الشريط المرصع باللؤلؤ التى كانت ترتديه حول أصابعها قائلة : " ولكنك تستطيعين القيام بذلك " .

فردت روز قائلة : " ليس هناك الكثير من الأمور التى لا أعرف القيام بها فيما يتعلق بالتربة والنباتات . إنها موهبة خاصة " . وأومأت برأسها إلى حيث يجلس هاربر فى التعريشة للزينة مصنوعة من الجديد قائلة : " وهو أيضا لديه هذه الموهبة . وسوف تتعلمين شيئاً هذا اليوم . ارتدى هذه القفازات يا سيسى ، فسوف تعملين كخادمة ، ومن ثم لن تضطرى إلى الكذب " .

" إننى لا أكذب " . ثم ارتدت القفازات .

وأخذت روز تشرح لها بمصطلحات بسيطة ، بأنهم سوف يقومون بتجهيز حديقة دائمة طوال العام على مدار الفصول الأربعة ، يكون من شأنها أن تدهش عائلة زوجها متى قاموا بزيارتها فى أى وقت من العام . وسيزرع فيها نباتات السندس ، والقرنفل ، وزهور الجريس ، وزهور القلب الدامى دائمة الإزهار ، بالإضافة إلى النباتات بصلية النوع ، والنباتات الحولية التى تم انتقاء أماكنها ببراعة فائقة ، وكذلك أوراق نباتات الزينة .

وبمجرد الانتهاء من تجهيز الأصص التى تزرع فيها ، وقد امتلأت بالزهور ، سيصبح حوض الغرس تحفة رائعة لدرجة أن حماتها التى يصعب إرضاؤها ستعشقه .

وتركت سيسى جالسة بشعرها الذى يشبه عرف الديك ، وذهبت كى تعيد تنظيم الأحواض التى تم الانتهاء منها .

وبعد ساعتين أدركت أنهم سيستخدمون كل ما أحضرته معها .

ونادت على هاربر ، ثم مسحت العرق بظهر يدها من على جبهتها قائلة : " هل معك هاتفك المحمول ؟ "

فتوقف عن العمل فى التعريشة وأخذ يضرب على جيبيه قائلاً : " إنه فى مكان ما ، ربما يكون فى الشاحنة " .

وأخذت تقول لنفسها : " من شابه أمه فما ظلم " ثم لوحت له بيدها ، وذهبت إلى الأمام كى تبحث عن الهاتف . واتصلت بـ " ستيلا " ، وأخذت تملى عليها بسرعة قائمة أخرى باحتياجاتها ، وهى على يقين من أن مديرة أعمالها ستقوم بتسجيل هذه الاحتياجات جميعها بما فى ذلك ما يتعلق بأمر الفواتير ، ومحتويات المخزن ، والتسليم .

لقد زرعت على طول السياج الخلفى أعشاب القنا ، وزهور المريمية ، وزهور الربيع الأفريقية ، ثم جلست على كعبيها ، وحينئذٍ جاءت سيسى إليها تحمل زجاجة طويلة ، ثم أعطتها لروز قائلة :

" لقد صنعت زجاجة الليمونادة هذه ، وللأسف فقد أفسدت طلاء أظافرى ، وها أنا أبذل جهدى وتعبى فى أماكن نسيت أنى أمتلكها . إنى لأعجب كيف تفعلين هذا " .

" وإنى لأعجب كيف تقامرين كل أسبوع " .

" أعتقد أن كل إنسان مسئول عن تصرفاته ، إنى أدين لك بأكثر من قيمة الشيك الذى حررته لك " .

" أعتقد أنك ستحررين شيكين آخرين قبل أن ينتهى هذا الأمر " .

أغلقت سيسى عينيها قائلة : " إن هانك سيقتلنى ، سيوسعنى ضرباً حتى الموت " .

" لا أعتقد أنه سيفعل ذلك " ، ثم نهضت روز واقفة ، وأعطتها زجاجة الليمونادة الفارغة ، ثم مدت ظهرها قائلة : " أعتقد أنه سيكون مسروراً وفخوراً ، بأنك قد تحملت كل هذه المصاعب ، بل وأفسدت طلاء أظافرك من أجل تجميل بيتك استعداداً لزيارة والدته ، وحتى يروا كم تقدرين ذلك المنزل الذى أعطاه لك " .

فارتسمت ابتسامة يسيرة على شفتيها قائلة : " يالك من ماهرة يا روزاليند ! " .

" إن عدم وجود زوج لى لا يعنى أننى لا أعرف كيف يفكرون ، وإنى أحذرك إنك إن لم تهتمى بكل هذه الأمور بشكل كافٍ ، فسوف أوسعك ضربًا مبرحاً " .

فنظرت سيسى حولها نحو الطين ، وأحواض الزرع التى زرعت نصف مساحتها ، ونظرت إلى الجواريف ، والشكائر المعبأة بالسماد ، والمواد الإضافية التى تضاف إلى السماد ليكتسب خصائص جيدة ، ثم قالت : " إن المكان سيبدو جميلاً حقاً عندما ننتهى من ذلك ، أليس كذلك ؟ "

" ضعى ثقتك فىّ " .

" إنى أثق بك تماماً ، وربما ليس هذا هو الوقت المناسب لأخبرك بأن ابنك وسيم جداً . وأقسم لك بأن قلبى كاد ينفطر عندما أعطيته الليمونادة ، ثم رمقنى بنظرته " .

فقالت روز : " على الرغم من أنه لا يجد صعوبة - على حد علمى - فى معرفة الفتيات إلا أن علاقته بهن لا تدوم طويلاً " .

" إنه لايزال صغيراً " .

* * *

وصلت إلى المنزل بعد أن حلّ الظلام . كانت متسخة وتشعر بإجهاد يسير ، وألقت نظرة سريعة فى المكتبة قبل أن تصعد إلى أعلى ، فقد رأت سيارة ميتش تقف بالخارج أمام المنزل .

فسألته قائلة : " أتعمل حتى هذا الوقت المتأخر ؟ "

" نعم ، وهل كنتِ أنت أيضا تعملين حتى الآن ؟ "

" لقد كان يوماً حافلاً . سأصعد إلى أعلى كى أرتاح من عناء هذا اليوم ثم أتناول شيئاً " .

" أتريدين صحبة ؟ إن لدى شيئين أريد الحديث معك عنهما " .

" بالطبع . هيا لأعلى " .

" هل كنت تلعبين فى الطين ؟ "

" نعم لقد قضيت معظم اليوم فى أعمال البستنة ، كانت حالة طارئة " . ثم نظرت إلى الوراء وهى تصعد درجات السلم مبتسمة قائلة : " إن إحدى صديقاتى لديها زيارة غير مرغوب فيها من عائلة زوجها التى تتمتع باتجاهات سلبية عدوانية ، وقد أدى ذلك إلى أن جنيت ربحاً لعملى ، وأمضيت يوماً رائعاً حافلاً " .

" منذ وقت طويل لم أشارك بشكل جدى فى أعمال التصميم والتزيين ، فقد كدت أنسى تقريباً مدى عشقى للمشاركة بيدى فى حديقة غيرى وإبداع شىء ما . لم يكن المكان سوى أرض غير صالحة ، وقد كان علىّ أن أستمتع بذلك الوقت ، وأن أعهد إليها

بتلك المهمة ، ولكنى لم أفعل ذلك ، على أية حال فقد أصلحنا هذه الأرض " .

فقال : " هل كان معك أحد آخر ؟ " .

فقالت : " كان علىّ أن أستدعى طاقم العمل ، أخذت هاربر معى ، بينما احتفظت بستيلا ولوجان ريثما أحتاج إليهما فيما بعد ، ولقد زرعت أجمل حديقة دائمة النباتات طوال العام . إنها تبدو رائعة الآن ، وفى غضون الأسابيع القليلة القادمة سريعاً ما ستنمو نباتات زنبق النهار ، وأشجار النيلة الصحراوية ، ثم تنمو بعد ذلك الفصيلة الوردية ، ونباتات كأس الزهرة ، ثم نباتات المريمية الخضراء ، وقفاز الثعلب ، وقد قام هاربر بعمل تعريشات نحاسية من نبات ياسمين البر المعترش الجميل ، وقد زودها بثلاثة من أشجار البلوط . وعندما دخل لوجان هناك ... " .

وحينئذٍ مالت ناحيته قائلة : " أعتقد أنك قد مللت من حديثى هذا " .

" كلا ، فبالرغم من أنى لا أعرف ما الذى تتحدثين عنه إلا أننى لا أشعر بضجر أو ملل ، فأنت تبدين متحمسة " .

" سأذهب صباح غد لأضع بعض اللمسات النهائية ، وأقدم لها الفاتورة النهائية . ربما سيغمى عليها ، ولكن عائلة زوجها ستعجب كثيراً بالحديقة " .

فقال : " إنك لم تعطنى رداً بشأن النباتات التى طلبتها لشقتى " .

فقالت : " نعم لم أرد عليك بشأنِ ذلك " .

انتظر لخمس ثوان ولم يسمع رداً ، ثم ضحك قائلاً : " أعتقد أن هذا رد كافٍ . أتعرفين بأنى أتمتع بالذكاء والمسئولية ويمكن أن أتعلم كيف أرعى نباتاً ؟ " .

فقالت : " ربما ، ولكن سجلك فى هذا الصدد ليس مبشراً يا ميتش ، ربما نتناقش معاً حول عقد فترة تجريب واختبار لك . فلقد هددت سيسى بالضرب المبرح إن لم تحافظ على ما أنجزته هناك ، وقد سمعتها تتحدث مع لوجان عن رغبتها فى تعيينه لكى يذهب إليها مرتين شهرياً كى يرعى الحديقة . وهذا فى حد ذاته أمر حسن ، حيث يجب علينا جميعاً أن ندرك مسئولياتنا " .

" ألا تروين النبات ، وتقومين بوضعه فى الشمس ؟ إننى أستطيع القيام بذلك " .

فقالت : " إن كان هذا هو كل ما يتعلق برعاية النبات ، ما كنا تكبدنا كل هذه المشقة . لقد كنا مشغولين فى العمل للغاية ، وبالكاد أستطيع أن تدبر أمر شيئين فى وقت واحد ، فزواج ستيلا قد اقترب بالإضافة إلى أن هناك أشياءً تحتاج إلى اهتمامى فى هذا المشروع " .

كان ينظر إليها باهتمام قائلاً : " سنتدبر أمر ذلك كله " .

فقالت : " هناك الكثير من الأمور التى يجب علىّ القيام بها بحلول الشتاء ، وها قد انتهى الشتاء ، وحل فصل آخر من فصول الربيع ، إننى لا أصدق أن ... " .

وحينئذٍ تقارب حاجباها جنباً إلى جنب ، وقد ارتسم بينها خط رأسى باهت ، ثم توقفت عن الكلام ، وقد بدا عليها التفكير العميق .

فسألها : " لا يعجبك هذا ؟ " .

فقالت : " ماذا تعنى ؟ " .

فقال : " إننا هنا نحن الاثنين معاً لا ثالث لنا " . وظل واقفاً مكانه بينما مرت بجواره إلى غرفة النوم ، وفتحت أحد الأدراج

لتخرج بعضاً من الملابس الأنيقة ، ثم استطرد قائلاً : " نهاية يوم عمل ، وحوار متبادل . إننا كزوج وزوجة ، ألسنا كذلك ؟ "

قالت : " وما شعورك نحو زواجنا ؟ "

فقال : " لست متأكداً تماماً . أشعر بقلق يسير بالنسبة إلى الشكل الظاهرى ، ولكنى مطمئن بشكل كبير من ناحية المضمون ، ولكن ما رأيك أنت ؟ "

تفحصت وجهه ، ثم قالت : " إن الزواج مرة ثانية لم يكن أبداً ضمن حساباتى ، بل إنه يأتى على قائمة الأشياء التى أعمل على تجنبها " .

فابتسم مستنداً إلى مقبض الباب قائلاً : " سمعتك تتحدثين عنه فيما مضى " .

فقالت : " نعم ، لقد وقعت فى الحب ذات مرة حينما كنت لا أزال صغيرة . وعندما أحببت تزوجت ، لقد كان ذلك رائعاً ، وسأظل أحب جون آشبى طيلة حياتى ، سأراه فى أبنائى ، وما كان لنا أن ننجب هؤلاء الأبناء إن لم نكن قد أحببنا بعضنا البعض بهذه الطريقة " .

فقال : " إن إناساً يحبون بعضهم بهذه الطريقة لمحظوظون حقاً " .

" نعم ، نحن كذلك . لقد شعرت بالوحدة فى وقت ما ، فقد كان أبنائى فى طريقهم إلى حياتهم الخاصة بهم ، وأصبح المنزل خاوياً بدونهم ، والهدوء يكتنفه . لقد شعرت بالحزن الشديد وأنا أراهم يبتعدون عنى ، لقد كنت بحاجة إلى أن أجد حلاً لذلك ، أو هكذا ظننت . لقد أردت شخصاً يشاركنى بقية حياتى ، واخترت شخصاً كان يبدو مناسباً من الشكل الظاهرى . وقد كلفتنى هذه الغلطة كثيراً ، عاطفياً ، ومادياً " .

فقال : " ولأجل هذا فأنت تتوخين الحذر الشديد بشأن أى زواج آخر " .

" نعم ، ولكنى أحبك يا ميتشيل " . ورأت العاطفة تملأ عينيه ، وكم كان ذلك رائعاً ، أن ترى هذه العاطفة تتدفق لأجلها هى .

ورأته يريد التقدم إلى الأمام ثم توقف لأنه كان يعلم أنها تريده أن ينتظر ، وأعجبها أنه يفهمها جيداً .

وقالت : " ولم يخطر ببالى أن أقع فى الحب ثانية ، وأحب من أعماق قلبى . وقد كان هذا هو الخطأ الذى ارتكبته مع برايس ، أن أتزوج رجلاً لم أحبه من أعماق قلبى . إن الزواج خطوة خطيرة ، وأتمنى ألا تمانع فى الزواج منى حينما يحين وقت استعدادى لهذه الخطوة " .

" يمكننى أن أتعايش مع هذا الوضع لأنى أحبك يا روزاليند ؛ ولأن الأخطاء التى ارتكبتها أحدثت جرحاً لأولئك الذين أحببتهم ، ولن أقع فى هذه الأخطاء ثانية " .

سارت نحوه قائلة : " لقد قدر علينا أن نقع فى أخطاء جديدة " .

قال : " سيكون الأمر على ما يرام " .

" نعم ، أعتقد أنه ربما سيكون الأمر على ما يرام ، هيا لننزل كى نرى ما أعد ديفيد على العشاء ، ثم تخبرنى بما قمت به اليوم بدلاً من الاستماع إلىّ ، والانشغال بأمورى " .

ولأن الوقت كان متأخراً ، فقد تناول الأطفال طعامهم بينما ذهب آباؤهم يلقنونهم أدعية ما قبل النوم .

فقالت روز بينما كانت تتناول المكرونة الأسباجتى وقطع اللحم الصغيرة : " إنك فى بعض الأحيان تنسى أن هذا المنزل يحوى أشباحاً ، وفى البعض الآخر تشعر فيه وكأنك فى بيت القرود بحديقة الحيوان " .

فقال : " وأنت تحبينه فى كلتا الحالتين " .

" نعم ، إنى امرأة متناقضة أحب العزلة ، وبدونها يُجن جنونى ، وكلما أصبحت فى عزلة أكثر ، كلما شعرت بنزعة كبيرة إلى التأمل ، إننى أسبب ضرراً وألماً لمن يعيش معى ، ربما ستحتاج إلى تحليل هذا " .

" قد قمت بذلك بالفعل " .

فتوقفت ممسكة بشوكة الطعام بالقرب من فمها ، ثم أنزلتها وقد انطلقت منها ضحكة طويلة مدوية وهى تقول : " إنك تتعامل معى بشكل صحيح " .

" ولكنى أتسم بالفوضى ؛ فأنا لا أهتم بالتفاصيل التى لا تمثل أهمية لى فى وقت معين ، وليست لدى أية نوايا كى أصلح من نفسى ، يمكنك أن تقومى أنتى بتحليل هذا " .

فقالت : " لقد فعلت ذلك أيضاً ، والآن ما الذى كنت تريد الحديث معى بشأنه ؟ " .

فقال : " يبدو أننى لا أنتهى من الأشياء التى أريد الحديث معك عنها " .

فقالت : " إن الرجال عندما يقعون فى الحب تجدهم فى الأسابيع الأولى القليلة يتحدثون أكثر مما يفعلون أو مما سيفعلون خلال العشرين سنة المقبلة " .

فأومأ وفى يده شوكة طعامه ، ثم لف عليها المكرونة الإسباجتى قائلا : " إن هذه لميزة أخرى فى أننا قد تقابلنا ونحن

فى سن متأخرة ، فكلانا يعرف كيف يكون الحب ، ولكن ما أردت مناقشته معك بشكل أساسى يتمثل فى كلاريس هاربر " .

فردت قائلة : " إنك ستفسد شهيتى للطعام بذكرك لاسمها ، بالرغم من أنى أعشق الإسباجتى بقطع اللحم الصغيرة " .

فقال : " لقد زرتها هذا الصباح مرة أخرى حينما كنت تعملين فى الحديقة على ما أظن " .

فقالت : " أتقول بأنك قد قمت بزيارة إلى أعماق الجحيم ؟ " .

فقال : " إن الأمر ليس بهذا السوء ، فإنى أروق لها ، وتجد متعة على الأقل فى الحديث معى . وأعتقد أنها تسلى نفسها بتزويدى بما يروق لها من معلومات ، وحجب ما لا تريدنى أن أعرف " .

ثم لف بعضاً من الإسباجتى على شوكة طعامه قائلاً : " يمكننا أن نسجل حديثنا لو كان هذا يروق لك ؛ فقد أخبرتنى بقصة مسلية زعمت أنها قد سمعتها من أمها عن جدك حينما كان صبياً . فقد راح فى النوم فى خزانة ملابسه مع كلب صغير . كان يريد الاحتفاظ به كجرو أليف ؛ ولكن أمه اعترضت على ذلك ، ومن ثم فقد قام بإخفائه فى خزانة ملابسه لأسبوع أو نحو ذلك ، وقد اعتاد على سرقة الطعام له من المطبخ " .

فقالت : " وكم كان عمره آنذاك ؟ " .

" تعتقد أنه كان فى العاشرة ، أو على الأقل أخبرتها أمها بذلك ، وذهب إلى الخزانة التى كان يتواجد فيها الجرو ، فغلبه النوم هناك ولم يستطع أحد أن يعثر عليه إلا بعد أن سمع أحد الخدم أنينه ، وحينئذ وجدوا الجرو معه فى خزانته " .

فقالت : " وهل احتفظ بالكلب بعد ذلك ؟ "

" نعم ، فقد كان أبوه مسيطراً على أمه ، وسمح له بالاحتفاظ به بالرغم من أنه كان كلباً مهجناً غير مدرب . لقد احتفظ به قرابة ثمانية عشر عاماً ، ومن ثم فهى تتذكر ذلك بنفسها ولكن بشكل مشوش . لقد دفن هذا الكلب خلف الإسطبل ورفع شجرة صغيرة فوق القبر " .

فقالت : " سبوت . لقد أرتنى جدتى القبر ، وعليه شاهد صغير . تقول بأنه قد دفن كلبه الذى كان يحبه هناك ، ولكنها لا تعرف شيئا عن كيفية احتفاظه به وإلا لكانت أخبرتنى بذلك " .

فقال : " أعتقد أن كلاريس أخبرتنى بذلك كى توضح لى بأن جدها قد أفسد خالها الأصغر " .

فردت روز قائلة : " ولم لا ! " .

فقال : " لقد عرفت شيئاً آخر ، إن جين تأخذ إجازة يوم الأربعاء من كل أسبوع . إنها تحب الذهاب إلى مقهى " دافيزكيد " لتتناول الغداء هناك ، ثم تتصفح الكتب فى المكتبة هناك " .

" حقاً ؟ " .

فقال : " ومن يريد الحديث معها سراً يمكنه الذهاب إليها هناك ، إنها ستذهب إلى هناك غداً ، فهذا يوم الأربعاء يوم إجازتها " .

فقالت : " لم يكن فى حساباتى مؤخراً أن أذهب إلى محل بيع الكتب " .

فقال : " أعتقد أنه قد حان الوقت كى تذهبى " .

* * *

لولا الوصف الذى أعطاه ميتش لروز ، لكان انتابها الشك فى أنها كانت ستتعرف على جين بولسون . لقد رأت تلك الفتاة ذات الشعر الذى يشبه لون الفئران وعليها ثياب رمادية ضاربة إلى اللون

الأسمر ، وقد ارتسم على وجهها الهدوء ، ودخلت المقهى ، وذهبت مباشرة إلى المائدة .

طلبت ما كانت تريده بسرعة ، وكأنها لا تغير من عاداتها ، ثم جلست على مائدة فى الركن وأخرجت كتاباً من حقيبة يدها .

انتظرت روز دقيقة ثم ذهبت إليها .

وبرفق وكأنها تريد إرباكها قالت روز : " جين ؟ جين بولسون ، يا لها من مفاجأة " .

ودون أن تدعوها جين إلى الجلوس ، جلست روز على الكرسى الثانى على المائدة قائلة : " لم أرك منذ ... ، لا أستطيع أن أتذكر منذ متى ... ألا تعرفيننى ؟ إننى روزاليند ، روزاليند هاربر " .

" نعم ، إنى أعرفك ، مرحبا بك " .

صافحتها وهى تربت على يدها ، ثم جلست ترتشف قهوتها قائلة : " كيف حالك ؟ منذ متى وأنت هنا فى المدينة ؟ أخبرينى بكل شىء " .

" إنى بخير . إنى أعيش هنا الآن " .

" حقاً ! أتعيشين هنا فى ممفيس ؟ يا لها من مصادفة . وماذا عن أسرتك ؟ هل الجميع بخير ؟ " .

" نعم إن الجميع بخير " .

" حسنا ، يسعدنى أن أسمع ذلك ، أبلغى تحياتى الحارة إلى والديك ، ماذا تفعلين هنا فى ممفيس ؟ " .

" إنى ... " وحينئذ توقفت حينما جاء النادل بحسائها والساندويتش الذى طلبته . ثم قالت : " شكراً لك . روزاليند ، أتريدين شيئا ؟ " .

" كلا ، سأكتفى بالقهوة " . ولم تستطع روز خداعها . لم تستطع النظر إلى ذلك الوجه البائس المسكين وتكذب عليها .

فقالت : " جين سأكون صادقة معك . لقد جئت إلى هنا اليوم لكى أراك " .

" لا أفهم " .

" إنى أعرف بأنك تعيشين مع ابنة العم ريسى ، وتعملين لديها " .

فردت جين قائلة : " نعم ، نعم ... لقد تذكرت للتو ، فقد كانت تطلب منى إجراء بعض المهام ، وإنى لا أعرف كيف نسيت ذلك . يجب أن أذهب الآن و ... " .

فقاطعتها روز قائلة : " حبيبتى " ثم وضعت يدها على يدها كى تهدىء من روعها وهى تأمل أن تطمئنها قائلة : " إنى أعرف ما تشعر به نحوى ، لذا فلست بحاجة إلى أن ينتابك قلق منى ، فلن أخبرها بحديثى معك لأنى لا أريد أن أفعل شيئاً من شأنه أن يُسبب مشكلة لك . إنى أعدك بذلك " .

" ماذا تريدين منى ؟ "

" بداية دعينى أخبرك بأننى لن أقول لها شيئاً مما ستخبريننى به ، فأنت تعرفين مدى بغضها لى ، وأنا لا أبادلها أكثر من نفس الشعور . دعينا من ذلك ، فلن نقضى الوقت فى الحديث عن كلاريس ، وعنى . وإنى لأسألك ؛ هل تشعرين بسعادة وأنت تقيمين معها ؟ "

" لقد كنت فى حاجة إلى وظيفة ، وقد وفرت لى وظيفة . إننى يجب أن ... " .

قاطعتها روز قائلة : " وما رأيك لو كانت أمامك وظيفة أخرى ؟ "

حدقت جين فى حسائها وكأن الدنيا قد ضاقت بها قائلة : " لا أستطيع أن أتحمل نفقة مكان أعيش فيه فى الوقت الراهن . بالإضافة إلى أنى لا أتمتع بأية مهارات وظيفية " .

" أعتقد أن هذا يصعب تصديقه ، ولكن دعينا من هذا الآن . إن كان بإمكانى أن أساعدك فى الحصول على وظيفة ستروق لك وشقة تقدرين على تحمل نفقاتها فهل ستفضلين ذلك على العمل والعيش مع كلاريس ؟ "

كان وجهها ممتقعاً حينما رفعت رأسها قائلة : " ولماذا ستفعلين ذلك ؟ "

فردت روز قائلة : " من ناحية ، سأفعل ذلك لأغيظها ، ولأنى أيضاً لا يروق لى أن أرى قريبية حزينة لاسيما وإن كان الحل بسيطا . ومن ناحية أخرى لأنى آمل أن تساعدينى " .

فسألتها جين قائلة : " وما الذى يمكننى أن أفعله لك ؟ "

" لقد أخذت أشياء من منزلى ، من هاربر هاوس " . وعندما رأت علامات الخوف ترتسم على وجه جين أومأت قائلة : " إنك تعرفين هذه الأشياء ، وأنا أعرفها كذلك ، وإنى لا أهتم بأمر مجموعة التماثيل ، والأشياء الثمينة الأخرى وغيرها . ولكنى أريد الأوراق ، والكتب ، والخطابات ، والصحف . ولكى أكون صريحة معك يا جين فقد عزمت أن أرشوك لتحصلى لى عليها . فسوف أساعدك فى الحصول على وظيفة ، وسوف أعطيك عربونا من المال فى حالة حاجتك إليه فى مقابل قيامك بذلك . وعلى أية حال سأفعل هذا من أجلك " .

" لماذا ؟ "

مالت روز إلى الأمام قائلة : " إنها لن تتوانى عن إيذائى والتلاعب بى إن استطاعت ذلك ، ولكنى لن أسمح لها ، ولا أدرى لماذا أتركها تفعل نفس الشيء معك " .

" إنها لم تفعل ، لقد فعلت ذلك بنفسى ولا أستطيع الحديث عنه " .

" إذن لن نتحدث ، فلن أرهبك ، أو أتآمر عليك ، أو ما شابه ذلك ، ولكن ها هى أرقام تليفوناتى : رقم تليفون المنزل ، وهاتفى الخلوى ، وهاتف العمل . عليك أن تحتفظى بهذه الأرقام فى مكان لا تصل إليه ، عليك أن تعرفى بأنها سوف تفتش فى أغراضك أثناء غيابك " .

فأومأت جين قائلة : " لا يهمنى ذلك فليس لدى شيء " .

فقالت روز : " أبقى هذا الأمر سراً ، ولن يكون هناك ما تخافين منه ، ثم انظرى ماذا تريدين فإن كنت تريدين مساعدتى اتصلى بى " .

" وهل ستساعديننى حتى لو لم أساعدك ؟ " .

" نعم ، وبمقدورى أن أساعد نفسى ريثما احتجت إلى ذلك . إن لديها أشياءً تخصنى وأريد استردادها ، وسوف أحصل عليها . أما إذا كنت تريدين أن تبتعدى عنها فسوف أساعدك لأنه لا علاقة بين هذا وذاك " .

شغرت جين فاها ثم أغلقته ، ونهضت واقفة وهى تقول : " هل يمكننا أن نذهب إلى مكان آخر يا ابنة العم روزاليند ؟ فهى تعرف بمجيئى هنا ، وربما ... " .

فقاطعتها روز قائلة : " ربما ترسل من يتتبعك ، حسناً هيا لنذهب إلى مكان آخر فسيارتى بالخارج " .

ذهبا عبر طريق غير مطروق إلى مطعم صغير حيث لا يعرفهما أحد ، كان المكان معبقاً برائحة اللحم المشوى والقهوة .

ولكى تعطى جين وقتا كى تهدىء من أعصابها فقد طلبت روز لحماً مشوياً وقهوة .

وسألتها قائلة : " هل كنت تعملين قبل ذلك فى مسقط رأسك ؟ " .

" لقد اشتغلت ببعض الأعمال الكتابية فى شركة والدى ، فهو كما تعرفين ، لديه شركة تعمل فى مجال إعداد أرضيات ملاعب الجولف " .

" وهل تحبين الأعمال الكتابية ؟ "

" كلا ، إنى لا أحبها ، ولا أعتقد أنى أتمتع بمهارة كبيرة فيها على أية حال " .

" فماذا تحبين إذن ؟ "

" أعتقد أنى أريد العمل فى محل لبيع الكتب ، أو فى معرض للفنون ، فإنى أحب الكتب والفن بالرغم من أنى لا أعرف عنهما الكثير " .

" هذه بداية جيدة " . ولكى تشجع الفتاة لتتناول الطعام بدلاً من عبثها بأصابعها فى علبة السمسم ، التقطت روز نصف ساندويتش كبير وأخذت قضمة ، قائلة : " هل لديك مال خاص بك ؟ " .

" لقد ادخرت ما يقرب من ألفى دولار " .

" وهذه بداية أخرى جيدة " .

ودون تفكير اندفعت جين قائلة : " لقد كنت حبلى " .

فوضعت روز الساندويتش ، وأمسكت بيدها قائلة : " هل أنت حبلى يا عزيزتى ! "

" لم أعد كذلك " ، وبدأت الدموع تنهمر على خديها قائلة : " لقد حدث ذلك فى العام الماضى ، فقد كنت ... كان متزوجاً وأخبرنى بحبه لى وأنه سيترك زوجته . إننى ساذجة حمقاء " .

فناولتها روز منديلا ورقيا قائلة : " لا تقولى ذلك ، فأنت لست حمقاء " .

واستأنفت جين قائلة : " لقد كان رجلاً متزوجاً ، وكنت أعرف ذلك . لقد فرحت وقتها حينما شعرت بأن رجلا يريدنى ، وأبقيت الأمر سراً ، وصدقت كل ما قاله يا ابنة العم روزاليند " .

" نادينى بروز فقط . إنك فعلت ذلك لأنك كنت تحبينه بالطبع " .

" ولكنه لم يحبنى " ، وحينئذٍ هزت رأسها وهى تقطع المنديل الورقى قائلة : " وقد اكتشفت أمر الحمل وأخبرته فتلقى ذلك ببرود ، ولم يستشط غضبا وإنما كان متضايقا فقط ، وكان الأمر لم يكن يناسبه فى ذلك الوقت ، وطلب منى الإجهاض فأصبت بصدمة شديدة . فأخبرنى بأننا سنتزوج يوما ما ، ولكنه يريد الإجهاض " .

" إنه حقاً لأمر صعب يا جين ، إنى آسفة لسماعى ذلك " .

" وقلت له بأنى سأجهض الجنين ، لقد كنت حزينة للغاية ، ولكنى قررت أن أجهضه فلم أكن أعرف حلاً آخر ، ولكنى كنت أؤجل ذلك لأنى كنت خائفة . وذات يوم كنت مع والدتى نتناول الغداء فى أحد المطاعم وبدأت أنزف " .

وحينئذٍ انهمرت الدموع على خديها ، فجذبت روز أحد المناديل الورقية وأعطته إياها .

واستأنفت جين قائلة : " لقد حدث الإجهاض أمامها ، فاغتاظت منى هى وأبى . كنت أبدو مغفلة وساذجة وأخبرتهما بوالد الطفل . فقد كان أحد شركاء والدى " .

وحينئذٍ دفعت وجهها فى المنديل وأخذت تتشنج بالبكاء .

وعندما جاءت النادلة إليهما ، أومأت لها روز برأسها وقامت لتجلس بجوار جين واضعة ذراعها حول كتفها .

فقالت جين : " إنى آسفة " .

فردت روز : " لا عليك ، استمرى فى البكاء " .

فاستأنفت جين قائلة : " لقد كان مشهداً مروعاً ووقتاً عصيباً ، لقد شعروا بالحرج وخيبة الأمل " .

فقالت روز : " أعتقد أنه فى مثل هذه الظروف كان يجب عليهما أن يقفا بجوارك بعقولهم وقلوبهم " .

فتشنجت قائلة وهى تمسح دموعها : " لقد جلبت العار عليهم ، وكل هذا بسبب رجل لم يحبنى يوماً ، وفقدت ذلك الطفل ، ربما لأنى لم أرده . فكم تمنيت الخلاص منه ، وقد حدث " .

" إنك لم تتمنى الخلاص منه يا عزيزتى ، لا تلومى نفسك على ذلك . لومى نفسك لأنك قد حبلت فى البداية ، ولكن لا تلومى نفسك على فقدك إياه " .

فردت جين قائلة : " إنى لم أفعل شيئاً خطأ فى حياتى غير ما أخبرتك به ، وهذا هو ما حدث " .

فقالت روز : " إنى حزينة لذلك . لكن كلنا نخطىء يا جين ، وندفع الثمن باهظا ، ولكن عليك ألا تستمرى فى تحمل ذلك " .

ثم احتضنت كتف جين بقوة ونهضت لتجلس على مقعدها ثانية قائلة : " انظرى إلىّ الآن واسمعينى ، إن الرجل الذى خدعك لا وجود له فى حياتك الآن ، أليس كذلك ؟ "

فأومأت برأسها موافقة على كلامها وهى تمسح على عينيها .

فاستأنفت روز قائلة : " حسناً ، والآن يمكنك البدء فيما تريدين القيام به ، إما أن تقومى ببناء حياة جديدة ، أو تعيشين على أطلال الماضى " .

فسألتها جين : " وهل ستساعديننى حقاً فى الحصول على وظيفة ؟ "

" سوف أساعدك فى الحصول على وظيفة ؛ ولكنك منوطة بالحفاظ عليها " .

فقالت جين : " إن لديها الكثير من المفكرات اليومية القديمة وتحتفظ بها فى غرفتها فى أحد الأدراج المغلقة ، ولكنى أعرف مكان المفتاح " .

فابتسمت روز ثم أسندت ظهرها إلى الوراء قائلة : " يالك من فتاة ذكية ! "

الفصل السابع عشر



كانت هايلى جالسة ، بينما تحمل ليلى ، وتنظر إلى هاربر وهويغرس بعضاً من نبات الفرفحين المزهر فى أحد الأحواض خارج الباب الخلفى لكوخه وقالت : " إنها ليست شريرة ، أعنى أنها قذرة وحقيرة حقاً ، ولكنها ليست شريرة " .

فرد عليها قائلاً : " من الواضح أنك لم تسمعى أمى وهى تصف ابنة العم ريسى بأنها ليست إلا شيطانة حقيرة من شياطين الجحيم " .

" إن كانت كذلك حقاً ، فربما فعلت شيئاً ما مع إميليا ، ربما هى التى قتلتها " .

فقال : " إنها لم تكن قد ولدت بعد ، على حد قول أمى ، عندما ماتت إميليا " .

قطبت جبهتها قائلة : " هذا إن لم نكن قد أخطأنا بشأن التواريخ ، وإن كنا على خطأ فمن المحتمل أن تكون قد قتلتها " .

فقال : " هذا بافتراض أن إميليا قد قتلت " .

فقالت : " حسناً ، لو فرضنا ذلك جدلاً ، فسوف يكون لديها بعض الأسباب وراء أخذها للمفكرات اليومية والاحتفاظ بها . ألا تعتقد ذلك ؟ "

فقال : " أتقولين هذا بخلاف كونها امرأة أنانية حقيرة ؟ "

فقالت : " نعم ، بالإضافة إلى ذلك " . ولأن ليلى أخذت تتلوى فى ضجر ، أنزلتها وأمسكت بيدها لتتمشى جيئة وذهاباً فى فناء هاربر ، ثم استأنفت قائلة : " ومن المحتمل أن تحتوى هذه المفكرات على أشياء تثبت تورطها " .

" إذن ، لماذا لم تقوم بحرقها ؟ " .

فردت قائلة : " لا أعرف . إنها نظرية . أمامنا نظرية وفرضيات ومن ثم يمكننا أن نصل إلى الحل ، أليس كذلك ؟ "

فقال : " إن الحل فى رأيى هو أن ابنة العم ريسى ليست سوى ماكرة ، أنانية ، سوداء القلب . انظرى إلى هذا ! " ثم اقتطف وردة رافعاً إياها نحو ليلى قائلاً : " أليست جميلة ؟ ألا تحبين الاحتفاظ بها ؟ "

فارتسمت على وجهها ابتسامة عريضة ، وتخلصت من يدى أمها ، وخطت نحوه .

فقال لها : " هيا ، تعالى وخذيها " .

وعندما أمسك بالوردة خطت ثلاث خطوات إليه .

فصاحت هايلى قائلة : " يا إلهى ! يا إلهى ! هل رأيت هذا ؟ لقد سارت . هل رأيت هذا ؟ "

" نعم ، رأيت ذلك " . وأخذ يسند ليلى لتحافظ على توازنها وهى تمسك بقبضتها على الوردة .

فصاحت هايلى وهى تشهق قائلة : " لقد خطت أولى خطواتها ، لقد مشت إليك " .

فنظر إليها وقد سالت دمعة من عينها ، فقال : " معذرة ، كان علىَّ أن أعطيك الوردة لتمسكى بها " .

فقالت : " كلا ، ليس الأمر كذلك يا هاربر ، إنها قد أخذت أولى خطواتها ، لقد رأيت طفلتى الصغيرة وهى تخطو أولى خطواتها ، يجب أن يرى الجميع ذلك " . أخذت ترقص طرباً وهى ترفع ليلى لأعلى مداعبة إياها كى تضحك وهى تلف فى شكل دائرى قائلة : " سوف نُرى الجميع مدى براعتك " .

ثم توقفت وهى تلهث ، وانحنت لأسفل لتقبل هاربر على خده قائلة : " لقد مشت نحوك " ، وأخذت تكرر ذلك ، ثم هرولت نحو المنزل الرئيسى وهى تحمل ليلى على ساقها .

* * *

كانت روز تحب أن تحتسى قهوتها فى الفناء ومن حولها الزهور والورود اليانعة ، ومن حولها طفلا ستيلا يلعبان مع الكلب ، فاسترجعت فى ذاكرتها أصوات وصياح أولادها .

كانت تشعر بسعادة وهى تجلس هكذا قرب المساء ، ومن حولها الأضواء الهادئة الزرقاء ورائحة النباتات النامية تعبق الهواء . كانت تشعر بحاجتها إلى صحبة أحد ، واحتست قهوتها بينما لوجان وستيلا وديفيد وميتش يتحدثون من حولها .

كانت تريد أن يكون بجوارها هاربر وهايلى ، ولكن هاربر كعادته لم يرد على الهاتف ، ولم تتمكن من العثور على هايلى أو الطفلة .

وشربت ستيلا كأس الشاى المثلج قائلة : " لقد قالت إنه كان سعيداً للغاية بكل شيء ، وقد اصطحبها إلى الخارج كى تشترى أثاثاً جديداً للفناء " . ثم استطردت ستيلا قائلة : " إننى نادراً ما أرى زبوناً راضياً ، أو تصميماً فنياً للمناظر يتم تنفيذه بهذه السرعة . إن لوجان يهتم بك بشكل كبير يا روز " .

" إنك تعرفين الفناء وتعرفين المرأة جيدا ، إن سيسى تحب التغيير ، ومن ثم فسوف تقوم باستئجار لوجان لتجميل الفناء " .

فابتسمت ستيلا إلى لوجان قائلة : " كم أكره ذلك الشعور بأننى حزينة وخائفة بسبب حماتى ، ولكنها عبارة عن جوهرة " . أمال كأس الشراب نحو ستيلا والتى قالت : " وهى أيضا لديها نفس الشعور إزاءى ، مما سيجعل حياتى تسير بشكل أيسر . قال لوجان " إن أيامك أصبحت هنا معدودة " .

" يتبقى أسبوعان ، ولايزال هناك الكثير . وفى كل مرة أشعر فيها بأنى قد بدأت أسيطر على مجريات الأمور يطرأ فى ذهنى شيء ما ، مثل تخطيط حفل زواج صغير وبسيط ولكنه ملىء بالتعقيدات " .

فرد عليها لوجان وقد نظرت إليه مبتسمة قائلاً : " قولى لى ماذا تريدين وسوف أفعل " .

استطردت قائلة : " لقد ساعدتنا جولين بشكل كبير ، وكذلك والدة لوجان وأخته . كما أننى لا أعرف ما الذى كنت سأفعله بدونك يا ديفيد " .

" أرسلى لى بباقة من الزهور " .

دخلت روز قائلة : " لقد تحدثت مع جولين اليوم " .

" حقا ؟ "

فقالت روز : " إن جولين تعرف كل سكان شيلبى ، وأذكر أنها كانت لها صديقة تدير معرضاً صغيراً جميلا ومحلا لبيع الهدايا فى وسط المدينة . وسوف تجرى جين مقابلة للحصول على وظيفة مساء يوم الأربعاء القادم " .

فقال ميتش : " إنك تعملين بسرعة " .

" لقد كانت الفتاة فى حاجة إلى الراحة . وسوف نرى الآن ما الذى ستفعل . إن لديها أيضاً صديقاً تعمل أخته فى شركة تأجير عقارات . وتوجد شقة بغرفة نوم واحدة بوسط المدينة وتقع بعد ست وحدات سكنية من المعرض ، وسوف يرحل عنها سكانها فى غضون أسبوعين ، أما عن الإيجار فسوف يقوم السكان الجدد بدفعه " .

فقال ميتش: " يجب أن أعترف بأنك قد قمت بعمل رائع " .

" لم أفعل شيئاً سوى أن توجهت إليهم بالطلب " .

فسأل لوجان قائلاً : " هل تعتقدين أنها ستنتقل للعيش هناك ؟ فهى ستغير مسكنها وتجلب لك المفكرات اليومية ؟ فمن خلال الطريقة التى وصفتها بها ، فلا يبدو أن لديها الكثير لتعتمد عليه " .

" إن البعض منا ليس لديه هذا أيضاً ، والبعض الآخر يرى أننا قد أصبح لدينا من نعتمد عليه ولكننا لم نضع ذلك الشخص فى موضعه المناسب . إنها لاتزال صغيرة ولا تتمتع بما يمكن أن نطلق عليه حيوية ونشاطا ، وعلى الرغم من أنى قد أوضحت بأنه لا توجد علاقة أو خيوط نتوصل من خلالها إلى ما نبحث عنه ، إلا أننى على يقين إلى حد ما من أنها سوف تشعر بأنها مضطرة إلى القيام بمساعدتى إذا ما قبلت هذه الوظيفة وهذه الشقة . أما إذا

كانت لديها روح المبادرة للعمل تحت هذا الالتزام فهذا شيء آخر " .

فسأل ميتش : " وماذا سنفعل إن لم تف بوعدها ؟ "

قالت روز : " فى هذه الحالة أتوقع أن تحدث مواجهة قوية بيني وبين ابنة العم ريسي ، فلا يزال معى قليل من الأوراق التى حتمًا سأكشفها إذا تطلب الأمر ذلك " .

فاقترب منها ديفيد أكثر وقد برقت عيناه قائلاً : " هل هى أسرار قذرة ؟ مثل ماذا ؟ "

فقالت : " إنها زلات وهفوات عائلية لا أهتم بنشرها ، غير أنى سوف أؤكد لها بأننى سوف أنشرها إلا إذا أرجعت لى ما يتعلق بهاربر هاوس " . ثم ربتت على ذقن ديفيد قائلة : " ولكنها الآن تعتبر من أسرارى التى أحتفظ بها " .

وهنا سمعوا من يصيح : " ها قد جئت لأفسد عليكم متعتكم " .

وحينئذٍ استدارت كما فعل الجميع ، ليكتشفوا أن هايلى هى من صاحت بذلك . واندفعت نحو المائدة وهى تلهث وقد تورد وجهها قائلة : " لقد تمكنت من السير ، لقد مشت ثلاث خطوات نحو هاربر " .

حاولت هايلى أن تجعل ليلى تظهر مهارتها الجديدة مرة ثانية . لكن فى كل مرة كانت تحاول فيها هايلى أن تعلمها السير ، لم تكن لتفعل شيئًا سوى أن تتلوى على ركبتيها ، قد كانت تفضل أن تزحف فى الفناء ، أو أن تحاول أن تتسلق مقعد روز .

واستأنفت هايلى قائلة : " أقسم لكم بأنها قد تمكنت من السير ، يمكنكم أن تسألوا هاربر " .

" إنى أصدقك " . ثم رفعت روز ليلى لأعلى وهى تحك أنفها بأنفها قائلة لها : " إنك تغيظين أمك . أليس كذلك ؟ " ثم نهضت واقفة وبين ذراعيها ليلى ، ثم التقطت قطعة من الحلوى وأعطتها لهايلى قائلة : " ربما ستبدأين الآن فى استخدام إحدى الأدوات الأساسية التى يستخدمها الوالدان وهى الرشوة . انطلقى الآن بقطعة الحلوى هذه إلى هناك وارفعيها لأعلى " .

وعندما فعلت هايلى ذلك ، جلست روز القرفصاء وأوقفت ليلى على قدميها قائلة : " أمسك بزهرة فى يدك يا هاربر " .

" إن هذا الفتى يعرف كيف يسحر الفتيات ، هيا انطلقى يا حبيبتى وأحضريها " .

ففعلت ليلى وهللّ الجميع ، ثم وقعت فجأة على الأرض وأكلت قطعة الحلوى .

وعندما ذهب الآخرون إلى الداخل ، جلست روز مع ميتش وقد احمرت الشمس وقت الغروب .

فقال ميتش : " هل ستعتبرينها إهانة لو قلت لك بأنك جدة عظيمة " .

فردت قائلة : " إن كلمة جدة تحبطنى قليلاً ولكن لأنى أحب هذه الطفلة وكأنها من لحمى ودمى وقد رأيتها تخطو أولى خطواتها إلى هاربر ابنى ، فمن الصعب علىَّ ألاَّ يذهب تركيزى على هذا المشهد وعلى أهميته " .

فسألها قائلاً : " ألا تقوم هايلى بمواعدة أحدهم ؟ "

فقالت : " إنها لا تهتم بشىء فى الوقت الراهن سوى بليلى ، ولكنها لاتزال صغيرة ومفعمة بالعاطفة وسوف تقع فى حب شخص ما عاجلاً أم آجلاً . أما بالنسبة لهاربر ، فلا أستطيع أن

أحصى عدد الإناث اللائى يقعن فى حبه ، ولكنه لا يصطحبهن إلى المنزل لمقابلتي ، وهذا يحمل فى طياته مغزى ودلالة لا تغفل " .

فرد قائلاً : " حسناً بمناسبة الحديث عن الأبناء ، إن ابنى على علاقة بفتاة صغيرة جديدة من هذه المدينة ، وقد تصادف أن والديها أعضاء فى نفس النادى الذى تشتركين فيه ، وسوف يحضر حفل العشاء مساء غد . إنى أود أن أعرفك به " .

فقالت : " يسعدنى أن أتعرف عليه ، ولكن من هى تلك الفتاة ؟ " .

" إن اسمها شيلبى ، سميت بهذا الاسم على اسم المقاطعة . وأعتقد أن اسمها كاملاً شيلبى فورستر " .

ردت قائلة : " إنه حقاً لعالم صغير ، إنى أعرف جان وكويل والدى شيلبى ، وأعرفها أيضاً ، إنها فتاة رائعة ، وهناك علاقة فى الوقت الراهن فيما بينى وبين والديها لأن كويل تربطه علاقة عمل بشكل ما مع برايس ، وهذا هو ما يجعل الأمور مضطربة إلى حد ما بيننا ، ولكن ذلك لا يتعدانا إلى شخص آخر" .

فقال : " لا توجد علاقات معقدة يشوبها معالم غير واضحة كما فى الجنوب " .

فقالت : " لا أعتقد ذلك . وقد ذكرت لك هذا فقط كى تكون على علم بسبب أية تصرفات غير مناسبة حال حدوثها . ولكنى قد أعددت نفسى لكى أكون مهذبة للغاية حتى لا يكون هناك ما يقلقك ، حتى ولو كان هذا على حساب نفسى " .

فقال : " لست قلقاً سواءً قررت أن تكونى مهذبة أم لا . لماذا لا نمشى سوياً ؟ ففى هذا الطريق يمكننى أن أمسك يدك وأعثر على ركن ظليل تفوح فيه عبير أزهار الحديقة وأتمتع بالنظر إليك " .

" إنها تبدو فكرة جميلة " .

" إنك بصدد القيام بشيء جميل بالنسبة لجين بولسون " .

" ربما كان هذا صحيحاً ولكن دوافعى غير واضحة المعالم " .

فضحك ورفع يدها إلى شفتيه قائلاً : " لو كانت دوافعك دائماً نقية وصافية لم كنت فاتنة وساحرة كما أراك " .

فردت قائلة : " إنى أحب التملق الماكر . هيا لنأخذ جولة حول الإسطبل فسوف أريك مكاناً جميلاً " .

" أحب أن أراه فربما كان مكاناً مناسباً لصوغ نظرية أخرى ، فقد كنت أفكر منذ فترة فى نظرية جديدة " .

وبينما سارا على الطريق كانت ترقب نمو وازدهار أزهارها وترقب الأعشاب والحشائش فى حذر .

ثم استطرد قائلاً : " إننى لست متأكداً تماماً مما ستشعرين به حيال هذه النظرية . إننى أقوم الآن بفحص التواريخ ، الأحداث ، واللحظات الرئيسية ، وكذلك أقوم بفحص الناس فى محاولة لأجد العلاقة المشتركة بين هذه التواريخ ، والأحداث ، واللحظات ، والأشخاص ، وبين إميليا " .

قالت : " إننى طالما استمتعت بامتلاك هذه الإسطبلات ، فالاستغناء عن هذه الإسطبلات يمثل نوعاً من الخراب " .

ثم مالت برأسها وهى تتفحص تلك الأحجار الصغيرة المتكسرة والأخشاب المندية بفعل الجو قائلة : " أعتقد أنه كان بإمكانى الاحتفاظ بها ، وربما سأفعل ذلك إذا ما أدركت أحفادى ، وكان لديهم الخيل ، فلا يوجد أحد من أبنائى لديه اهتمام بالخيل على وجه الخصوص . وأعتقد أن الفتيات هن اللائى يفتتن بالخيل " .

أخذت تتفحص المبنى من الجانب الذى يقع عليه الضوء وكذلك السقف المتدلى والزخارف الداخلية ذات اللون الباهت ، وكذلك

النباتات المتسلقة وحشائش الزينة التى قامت بزراعتها حول المكان لتضفى عليه منظراً برياً .

فقال : " إن المكان يشبه ما نراه فى الأفلام أو بمعنى آخر أدق يشبه ما نراه فى قصص الأطفال " .

قالت : " وهذا هو ما أحبه فى هذا المكان . إن والدى هو الذى فرط فى هذا المبنى ولم يحافظ عليه ، وإنى لأتذكر أننى سمعته ذات مرة يتحدث عن تدمير المبنى غير أن جدتى رفضت ذلك قائلة بأنه جزء من المكان وهى تحب أن تنظر إليه " . ثم استدركت روز قائلة : " إنى آسفة يا ميتش لقد قاطعت حديثك ، فالذكريات تجوب مخيلتى ، والآن أخبرنى عن نظريتك " .

فقال : " إنى لا أعرف كيف سيكون شعورك حيالها " .

وقبل أن يدوس بقدمه على أحد النباتات المعترشة ، وكزته بعيداً قائلة : " إنها شجرة السماق السامة ، سيكون علىّ أن أتخلص من ذلك ، ها قد وصلنا " . ثم جثمت على ركبتيها ، وأخذت تنبش فى الأعشاب بيدها العارية ، ثم مسحت التراب إلى أن وصلت إلى شاهد القبر وقد نقشت عليه كتابة بخط اليد قائلة :

" إنه رائع . أليس كذلك ؟ لقد قام بدفن كلبه هنا ، وقد نحت هذا الشاهد من أجله ، أعتقد أنه كان رجلاً رائعاً . فما كانت جدتى لتحبه كل ذلك الحب لو لم يكن كذلك " .

فوافقها ميتش قائلاً : " وقد أحبته بالفعل ، فيمكنك أن ترى تلك الطريقة التى أحبته بها من خلال الصور التى تجمع بينهما " .

فقالت : " إنه يبدو من تلك النوعية الهادئة فى معظم الصور التى بأيدينا ، ولكنه لم يكن هادئاً . فقد سألت جدتى ذات مرة عنه وقالت إنه كان يكره أن تلتقط صور له فقد كان خجولاً ، ويبدو

هذا غريباً وهو أن يُقال عن جدى الذى كان يحب كلبه بأنه كان رجلاً خجولاً " .

فرد قائلاً : " لقد كانت امرأة غير متحفظة " .

فقالت : " بل أكثر من ذلك . لقد كانت تحب الانخراط فى المناسبات الاجتماعية تقريباً كما كانت تحب البستنة ، وكانت كذلك تحب استضافة وإقامة حفلات لتناول العشاء واحتساء الشاى بصفة خاصة ، كانت تتأنق وتتألق فى تلك الحفلات ، فقد كانت ترتدى القبعة والقفازين والفساتين الفضفاضة الواسعة " .

قال : " لقد رأيت صوراً لها ، لقد كانت امرأة أنيقة " .

قالت : " وبالرغم من ذلك ، فكثيراً ما كانت ترتدى بنطلوناً قديماً وتحفر فى الطين لساعات طويلة " .

فمسح بيده على شعرها قائلاً : " مثل شخص ما نعرفه . لقد ولد جدك بعد أخته الصغرى بسنوات عديدة " .

فهمهمت قائلة : " لقد كانت هناك حالات حمل أخرى ، فقد أجهضت والدة جدى مرتين . وأذكر ـ ولكن على نحو غير موثوق فيه ـ أنها كانت تتحدث عن أن حماتها قد عانت نفس الشىء ، وربما كانت تلد الجنين ميتاً " .

فقال : " ثم ولدت ابنا فى نفس ذلك التوقيت الذى قمنا فيه بالتأريخ لوجود إميليا والتى ماتت وأصبحت روحها تجوب المنزل ـ ولكننا لم نستطع أن نتحقق من أنها كانت تعيش هنا ، والتى لم تكن تجمعها صلة قرابة بالعائلة ، تلك الشخصية التى تغنى للأطفال وتعشقهم ، ولا تثق بالرجال وتبغضهم " .

هزت رأسها وبينما اقترب وقت حلول الظلام أحست بقشعريرة قائلة : " نعم ، ماذا تريد أن تقول ؟ "

قال : " ماذا لو فرضنا بأن ذلك الطفل الذى ولد عام ١٨٩٢ كان طفلها . ماذا لو كان هذا الطفل ابنها يا روز . ابن إميليا وليس ابن باتريس هاربر " .

فقالت : " إنها نظرية جامحة للغاية يا ميتشيل " .

فقال : " حقا ؟ ربما كانت كذلك . على أية حال إنها مجرد نظرية وهى تقوم بشكل جزئى على تصور غريب ، ولكنه غير مسبوق " .

فقالت : " ولكن لو كان ذلك صحيحاً لسمعت عنه ولتناقلته الألسنة " .

فقال : " كيف كنت ستسمعين عنه ؟ ولماذا ؟ إذا كان الأطراف الأصليون حريصين على كتمانه . لقد كان ذلك الرجل الثرى ذو النفوذ يتوق إلى ابن ، وقد دفع مالاً للحصول عليه . ولم لا ؟! وهذا الأمر لايزال يحدث حتى الآن " .

فنهضت واقفة وهى تقول : " ولكن كيف استطاعوا أن يخفوا ذلك الخداع ؟ فأنت لا تتحدث عن ابن مكفول بشكل قانونى " .

فقال : " كلا . ولكن أعيرينى انتباهك لبرهة . ماذا لو أن ريجنالد قد قام باستئجار فتاة صغيرة على قدر من الذكاء ، وأن تلك الفتاة كانت فى مأزق وما كان عليه سوى أن يدفع لها مالاً ويوفر لها مسكناً آمناً ، ثم يأخذ منها الطفل إن كان ولدا ؟ " .

قالت : " وإذا كان الطفل فتاة ففى هذه الحالة سيكون قد أضاع وقته وماله . أليس كذلك ؟ "

فقال : " ولقد كان الأمر يمثل مغامرة كبيرة . وهناك احتمال آخر بأنه هو الذى أحبلها " .

فقالت : " وكيف ستقبل زوجته هذا الطفل غير الشرعى على أنه ابنها ، كيف ستقبل أن يكون الوريث ؟ "

فقال : " لقد كان ريجنالد يسيطر على مجريات الأمور . أليس كذلك ؟ "

تجمدت مكانها وهى تمسح على ذراعيها قائلة : " إنها نظرية باردة للغاية " .

فقال : " نعم إنها كذلك . وربما كان يحب إميليا وخطط لطلاق زوجته والزواج بها ، وربما ماتت إميليا أثناء الوضع ، أو ربما كان الأمر برمته مجرد صفقة صريحة أو شيئاً من هذا القبيل . ولكن إذا كان هذا الطفل ابناً لإميليا فإن ذلك يفسر بعض الأمور " .

فقالت : " مثل ماذا ؟ "

فقال : " إنها لم تؤذك لا أنت ولا أحدًا من أقربائك . ألا يكون ذلك لأنك من دمها ؟ ألا يكون ذلك لأنك من نسلها ؟ "

ابتعدت عن القبر الصغير قائلة : " إذا كان هذا صحيحاً فلماذا تتواجد فى المنزل ؟ أتعنى بأنها قد ولدت الطفل هنا ؟ فى هاربر هاوس ؟ "

فرد قائلاً : " ربما . أو ربما قامت بزيارة المنزل ، وقضت بعضاً من الوقت هنا ، ربما كانت تجىء هنا على اعتبار أنها جليسة للطفل ، وهذا الاحتمال غير مستبعد هو الآخر ، أو ربما ماتت هنا بشكل أو بآخر " .

فردت قائلة : " شكل أو ... "

لم يكن القبر صغيراً ولم يكن عليه شاهد ، كان مفتوحاً مظلماً وعميقاً .

وقفت عليه ، وقفت على تلك الفتحة العريضة فى باطن الأرض ، ونظرت لأسفل نحو الموت ، نظرت إلى تلك الجثة الملفوفة فى كفن رث قذر إلى ذلك اللحم المتفسخ عن العظم ، وأحاطت بها

رائحة التعفن كالنحل الذى يطن ويئز ويلسع عينيها وحلقها وبطنها .

كانت الأرض التى تقف عليها رطبة ومنحدرة . كانت الجثة ترقد وسط ضباب نتن الرائحة يخفى التراب الأسود والعشب المبتل ذا اللون الرمادى القذر .

وضربت بالمجرفة فى الأرض وسط الضباب والعشب وملأت المجرفة ، ورفعت نصلها ورمت ما فيها فى القبر .

فتفتحت عينا الجثة وقد برقت فى شكل مرعب ورفعت يدها والعظام تخز وتثقب فى اللحم المتعفن بشكل مخيف ، وبدأت تصعد لأعلى خارجة من القبر .

فصعقت روز حينئذٍ وتشبثت بأيدى ميتش .

فقال : " هوّنى عليك ، هوّنى عليك ، تنفسى ببطء " .

فضغطت على يدى ميتش ثانية ، عندما أدركت أنها مستلقية على الأرض وواضعة رأسها على ساقيه قائلة : " ماذا حدث ؟ "

فرد قائلا : " لقد أغمى عليك " .

فردت قائلة : " كلا ، لم تحدث لى حالة إغماء واحدة فى حياتى " .

قال : " اعتبرى هذه هى الحالة الأولى ، لقد تحول لونك إلى اللون الأبيض ، وكانت عيناك تدور وتحدق لأعلى ، وأمسكت بك حينما كنت على وشك الوقوع إلى الأرض ، لقد فقدت الوعى لدقيقة " . فقالت : " لقد كانت أطول دقيقة فى حياتى كلها " .

أخذ نفساً طويلا ، ثم آخر قائلا : " إن كنت بخير فهل تمانعين لو جلست هنا لدقيقة إلى أن أستجمع قواى ؟ "

فقالت : " حسناً . إنه لشىء سيىء للغاية " .

فقال : " لم أقصد أن أضايقك ، سوف نناقش النظريات بالداخل ، هيا " .

قالت : " أتعتقد أننى قد أغمى علىّ لأنك قد جعلتنى أعتقد بأن جدى ربما ولد بشكل غير شرعى ؟ ما الذى تريد أن تخبرنى به ؟ إننى لست امرأة سخيفة أو ضعيفة تشك فى هويتها بسبب تصرفات أجدادها . إننى أعرف من أكون " .

عادت مرة ثانية إلى لونها الطبيعى ، وقد برقت عيناها ذات الأهداب الطويلة بالغيظ .

فقال : " إذن أنت تريدين أن تخبرينى بسبب ... " وحينئذٍ امتقع لونه شاحباً كلون الزجاج اللامع قائلا : " يا إلهى ! هل أنت حبلى يا روز ؟ "

فقالت : " عد إلى صوابك ، لقد كنت تنادينى بالجدة منذ دقائق مضت ، والآن تعتقد بأننى حبلى ، لن أنجب طفلا فى هذه السن لى أو لك . اهدأ فإن الذى شعرت به لم يكن سوى نوبة إعياء على ما أظن " .

فقال : " هل توضحين ذلك بشكل أكثر ؟ "

فقالت : " كنا نتحدث سوياً وبعد ذلك شعرت وكأنى واقفة فى مكان ما لا أعرف أين كان هو ، ولكنى كنت واقفة فوق قبر مفتوح كانت ترقد فيه إميليا ، ولم تكن تبدو جميلة " .

لم تستطع أن تقاوم تلك الرعدة التى كانت تسرى فى أوصالها فاستندت برأسها على كتفه القوية قائلة : " لقد رأيت أكثر من الموت ؛ رأيت تحللا ، لقد شممت رائحته وأعتقد أن هذا هو الذى أفقدنى الوعى ، لقد كانت متفسخة ، وكنت أقوم ، على ما أعتقد ، بدفنها ، ثم فتحت عينيها وأخذت تخرج من القبر " .

فقال لها : " لو أن هذا حدث لى لفقدت الوعى أيضًا " .

فقالت : لا أدرى إن كان ذلك قد حدث هنا فى هذا المكان على وجه التحديد ، فقد كان المكان مختلفاً عن هذه البقعة ، ولكنى لست على يقين من ذلك . لقد مشيت فى هذا المكان كثيراً ، وزرعت أشجار الزيتون الجميلة هذه ، ولم أشعر أبداً بشىء غريب من قبل " .

فقال : " أعتقد أن السبب فى ذلك هو أنك لم تكونى على مثل هذه الدرجة من القرب فى محاولة اكتشافها من قبل " .

فجلست قائلة : " لا أعتقد ذلك . يجب أن نحفر لنرى إن كانت مدفونة هنا أم لا " .

وضعوا كشافات الإنارة ، وظل الرجلان ، وروزوستيلا وهايلى ، يتناوبون الحفر إلى ما بعد منتصف الليل . ولكنهم لم يجدوا شيئاً سوى عظام الكلب .

" ربما لم يكن ذلك سوى خيالات " .

فنظرت روز إلى هاربر وهما يسيران وسط الأشجار نحو المنزل فى اليوم التالى . كانت تعرف جيداً سبب وجوده معها وهو يطوق كتفها بذراعه ، وذلك لأن ميتش قد أخبره بأنها قد تعرضت لحالة إغماء .

ومنذ أن حدث هذا لم تمكث مع نفسها حتى ولو لخمس دقائق ، وتبادر إلى ذهنها أن هذا الحال سوف يتغير . لقد مكثت يوما كاملا معه ومع الأسرة الكريمة قبل أن تصرفهم عنها .

قالت لهاربر : " ما هذا الذى لم يكن مجرد خيالات " .

أجفل قائلاً : " هذا الذى رأيته ؛ وقوفك على قبرها ودفنك إياها ، إنى لا أقصد أن أوبخك " .

فقالت : " كلا . ولكن من الذى كان يحلم بالكوابيس بعد مشاهدته للبرنامج الذى يُعرض صباح أيام السبت ؟ ما اسم ذلك البرنامج ؟ أرض المفقودين ؟ " .

فرد وهو يهز كتفه سخرية : " لا . إنى لا أزال أحلم بالكوابيس . ولكن ما أقوله هو أنك لم تقفى أبداً على قبرها ولم تدفنيها ، فقد ماتت منذ أمد بعيد ، ولكننا إذا ما أخذنا الأمر على سبيل التخيل ، لقلنا كيف تحاولين فتح قبرها ، ولكن إذا ما فقدت شيئاً ما ، ولم تعثرى على شىء ما ، أياً كان هذا الشىء فأنت ... " .

فقالت : " إذن لقد كان الأمر كله خيالاً فى رأسى " .

فقال : " ربما هى التى فعلت بك هذا هناك ، لا أعرف يا أمى " .

أخذت تفكر لبرهة ثم قالت : " إن ميتش لديه نظرية كنا نناقشها قبل أن يغمى علىّ " .

ثم طوقته بذراعها وتوقفا عند نهاية الحديقة وهى تنظر إلى المنزل .

فقال هاربر : " ألا يبدو رائعاً ، لقد تم الاهتمام بكل شىء فيه . إنها تبدو دائماً كما لو كانت واحدة منا " .

فقالت : " ولكن يبدو لى أن ذلك يجعلنا نطرح العديد من التساؤلات ، فهى لا تساعدنا كى نقترب من كشف هويتها . ولكنى أعرف شيئاً ما . والآن أريد الحصول على هذه المفكرات اليومية أكثر من أى وقت مضى ، وإن لم تنجح جين فى الحصول عليها فسوف أذهب أنا إلى كلاريس " .

قال : " ألن تحتاجى إلى مساعدتى ؟ "

فقالت : " ربما . لو كانت إميليا جزءاً من العائلة ، فهى تستحق أن تحصل على حقها . هذا بالرغم من أنى لا أشعر بنفس الشعور نحو كلاريس ، فدائما ما كانت تريد الحصول على أكثر من حقها . إننى لا أعرف سبب تعاطفى مع امرأة قد ماتت وربما تكون أو لا تكون على صلة قرابة بى ، فى الوقت الذى لا أشعر فيه بنفس هذا القدر من التعاطف مع امرأة أخرى لا تزال على قيد الحياة ، وتجمعنى بها بلا شك قرابة بالدم " .

فرد هاربر قائلا : " لقد صفعتنى بشدة ذات مرة " .

فتصلبت روز على الفور مكانها قائلة : " ماذا ؟ "

قال : " لقد ضربتنى ضربة قوية ذات يوم وذلك عندما كانت فى زيارة لنا ، فقد أمسكت بى وأنا أتسلق على مائدة المطبخ لأحصل على برطمان الحلوى ، كنت وقتها فى السادسة من عمرى على ما أعتقد . لقد ضربتنى بشدة قائلة لى بأننى طفل غير مهذب " .

" ولماذا لم تخبرنى ؟ فلم يكن من حقها أن تلمسك . لو كنت أخبرتنى بذلك لعنفتها على ذلك " .

فقال : " إذن عليك أن تلومينى الآن لأنك دائماً كنت تخبريننى بألا أتسلق فوق المائدة وآخذ الحلوى دون إذن مسبق . وها أنا قد تسللت خلسة وأخذت الحلوى " .

" كنت سأعطيك الحلوى ، ولكن ليس لأحد الحق أن يمس بيده أطفالى ، وفى بيتى لا يوجد من واتته الجرأة على ارتكاب جريمة كهذه التى ارتكبتها هذه الحقيرة " .

ثم ضمها من كتفها قائلاً : " ألا تشعرين بتحسن ؟ "

فقالت : " سأجعلها تندم على ذلك " ثم سارت بجواره نحو المنزل وقالت : " إذن ، فقد كنت تعرف كيف تصل إلى برطمان الحلوى هذا يا هاربر ؟ " .

" نعم " .

فوكزته بكوعها قائلة : " لا تنظر إلىَ هكذا . لا تسخر منى هكذا " .

فقال : " كلا ، قد كنت أفكر فيما إذا كانت هناك حلوى أم لا فحسب " .

قالت : " أعتقد ذلك " .

فقال : " إن الحلوى واللبن رائعان حقاً " .

" أعتقد ذلك . هيا بنا لنزعج ديفيد ونأخذ بعضاً من الحلوى واللبن . ولكن يجب أن نفعل ذلك الآن فلدَى موعد يجب أن أستعد له " .

لقد كانت روز تعرف تلك الألوان والملابس التى لم تكن قط تظهرها أكثر جاذبية بل كانت تناسبها أيضاً . لقد اختارت تلك الملابس الكلاسيكية الفضفاضة بلونها الذهبى الجميل ، وارتدت الصدرية المستقيمة ، بأحزمة الكتف الرفيعة التى تكشف عن ظهرها وكتفها .

كانت ترى أن ذراعيها وكتفها لا تزال تحتفظ بجاذبيتها ، ولم ترى سبباً يجعلها تخفيها . كما ارتدت حلىّ جدتها والحلق المتدلى والقلادة المصففة .

وعلى الرغم من أنها كانت تعرف أنها ستندم على ذلك إلا أنها ارتدت ذلك الصندل ذا الكعب العالى الرفيع والذى كشف عن أظافر قدمها ، وقد طُليت بنفس ذلك اللون الذهبى الرقيق للفستان .

ثم استدارت لتفحص شكلها فى المرآة ، فسمعت نقرًا على الباب فردت قائلة : " ادخل " .

" روز كنت فقط أريد أن ... " ، وحينئذٍ تجمدت ستيلا مكانها قائلة : " يا إلهى . إنك تبدين غاية فى الجمال والروعة " .

فأومأت لها روز فى المرآة ثم استدارت ثانية وهى تقول : " إنى فعلاً رائعة ، ففى بعض الأحيان يكون عليك أن تطرقى على رؤوسهم . أتعرفين ماذا أقصد بذلك ؟ عندى دافع لأفعل ذلك الليلة " .

" أبقى مكانك . أبقى مكانك فحسب " ، ثم اندفعت إلى الخارج ثانية تنادى على هايلى .

وفى سعادة التقطت حقيبة يدها وأخذت تضع بداخلها ما اعتبرته ضروريا ، وهى تتعجب من نفسها كيف دفعت كل تلك النقود لتمتلك تلك الحقيبة الصغيرة السخيفة .

وسمعت صوت ستيلا وهى تقول لهايلى قبل أن تجذبها إلى داخل الغرفة : " يجب أن ترين هذا " .

فحدقت هايلى بعينيها ثم أغلقتهما قليلاً وهى تقول : " هيا يا روز عليك أن تستديرى لنرى " .

فاستدارت روز بينما شبكت هايلى ذراعيها على صدرها وقد أومأت رأسها وهى تنظر إلى روز ثم قالت :

" هل هذه الحلىّ حقيقية ؟ إنى أعرف أنه لمن الحقارة أن أسأل هذا السؤال ولكنى أتعجب ؛ إنها تتلألأ بشكل رائع " .

فردت روز قائلة : إنها حلىّ جدتى وهى تخصنى أنا وتذكرنى بجدتى . إن لدىّ شيئاً أعتقد أنه ربما سيروق لك أن ترتديه فى حفل زواجك يا ستيلا " .

وأخرجت الصندوق من خزانتها وأعطته لستيلا .

فقالت : " يا إلهى " .

فردت روز قائلة : " لقد أهدانى جون إياها فى عيد ميلادى الحادى والعشرين " . ثم ابتسمت وهى تنظر إلى الحلق المطعم بالياقوت الأزرق قائلة : " لقد ظننت أنه ربما يتماشى مع الفستان الذى أخذته ، وإن لم يتماشى معه فلا شأن لى بذلك " .

وبرفق أخذت روز ترفع أحد الأقراط المصنوعة على هيئة قلب من الصندوق قائلة : " إنها جميعاً تتماشى مع الفستان . إنها أنيقة للغاية ، إنى ... " .

ثم توقفت وهى تلوح بيدها أمام وجهها وقد جلست على جانب السرير ، ثم استأنفت قائلة : " معذرة ، كنت أتساءل إن كان بإمكانى أن أستعير هذا القرط منك ! " .

فردت روز قائلة : " لو كانت لدى أخت لشعرت بالسعادة وهى ترتدى شيئاً من ممتلكاتى فى يوم زفافها " .

فردت ستيلا قائلة : " إنى متأثرة وممتنة للغاية ، لذا سوف أجلس هنا دقيقتين كى أبكى " .

" حسناً ، ابكى " .

فردت هايلى قائلة : " كما تعرفين ، إن الشىء القديم فى ذلك العرف هو رمزٌ لعلاقة العروس بهذه الأسرة " .

ربتت روز على خدها قائلة : " يمكنكما أن تجلسا هنا سوياً وتبكيا معاً " .

فسألتها هايلى قائلة : ماذا تقولين ؟ أين ستذهبين ؟ " .

" إنى ذاهبة إلى الطابق الأرضى ، إن ميتش على وصول " .

فعضت هايلى على شفتيها وهى فى حيرة من أمرها بين الجلوس مع ستيلا وبين منع كارثة من الحدوث . لوحت بيدها كامرأة تحاول أن توقف قطاراً قائلة : " لا تنزلى لأسفل عليك أن

تنتظرى هنا إلى أن يصل ، ثم تنزلى درجات السلم بسلاسة ، فقد صنع هذا السلم كى تهبطى عليه بسلاسة ، كى تجذبى انتباهه لحظة دخولك عليه ".

فردت روز قائلة : " كلا لن أفعل ذلك . إنك بهذا تذكريننى بأمى التى جعلتنى أفعل هكذا مع جون عند أول ظهور لى أمامه ، وقد دفعتنى أمى إلى ذلك ، لقد كنت أضحك مع جون بعد ذلك كلما تذكرنا هذا الموقف . صدقينى إن العالم لن ينتهى إذا ما ذهبت لاستقباله عند الباب ".

ثم أغلقت حقيبة يدها بسرعة ، ثم ألقت على نفسها نظرة أخيرة فى المرآة قائلة : " بالإضافة إلى أن هنالك تقليداً آخر علىّ أن أتبعه ، وهو أننى إن لم أنزل لأسأل ديفيد عن رأيه بشأن فستانى سوف أجرح شعوره . بالمناسبة ، توجد مناديل ورقية فى الدرج بجوار السرير ".

لم تكد تحصل على استحسان ديفيد بشأن فستانها حتى جاء ميتش يطرق الباب ، ففتحت له الباب وهى تستمتع بالنظر إلى عينيه الواسعتين وتستمع إلى همس أنفاسه فسألها قائلاً : " كيف أصبحتُ محظوظاً هكذا ؟ "

فضحكت ، وهى تنظر إلى معطفها قائلة : " ربما ستكون ذا حظ أوفر قبل أن تمضى الليلة بسبب تلك الحلة السوداء التى ترتديها ".

الفصل الثامن عشر



كان ميتش يجلس أمام عجلة القيادة بسيارته وهو يستمتع بالنظر إلى روز ، بينما كان يثبت حزام الأمان ثم قال : " إنى أحاول أن أتذكر آخر مرة ارتديت فيها الحلة السوداء هذه . أعتقد أن ذلك كان فى حفل زواج أحد أصدقائى والذى تخرج ابنه الأكبر من المدرسة الثانوية هذا العام ".

فقالت : " عار عليك ، وعلى الرغم من ذلك فأنت تبدو أنيقاً ".

شغل محرك السيارة وانطلق مبتعداً عن المنزل قائلاً : " يمكننا أن نتخلى عن الحديث عن العمل هذه الليلة ، ونذهب الآن لنتزوج ، فقد ارتدينا الملابس المناسبة ".

فنظرت إليه بطرف عينيها وهو ينعطف بسيارته إلى الطريق الرئيسى قائلة : " عليك أن تتوخى الحذر يا دكتور كارنيجى

وأنت تتحدث عن عرض الزواج هذا ، فقد تزوجت مرتين من قبل " .

فقال لها : " إن كنت ترغبين فى زيجة ثالثة فقط أخبرينى بذلك " .

كانت تشعر بسعادة وهى ترتدى تلك الملابس الأنيقة وتغازل رجلاً وسيماً ، وقالت : " هل أنت جاد فى ذلك ؟ "

فقال : " إن الأمر يبدو هكذا " .

ثم وضع يده على يدها ببطء قائلاً : " إن لدى دخلاً لا بأس به ، ومن ثم فإن أموالك لا تمثل أهمية لى بشكل أو بآخر . وليس لدى ما يشغلنى ، فقد كان ابنى طوال السنوات العديدة الماضية هو شغلى الشاغل ، وقد أصبح رجلاً الآن ، وعلى الرغم من أننى أحبه حباً جماً إلا أننى مستعد لأن أجد أناساً آخرين أحبهم وأنشغل بهم " .

فسألته قائلة : " وكيف سيكون شعورك حينما ينتقل ليعيش فى بوسطن ؟ "

قال : " سيكون لذلك وقع أليم على نفسى " .

وحينئذٍ وضعت هى يدها على يده قائلة : " إنى أعرف هذا الشعور الأليم " .

فقال : " إن المرء لا يستطيع أن يقتفى أثر أبنائه فى كل مكان . وقد كنت أفكر فى القيام بزيارة إلى بوسطن من حين لآخر ، أو أن أقوم برحلة هنا وهناك لأحضر مبارياته " .

فقالت : " إنى أتطلع إلى لقائه " .

" إنى أتطلع إلى هذا أيضاً ، وأتمنى ألا تشعرى بضجر من وجود أية خلافات فيما بينك وبين جان وكويل " .

فقالت : " كلا ، ولكن جان هى التى ستتضايق ، فهى تنتمى إلى تلك النوعية التى تشعر بالحرج من صداقاتها كما كانت معى . إنها غبية ، وسوف أستمتع بأن أجعلها تشعر بأنها سخيفة " .

ثم اتكأت إلى الوراء وبهدوء قالت : " ولكنى سأترك أثراً سيئاً بذلك " .

فقال : " لطالما أحببت فيك هذه الأخلاق " .

ثم انعطفا نحو النادى وهى تقول : " حسناً ، ربما سيحدث شىء ما هذه الليلة " .

وفى مخيلته كان ميتش يشعر بروعة وجمال ذلك الفستان الرائع ، وتلك الأخلاق الحميدة . كان هناك أناس يجلسون فى شكل مجموعات صغيرة على الموائد وفى أماكن تم اختيارها بعناية كى يتمكنوا من مراقبة المجموعات الأخرى ، وكانت هناك مجموعة صغيرة من النظرات والتى كانت تطير من مجموعة لأخرى وترفرف بأجنحتها وهى تنغمس فى رحيق الشائعات لهؤلاء الناس ثم تطير لتحط على مجموعة أخرى .

كانوا يتحدثون عن الموضة . وكانت الموضة هى أحد تلك الموضوعات الساخنة التى يتناولونها لدرجة أنه لا يستطيع أن يحصى تلك المرات التى استمع فيها إليهم وهم يهمهمون بهذه العبارة : " يا إلهى من المؤكد أنها كانت فاقدة للوعى حينما اشترت هذا الفستان " .

لقد مر بشىء كهذا فى حفل الإجازة الذى أقامته روز ، ولكن فى هذه المرة كان هو الذى يرافقها ، وقد لاحظ أن ذلك قد غير من مجريات الأمور بشكل ملحوظ .

وأصبح هو الطفل الجديد فى الفصل .

فكثيراً ما سئل عن هويته ، وعن وظيفته ، وعن عائلته . وعلى الرغم من أن طريقة الاستجواب كانت ساخرة ، إلا أنه شعر بأنه كان عليه أن يحضر معه كتيباً صغيراً فيه مجمل حياته ليوزعه على من يسألونه .

وكان الفرق السنى كبيرًا فيما بين هؤلاء الذين كانوا يرقصون على أنغام الموسيقى التى عزفتها الفرقة الموسيقية بشكل حديث ، وبين أولئك الذين اعتبروا هذه الموسيقى نوعاً من الرجعية والتخلف .

وقرر أن يتجنب مناقشة التفاصيل الرئيسية عن عمله عن عائلة هاربر مع اثنين من الفضوليين اسمهما ، كما ظن ، بنج وبابس .

وحينما وقعت عيناه على جوش تعلل به معتذرا كى يقطع ذلك الحديث الفضولى قائلاً : " معذرة ، لقد حضر ابنى وأريد الحديث إليه " .

ثم شق طريقه وسط الرجال والنساء إلى أن وصل إلى جوش قائلاً : " تبدو أنيقاً " ، ثم احتضنه مطوقاً إياه بذراع واحدة ، ثم ابتسم إلى الفتاة الصغيرة السمراء التى كان يصحبها جوش قائلاً : " من المؤكد أنك شيلبى " .

فردت قائلة : " نعم سيدى ، ومن المؤكد أنك والد جوش ، فهو يشبهك " .

كانت القاعة مزينة بالأضواء المتلألئة وبزهور الربيع المتدلية ، وطاقم العمل يجوب القاعة يحملون على أيديهم المشروبات والخبز المحمص المفروش بالجبن . وقد تلألأ الألماس والزمرد حينما أخذ الجميع يرقص على أصوات الموسيقى التى كانت تعزف بشدة أغنية من فيلم الرجل الطيب تقول : " غنوا ، غنوا ، غنوا " .

فقال ميتش : " إنها من فيلم قصة فيلادلفيا " .

فرد جوش قائلاً : " ماذا تقول ؟ "

نظر إليه ميتش نظرة تعبر عن الإشفاق قائلاً : " لقد تم إنتاج أفلام قبل فيلم المدمر " .

سأله جوش : " أين رفيقتك ؟ "

أجابه : " لقد تاهت وسط الزحام ، ها هى قد جاءت " .

وتوجهت روز إلى شيلبى قائلة : " معذرة لقد كنت أتحدث مع أحدهم . مرحبا يا شيلبى ، إنك تبدين جميلة " .

" شكراً لك يا آنسة هاربر ، إنه لفستان رائع . لقد أخبرنى جوش بأنك قد أتيت برفقة والده " .

فتوجهت روز إلى جوش قائلة : " يسعدنى أن ألقاك أخيرًا يا جوش ، إن والدك قد حدثنى عنك كثيراً " . "

وأنا كذلك أتحدث عنك كثيراً . علينا أن نجلس فى ركن هادىء ونقارن تلك الملاحظات " .

" يسعدنى ذلك " .

فأومأت شيلبى نحو إحدى الموائد قائلة : " إنى أرى أبى وأمى هناك . أريد أن أعرفكم بهما ، وبهذا أكون قد فعلت ما يجب علىّ ، يمكنك أن ترقص معى يا جوش " .

وتوجه جوش إلى روز قائلاً : " إن أبى يقول إنك تعملين فى النباتات يا آنسة هاربر " .

فردت روز قائلة : " يمكنك أن تنادينى بروز ، نعم إنى أتعامل مع النباتات وأهتم بها " .

وفى طريقهم حول الغرفة أضاف جوش قائلاً : " ألا تعرفين أنه يقتل النباتات ؟ "

" نعم لقد رأيت ذلك " .

" وحينما تراه النباتات سريعا ما تنتحر هى وتنتهى الأمر " .

" صه يا جوش " .

فابتسم لوالده ابتسامة رقيقة ثم قال : " فقط لا أريدك أن تقتلع أحد نباتاتها " ، ثم توجه إلى روز قائلا : " إن شيلبى تقول إنك تعيشين فى ذلك المنزل الرائع الذى مررنا به فى طريقنا إلى هنا " .

" نعم إنه بيت عائلتى منذ وقت بعيد " .

" إنه ضخم للغاية ، ويبدو رائعاً " ثم مال برأسه وهو ينظر إلى والده نظرة خبيثة قائلا : " إن والدى يقضى معظم الوقت هناك فى الآونة الأخيرة " .

فوكزه ميتش فى ضلوعه قائلاً : " نعم إنى أعمل هناك " .

فقالت روز : " أتمنى أن تأتى إلى هناك قريباً لتقضى بعضاً من الوقت " .

وتوقفت روز عند المائدة التى يجلس عليها جان وكويل وهما يتحدثان مع بعض الأصدقاء وقالت : " مرحبا بالجميع " . وكما توقعت روز ، فقد تجمدت جان مكانها وشحب وجهها ، وتعمدت روز أن تنحنى لتقبل جان على خدها قائلة : " إنك تبدين رائعة " .

وأخذت شيلبى تنظر حولها وهى تقدم أصدقاءها إلى والديها قائلة : " هذا جوش كارنيجى وهذا والده الدكتور ميتشيل كارنيجى ، والدى جان وكويل فورستر ، وهذا هو السيد رينثو وزوجته " .

فقام كويل ذو البنية القوية بشعره المصفف بمد يده مصافحاً ميتش ، ثم جوش ، ثم مال برأسه نحو روز قائلاً : " كيف حالك يا روزاليند ؟ "

" إنى بخير يا كويل ، كيف حال العمل ؟ "

فأومأ قائلا : " إن العمل يسير على ما يرام " .

" يسعدنى أن أسمع ذلك . أقسم لك يا جان إن شيلبى غاية فى الجمال ، يجب أن تكون فخوراً بها " .

" بالطبع ، ولكنى لا أدرى كيف تعرفت على رفيقها ؟ "

فارتسمت ابتسامة مشرقة على وجهها وشبكت ذراعيها بذراع ميتش قائلة : " إن والده صديق حميم لى . إن ميتش ، فى الحقيقة ، يقوم بعمل بحث فى تاريخ عائلة هاربر عن أسرارها وفضائحها " ، ثم ابتسمت قائلة : " إننا نحب أن ننشر فضائحنا هنا فى بلدة شيلبى ، أليس كذلك ؟ "

فتحدث رينثو قائلاً : " لقد قرأت أحد كتبك فأنا أهوى القراءة فى علم السلالات . إنه لعمل شيق " .

فرد هاربر : " أعتقد ذلك . وعلى أية حال فإن أسلاف عائلة هاربر هى التى أدت بى إلى أن أعرف روز " . وبرفق رفع ميتش يدها يقبلها قائلا : " سوف أكون ممتنا لك دائماً " .

فتدخل رينثو فى الحديث قائلاً : " أتعرف ، لقد تتبعت أصل أجدادى إلى أن وصلت بهم إلى الفيفس فى اسكتلندا " .

فرد ميتش فى ابتهاج قائلاً : " حقا ؟ إن الفيفس لهم علاقة بدونكان فايف قبل أن يغير من هجاء اسمه " .

فاعتدل رينثو فى مقعده وقد لاحت عليه علامات السرور ومال نحو ميتش قائلاً : " نعم ، بالضبط . إنى أريد أن أناقش الأمر بشكل أكثر تفصيلاً لك ، ربما لديك بعض من المعلومات " .

فرد ميتش قائلاً : " يسعدنى ذلك " .

فقالت شيلبى : " لماذا لا نجلس كلنا سوياً لبعض من الوقت ؟ فحينها يمكنكما أن تتعرفا على بعضكما البعض بيننا ... " .

" صه يا جوش " .

فابتسم لوالده ابتسامة رقيقة ثم قال : " فقط لا أريدك أن تقتلع أحد نباتاتها " ، ثم توجه إلى روز قائلاً : " إن شيلبى تقول إنك تعيشين فى ذلك المنزل الرائع الذى مررنا به فى طريقنا إلى هنا " .

" نعم إنه بيت عائلتى منذ وقت بعيد " .

" إنه ضخم للغاية ، ويبدو رائعاً " ثم مال برأسه وهو ينظر إلى والده نظرة خبيثة قائلاً : " إن والدى يقضى معظم الوقت هناك فى الآونة الأخيرة " .

فوكزه ميتش فى ضلوعه قائلاً : " نعم إنى أعمل هناك " .

فقالت روز : " أتمنى أن تأتى إلى هناك قريباً لتقضى بعضاً من الوقت " .

وتوقفت روز عند المائدة التى يجلس عليها جان وكويل وهما يتحدثان مع بعض الأصدقاء وقالت : " مرحبا بالجميع " . وكما توقعت روز ، فقد تجمدت جان مكانها وشحب وجهها ، وتعمدت روز أن تنحنى لتقبل جان على خدها قائلة : " إنك تبدين رائعة " .

وأخذت شيلبى تنظر حولها وهى تقدم أصدقاءها إلى والديها قائلة : " هذا جوش كارنيجى وهذا والده الدكتور ميتشيل كارنيجى ، والدى جان وكويل فورستر ، وهذا هو السيد رينثو وزوجته " .

فقام كويل ذو البنية القوية بشعره المصفف بمد يده مصافحاً ميتش ، ثم جوش ، ثم مال برأسه نحو روز قائلاً : " كيف حالك يا روزاليند ؟ "

" إنى بخير يا كويل ، كيف حال العمل ؟ "

فأومأ قائلاً : " إن العمل يسير على ما يرام " .

" يسعدنى أن أسمع ذلك . أقسم لك يا جان إن شيلبى غاية فى الجمال ، يجب أن تكونى فخوراً بها " .

" بالطبع ، ولكنى لا أدرى كيف تعرفت على رفيقها ؟ "

فارتسمت ابتسامة مشرقة على وجهها وشبكت ذراعيها بذراع ميتش قائلة : " إن والده صديق حميم لى . إن ميتش ، فى الحقيقة ، يقوم بعمل بحث فى تاريخ عائلة هاربر عن أسرارها وفضائحها " ، ثم ابتسمت قائلة : " إننا نحب أن ننشر فضائحنا هنا فى بلدة شيلبى ، أليس كذلك ؟ "

فتحدث رينثو قائلاً : " لقد قرأت أحد كتبك فأنا أهوى القراءة فى علم السلالات . إنه لعمل شيق " .

فرد هاربر : " أعتقد ذلك . وعلى أية حال فإن أسلاف عائلة هاربر هى التى أدت بى إلى أن أعرف روز " . وبرفق رفع ميتش يدها يقبلها قائلاً : " سوف أكون ممتنا لك دائماً " .

فتدخل رينثو فى الحديث قائلاً : " أتعرف ، لقد تتبعت أصل أجدادى إلى أن وصلت بهم إلى الفيفس فى اسكتلندا " .

فرد ميتش فى ابتهاج قائلاً : " حقاً ؟ إن الفيفس لهم علاقة بدونكان فايف قبل أن يغير من هجاء اسمه " .

فاعتدل رينثو فى مقعده وقد لاحت عليه علامات السرور ومال نحو ميتش قائلاً : " نعم ، بالضبط . إنى أريد أن أناقش الأمر بشكل أكثر تفصيلاً لك ، ربما لديك بعض من المعلومات " .

فرد ميتش قائلاً : " يسعدنى ذلك " .

فقالت شيلبى : " لماذا لا نجلس كلنا سوياً لبعض من الوقت ؟ فحينها يمكنكما أن تتعرفا على بعضكما البعض بيننا ... " .

فقاطعتها جان قائلة : " نحن ننتظر أصدقاء ، فمائدتنا مكتملة ، وانى على يقين من أن روز والدكتور كارنيجي بوسعهما أن يعثرا على مائدة أخرى ، وحينها سيشعر الجميع بالارتياح " .

" ماما " كانت تلك الكلمة تدل على مدى انزعاج شيلبي فتداركت روز الموقف قائلة : " لقد حجزنا مائدة بالفعل . شكرا لك . ولكننا فى حقيقة الأمر سوف نسرق منكما هذين الزوجين الجميلين . لماذا لا تأتي معى يا شيلبى لأريك مائدتنا ريثما يذهب جوش وميتش كى يحضرا لنا شرابا ؟ "

تأبطت روز ذراعها وقادتها بعيدًا .

وقالت لها شيلبى : " إنى آسفة يا آنسة هاربر . إنى لا أعرف ما الخطب " .

" لا تقلقى بشأن ذلك . سنجلس هنا . والآن أخبرينى قبل دعوتهما كيف قابلت ذلك الشاب الوسيم . ويمكنك أن تنادينى بـ " روز " الآن . لأننا فى الواقع على موعد مزدوج لكلينا الآن " .

وأخذت تهدىء من روع الفتاة بالحديث معها إلى أن عاد إليهما ميتش وجوش بالمشروبات والخبز المحمص . ولم يكد جوش يأخذ شيلبى إلى قاعة الرقص حتى نفثت روز عن غضبها قائلة : " لم يكن عليها أن تحرج تلك الفتاة بهذه الطريقة التى تصرفت بها . فلو كان لديها عقل فى رأسها الممتلئ حقداً هذا لأدركت أننى لم أكن لأجلس معهم . إنها فتاة رقيقة وأعتقد أنها قد تأثرت بذلك " .

فرد ميتش قائلاً : " ولكنك قد تداركت الأمر . إننى قد آليت على نفسى ألا أنشغل بمثل تلك المشاحنات والأحقاد ، ولكنها تتبعك حيث تذهبين فالحياة مليئة بها . أليس كذلك ؟ "

فقالت : " بلى ولهذا فإنى أقضى معظم الوقت بمنأى عن ذلك ، فليس لدى قدرة على احتماله ولكننى أشعر من وقت لآخر بأنى مضطرة إلى الظهور فى أماكن اجتماعية " .

فقال : " لست وحدك " . ثم شبك أصابعه بأصابعها قائلاً : " كيف سيكون شعورك إذا ما أخبرتك بأن برايس كليرك قد أتى إلى هنا للتو برفقة تلك المرأة الشقراء التى كان معها حينما حاول أن يفسد حفلك ؟ "

فتيبست يدها فى يده ، ثم استرخت قائلة : " كان لدى شعور بأنه سيأتى إلى هنا . حسنا سأذهب بعيداً عن الغرفة لبرهة لأتحدث مع نفسى قليلاً وأستعيد نشاطى ثانية ، فأنا لا أريد أن تحدث فضيحة أخرى ، أعدك بذلك " .

" لن أكترث حتي إن حدثت " .

فقالت : " حسنا ، ستحدث إن لم يجد حديثى مع نفسى " .

نهضت واقفة ، وخرجت من الحجرة واستدارت باتجاه الصالة .

وهناك أخذت تضع طلاء الشفاه وبدأت تلقى على نفسها محاضرة فى فن اللياقة والذوق .

" إنك لن تحقرى من نفسك بالنزول إلى مستواه مهما كان استفزازه لك .

ولن تسمحى لتلك الفتاة السخيفة بأن تجرك إلى شجار معها بالرغم من أن ذلك لو حدث فسوف تتركينها غارقة فى دمائها على الأرض دون أن يُخدش لك ظافر " .

" ولكنك لن تفعلي ذلك ... " .

وحينئذٍ توقفت روز عن حديثها مع نفسها حينما دخلت عليها سيسى قائلة :

" كان علىّ أن أستخدم منشاراً لقطع السلاسل كى أخلص نفسى من جاستين لوكس تلك المرأة الثرثارة التى تصم الأذن وتخرس اللسان وتعمى العين دون أن يتمخض فمها عن كلمة واحدة جميلة ، لقد أردت أن أنضم إليك على مائدتك ، إنك تبدين رائعة يا روز ، هل ستتزينين أكثر من هذا يا روز ؟ "

فردت روز قائلة : " لقد كنت مندهشة بشكل يفوق الحد . ما أخبار زيارة أنسبائك لك ؟ "

" لقد اندهشت حماتى بشكل يفوق الوصف . وعلى الرغم من أنها لم تجد شيئاً تعلق عليه إلا أنها بدأت تتحدث عن إحدى الشجيرات مما اضطرنى أن أسكب مشروبى على قميصى الجديد كى أشتت انتباهها . لقد كانت تتحدث عن تلك الشجرة ذات الفروع الوارفة ، وعن كل تلك الزهور البيضاء برائحتها الجميلة " .

فسألتها : " أتتحدثين عن تلك الشجرة المتدلية ؟ "

فقالت سيسى : " نعم ، على أية حال ، إننى أدين لك بحياتى . أليست هذه الفتاة التى كنت معها هى ابنة جان ؟ "

فردت روز قائلة : " إنها ترافق ابن رفيقى " .

فردت قائلة : " إنى أتوق إلى لقائهما ، فإنى أحب أن أضيف إلى نسبة معارفى من الرجال الذين يتمتعون بالوسامة . أعتقد أنك قد رأيت برايس وهو يتسلل إلى هنا كالحية " .

ثم نظرت إلى روز قائلة : " لقد انفصلت عن جاستين لذا فلن يكون علىّ أن أتظاهر باللياقة أمامه ، إنى لا أعرف إن كنت تعرفين آخر الأخبار ، ولكن ... " .

وحينئذٍ توقفت عن الكلام حينما جاءت جان ومعها ماندى .

وتوقفت كلتاهما وبينما بدت جان مستعدة للمرور بسرعة ، تقدمت ماندى إلى الأمام وهى تلوح بإصبعها نحو روز قائلة :

" إذا لم تتوقفى عن مضايقاتك المستمرة هذه فسوف أحصل على أمر من المحكمة بالقبض عليك " .

ودونما اهتمام سحبت روز علبة التجميل الخاصة بها قائلة : " لا أظن أن ارتياد نادٍ عام يمكن اعتباره إزعاجاً أو مضايقة ، ولكننى سأطلب من المحامى الخاص بى أن ينظر فى هذا الأمر غداً " .

فردت قائلة : " إنك تعرفين جيداً ما أعنيه . لقد اتصلت بالمنتجع الذى أعالج فيه ، وانتحلت شخصيتين ، وألغيت كل مواعيد العلاج الخاصة بى ، إنك تتصلين بى ليل نهار ، ولا تردين علىّ حينما أجيب " .

فمسحت روز على أنفها بشكل تلقائى قائلة : " ولكن ما الذى سيدفعنى إلى أن أفعل تلك الأشياء ؟ "

" لأنك لا تتحملين حقيقة أنى سأتزوج من برايس " .

فأغلقت روز علبة التجميل قائلة : " وهل وصل الأمر إلى هذا الحد ؟ حسنا ، فعلى الرغم من وقاحتك إلا أنى أتعاطف معك . إن برايس لو تعرف على امرأة أخرى ثرية لتخلى عنها وعن أسرتها " .

فردت ماندى قائلة : " إنى أعرف ما فعلته بشأن برايس ، وجان لأنها صديقتى " .

فنظرت إلى جان قائلة : " لم أفعل شيئاً لكليهما " .

فردت جان بخشونة قائلة : " لقد اتصلت إحداهن بأحد العملاء الرئيسيين لدى كويل وادعت أنها أنا ، وقد خسر كويل كثيراً من جراء تلك المكالمة القذرة الشريرة " .

فردت روز قائلة : " إنى حزينة لذلك يا جان . ولو كنت تصدقين أنى سأفعل شيئاً كهذا فلن أضيع وقتى ولا وقتك لأدافع عن نفسى . أستسمحك عذراً " .

وقبل أن ينغلق الباب وراءها سمعت سيسى تقول : " جان ، لماذا لم تكونى سريعة البديهة " .

مشت فى الرواق بين الحجرات فرأت برايس مستنداً على الحائط . فاستدارت راجعة إلى الاتجاه المعاكس كى تتجنب مواجهته .

" هل تتراجعين ؟ ، لقد فاجأتنى " . اختلط صوته بالضحك وقد رآها .

فتوقفت ولم تكن قد انتهت من حديثها إلى نفسها ، وتبادر إلى ذهنها أن ذلك سيكون بمثابة تضييع للوقت فقالت : " ولكنك لم تفاجئنى أبداً " .

رد قائلاً : " أعتقد أنى قد فاجأتك ، وسوف أفاجئك ثانية . لم أكن على يقين من وجودك هنا الليلة " . ثم اكتست نبرة صوته بالخبث والأناقة قائلا : " لقد تبادر إلى مسماعى أنك قد أسقطت عضويتك " .

فردت قائلة : " إنها شائعات وأكاذيب . والآن أخبرنى يا برايس ما الذى ستجنيه من وراء كل هذا الجهد ؟ كتابة خطابات ، مكالمات هاتفية ، تزييف باقات ائتمان ، المخاطرة بالوقوع فى مخاطر المساءلات القانونية ؟ " .

فرد قائلا : " إنى لا أعرف ما الذى تتحدثين عنه " .

فنظرت هنا وهناك فى الرواق الخالى قائلة : " لا يوجد هنا سوى أنا وأنت . فدعنا نناقش الأمر بوضوح ، ما الذى تريده من وراء ذلك ؟ "

فقال : " يمكننى أن أحصل على كل شىء . ولن تتمكنى من أن تثبتى أنى قد أجريت أية مكالمات ، أو كتبت أية خطابات ، أو أنى قد استخدمت أية بطاقات ائتمان ، فإنى حذر وذكى للغاية " .

" ولكن إلى متى ستظل على هذا الحال ؟ "

" إلى أن أشعر بالملل . فلدى الكثير من الوقت والجهد بالإضافة إلى أنك تغيظيننى ولا أحب أن يغيظنى أحد . وها قد عدت الآن ولن يمر عليك يوم دون أن تتذكرينى . ولكن لو تقدمين لى عرضاً ماليا بشكل سرى ... " .

قاطعته قائلة : " إن ذلك لن يحدث " .

فهز كتفه قائلاً : " حسناً إن كان هذا هو اختيارك فهناك أشياء يمكننى المضى بها للاستمرار فى إثارة حنقك ، وأعتقد أنك سوف تعدلين عن قرارك هذا ، فإنى أعرف مدى أهمية سمعتك ومكانتك فى بلدة شيلبى بالنسبة لك " .

استمرت فى النظر إليه وعيناها فى عينيه بالرغم من أن باب الصالة قد فتح عدة مرات من خلفهم ثم قالت : " لا أعتقد ذلك . ولن تستطيع أن تنال منى مهما كانت تلك الأكاذيب التى تروج لها ومهما كان أولئك الذين تحاول خداعهم . إن كويل ليس على هذه الدرجة من الغباء ، ولن يستغرق كثيرا من الوقت قبل أن يدرك خداعك له " .

" لقد منحته مزيداً من الثقة . إنه طماع وأنا أعرف كيف أتعامل مع الطماعين " .

" ولم لا فما أنت إلا طماع مثله ؟ ولكن أخبرنى كم جنيت من وراء المسكينة ماندى ؟ " .

" ليس أكثر مما تتخيل خسارته ، ولكنى لم أستطع الحصول ما لا تتحملين خسارته يا روز " ثم مسح بأصابعه بسرعة على

خدها قائلاً : " وقد قدرت أهمية أموالك ولو لم تكونى ضيقة الأفق لما انفصلنا عن بعضنا " .

فردت قائلة : " لو لم تسرقنى وتخوننى مع امرأة أخرى فى بيتى ربما كنا سنبقى سوياً ؛ ولكنى أشكرك على أنك قمت بذلك . والآن أخبرني يا برايس ، ما الذى يجذبك نحو ماندى ؟ "

فرد قائلا : " أولاً لأنها ثرية وقد كنتِ كذلك أيضاً ، ثانياً لأنها صغيرة ولكنك لم تكونى كذلك ، بالإضافة إلى غبائها الملحوظ ، أما أنت فلم تكونى غبية مثلها ربما كنت بطيئة الفهم إلى حد ما ولكنك لم تكونى غبية ! "

" وهل حقاً ستتزوجها ؟ "

" إنها تظن ذلك " . ثم أخرج ولاعة ذهبية وببطء أخذ ينقر غطاءها ليفتحه ويغلقه ثم استأنف قائلاً : " ومن يدرى ؟ إنها تتمتع بالثروة والشباب وأطوعها كيفما أشاء فربما تكون الزوجة الأمثل لى " .

فقالت : " ولكنها حقارة منك وأنت تجوب هكذا وتقوم بعمل مكالمات هاتفية على سبيل المزاح وتعقد حياتها ، ثم تتلاعب مع كويل وجان وتجعل كويل يخسر عملاءه ، أعتقد أنك بحاجة إلى عمل أكثر فائدة " .

" إننى بذلك أضرب عصفورين بحجر واحد . ففى الوقت الذى يتعاطفون فيه معى ، أتلاعب أنا بك " .

ولكن كيف ستكون النتيجة فى رأيك حينما يكتشفون الحقيقة ؟ "

" إنهم لن يكتشفوا ذلك ، فأنا ـ كما قلت من قبل ـ حذرُ وحريص للغاية ولن تستطيعى أن تثبتى شيئاً " .

فقالت : " لا أظن أنى سأكون مضطرة إلى كشف أمرك ، فأنت تفعل ذلك لتتفاخر وتتباهى به " . وفى هذه المرة ربتت هى على خده وكأنها ـ كما تبادر إلى ذهنها ـ تريد قتله ، ثم قالت : " إن صنعيك هذا مجرد شىء واحد من خفقاتك العديدة " . ثم أومأت من خلفه حيث تقف جان وماندى وقد ارتسمت علامات الدهشة على وجهيهما بينما تصلبت أجسامهما كتمثالين .

وبجوارهما ، أخذت سيسى تصفق برفق بينما انحنت روز انحناءة يسيره ثم انصرفت .

وجاء دورها لترتسم على وجهها علامات الدهشة عندما رأت ميتش واقفا فى نهاية الرواق .

فأمسك بيدها قائلاً فى هدوء : " لقد شاهدت ذلك وكنت رائعة للغاية " .

" شكراً لك " .

فسألها : " هل أنت بخير ؟ "

فقالت : " إلى حد ما ؛ ولكنى أريد أن أستنشق بعضاً من الهواء " .

فأخذها ذاهباً إلى الشرفة قائلاً : " لقد كان ماكراً ، وقد تصرفت ببراعة " .

فصححت ذلك قائلة : " بل تلك هى طبيعته " . وحينئذٍ أخذت تمسك ببطنها ، وشعرت بوعكة ، ثم قالت : " ولكنه كان يتوق إلى إثارة غيظى ليجعل من الأمر فضيحة أمام هؤلاء النساء اللائى يُثرن الضجر والشفقة . هذا الإضافة إلى تواجد سيسى هى الأخرى . وسوف ينتشر هذا الشجار بسرعة مذهلة " .

كانت هناك الأصوات النسائية المتعالية والمنبعثة من داخل صالة الرقص فيما بين اصطدام سريع مفاجىء ، وبين أصوات تنتحب بشكل هستيرى .

فسألها قائلاً : " أتريدين الدخول إلى صالة الرقص لتتشاجرى ثانية ؟ "

فردت قائلة : " كلا ، أعتقد أنك يجب أن تراقصنى الآن ".

" حسناً ، سأفعل " وطوقها بذراعيه قائلاً : " إنها ليلة جميلة " ، وتبادر إلى مسامعهما آنذاك الأصوات المتشاجرة تأتى من خلال الأبواب المفتوحة لصالة الرقص من خلفهما .

تنهدت تنهيدة طويلة ووضعت رأسها على كتفه وهى تشعر باسترخاء قائلة : " إنها حقاً ليلة جميلة . إننى فقط أستمتع برائحة تلك الزهرة الويستارية الجميلة . إنى أريد أن أشكرك على عدم تدخلك " .

" لقد كنت على وشك أن أتدخل " ، ثم مسح على شعرها قائلاً : " ولكننى أدركت وقتها أنك تسيطرين على مجريات الأمور ، فمكثت مكانى أستمتع بمشاهدة ذلك " .

فقالت : " يا إلهى . هل تسمع تلك المرأة وهى تنتحب ؟ ألا يوجد لديها كبرياء يمنعها من ذلك ؟ لقد أصاب برايس حينما قال إنها غبية . إنها تشبه كهفاً مظلماً فى ليلة حالكة الظلام " .

فدخل جوش مندفعاً وهو يقول : " تعال يا أبى لترى هذا " .

فاستمر ميتش فى الرقص مع روز فى الشرفة على الرغم من توقف أنغام الموسيقى وليست هناك أصوات سوى أصوات الصراخ والشجار بالأقدام .

فرد قائلاً : " إننى مشغول هنا " .

فقال جوش : " ولكن والد شيلبى قام لتوه بطرد ذلك الرجل ومعه تلك المرأة . إنها أحداث مثيرة ، يجب ألا تفوتكم " .

فرد ميتش قائلاً : " ارجع أنت لتشاهدها ، ثم أخبرنا عن تفاصيلها لاحقاً ، أما أنا فإنى مشغول الآن مع روز " .

فاندفع جوش إلى الوراء ودخل صالة الرقص قائلاً : " يجب علىّ أن آتى إلى هنا كثيراً " .

وبينما أخذت روز تضع حليها فى علبة المجوهرات أخذت تفكر فى أنها كانت فى حاجة إلى أن ترتاح مما تولت أمره بنفسها ، كانت تعرف أن ما قامت به جعلها تتخلص فى النهاية من أذى زوج سابق حقود .

ولكن الثمن كان بمثابة فضيحة عامة أخرى .

كانت تشعر بالتعب والملل من تلك الفضائح ، كانت تشعر بالتعب والضجر من جراء إفشاء أسرارها السيئة أمام من يتوقون إلى رؤية تلك الفضائح . وعليها أن تتغلب على ذلك .

خلعت ملابسها وارتدت ذلك الروب الرقيق الناعم .

كانت تشعر بالسعادة لأنهم قد تمكنوا من مغادرة النادى مبكراً ، وابتسمت وهى تقول لنفسها : إنه لم يكن هناك ما يدعو إلى البقاء ، فقد تحول المكان إلى فوضى عارمة فيما بين موائد قد انقلبت على بعضها ، وأطعمة وأشربة مسكوبة ، ورواد مذعورون ، وأفراد الآمن المنتشرون .

وسيكون ذلك هو حديث منتديات تبادل الشائعات لأسابيع .

أخذت تقول لنفسها وهى تجهز الحمام الدافىء : إن ما حدث كان أمراً جيداً ومتوقعاً وسوف تتناسينه ، وحينها ستعود الأمور إلى مجرياتها بشكل عادى كما كانت من قبل .

ثم سكبت مزيداً من العطر والصابون ، وعندما تنتهى من ذلك الحمام فربما ستتجول ذاهبة إلى المكتبة لتشاكس ميتش قليلا .

وحسنا فعل حينما تفهَّم أنها كانت فى حاجة إلى أن تبقى بمفردها لبعض الوقت . وتنهدت وهى تنزلق بداخل الحوض إلى أن غمرتها المياه إلى أطراف أذنها - فنادراً ما تجد مثل ذلك الرجل الذى يدرك الحالات المزاجية للمرأة ويتقبلها .

وتذكرت أن جون كان يتفهم ويدرك حالاتها المزاجية فى معظم الأوقات ، وقد كان هناك تناغم جميل فيما بينهما وهما يستمتعان بحاضرهما ويخططان لمستقبلهما وهما يسيران فى الحياة واحداً تلو الآخر نحو بناء أسرة . لقد خسرت الكثير من جراء فقدانه .

لقد كافحت للحفاظ على تقاليدها ، وشيدت صرح العمل الخاص بها وهذا لا بأس به بالنسبة لامرأة أرملة .

كانت تضحك وهى تفكر فى ذلك غير أنها شعرت بتوتر حينما انتقلت بفكرها إلى المرحلة التالية ، برايس . لقد كان زواجها به غلطة يشوبها الغباء والاندفاع والتهور ، ولكن لا بأس بها فالكل يخطىء . ولكن هذه الغلطة قد كلفتها الكثير من الفضائح والشائعات والتى كانت فى بعض الأحيان بمثابة جرح لكبريائها .

لقد جعلها تفقد الثقة بنفسها أثناء زواجها وهى التى كانت دائماً على ثقة بنفسها .

لقد كان شيئاً دنيئاً أن تشعر بأنها كانت غبية .

ولكنها وبختـه بشكل عنيف مما أدى إلى مزيد من الإثارة والإحراج والألم ، لقد وضع نفسه فى مأزق ونجحت فى إدارة دفة الأمر لصالحها .

والآن ، ربما حان الوقت لإلقاء نظرة على مرحلة أخرى من حياة روزاليند . فهل كانت مستعدة لذلك ؟ هل كانت مستعدة لأن تخطو تلك الخطوة الكبيرة المخيفة نحو رجل أحبها وهى فى سن الخمسين تقريباً ، وفكر فى الحب والزواج للمرة الثالثة ، فهل كان هذا ضرباً من الجنون ؟

وأخذت تحرك أصابع قدميها ببطء خلال قطرات الماء الساخنة التى تركتها تنساب لتبقى على الماء دافئاً .

أم كان ذلك بمثابة هدية قد لفت فى غلاف جميل وربطت على شكل أنشوطة كبيرة عريضة وألقيت أمامها ؟

وأخذت تقول لنفسها بأنها تحب ، وأغلقت عينيها وهى تدع التوتر يتلاشى عنها شيئاً فشيئاً .

كانت تحب رجلاً جذاباً مراعياً لمشاعر الآخرين به الكثير من الصفات والسمات التى لا تجعل المرء يشعر بالملل أو الضجر منه .

ربما ، ربما يمكنهما أن يعيشا سوياً ، ربما لم تكن الظروف مواتية بشكل مناسب لذلك الحب ، إنه لشىء يجب التروى فيه بشكل كبير .

ثم انتقلت بفكرها تدريجياً إلى الزواج وهى تشعر بالنعاس وتضرب بأصابعها خلال زبد الماء بينما ازداد سُمك الضباب وهو يرتفع فوق أرضية الحمام كالطوفان .

ووصلت بفكرها إلى الوقت الذى تقطع فيه على نفسها وعداً قوياً لشخص لا تحبه فقط بل وتثق فيه أيضاً . لقد كانت تثق بميتش وتؤمن به .

هل سيعتقد أبناؤها أنها قد أصابها الجنون ؟ ربما ولكن - على أية حال - إنها حياتها التى تخصها .

ربما ستستمتع بكونها امرأة متزوجة بأن يكون لديها فى خزانة الملابس ملابس لرجل وكتب له على الرف ، ولم يكن الرجل مرتباً ولكنها يمكنها أن تتولى أمر ذلك فى حالة أنه ..."

تحولت الرغوة إلى برودة فشهقت روز لاهثة ونهضت واقفة وبشكل تلقائى أخذت تضم ذراعيها إلى صدرها وقد حدقت بصرها حينما رأت الحجرة قد امتلأت بالضباب الكثيف لدرجة أنها لم تستطع أن ترى الحوائط أو الباب .

وأدركت أن هذا الضباب لم يكن بخاراً وإنما كان نوعاً من هذه الشبورة السيئة ذات اللون البنى والتى كانت باردة كالماء وسميكة كالسحاب المتجمد .

وعندما أرادت الوقوف لتخرج ، شعرت وكأنها تُسحب إلى أسفل .

فشعرت حينها بخوف وتوعك فى بطنها مصحوباً بصدمة عصبية . إن تلك الصدمة التى شعرت بها بفعل الماء المتجمد وإحساسها بأنها قد جذُبت بعنف إلى أسفل ، كل ذلك جعلها تتجمد مكانها بل أن تبدأ القتال وهى تحاول التخلص من شىء ما وأخذت تركل بقدمها إلى أن تشبثت بسطح الحوض وقد تيبست أطرافها من البرد . كانت تشعر بأيد تمسك رأسها بشدة وأظافر تحفر فى أكتافها ، ولكنها لم تستطع أن ترى شيئاً فى البخار سوى الفقاعات الطافية والضباب المتموج كالدوامة .

وصرخت فى عقلها الباطن قائلة : كفى ! ثم استجمعت كل قواها واستندت على يديها وقدميها ثم وثبت لأعلى فى دفعة قوية شديدة ، إلى أن اخترقت برأسها ذلك الضباب المتجمد ، ثم تنفست واستنشقت جرعة من الهواء بسرعة قبل أن يدفعها ذلك الضغط العنيف على كتفها لأسفل مرة ثانية .

ثم أخذ الماء يضرب فوق حافة الحوض وهى تحاول الخروج جاهدة منه . كانت تسمع صوت صرخاتها المكتومة وهى تقاوم شيئاً لا تراه . اصطدم مرفق يدها بجانب الحوض فشعرت وخز الألم وسط ذلك الرعب وإذ بصوت يقول :

أسألك بربك . أسألك بربك ـ يجب أن تتعلمى ! !

كان ذلك الصوت بمثابة هسهسة فى أذنها ، تلك الهسهسة التى انطلقت بسرعة بينما قلبها ينبض بشكل رهيب . وها هى قد تمكنت من رؤيته الآن ، ذلك الوجه الذى يحيط بها فوق الماء المضطرب بالزبد ، وقد كشفت شفاهه عن تكشيرة تنم عن الغضب الشديد ؛ لقد رأت الجنون فى عينى إميليا . وكأنها تقول لها :

إنه لا يختلف عن الآخرين فجميعهم يكذبون ! ألم أخبرك بذلك ؟ لماذا لم تسمعى لى ؟ سأجعلك تسمعين لى ، وسوف أجعلك تتوقفين . إن دمك ملوث بدمه الذى يجرى فى عروقك وسيدمرك بعد كل هذا .

لقد كانت روز تحتضر ، تصرخ صراخاً مكتوماً وقلبها ينبض بسرعة وهى تقاتل بضراوة لتجد مخرجاً من ذلك . كانت تشعر بشىء ما سينفجر بداخلها فى حين أنها ستموت فى ذلك الماء المعطر البارد . وبصعوبة بالغة حاولت الخروج على يديها وقدميها وقد استجمعت فى ذلك كل قواها وإرادتها ، وكأنها تقول :

ابتعدى عنى ! ابتعدى عنى ! لن أستطيع الاستماع إليك إذا مت ، إنك تقتليننى . وإذا مت فسوف تظلين مفقودة ، إذا مت ستظلين حبيسة ، ستصبحين قاتلة وحبيسة فى الجحيم .

ثم استجمعت قواها ثانية وشحنت عضلاتها المتصلبة بقوة رغبتها فى البقاء واندفعت لأعلى .

فثار الماء لأعلى فى اضطراب وسط الضباب ، واكتست الحوائط والأرض بموجة من رذاذ الماء أشبه بموجة صغيرة عنيفة كأمواج المد والجزر . ثم تشبثت بحافة حوض الماء واستندت فوقه ، وأخذت تسعل لتلفظ ما ابتلعت ، وشعرت بانتفاخ بطنها ؛ ولكنها قاومت وقد عزمت على ألا تنجذب لأسفل مرة ثانية قائلة : " ابتعدى بيديك عنى أيتها العاهرة " .

ثم زحفت خارج الحوض وهى تلهث محدثة صوتاً كالأزيز ووقعت خائرة قواها على السجادة المبتلة بالماء . ولأنها كانت تشعر بألم شديد فى كتفها أخذت تتدحرج بحثاً عن هواء وهى تسمع دقات فى أذنها ، بينما دقات قلبها تضرب بقوة فى صوت مكتوم وهى تتساءل مع نفسها عما كان سيحدث لو تكسرت ضلوعها .

وسمعت صوتاً ينتحب .

فقالت : " إن دموعك لا تعنى لى الكثير من هذه اللحظة " . ولم تحتملها قدمها لتسير فأخذت تدفع نفسها إلى أن وصلت إلى المنشفة ، فالتقطتها بيدها المرتعشة والتفت بها بحثاً عن الدفء .

وقالت : " لقد عشت معك طوال حياتى ، وحاولت مساعدتك ، ولكنك تحاولين أن تغرقينى فى الحوض . لقد حذرتك بأننى سأجد وسيلة لأنتزعك بعيداً عن هذا المنزل " .

لم تكن تلك الكلمات على نفس درجة القوة أو الغضب التى أرادت التعبير عنه ، فقد كان صعباً عليها أن تصيح بقوة ، بينما أسنانها كانت تصطك خوفاً وبرداً .

وحينئذٍ شعرت بصدمة شديدة عندما رأت ذلك الروب المعلق خلف الباب ينزل تدريجياً ليلتف حول كتفها . فقالت روز فى

سخرية : " ولماذا تفعلين ذلك ؟ شكراً لك ، فياله من شعور رائع منك . تحاولين قتلى ثم تخافين على لئلا أصاب بنزلة برد !! "

رمت بذراعيها داخل الروب وأخذت تلتف به وهى ترتعد من رأسها إلى قدمها .

وحينئذٍ ، رأت إميليا وسط الضباب الرقيق . لم تكن هى نفسها تلك المرأة المجنونة ذات العينين المخيفتين والشعر الأشعث التى كانت تبدو ضخمة مخيفة فوقها ، وهى تقاتل من أجل حياتها ، وإنما كانت تبدو امرأة محطمة تنساب الدموع على خديها وقد ضمت يديها كأنها تصلى .

وعندما تلاشت وانقشع الضباب ، رأت روز رسالة أخرى على المرآة تقول :

سامحينى .

"كان من الممكن أن تلقى حتفك"

أخذ ميتش يجوب غرفة النوم وقد استشاط غضباً وهو يقول ذلك .

أما روز فقد ذهبت لأسفل لتعد إناءً من القهوة الساخنة لتطلب من ميتش أن يصعد معها لأعلى فقد كانت تريد التأكد من أن أحداً لم يسمع حديثها معه حينما أخبرته .

شعرت بالدفء وهى تحتسى القهوة ولكنها لاتزال ترتعد . كانت تشعر بحاجتها إلى أن يُلقى عليها رداءً سميك من الكشمير .

وقال ميتش : " كان من الممكن أن تلقى حتفك بينما أنا بأسفل أعبث بالكتب والملفات . لقد كنت هنا تقاتلين من أجل البقاء بينما أنا ... " .

وبصوت رقيق من روز تلك المرأة التى عاشت مع رجال ، وقامت بتربية أبناء ، وتفهمت دلالات مكنونة قالت : " هون عليك . فما حدث كان من الممكن أن يحدث أو لا يحدث ، ولم يكن ذلك خطأك . ولكن الخطأ يتمثل فى شبح مضطرب عاطفياً بلا شك " .

فوقف أمامها وجثم على ركبتيه ماسحاً بيديه على يدها فشعرت بقوة يديه ودفئها قائلاً " روزالیند ، إنى أعرف ما تشعرين به حيال هذا المنزل ولكن .... " .

فقاطعته قائلة : " تريد أن تقول إنى يجب أن أغادر هذا المنزل بشكل مؤقت . حسناً ، إنها فكرة لا بأس بها يا ميتش ولكنى لن أفعل ، يمكنك أن ترجع ذلك إلى أنى عنيدة أو أن رأسى متحجر ، لك أن تقول ما تشاء " .

" نعم ، هذا صحيح " .

ثم استأنفت قائلة : " إننى لن أسمح لأحد أن يطردنى من منزلى هذا بالإضافة إلى أن ذلك لن يحل المشكلة إذا ما انتقلت بعيداً عن هنا . فابنى يعيش هنا وكذلك غيره ممن أهتم بأمرهم . إن هذا هو مكان عملى ، فهل أطلب من كل من يعيشون هنا أن يذهبوا ليبحثوا لهم عن مكان آخر يعيشون فيه ؟ هل سأغلق أعمالى وأخاطر بخسارة كل شىء ؟ أم أبقى هنا وأعمل جاهدة على الوصول إلى حل ؟ " .

فرد قائلاً : " ولكنها أخذت تصعد الأمر يا روز ؛ ومنذ سنين لم تفعل بالأطفال شيئاً أكثر من أن تغنى لهم أو أن تقوم بعمل مزعج من حين لآخر ؛ ولكنها لم تقدم على عمل شىء خطير . ولكن فى العام الماضى أصبحت أكثر عنفاً وتهوراً " .

شبكت أصابعها بأصابعه قائلة : " نعم لقد أصبحت كذلك . وهل تعرف ماذا يعنى هذا ؟ إنها تريد أن تقول لى بأننا يجب أن نكون على قرب ـ من شىء ما ، وربما يرجع السبب فى ذلك إلى أننا على علاقة حميمة ببعضنا البعض . لقد بدأ صبرها ينفد بشكل عنيف ودون أن تتحكم فى نفسها . وكان ما نفعله يهمها ، تماماً كما تهتم بما أفكر فيه أو أشعر به سواء كانت تستحسن ذلك أم لا " .

فسألها قائلاً : " ماذا تعنين بذلك ؟ "

فتبادر إلى ذهنها أنه ربما لم يفهمها جيداً . ولكن عليها أن تخبره . فقد قطعت على نفسها وعوداً جدّية بأن تكون أمينة معه . فقالت : " ما إن انتهيت من أمر تلك الليلة وما حدث فيها وأخذت أسترخى ، حتى كنت وقتها أفكر فيك ؛ كنت أفكر فى الطريقة التى أشعر بها تجاهك ، والتى تشعر بها نحوى " .

" لقد حاولت قتلك لأننا نحب بعضنا البعض " . وحينئذٍ نهض واقفاً وقد تحجر وجهه قائلاً : " إنه أنا الذى يجب أن يغادر وأن يبتعد عن هنا ، وأن يبتعد عنك إلى أن ننهى ذلك الأمر " .

فقالت : " وهل هذه هى الطريقة التى تتعامل بها مع من يظنون أنهم أقوياء ؟ أن تفسح الطريق أمامهم ؟ "

أخذ يجوب المكان جيئة وذهابا وقد اتقدت عيناه غضباً وهو يقول : " إننا لا نتحدث عن بعض أولئك الأوغاد الذين يحاولون سرقة ثمن وجبة غداء ولكننا نتحدث عن أمنك ، عن حياتك " .

فقالت : " لن أترك هذا المكان لها ، إننى لا أزال على قيد الحياة بذلك ، وبذلك أيضاً لا أزال أتولى زمام الأمور . وإن كنت تعتقد بأننى لست غاضبة أو خائفة فقد جانبك الصواب " .

فرد قائلاً : " لاحظت أنك ذكرت الغضب قبل الخوف " .

" الآن ذلك يعتبر شيئاً إيجابياً ، فعلى الأقل قد شعرت بجنون وغضب بشكل أكثر من ذلك الشعور بالخوف ، وهذا هو ما رأيته فى عينيها فى نهاية المطاف " .

نَحَّتْ روز حديثها عن تلك المغامرة جانباً ونهضت واقفة لتذهب إليه قائلة : " ولقد كنت خائفة ، ومذعورة وحزينة بشكل يدعو إلى الشفقة . لقد قلت لى ذات مرة بأنها لن تؤذينى وأعتقد أنك كنت على صواب " .

" وقلت أيضاً أنها بمقدورها أن تؤذيك وقد ثبتت صحة كلامى هذا " . وحينئذٍ أمسك وجهها بيديه ، ثم طوقها من كتفها قائلاً : " إنى لا أعرف كيف يمكننى أن أحميك ؛ ولكن الذى أعرفه هو أننى لا أستطيع أن أفقدك " .

" سأكون أقل خوفاً وأنت بجوارى " .

فمال برأسه مقترباً منها وهو يبتسم قائلاً : " إنها لخدعة مُحكمة منك " .

" نعم إنها كذلك " ثم طوقته بذراعيها ، وانتظرت إلى أن طوقها بذراعيه هو الآخر ، ثم قالت : " لقد طلبت منى أن أسامحها ، ولا أدرى إن كان بإمكانى أن أسامحها أو إن كانت لدى الرغبة فى ذلك ، ولكنى أريد إجابة ، وأريدك أن تساعدنى فى الحصول عليها . إنى بحاجة شديدة إليك يا ميتش ، ويصعب علىّ أن أقول لك هذا " .

رد قائلاً : " أتمنى أن يكون ذلك سهلاً عليك لأننى أستمتع بسماعه . على أية حال سنبقى الأمور على ما هى عليه الآن " .

" شكراً لك . حينها خرجت من هناك " . وحينئذٍ استدارت بعينيها لتنظر إلى غرفة الحمام ، ثم استأنفت قائلة : " حينما خرجت من هناك ، وأصبحت لدى القدرة على التفكير بعد أن

استجمعت قواى كنت أشعر براحة لوجودك بأسفل ، وبأنه يمكننى أن أخبرك بما حدث ، وأننى لن أكون بمفردى هذه الليلة " .

فرد قائلاً : " لن تكونى بمفردك " ثم حملها قائلاً : " سوف تذهبين إلى السرير الآن وتتدثرين " .

" وأنت ستكون ... " .

فقاطعها قائلاً : " سأذهب لألقى نظرة على مسرح الجريمة قبل أن أنظفه " .

فقالت : " يمكننى أن أتولى أمر التنظيف " .

فرد وهو يغطيها بإحكام قائلاً : " كلا يا روز ، فقط عليك أن تفعلى ما آمرك به ، وأن تبقى فى السرير كفتاة جميلة . فقد مررت بيوم حافل " .

" نعم ، بالفعل " . أليس هذا شعورًا رائعًا أن تتدثر فى الفراش وأنت تعلم أن هناك شخص ما يهتم بالتفاصيل . " ولكننى سأطلب منك شيئاً آخر " .

ثم سألها قائلاً : " أتريدين بعضاً من الحساء ؟ أتريدين شراباً ساخناً ؟ كالشاى مثلاً ؟ أعتقد أن الشاى سيكون أفضل من القهوة " .

فأخذت تقول لنفسها : " انظر إلى نفسك يا دكتور وقد انفكت رابطة عنقك ، وشمرت أكمام سترتك إلى مرفقيك ، وتعرض علىّ أن تعد لى بعضاً من الحساء " فأمسكت بيده وهو يجلس على حافة السرير قائلة :

" كلا شكراً لك . ولكنى أطلب منك أن تبقى ما حدث ليكون سراً بيننا الآن " .

سرد فى صوت يشوبه الاحتياط الذى ارتسم على قسمات وجهه إلى أن جعلها تبتسم قائلا : " كيف تفكرين يا روز ؟ لقد كدت أن تغرقى فى حوض الحمام بسبب هذه الروح التى تسكن هنا ، ومع ذلك لا تريدين أن تذكرى ذلك لأحد ! "

فردت قائلة : " وليس هكذا بالضبط . إننا سوف نذكر ما حدث وسوف نوقته ونسجله ونناقشه بشكل أكثر تفصيلا إن كنا فى حاجة إلى ذلك ، ولكنى فقط أريد أن أرجىء ذلك إلى ما بعد زفاف ستيلا ؛ لأنى أريد أن أشعر بالهدوء قليلا ، وإذا ما سمع هاربر بذلك فلن يمر الأمر عليه مرور الكرام " .

ثم ضحكت حينما داعبها واستأنفت قائلة : " إن هذا سيضايق الجميع هنا ويشعرهم بقلق وتشوش ، وهل سيجدى ذلك فى شىء ؟ فما حدث قد حدث وانتهى ، ولكن هناك العديد من الأشياء التى تحتاج إلى أن يتم تدبيرها الآن ، فأنا أنوى أن أتدبر وأتولى مغبة ما حدث فى النادى ، وإنى أعدك بأن أناقش ذلك الأمر على مائدة الإفطار غداً " .

" وهل سيضايقك هذا ؟ "

" أعتقد أنى سأستمتع به ، فدع هذا الأمر فيما بيننا إلى أن يمر زفاف ستيلا ، وبعد ذلك سنخبر الجميع بما حدث ، ونتولى أمر الشجار الذى حدث فى النادى ، أما الآن فلنستمتع بسعادتنا هنا دون أن نكدر صفوها " .

فرد قائلا : " حسناً ، لا بأس بذلك " .

فقالت : " إنى أقدر لك هذا ، وأنا لست ثائرة أو خائفة الآن " ، ثم انزلقت فوق الوسادة قائلة : " لقد منعتها وقاومتها ، ويمكننى أن أفعل ذلك ثانية ، وهذا يعنى شيئاً ما " .

انحنى إليها ميتش يقبل خديها قائلا : " إنه يعنى لى الكثير " .

الفصل التاسع عشر



دخلت هايلى المطبخ فجأة وهى تحمل ليلى على كتفها وقد لفت شعرها على شكل ذيل قصير فى مؤخرة رأسها وقد اتسعت عيناها ، وقد أدخلت أزرار بيجامتها على نحو خاطىء .

قالت هايلى : " لقد تحدثت لتوى مع جليسة ليلى وتقول خالتها التى تشترك بالنادى بأن روز كانت تتشاجر ليلة أمس " .

فردت روز وهى تمسح بالمربى على قطعة من الخبز مثلثة الشكل قائلة : " كلا ، لم أكن فى شجار فى الحقيقة " .

فسأل جافين قائلاً : " أى نوع من الشجار كان هذا ؟ هل احتوى تبادل اللكمات ؟ "

فأعطته روز قطعة الخبز قائلة : " لم أكن فى شجار فيه تبادل للكمات ، ولكن الناس دائما ما يبالغون فى الأمور " .

فسأل لوك قائلاً : " هل قمت بركل أحدهم فى وجهه ؟ "

فرفعت حاجبها وهى تنظر إليه قائلة : " كلا بالطبع ، ولكن يمكنك أن تقول على سبيل المجاز بأنى قد صفعت أحدهم على مؤخرة رأسه " .

فقال : " وماذا تقصدين بقولك على سبيل المجاز ... ؟ " .

فأومأت إليه قائلة : " إن المجاز يعنى إيراد المعنى لشىء ما من خلال تشبيهه بشىء آخر . فمثلا يمكننى أن أقول إننى قطة ترغب فى الغناء كعصافير الكناريا هذا الصباح . وأنا أعنى بذلك أننى راضية ومعتزة بنفسى للغاية . ولكنى لم أصفعه إطلاقا " .

فسألت ستيلا فى إلحاح قائلة : " ومن هذا ؟ "

فرد ديفيد وهو يصب المزيد من القهوة قائلاً : " برايس كليرك . إن شبكة الاستخبارات لدى تعمل بسرعة أكبر من سرعة الضوء . وقد سمعت عن ذلك الشجار ليلة أمس قبل الحادية عشرة " .

فأجلست هايلى ليلى فى مقعدها وحملقت فيه مشدوهة وهى تقول : " ولماذا لم تخبرنا بذلك ؟ "

فرد ديفيد قائلاً : " لقد كنت فى واقع الأمر أنتظر حضور الجميع قبل أن أبدأ فى عرض الموضوع . وها هو هاربر قد أتى . لقد أخبرته أنه يجب عليه أن يحضر الإفطار هذا الصباح " .

فرد هاربر قائلاً : " حقاً ، لقد طلبت ذلك منى يا ديفيد ولكن هات ما عندك سريعاً فإنى أريد أن أستعد للذهاب إلى العمل ، فلا أعتقد أن الأمر بمثل هذه الأهمية " .

فنظر ميتش إليهم وهو يهز رأسه ريثما يحتسى القهوة قائلاً : " بل على العكس ، لقد كان شيئاً فوق العادة " . ثم نظر إلى روز قائلاً : " إنها امرأة فوق العادة " .

فأمسكت بيده من تحت المائدة واعتصرتها فى حنان وكأنها تشكره على عدم إفشائه ما حدث من رعب ليلة أمس .

فسأل هاربر فى إلحاح قائلاً : " ماذا يجرى ؟ هل توجد خطابات ؟ وكيف أصبح لدينا عجة البيض ؟ "

" لأن أمك تحبها وهى فى حاجة إلى أن تعيد شحن طاقتها بعد أن نفدت ليلة أمس " .

فردت روز فى صوت متحشرج قائلة : " لا تكن سخيفاً " .

فسأل هاربر قائلاً : " ماذا عن ليلة أمس ؟ ماذا حدث ؟ "

فرد ديفيد قائلاً : " أرأيت ما يفوتك حينما لا تذهب إلى النادى ؟ "

فردت هايلى وهى تعطى ليلى كأساً من العصير بها مصاصة قائلة : " إن لم يوضح لى أحدكم الأمر فسوف يجن جنونى " .

فردت روز قائلة : " لم يبق هناك الكثير لقوله " .

فرد ميتش وهو ينظر إلى روز قائلاً : " سوف أخبرها . والآن لقد حصلت على بعض ما عندى من معلومات منها وذلك لأننى لم أكن هناك آنذاك ، بينما حصلت على البعض الآخر من ابنى . وسوف أخبركم بما لدى دفعة واحدة " .

وقد بدأ بما حدث عند طاولة فورستر ، ثم انتقل إلى المشهد بالحمام ، ثم سرد الحوار بين روز وبرايس خارج الردهة .

فصاحت هايلى قائلة : " يا إلهى ، هل خرجوا بينما كنت تتحدثين إلى ذلك الرجل ؟ "

واستأنف ميتش قائلاً : " لقد وقف وظهره إليهم " .

وأخذت هايلى تطعم ليلى بعضا من البيض وحدقت فى روز قائلة : " هذا رائع حقاً " .

فوافقها ميتش قائلاً : " وكان التوقيت رائعاً . آه لو رأيت أمك يا هاربر ! كانت هادئة وبارعة وخطيرة " .

فعلقت روز قائلة : " إن الحديث مليء بالاستعارات هذا الصباح . هل من أحد سيذهب إلى العمل ؟ " .

فرفع هاربر بعضاً من العجة قائلا : " كنت لأخاف منها إن رأيتها بهذا الحال " .

فرد ميتش قائلاً : " تصادف أن كنت أقف حيث يمكنني أن أرى رد فعل النساء من خلفهم . وكم كان رائعاً أن تستمع إليه وهو يقول مفتخراً بأنه يمكنه أن يستمر في مضايقاتها بالمكالمات الهاتفية وبطاقات الائتمان وغيرها ، وأن أحداً لن يستطيع أن يكشف أمره ، ثم بعد ذلك يسب ويهين كويل ويصف ماندى بالغبية . كان يشعر وقتها بثقة كبيرة بنفسه وروز واقفة أمامه ، ولم يدر أنها قد نصبت له فخاً . فلم ترمش بجفنها واستمرت في تحفيزه وحثه على أن يأتي بالمزيد والمزيد إلى أن ... " ، وحينئذ تذكر ميتش وجود الأطفال فأمسك لسانه عن سبه . ثم استأنف قائلا : " وبعد أن أنهى حديثه ، لم تفعل روز شيئا سوى أن لوحت بيدها فاستدار ليراهم من خلفه بينما هي تشق طريقها مبتعدة عنهم . كم كان ذلك المشهد رائعاً ! " .

فردت ستيلا قائلة : " أتمنى لو أنهم قد انقضوا فوقه مثل الكلاب " .

فرد ميتش قائلاً : " ذلك هو ما حدث تقريباً . فقد حاول أن يبرر موقفه مقنعاً إياهم بأن الأمر كله لم يكن سوى خطأ ولكن المرأة الشقراء ماندى انتابتها حالة هستيرية وأخذت تصرخ وتبكي وهي تسدد إليه الصفعات على وجهه ، بينما ذهبت الأخرى إلى زوجها لتخبره بما سمعته ، فعرف أن برايس هو الذي جعله

يخسر أحد كبار عملائه . وفقاً لما أخبرني به ابني أنه قد خسر ذلك العميل ، فشق طريقه إلى برايس وأخذ يسدد اللكمات إليه ، فأخذ الناس يقفزون والنظارات تتحطم بينما قفزت ماندى فوق كليرك ، وأخذت تعضه وتخربشه بأظافرها " .

فهمس جافين قائلاً : " يا إلهى " .

" واضطر الناس إلى أن يخلصوه من بين أيديهم ثانية " .

وحينئذٍ نهض هاربر ليحضر لنفسه مشروباً من المشروبات التي تحتوى على مادة الكافيين والتي يتناولها في الصباح ، ثم عاد إلى المائدة ومعه زجاجة من الكولا وهو يقول : " أتمنى لو أنني رأيت ذلك المشهد " .

فاستأنف ميتش حديثه قائلاً : " وأخذ بعض من الناس يجرون ليختبئوا بينما تدافع البعض الآخر ليشاهد ما يحدث ، وهم يتزلقون على المشروبات المسكوبة مصطدمين بالموائد . وكانوا على وشك أن يستدعوا الشرطة لولا أن تدخل أفراد الأمن " .

فسألته هايلي قائلة : " وأين كنت أنت آنذاك ؟ " .

فرد قائلاً : " كنت في الشرفة أرقص مع روز " . ثم صحح كلامه وهو يطرف بعينيه قائلاً : " كنا نراقب الموقف من بعيد من خلال الأبواب والنوافذ " .

فعلقت روز قائلة : " سيكون ذلك هو حديث المدينة لبعض من الوقت ، وبما أنني كنت مطلعة على ذلك ، أقول بأن كل واحد قد حصل على ما يستحقه من الحرج . والآن يجب أن أذهب إلى العمل " .

فالتقطت هايلي بعضاً من البيض بالشوكة قائلة : " ولكن ماذا عن برايس ؟ هل سنظل هكذا دون أن نعرف ؟ " .

فردت روز قائلة : " لا أدرى ولكنى أعتقد أنه سيفر من بلدة شيلبى يجر وراءه أذيال الخيبة ، فلا أظن أنه سيبقى هنا بعدما حدث " .

فسألت هايلى فى دهشة قائلة : " هكذا فحسب ؟ ألن تذهبى إلى ... " وحينئذٍ توقفت لتمسح على وجه ليلى قائلة : " حسناً ، حسناً . لقد تخلصنا منه على أية حال " .

كانت روز حينئذٍ تهندم شعر الغلامين ، ثم وقفت كى تقبل ليلى على رأسها قائلة : " سوف أخبر الشرطة بعد الظهر عن ذلك ، وكذلك سيفعل ميتش أيضاً فقد سمع كل كلمة قالها برايس ، وأعتقد أنهم سيستجوبون أولئك الذين سمعوه ، ثم ننتظر لنرى ما الذى سيحدث بعد ذلك " .

فردت هايلى مبتسمة وهى تقول : " هذا رائع . رائع " .

فردت روز قائلة : " ليس من طبعى أن ألكم أو أركل الآخرين فى وجوههم على الأقل فى الوقت الراهن ، ولكنى أيضاً لن أسمح لأحد أن يستمر فى الضغط علىّ هكذا لفترة طويلة " ، ثم خرجت وهى تشعر بسعادة ورضا ، فقد بدأ اليوم بالضحك بدلاً من القلق .

وقفت عند ذلك المنحدر الصغير عند حافة حديقتها ، وأخذت تتفحص أشجار الحديقة وأشكالها . كانت هناك مجموعات رائعة من الألوان فيما بين اللون الربيعى الأخضر الرقيق ، والألوان القرنفلية الجميلة ، والألوان الزرقاء الغريبة ، وكذلك الصفراء المبهجة ، بالإضافة إلى تلك الألوان الحمراء الداكنة .

كانت تلك الموائد ذات اللون البنى الذى بهت بمرور الأيام ممتلئة بألوان لتلك النباتات التى زرعت فى الأجواض وغيرها التى زرعت فى الأصيص ، بينما كانت الأرض مزهرة مورقة إيذاناً

بحلول الموسم ، أما المبانى فكانت تبدو رائعة هى الأخرى وكأنها ترحب بمقدم الموسم ومعها تلك الصوبات الجميلة الرائعة .

كانت هناك أوان من الأصيص وقد تفجرت بالنباتات المتنوعة الألوان والأشكال ، بالإضافة إلى تلك السلال المعلقة وقد تدلت منها نباتاتها .

كانت تستطيع من ذلك الموقع المتميز أن ترى أجزاءً من المنطقة المشجرة بأشجار الزينة . كانت ترى كذلك ذلك الحقل المزروع بصفوفه مستقيمة الشكل ، وتلك الآلات الضخمة .

كانت ترى ـ فى كل مكان تنظر إليه ـ أناساً ، وعملاءً ، وعمالاً يتجولون جيئة وذهاباً وهم يستعرضون النباتات المعروضة للبيع ، وقد أخذت المركبات الحمراء تتحرك محدثة صوتاً وضجيجاً وكأنها قطارات صغيرة تحمل ما يفضلونه من نباتات ، كانت أحواض النباتات قد تم تصميمها لتكون بالقرب من الطرق المعبدة بالحصى التى تؤدى إلى منطقة وقوف السيارات حيث يتم نقل الحمولات إلى السيارات والشاحنات .

كانت ترى تلك الأكوام الهائلة من المهاد " التبن " المفرود والمعبأ ، وكذلك السياجات الخشبية التى وضعت لتضفى لمحة من الزينة والجمال .

وأخذت تسرح بخيالها وهى تفكر فى ذلك السحر الذى طالما كانت تتصوره فى جمال تلك اللمسات المنزلية ، وقد تشابكت تلك الشجيرات الصغيرة مع النباتات المعترشة الجميلة وقت الصباح ، وجمال ذلك الموضع ذى الشكل المتقوس وقد وضعت فيه نافورة بصلية الشكل ، وروعة ذلك اللون الأحمر المتلألئ لطائر الطنان وقد تدلى من فوق أحد الفروع ، ورقة تلك الموسيقى التى تحدثها الرياح وهى ترن فى صوت رقيق ناعم وتدور فى انسياب مع النسيم .

وبالطبع يجب أن تكون هناك لتتفقد الأمور بنفسها ، وتتفحص المخزون ، وتحسب قائمة الجرد للنباتات المخزونة ، فتوظيفها لمدير بارع مثل ستيلا لا يعنى أنها يجب ألا تباشر الأمور بنفسها .

ولكنها كانت فى حاجة إلى الهواء بعد تلك الساعات التى قضتها بداخل صوبة البذر ، وأرادت أن تلقى هذه النظرة على ما قامت بتشييده ، على ما بذلت جهدها لأجله .

واليوم وتحت تلك السماء الزرقاء ، كانت تشعر بذلك الجمال ، كانت تشعر بأن كل دقيقة وكل ساعة عرفت وقلقت وكافحت فيها على مدار تلك السنوات لم تذهب هباءً .

وكم كان ذلك رائعًا ، ذلك العمل الناجح الذى أثمر عن تلك الحديقة الممتدة والتى طالما كانت تتوق إلى إبداعها ، تلك الحديقة التى كانت تعكس أسلوبها ورؤيتها وتراثها .

وإذا ما أصر البعض على مشاهدتها باعتبارها هوايتها فليكن ، وإذا ما نظر إليها البعض الآخر ـ وهم كثير ـ على أنها تلك المرأة التى كانت تدور حول نادى المقاطعة مرتدية عباءة ذهبية ، وقد تزينت بالحلىّ فلا بأس بذلك أيضاً ، فلم تمانع فى أن تغوص فى أعماق الجمال والسحر لأنها ، فى الحقيقة ، تستمتع به .

ولكن حقيقتها وجوهرها كان يتمثل فى وقوفها هنا مرتدية بنطلونا من (الجينز) القديم ، وقميصًا باهت اللون ، وغطاءً للرأس فوق شعرها ، وحذاءً قديمًا برقبة فى قدميها .

فى حقيقة الأمر ، لم تكن سوى امرأة تحب العمل بشكل جدى لتتمكن من دفع قيمة فواتيرها ، كانت امرأة لديها عمل تديره ومنزل تنفق عليه . لقد كانت امرأة تفخر بإنجازاتها بعد أن تتقن عملها ، إنها روزاليند هاربر أحد أعضاء النادى بالقاعة وتعد فردًا

بارزًا فى المجتمع والتى كان اسمها بمثابة مسئولية يجب أن تحافظ عليه ، كانت هذه هى حياتها .

أخذت نفسًا عميقًا واستجمعت قواها ثم دفعت بعقلها إلى اتجاه خاص . سوف تنظر إلى ما حدث وكيف ستتعامل معه ومع إميليا .

وأخذت تقول لنفسها : إن كان الأمر يتعلق بحياتها الشخصية فلماذا لا تقامر مرة ثانية ؟ لماذا لم تغير من حياتها بأن تدخل فيها ذلك الرجل الذى تشعر معه بالإثارة والراحة والمتعة ؟

ذلك الرجل الذى اخترق متاهة الحزن والعمل الشاق والواجب والكبرياء التى قامت بتغليف قلبها بهم .

ذلك الرجل الذى أحبته .

إنها تستطيع أن تعيش حياتها بمفردها إن كانت فى حاجة إلى ذلك ، ولكن ما الذى ستجنيه من وراء ذلك ؟ إنها تعرف جيدا أنها قوية ، قادرة ، مستقلة بنفسها . إنها تعرف تلك الأشياء ، التى كانت وستظل هكذا .

ويمكنها أن تكون شجاعة أيضاً .

ألا يحتاج الأمر إلى شجاعة ، ألم يكن صعباً على المرء أن يدمج حياته مع آخر يشاركه إياها ويكافح فيها على قدم المساواة معه بدلاً من أن يعيش حياته وحيدا ؟ إن الحياة مع شخص آخر يناقش المرء معه روتين الحياة وما فيها من مفاجآت تعتبر بمثابة العمل .

إنها لم تنفر يوماً من العمل .

وقد كان الزواج بمثابة أمر مختلف فى هذه المرحلة من العمر . فلن يكون هناك أطفال فيما بينهما ولكن يمكنهما أن يتشاركا أحفادهما يوماً ما ، إنهم لن يربيا أطفالاً معًا ، ولكن يمكنهما أن يكبرا معاً . يمكنهما أن يكونا سعيدين .

فشعرت حينئذٍ أن إميليا تقول لها : " ولكنهم يكذبون دائماً " .

فنهضت روز واقفة فى نفس المكان عند حافة الحديقة ، كانت هناك الحقول المقفرة ، والأشجار الجافة ، وقد شعرت ببرودة الهواء .

فقالت روز فى هدوء : " ليس كل الرجال ، وليس دائماً " .

فإذا بالصوت يقول : " إنى أعرفهم أكثر منك " .

فشعرت وكأنها تمشى عبر الحقول وقد بدأ الضباب ينتشر ، وأن هناك بحراً ضحلاً فوق تلك الأرض السوداء المقفرة . كانت عباءتها البيضاء قذرة ومتسخة تماماً مثل قدمها العارية ، بينما كان شعرها متشابكا متدلياً حول وجه يكسوه الجنون .

واكتنف الخوف روز كعاصفة شديدة هبت فجأة ، ولكنها سمرت قدميها بالأرض .

كان ضوء النهار قد زال ، بينما تلبدت السماء بالسحب الكثيفة بألوان زرقاء يشوبها اللون الأسود ، ألوان سوداء ضاربة إلى اللون الأخضر الداكن .

وبالرغم من أنها لم تستطع أن توقف تلك الرعدة التى كانت تسرى فى أوصالها بينما إميليا تقترب منها ، إلا أنها وقفت قائلة : " لقد عشت حياة أطول منك " .

فردت إميليا قائلة : " ولم تتعلمى منها سوى القدر اليسير . إن لديك كل ما تحتاجى إليه ، لديك منزل وأطفال وعمل يدر عليك دخلاً يكفيك . فما الذى تحتاجين إليه من أى رجل ؟ "

" أحتاج إلى الحب " .

سمعت روز نوبة من الضحك تضرب فى أعصابها وصوت إميليا يقول : " إن الحب هو أكبر كذبة ؛ سوف يضاجعك ويستغلك

ويخدعك ويكذب عليك . وسوف يؤلمك إلى أن تصبحى نحيفة ، خاوية عجفاء ، إلى أن ينقشع جمالك وتصبحين قبيحة ، إلى أن تلقى حتفك " .

وبخوف تشوبه الشفقة سألتها روز قائلة : " ومن الذى خدعك ؟ من الذى أدى بك إلى هذه الحال ؟ "

فردت إميليا : " كلهم . كلهم على منوال واحد . إنهم هم العاهرون بالرغم من أنهم ينعتوننا نحن بذلك الوصف . ألم يأتوا إلىّ ؛ يمارسون الجنس معى بينما زوجاتهم ينمن بمفردهن فى خدورهن ؟ "

فسألتها روز قائلة : " وهل أجبروك هم على ذلك ؟ هل ... " .

فقاطعتها إميليا قائلة : " ثم يأخذون ما تمتلكينه ، لقد أخذوا شيئاً كان ملكى أنا ! " .

وحينئذٍ ضربت بكلتا يديها بقوة على بطنها ، فاندفعت روز إلى الوراء خطوتين من قوة الغضب ، والحزن ، والهياج .

وحينئذٍ هبت العاصفة وهى تدوم فى السماء ، تقتلع الأرض وتلف كالدوامة وسط الضباب ، وفى الهواء القذر فسدت رئتى روز وأحست أنها تتنفس طيناً .

ووسط تلك العاصفة القوية ، سمعت روز تلك الصرخات الجنونية .

اقتليهم جميعاً . اقتليهم جميعاً وهم نائمون ، قطعيهم إرباً إرباً ، واغتسلى بدمائهم . استردى ما أخذوه منى ، اللعنة عليهم ، عليهم لعنة الجحيم !

وحاولت روز أن تصيح ، ولكنها بالكاد استطاعت أن تلفظ بالكلمات قائلة : " لقد ماتوا جميعاً ، لقد أصبحوا تراباً . هل أنا التى لا أزال باقية منهم ؟ "

فتوقفت العاصفة على نحو مفاجيء كما بدأت بينما كانت إميليا فى هدوء تغنى وتهدهد بأغان للأطفال ، وقد كشف فستانها الرمادى اللون عن حزن وشحوب .

" إنك منى . أنت دمى . أنت عظمى ، خرجت من رحمى ، من قلبى . لقد سرقت منى . حاولى العثور علىّ فإنى مفقودة " .

وحينئذٍ وجدت روز نفسها تقف وحيدة على العشب الربيعى اللون عند حافة حديقتها وهى تنظر من تحتها إلى ما قامت ببنائه .

عادت ثانية إلى العمل لتهدأ . فلم يكن هناك مخرج لها مما حدث عند حافة الحديقة سوى أن تقوم بشيء ما مألوف لها ، شيء تعمل فيه بيديها بينما عقلها يفكر فيما حدث .

وقررت أن تبقى بمفردها فقد كانت العزلة تُشعرها بالراحة .

وقضت فترة ما بعد الظهيرة فى تقسيم الكثير من النباتات المخزونة ، والشتلات ، وأخذت تروى النباتات وتصنفها .

وبعدما انتهت من ذلك أخذت طريقها إلى المنزل وسط الأشجار ودخلت إلى الصوبة الخاصة بها ، فقد زرعت بها نباتات القنا ، ونباتات العايق بأزهارها الجميلة ، وزهرة الربيع التى كانت تضفى على المكان مزيدا من السحر .

وأدركت أنها كانت تشعر بالصفاء والهدوء هناك ، فى الحدائق ؛ وفى التربة ؛ وفى ظل هاربر هاوس . وتحت تلك السماء الزرقاء الصافية جثمت على ركبتيها وأخذت تتفحص المنزل .

كم كان جميلاً بأحجاره الناعمة ذات اللون الأصفر ، وبزجاجه اللامع ، وبزخارفه الناصعة البياض .

وأخذت تتساءل عن تلك الأسرار القابعة فى تلك الغرف وتلك الجدران ؟ ما هذا الذى قد دفن فى هذه التربة التى ظلت تعمل بها موسما بعد آخر بيديها ؟

لقد ترعرعت معها كأبيها وجدها وهؤلاء الذين كانوا من قبلهم جيلاً بعد جيل يتشاركوا نفس الدم ونفس التاريخ . لقد نشأت أبناءها هنا ، وعملت جاهدة على الحفاظ على هذا التراث كى يتذكره أحفادها من خلال هذا المنزل .

وسوف تعرف حتماً ما حدث كى ينتقل ذلك إليها ، وسوف تقبل به حينها .

وبعد أن هدأت ثانية وضعت أدواتها فى أماكنها ثم ذهبت إلى المنزل كى تستحم ووجدت ميتش يعمل فى المكتبة . فقالت :

"معذرة ، هناك شيء أود الحديث معك بشأنه " .

" حسناً ، وأنا أيضاً أريد الحديث معك " ، ثم دار بمقعده الدوار بعيداً عن حاسبه الشخصى ، وأمسك بأحد الملفات التى كانت على سطح المكتب .

فقالت له : " تحدث أنت أولاً " .

فخلل شعره بيده ثم خلع نظارته ، ومن تعبيراته وإيماءاته أدركت أنه كان ينظم أفكاره .

قال : " لقد فعلت ما بوسعى هنا للتو ، ويمكننى أن أقضى شهوراً أخرى وأنا أبحث فى تاريخ عائلتك ، وأبحث فى التفاصيل وبين الأجيال الماضية ، وفى الحقيقة إننى أخطط للقيام بهذا . ولكن بخصوص ما استأجرتنى للعمل من أجله أقول لك بأنها لم تكن من أفراد عائلة هاربر - أعنى أنها لم تكن أحد أفراد العائلة سواء بالميلاد أو الزواج . فكل المعلومات والأسماء والتواريخ والمواليد والوفيات والزيجات ، كل ذلك لا يوجد به اسم امرأة

تدعى إميليا فى هذا المنزل أو فى عائلة هاربر ، ولم أجد امرأة فى مثل عمرها تقريباً فى هذا المنزل خلال تلك الفترة التى قمنا بدارستها " .

فجلست وهى تفكر فى بعض من القهوة : " إنى أعرف " .

" والآن إذا كانت ستيلا مخطئة بخصوص الاسم ... "

فقاطعته قائلة : " كلا ، إنها ليست مخطئة " ، ثم هزت رأسها وقالت: " إنها هى إميليا " .

فرد قائلاً : " إنى أتفق معك فى ذلك ، ولكن ليست هناك امرأة تدعى إميليا هاربر تمت بصلة إلى العائلة سواء بالميلاد أو بالزواج . والأغرب من ذلك وإذا ما أخذنا فى اعتبارنا تلك الفترة الطويلة لهذا المنزل ـ لا يوجد هناك سجل يتحدث عن أى امرأة ماتت هنا سواء فى العشرينيات من عمرها أو فى الثلاثينيات ، أو حتى أكبر من ذلك أو أصغر " .

ثم وضع الملف فوق كومة من الملفات قائلاً : " إن إحدى حالات الوفاة المسلية والتى حدثت هنا تعود إلى عام ١٨٥٩ ، لأحد أجدادك والذى يدعى بيورجراد هاربر والذى كسرت رقبته وعظام أخرى عديدة إثر سقوطه من شرفة الطابق الثانى . ومن خلال الخطابات قرأت وصفاً للحادث يقول : إن بيور كان مع امرأة يمارس الحب معها وأخذ يداعبها فذهب بها إلى الدرابزين حيث سقط ، وحينما وصل إليه البعض من أفراد المنزل وجدوه قد فارق الحياة ، أما هى فقد كسرت رجلها فقط حيث وقعت فوقه ، وامتص قوة اصطدامها " .

ثم استأنف قائلاً : " هذا ، ولدى أيضاً قائمة بأسماء نساء عائلة هاربر اللائى وافتهن المنية هنا ، ومعى أيضاً بعض السجلات بها أسماء الخادمات اللائى متن هنا أيضا ، ولا يوجد

أحد منها يتماشى مع إميليا ، لقد حصلت على بعض المعلومات من تلك المحامية التى تعمل فى شيكاغو والتى أخبرتك عنها من قبل " .

وأخذ يبحث عن ملف آخر قائلاً : " إن حفيدة مديرة المنزل التى كانت تعمل فى منزل هاربر ، كان ثلاثاً من أجدادها يعملون هنا . ومن خلال هذا ، استطعت أن أجمع لك تاريخاً مفصلاً عن تلك العائلة أيضاً ، وأعتقد أنك سترغبين فى الاحتفاظ بتلك النسخة " .

" نعم ، أريد تاريخ هذه العائلة " .

استأنف قائلاً : " إن المحامية لاتزال تبحث عن معلومات حينما يسمح وقتها بذلك ، ونحن محظوظون لأن لديها كثيرًا من الوقت الآن " .

قالت : " لقد قمت بعمل رائع " .

قال : " يمكنك أن تلقى نظرة على الجداول ، لتتعرفى على الابن الثانى لابن خال خال خالك لتتعرفى على حياته ، ولكنى أعتقد أن ذلك لن يفيدك فى شىء " .

فأخذت تفحص أكوام الملفات ، واللوحة الخشبية المملوءة بالأوراق ، والصور والجداول المكتوبة بخط اليد ، ثم قالت : " كلا . إنها ستساعدنى ، يجب أن أعرف الكثير عن ذلك الشخص الدنىء ذى الحظ العثر بيور ، وصاحب الصالون ، ولوسى بيلى وكل أولئك الذين أتيت بأسمائهم " .

ثم نهضت واقفة لتذهب إلى اللوحة الخشبية لتتفحص الوجوه والأسماء ، وكان بعضها مألوفا لها بينما كان البعض الآخر بمثابة غرباء عنها .

قالت : " إن أبى الذى أراه الآن كان أكثر اهتماماً بالحاضر من الماضى . أما جدى فقد مات بينما كنت لا أزال صغيرة ولا أذكر أنه كان يقص لى حكايات عن العائلة ، فمعظم ما عرفته كان من جدتى التى لم تكن تنتمى إلى عائلة هاربر بالميلاد أو من أبناء الأعمام " .

ثم خطت إلى الوراء وقالت : " تاريخ العائلة ، وكل الأشخاص الذين عاصروا الأحداث يهموننى ، وحتى وقت قريب لم أمنحهم احتراماً كافياً " .

فرد قائلاً : " إنى أتفق معك فى الجزء الأول ، ولكنى أختلف معك بشأن الجزء الثانى من كلامك . فهذا المنزل يدل على احترامك الكبير لعائلتك . إن ما أخبرك به هو أننى لا أستطيع العثور عليها لأجلك . ومن خلال ما لاحظته وما أشعر به ، أعتقد أن إميليا هى واحدة من جداتك ولكنها ليست من عائلتك . لم أستطع العثور على اسمها فى سجلات العائلة ، ولا أعتقد أنها كانت تعمل هنا كخادمة " .

ثم استأنف قائلاً : " إذا ما وضعنا فى اعتبارنا ذلك العصر والأوضاع الاجتماعية فيه ، يمكننا أن نقول إنها ربما كانت خادمة حملت من أحد أفراد العائلة ولكن من المستبعد أن يكون قد سمح لها بالبقاء فى المنزل بين طاقم العمل أثناء فترة حملها ، وبعدها تم إبعادها ومنحها تعويضاً مالياً ، ولكنى أشك فى ذلك " .

نظرت إلى اللوحة الخشبية نظرة أخيرة ، ثم سألته قائلة بعد أن عادت إلى مقعدها وجلست : " ولم لا ؟ "

فرد قائلاً : " لقد كان ريجنالد هو رئيس المنزل . وكل المعلومات التى لدى عنه تشير إلى أنه يعتد بنفسه بشكل كبير ، وكان يدرك جيداً ما يمكن أن نطلق عليه مكانته الحساسة فى هذه

المنطقة ، وكذلك وضعه الحساس فى مجال السياسة والعمل والمجتمع . ولأكون صريحاً يا روز فإننى لا أرى أنه قد أنخرط فى علاقة مع إحدى الخادمات ، ولكن من المؤكد أن مثل هذه العلاقة لو حدثت فإن الذى قام بها هو شخص من الأقارب كعم مثلاً أو ابن عم ، ولكن عندى هاجساً يقول بأن العلاقة مع إميليا كانت أقوى من ذلك " .

فسألت قائلة : " وماذا كانت إذن ؟ "

فقالت : " محبوبة ، كانت امرأة تناسب احتياجاته ، كانت بمثابة عشيقة " .

فظلت صامتة لبرهة طويلة ثم قالت : " أتدرى ما الذى اكتشفته يا ميتشيل ؟ لقد اكتشفت أن كلينا توصل إلى نفس النتيجة هذه من طرق مختلفة . لقد بحثت فى العديد من الوثائق التى تشعرنى بصداع من مجرد التفكير فيها ، وقد بحثت كذلك فى العديد من المكالمات الهاتفية ، وقمت بعمل الكثير من الأبحاث باستخدام الحساب الآلى ، وقمت بإعداد الكثير من الرسوم البيانية والجداول ، وبرغم كل هذا لم تعطنى صورة واحدة لم أنظر إليها لعائلتى ، أو تخبرنى بأسماء أناس لا أعرفهم ، ولكنك قد أزلت عشرات الاحتمالات التى تتعلق بتلك المرأة كى يتسنى لنا أن نتوصل إلى الإجابة الصحيحة . ولكن هل تعتقد أنها ستنعم بالسلام حينما نصل إلى حقيقتها ؟ "

فقال : " لا أعرف جواباً لذلك ، ولكن لماذا تبدين حزينة ؟ إنه ليحزننى أن أراك حزينة " .

فقالت : " لست متأكدة تماماً ، ولكن هذا هو ما حدث اليوم " .

ثم شهقت نفساً عميقاً واستأنفت قائلة : " كنت خائفة للغاية فى تلك الليلة التى أبعدتنا فيها عن غرفة الأطفال ، وحينما دخلت أنا وأنت من الشرفة وانتابها ذلك الهياج وهى ترمى الأشياء من حولنا ، كنت خائفة كذلك فى تلك الليلة فى الحمام حينما أوقعت بى لأسفل فى الحوض ، شعرت وقتها بأنى لن أشعر بخوف أشد من هذا ، ولكن اليوم وأنا أقف هناك بينما تمشى هى نحوى عبر الحقل ووسط الضباب شعرت بأنى قد شللت خوفاً ؛ قد رأيت وجهها وقد اكتسى بالجنون والغضب الشديد الذى يفوق الموت فى شدته . إنى أعرف ما يعنيه هذا لها ؛ إنها تتغلب على الموت بالجنون ومع ذلك لا تستطيع الخلاص منه " .

فسألها قائلاً : " هل لمستك هذه المرة ؟ هل آذتك ؟ "

فهزت روز رأسها قائلة : " لم تؤذنى حتى وهى فى أوج غضبها . ولكنى لم أستطع التنفس وشعرت وكأنى أغرق فى الطين وربما هذا فقط هو الذى سبب لى ألماً . وأخذت تتحدث عن القتل والاغتسال فى الدماء . بالرغم من أنه لم يحدث أن كان هناك حديث عن القتل فى هذا المنزل من قبل . ولكنى أتساءل : هل قتلوها ؟ هل قتلها أحد أفراد عائلتى ؟ "

فذكرها قائلاً : " لقد كانت هى التى تتحدث عن ارتكاب جريمة قتل لا عن أن تُقتل " .

" حقاً ، ولكن لا يمكنك أن تثق فى امرأة مجنونة . لقد قالت إننى من لحمها ودمها وهى تؤمن بذلك بغض النظر عن صحته من عدمه " ثم شهقت نفساً عميقاً وأردفت قائلة : " وكذلك أنت " .

فنهض واقفاً من مقعده واقترب منها آخذاً بيدها ليجذبها من مقعدها بين ذراعيه قائلاً : " وماذا تعتقدين أنت ؟ " .

أسندت رأسها إلى كتفه وهى تشعر براحة وتقول لنفسها : إن هذه الراحة يمكن الشعور بها مع رجل إذا سمحت لنفسها بأن تأخذها . ثم قالت : " إن عينيها تشبه عينى والدى . لقد رأيت ذلك اليوم ولم أكن قد رأيت ذلك الشبه من قبل ، ربما لأننى لم أحاول . أتعتقد يا ميتش أن جد جدى هو الذى أخذ منها طفلها ؟ هل كان قاسى القلب إلى هذه الدرجة ؟ "

فرد قائلاً : " لو أن كل ذلك حقيقة فربما هى التى قد تخلت عنه ، ربما توصلا إلى عقد اتفاق فيما بينهما ثم شعرت بالندم . فلا تزال هناك احتمالات كثيرة " .

" إنى أريد أن أعرف الحقيقة الآن مهما كان الأمر " .

ثم تراجعت إلى الوراء وهى تبتسم قائلة : " كيف سنصل إلى امرأة ربما كانت محبوبة لجدى الأكبر ؟ "

فرد قائلاً : " لدينا اسمها ، وسنها بشكل تقريبى ، ونفترض أنها قد عاشت فى منطقة ممفيس ، فمن خلال هذا يمكننا أن نبدأ " .

فسألته قائلة : " هل هذا تفاؤل طبيعى منك ؟ أم أنك تحاول أن تطيب خاطرى ؟ "

فقال : " مزيج من كليهما معًا " .

" حسناً ، سأذهب الآن لأصب لنفسى مشروباً . هل تريد أى شىء ؟ "

فرد قائلاً : " يمكننى أن أشرب جالوناً من الماء كى أعوض الخمسة جالونات من القهوة التى احتسيتها اليوم ، سآتى معك " . مشى بجوارها إلى المطبخ واضعاً يده على كتفها .

قالت : " ربما سيكون علىّ أن أنحى هذا الأمر جانباً إلى ما بعد زفاف ستيلا ولوجان ، وعلى الرغم من أن ذلك الأمر

يؤرقنى ، إلا أن الأحياء يجب أن تكون لهم الأولوية عن الأموات " . ثم أخرجت زجاجة من الماء وليمونا طازجا قائلة : " لا أستطيع أن أصدق أن هؤلاء الأولاد سيبعدون عن المنزل فى غضون أيام قليلة " .

صبت الماء وشقت الليمون ثم قدمت له كأساً .

فقال : " شكراً لك . وأعتقد أنهم سيكونون هنا بجوارك وستشعرين بوجودهم " .

" كم أحب ذلك " وحينئذٍ صبت كأساً لها غير أن جرس الهاتف رن قبل أن تحتسى الرشفة الأولى ، فسألت قائلة : " أين ديفيد ؟ "

استمعت لبرهة ثم ابتسمت فى بطء إلى ميتش وقالت : " مرحبا جين " ثم رفعت بعد ذلك كأسها لتشرب مع ميتش .

وبينما استقلت كل من روز وستيلا وهايلى المصعد إلى شقة كلاريس هاربر
وثبت هايلى على أطراف أصابعها قائلة : " إن ذلك لمثير للغاية ، إنه يشبه عملية تجسس مثيرة . أعنى أننا قد قضينا وقت الصباح فى وضع الماكياج والزينة ، بينما الآن - بعد الظهر - نتسلل للحصول على وثائق سرية ، إن الأمر هذا لرائع برمته " .

فردت ستيلا قائلة : " قولى هذا فيما بعد ؛ فلو قبض علينا وقضينا هذه الليلة فى السجن مع بيج بيرا واضطر لوجان إلى أن يتزوجنى وأنا خلف القضبان غدا فسوف يؤلمنى ذلك " .

فذكرتها روز قائلة : " لقد طلبت منك ألا تأتى معنا " .

" ويفوتنى هذا ؟ " ثم شهقت ستيلا وخرجت من المصعد قائلة : " ربما أكون قلقة بعض الشىء ولكنى لست بجبانة . بالإضافة إلى أن هايلى على صواب ؛ فالأمر مثير حقا " .

" إن الذهاب إلى شقة عجوز شمطاء واسترداد أشياء من حقى لا يبدو مثيرًا بالنسبة لى . كان بإمكان جين أن تجلب تلك الأشياء بنفسها وتوفر علينا هذا العناء . إننا مشغولون بما فيه الكفاية استعدادًا للزفاف " .

" أعلم هذا وأقدر لك صنيعك بأنك قد أعطيتينا اليوم إجازة حتى نأتى معك . سوف نعوض لك هذا الوقت بعد الزفاف " .

فردت روز قائلة : " ربما سيكون عليك القيام بذلك فعلاً . والآن ادع الله أن تكون هذه الغولة العجوز بالخارج تصفف شعرها كما لو كانت فتاة إعلانات ، وإلا سيشتد الأمر سوءًا " .

وحينئذٍ فتح الباب وخرجت جين قائلة : " لم أتوقع أن يأتى أحد إلى هنا سوى أنت يا ابنة العم روزاليند . إنى لا أعرف إن كان يجب علينا أن ... " .

ردت روز قائلة : " إنهما تعملان لدىّ ، بالإضافة إلى أنهما أصدقائى " . وحينئذٍ دفعت روز الباب وخطت نحو الداخل قائلة : " جين ، هذه هى ستيلا وهايلى . هل حزمت كل أمتعتك ؟ "

" نعم ، لا يوجد منها الكثير . ولكننى أعتقد أنها ستتضايق للغاية حينما تعود ولا تجدنى ، فهل من الممكن أن ... "

فقاطعتها روز وهى تجوب المنزل بعينيها قائلة : " إن هذا المكان لكريه للغاية . وما هذه الرائحة الكريهة ؟ كيف تحتملين هذا ؟ وما هذه القطة ... ؟ على أية حال ، أين المفكرات اليومية ؟ "

" لم أخرجها ، فقد شعرت أنه ليس من حقى أن ... "

" حسنا . أعطينى المفتاح ، وأرينى مكانها وسوف أخرجها أنا ، فليس لدينا وقت لنضيعه يا جين " . وبينما كانت جين واقفة

أمامها تعض على شفتيها السفلى ، أضافت روز قائلة : هناك شقة جديدة تبدو واعدة ستكون لك من صباح يوم الاثنين . فإما أن تقبلى ذلك أو ترفضيه فالأمر بيديك . ولكنى لن أغادر هذه الشقة برائحتها الكريهة دون أن أحصل على ما يخصنى ، فإما أن تعطينى المفتاح وإلا سأبعثر تلك الأشياء إلى أن أحصل على بغيتى " .

" يا إلهى ! إنى أشعر بالغثيان " وحينئذٍ دست جين يدها فى جيبها وأخرجت مفتاحاً ذا لون نحاسى مزخرف قائلة : " ها هو مفتاح المكتب فى حجرتها ، فى الدرج الأعلى " . ثم بدت شاحبة اللون كالزجاج وأومأت وهى تهمهم : " إنى خائفة " .

فتوجهت روز إلى ستيلا قائلة : " اخرجيها مما هى فيه يا ستيلا . لماذا لا تساعديها على حزم أمتعتها ؟ "

" بالطبع ، هيا يا جين " .

كانت واثقة من أن ستيلا ستتولى معالجة الموقف ، فتوجهت إلى هايلى قائلة : " اذهبى لتراقبى الباب " .

ورغماً عنها شقت روز طريقها إلى غرفة نوم كلاريس وهى تشم تلك الرائحة الكريهة . كانت مقدمة السرير محشوة بحرير ذى لون ذهبى ، ولحاف ذى طراز عتيق فأدركت روز أنها قد جلبته من منزل هاربر ومعه تلك المائدة التى تستخدم فى المناسبات والتى كانت موجودة عند النافذة ؛ هذا بالإضافة إلى ذلك المصباح الرائع .

فهمهمت روز قائلة : " يالها من لصًا عجوزًا " . ثم ذهبت مباشرة إلى المكتب ، وأدارت المفتاح ، وحينئذ لم تستطع أن تكتم دهشتها فلهثت حينما رأت تلك الحزم الملفوفة من اليوميات ذات الورق القديم .

فقالت وكأنها تتحدث إلى كلاريس : " ستكون هذه بمثابة ضربة قوية فى ظهرك " ، ثم فتحت تلك الحقيبة التى كانت تحملها على كتفها ، وألقت بالكتب بداخلها بحرص .

ولكى تتأكد من أنها قد حصلت على كل الأوراق التى تريدها ، فتحت بقية الأدراج وأخذت تقلب ـ دون أن تشعر بوخز ضميرها ـ فى المكتب وفى خزانة الأدراج .

وبالرغم من أنها شعرت بسخافتها ، إلا أنها قامت بمسح كل مكان لمسته يدها . إنها لن تترك الفرصة لكلاريس كى تستدعى الشرطة وتتهمها بأنها قد سطت على منزلها . ثم تركت المفتاح فى مكان واضح تراه العين فوق سطح المكتب .

وعندما خرجت روز ، إذ بهايلى تقول لستيلا : " خذيها إلى أسفل " ثم توجهت إلى روز قائلة : " لقد كانت ترتعد بشدة ، وخفنا أن تنتابها نوبة مرضية إن لم نخرجها من هنا . إن المسكينة ليس لديها إلا حقيبة واحدة يا روز ، وضعت فيها كل أغراضها " .

فردت روز قائلة : " إنها لاتزال صغيرة ، ولايزال الوقت أمامها كى تمتلك الكثير من الأشياء . هل لمست أى شىء هنا ؟ "

" كلا ، لقد خفت ، كما تعرفين ، أن تتبع بصماتى هنا " .

" يالك من فتاة ذكية . هيا بنا " .

فسألتها هايلى قائلة : " هل حصلت على الوثائق ؟ "

فربتت روز على الحقيبة قائلة : " نعم بكل سهولة ، تماماً كما تأخذين قطعة حلوى من طفل ، وطالما فعلت كلاريس ذلك " .

وبمجرد أن أوصلتا جين إلى شقتها وهدأتا من روعها ، وانطلقتا فى طريقهما إلى المنزل ، حتى لاحظت روز أن هايلى كانت تلتزم الصمت على غير عادتها .

فسألتها روز قائلة : " لا تخبريني عن شعورك بالذنب ، ووخز وتأنيب ضميرك من جراء ذلك وما إلى هذا ؟ "

فردت هايلى قائلة : " ماذا ؟ لا ، لا . إن هذه الوثائق تخصك أنت ولو كانت تخصني لما ترددت في أن أسترد تلك الأشياء الأخرى التي تنتمي إلى منزل هاربر أيضاً ، ولكنى أفكر في جين ، فإنى أعرف أنها أصغر منى ولكن ليس بفارق كبير ، وهي تبدو رقيقة للغاية وخائفة من كل شيء ، ومع ذلك فقد قامت بعمل شجاع على ما أعتقد " .

فردت روز قائلة : " إنها قد حرمت من أشياء كثيرة لم تحرمي منها أنت . فليست لديها تكاتك ولم يكن لديها والد مثلك ، لم يكن لديها والد يحبها ويعلمها ويوفر لها مأوى آمنًا تكتنفه السعادة ، إنها لا تشعر بقوتها وجاذبيتها كما تشعرين أنت " .

" إنها تحتاج إلى تهذيب شعرها وتحتاج إلى ملابس أفضل . ما رأيك يا ستيلا ؟ ألن يكون رائعاً أن أقوم أنا وأنت بذلك ؟ "

" نعم ، بالطبع " .

فردت هايلى قائلة : " لقد كنت أفكر أيضاً فيما كانت تبدو عليه حينما دخلت تلك الشقة الصغيرة ، وكم كانت تشعر بالامتنان والدهشة عندما رأت تلك الأشياء الأساسية كالأريكة والسرير والطعام الذى أرسلته يا روز . إني لا أعتقد أن أحدًا قد قدم لها شيئاً تشعر معه بكرامتها . وكم شعرت بالأسى والسعادة في نفس الوقت من أجلها وهى تتفقد الشقة في ذهول وحزن " .

فردت روز قائلة : " لنرى ماذا ستفعل بذلك " .

" لقد منحتها الفرصة لتفعل شيئاً ما ، تماماً كما فعلت معى أنا وستيلا " .

" أرجوك ، لا تتحدثي عن ذلك " .

ردت هايلى قائلة : " كلا ، سأتحدث ؛ لقد جئنا إلى هنا والفضل يرجع إليك ، فقد مددت لنا يد العون لنقف على أول الطريق - وها هي جين قد حصلت الآن على مأوى ووظيفة جديدة ، أما أنا فقد حصلت على طفلة رائعة وبيت رائع لها ، أما ستيلا فسوف تتزوج غدًا " .

وأخذت تشهق والزكام في أنفها فنظرت إليها روز في المرآة العاكسة قائلة : " إنى حقاً أعنى ما أقول ؛ لا تتحدثى عن ذلك " .

فقالت هايلى : " لا أستطيع أن أمنع نفسى ، فإنى سعيدة للغاية ، فستيلا سوف تتزوج غدا ، وأنتم أفضل أصدقاء لى في هذه الدنيا " .

فناولتها ستيلا المناديل الورقية من فوق المقعد ، واحتفظت لنفسها بمنديل .

* * *

كانت الحزمة تحتوى على ست عشرة مفكرة يومية ، وخمس مفكرات لجدتها إليزابيث هاربر ، وتسع مفكرات كتبتها جدة جدتها باتريس ، وقد امتلأت جميعها من الصفحة الأولى وحتى النهاية .

وبنظرة سريعة إلى مفكرات جدتها ، رأت روز وجود بعض الاستكشافات والرسوم فشعرت بالدفء وهى تنظر إليها .

ولم تكن في حاجة إلى ميتش ليثبط من عزيمتها مخبراً إياها أنه بالرغم من وجود الوثائق بين أيديهما إلا أنهما لن يتوصلا ، من قراءتها ، إلى شيء يتعلق بإميليا .

مسحت عينيها ونظرت إلى ستيلا وقد استندت إلى الأريكة فى الردهة ثم قالت : " إن هذه الوثائق ليست مؤرخة ، فبنظرة سريعة عليها يمكننى أن أقول أن باتريس هاربر لم تعتد على أن تكتب مفكرة كل عام ، ولكنها كانت تقوم ببساطة بملء كل وثيقة من هذه على حدة ـ على الرغم مما كان يستغرقها ذلك من وقت ـ ثم تنتقل إلى التى تليها " .

فرد ميتش قائلا : " لهذا فسوف نقوم بتصنيف هذه الوثائق وتقسيمها ، ثم نقرأ كل واحدة على حدة " .

فقالت روز : " أتمنى أن تقع فى يدى الوثائق المفيدة " . وصادف أن ديفيد كان قد وضع إناء من الشاى على المائدة ، وذهب ليحضر لنفسه كعكة من الحلوى .

ثم استأنفت روز قائلة : " إنى أريد قراءتها جميعها ، ولكن لدينا حفل زفاف غداً ، ولا أريدك يا ستيلا أن تتحملى مسئولية القيام بعمل كثير ، وإلا فلن أكون مسئولة إذا ما تزوجت بينما التجاعيد تحيط بعينيك " . وحينئذٍ دق جرس الباب فهم ديفيد أن يفتح فقالت روز : " كلا ، اجلس ، سأفتح أنا . ترى من يكون هذا ؟ إن الجميع هنا " .

فمشت إلى الباب ومعها باركر يقفز مرحاً وينبح كما لو كان يريد أن يخبرها أنه فى مهمة . وحينما فتحت الباب قطبت جبينها وابتسمت ابتسامة ساخرة وهى تقول :

" لماذا جئت إلى هنا يا ابنة العم ريسى ؟ يالها من مفاجأة غير سارة ! "

" أين تلك الفتاة التى لا جدوى منها ؟ وأين تلك الأشياء خاصتى ؟ ".

فردت ـ وقد لاحظت أنها قد استأجرت سيارة وشخصًا يقودها ـ قائلة : " ليست لدىّ أدنى فكرة عما تتحدثين عنه . وأعتقد أنه من قبيل الذوق فى المعاملة أن أدعوك إلى الدخول ، ولكنى أحذرك أننى لن أتورع عن تفتيشك حتى لو وصل الأمر إلى أن أجردك من ملابسك قبل أن تنصرفى ، الأمر الذى سيجرحنى ويجرحك لا محال . ومن ثم فلا يتبادر إلى ذهنك أن تأخذى أى شىء " .

فردت ريسى قائلة : " هكذا أنت دائماً ، إنسانة وقحة وبغيضة " .

فخطت روز إلى الداخل ، وتبعتها كلاريس إلى الردهة وهى تتكىء على عصاها ، وقالت روز : " أليس ذلك رائعاً ؟ ينتابنى نفس هذا الشعور نحوك " . " إننا نجلس هنا فى الردهة نحتسى الشاى " ثم خطت روز نحو الباب وقالت : " إن ابنة العم ريسى فى زيارتنا ، أليس هذا سيئاً ؟ ربما تتذكرين هاربر ابنى ، فطالما كنت تستمتعين بالتذمر والشكوى منه باستمرار فى زياراتك . أما هذا فهو ديفيد هاربر منذ طفولته وهو يعتنى بأعمال المنزل " . ومن المؤكد أنه قد قام بإحصاء عدد الأطباق الصينية " .

فردت قائلة : " لست مهتمة بجوابك الوقح هذا " .

" لم يتبق الكثير لأقدمه إليك ، وأعتقد أنك قد تعرفت على الدكتور كارنيجى من قبل " .

فردت ريسى قائلة : " نعم تعرفت عليه وسوف يكون لى حديث مع المحامى الخاص بى بشأنه " .

فابتسم ابتسامة عريضة قائلا : " اسمى بالكامل ميتشيل كارنيجى فحسب " .

" وهذا هو لوجان كيتريدج ، إنه أحد أصدقائى وجيرانى ويعمل لدى وسوف يتزوج من الآنسة ستيلا روتشايلد التى تدير لى أعمال الحديقة " .

فردت ريسى قائلة : " ليست لدى رغبة فى التعرف على هذه التشكيلة المتنوعة من موظفيك أو حتى عن استضافتك إياهم بشكل يدعو إلى التساؤل ، هنا فى منزل هاربر " .

فاستأنفت روز وكأنها لم تسمع شيئاً قائلة : " وهؤلاء هم أبناؤها جافين ولوك وهذا هو كلبهم باركر . أما هذه فهى هايلى فيليبس إحدى بنات عمى من جهة آشبى ، وهى تعمل عندى هى الأخرى ، ومعها بنتها الجميلة ليلى . أعتقد أنى قد قدمت الجميع إليك . هيا يا ديفيد أعتقد أنه من الأفضل أن تصب لكلاريس كوباً من الشاى " .

فردت ريسى قائلة : " لا أريد كوباً من الشاى لاسيما والذى أعده هذا الحقير المريض " .

قدم ديفيد الشاى فى هدوء قائلاً : " إن هذا الشاى لا ينقل العدوى " .

وسألت كلاريس فى إلحاح قائلة : " أين جين ؟ إنى أصر على أن أتحدث إليها حالاً " .

فالتقطت روز قطعة حلوى صغيرة وأعطتها لليلى قائلة : " ومن تكون جين هذه ؟ "

" إنك تعرفين جين بولسون جيداً " .

فردت روز فى تعجب قائلة : " آه ! ابنة العم جين ؟ للأسف إنها ليست هنا " .

" لن أحتمل أكاذيبك هذه " . فنبح الكلب فى تذمر من حدة صوتها ، فقالت : " أبعدى هذا الكلب الصغير البشع عنى " .

فرد جافين بسرعة : " إنه ليس بشعاً ، إنما أنت " .

وتدخل لوك فى الحديث قائلا : " وإذا كنت امرأة حقيرة فسوف يعضك لأنه كلب جيد " .

فوكزت ستيلا جافين برقة وقالت : " هيا جافين اذهب أنت ولوك ومعكما باركر إلى الخارج " .

فأومأ لوجان إلى الولدين قائلاً : " سألحق بكما بعد قليل " .

فحمل جافين الكلب قاطباً جبينه ، بينما وقف لوك عند الباب قائلاً : " نحن لا نحبك " . ثم تبع أخاه إلى الخارج بسرعة .

فردت كلاريس قائلة : " أرى أن موظفيك ـ مثلك ـ مؤهلون لأن يربوا أطفالهم على الأخلاق الحسنة " .

فردت روز قائلة : " نعم ، إنهم ليسوا كذلك وإنى لفخورة بهم للغاية . ونظراً لأنك لن تحتسى الشاى ، ولا أستطيع مساعدتك بشأن جين فمن المؤكد أنك تريدين الانصراف " .

" أين اليوميات ؟ "

" اليوميات ؟ هل تعنين تلك المفكرات اليومية التى كتبتها جدتى وجدة جدتى والتى أخذت من هذا المنزل دون إذنى ؟ "

" لم أكن فى حاجة إلى الحصول على إذن منك فأنا أكبر من تبقى من عائلة هاربر سناً ، وهذه اليوميات من حقى أن أحتفظ بها " .

فردت روز قائلة : " بالطبع لست أتفق معك فى ذلك ، ولكن يمكننى مساعدتك فيما يتعلق بأماكن هذه اليوميات . لقد رجعت إلى حيث يجب أن تكون أخلاقيًا وقانونيًا " .

" سأخبر الشرطة لتقبض عليك " .

" ياه . حاولى ذلك ، ألن يكون رائعاً ؟ " ثم جلست على ذراع الكرسى واضعة ساقها على الأخرى وقالت : " ألن يروق لك أن

ترى اسمك ، اسم عائلة هاربر ملطخاً ومشوهاً فى الصحف وهم يتحدثون عنه فى البلدة كلها ؟ إننى أرى الأمر هكذا . وسوف أناقش كل شيء فى المقابلات الصحفية دون تحفظ فمثل هذه الأشياء لا تعنينى " .

ثم توقفت لبرهة وانحنت لتأخذ قطع الحلوى التى رفعتها ليلى إليها قائلة : " شكراً لك يا حبيبتى " . ثم توجهت إلى كلاريس واستأنفت قائلة : " لا أعتقد أنه سيروق لك أن تجعلى من نفسك مثاراً للسخرية والقيل القال لاسيما عندما ينتهى الأمر إلى لا شيء ، فإنى أمتلك ما يخصنى من الناحية القانونية " .

رفعت ليلى إلى أعلى وأجلستها على ركبتها وهى تعطيها قطعة الحلوى ثانية وقد خيم الصمت على الحجرة . وبينما لهثت كلاريس وهى تتقد غضباً ، ترامى لروز أن هذا الموقف كان بمثابة أحد المواقف النادرة التى يمكنها أن تصف فيه ذلك المشهد بدقة من خلال استخدامها لهذا التعبير : " لقد كان يجيش صدرها " .

وكان ذلك رائعاً .

ثم توجهت إليها واستأنفت كلامها ثانية وهى تقول : " وإن كنت تريدين أن تبلغى الشرطة فسوف يسعدنى أن أخبرهم بكل شيء ، وأتمنى أن تستمتعى وأن تشرحى لهم كيف حصلت على ما ينتمى إلى منزل هاربر وبالتالى ينتمى لى ، هذا بالإضافة إلى قطع أخرى عديدة قد صنفت ضمن ما يتعلق بهاربر هاوس " .

فاسود وجهها غضباً وخطت إلى الأمام وهى تقول : " سوف تلوثين اسم العائلة ! فليس هذا من حقك ، ليس من شأنك أن تنبشى فيما يجب أن يظل دفينا " .

وحينئذٍ ، وبهدوء ، ناولت روز الطفلة إلى ميتش الذى همهم قائلا : " أنزليها إلى الأرض يا حبيبتى " ، وحينما أنزلتها واقفة

على قدميها ، توجهت روز إلى كلاريس سائلة : ما الذى تخافين منه ؟ ما الذى فعلوه بها ؟ ومن كانت إميليا هذه ؟ "

فردت كلاريس قائلة : " لم تكن سوى عاهرة حقيرة ، ولم تنل سوى ما تستحقه . ومنذ أن ولدت أدركت وقتها أنك ستكونين مثلها وقد صدق حدسى " .

فردت روز فى هدوء قائلة : " إذن أنا من نسلها " .

" لن أتحدث عن ذلك الأمر أكثر من هذا . وإنها لجريمة وخطيئة أن تصبح امرأة مثلك سيدة لهذا المنزل ، فليس لك حق هنا ، ولم يكن لك حق هنا يوماً . إنك لا شيء سوى وصمة عار ونقمة على اسم العائلة ، لقد كان على جدتى أن تلقى بك للكلاب قبل أن تسمح لمثلك أن تخطو عتبة منزل هاربر " .

" حسنا . إن هذا يكفى " ، وقبل أن تكمل روز ردها وقد كان لديها الكثير لتقوله نهض هاربر قائلاً : " اخرجى الآن ولا تأتى إلى هنا ثانية " .

" لا تكن وقحاً معى أيها الغلام " .

" إنى لم أعد فى الثامنة من عمرى وأنت غير مرغوب فيك هنا . أتعتقدين أنه بمقدورك أن تقفى هنا وأنت تهينين أمى ؟ والآن يمكننى أن أقودك إلى طريق الخروج وإلا سأقوم بركلك إلى الخارج ، فانظرى أيهما تختارين " .

فردت قائلة : " ما أنت إلا مثلها " .

" إن هذا هو أول شيء صحيح تقولينه منذ دخولك هنا . ها هو طريق الخروج يا ابنة العم ريسى ! "

وأمسك بذراعها بالرغم من محاولتها أن تدفعه بعيداً عنها وأخرجها من الغرفة .

عم الصمت المكان ، ثم همست هايلى قائلة : " اذهب يا هاربر " .

الفصل العشرون



وهناك فى الطابق الثانى وفى حجرة الجلوس رفع ميتش قدم روز إلى ركبتيه يمسح عليها قائلاً : " لقد كان يوماً طويلاً عليك " .

فردت قائلة : " حقاً ! " .

فقال : " ولكنك قمت بأداء بعض الحركات الرائعة كتلك التى يقوم بها لاعبو البيسبول " .

فقالت : " نعم قد فعلت ذلك ، ولكن هاربر قام بعملية تنظيف بالمضرب ورمى بها بعيداً عن أرض الملعب " .

رد قائلاً : إنى أحبك أكثر حينما تتحدثين بلغة لعبة البيسبول " . ثم رفع قدمها لأعلى ليقبل كاحلها قائلاً : " سآخذ نصيبى من المفكرات اليومية معى لأبدأ فيها الليلة " .

فردت قائلة : " لقد قضيت يوماً طويلاً حافلاً أنت الآخر ، فلتؤجل هذا إلى ما بعد الزفاف " . وحينئذٍ مالت برأسها إلى الوراء ، وأغلقت عينيها عندما ضغط بإبهامه على منحنى قدمها ،

ثم استأنفت قائلة : " هذا بالإضافة إلى أنك إذا ذهبت فسوف تتوقف عن المسح على قدمى " .

فرد قائلاً : لقد كنت أتمنى أن يكون هذا بمثابة رشوة مناسبة " .

" لست فى حاجة إلى رشوة ، فإنى أتمنى أن تبقى هنا الليلة " .

فرد قائلاً : " ولحسن حظى أن معى بدلتى التى سأرتديها فى الزفاف بالسيارة " .

ظلت عيناها مغلقتين وشفتاها تتحركان قائلة : " إنى أحب الرجل الذى يفكر فى المستقبل " .

فرد قائلاً : " لم أكن متأكداً من أننى سأجد مكاناً لى فى المنزل هذه الليلة . إنها عشية الزفاف وفيها تحدث طقوس خاصة " .

فقالت : " لقد بدأنا طقوسنا هذه فى الصالون هذا الصباح وسوف نزورهم غداً . إنهم سيشكلون عائلة جميلة . أليس كذلك ؟ "

" لقد كونوا هذا العائلة بالفعل . لقد استمتعت وأنا أنظر إلى هذين الولدين وهما يقفان فى وجه المرأة العجوز ، وكذلك الاستماع إلى صيحاتك الرائعة ، ثم يأتى هاربر بعد ذلك كأنه يمشى على أرض الملعب " .

فردت قائلة : " لقد كنا جميعنا نتسم بالوقاحة الرائعة . أليس كذلك ! وبالطبع فلن تتحدث إليك ثانية ولن تساعدك فى كتابك " .

فقال : " لست قلقاً بشأن ذلك ، فهى لا تبدو مهتمة بما أكتبه عنها " .

فقالت : " ولكنى قلقة ، فهى تعرف هوية إميليا وتعرف ما حدث لها ، وهناك احتمال بأنها قد قامت بتدمير أية مفكرات تذكرها ، ولو بشىء يسير ، فهى تنظر إلى أى شىء يتعلق بمنزل هاربر على أنه شىء مقدس إلى أبعد حد . ولكننا يجب أن نكون على استعداد لهذا " .

فرد قائلاً : " إننا لا نحتاج سوى بذور قليلة ، ويمكننى أن أحصل عليها من هناك " .

ففتحت عينيها قائلة : " يالك من رائع ! إنى أحبك أكثر حينما تتحدث باستخدام مصطلحات البستنة " .

فرد قائلاً : " إنك لم ترى شيئاً بعد يا روزاليند . إن قدمك تغوينى للغاية " .

" قدمى ؟ "

" إننى متيم بهما . فلم أكن أعرف ... " وحينئذٍ وببطء خلع حذاءها .

فقالت : " إن أظافرى هى أحد أسرارى القليلة " .

فرفع قدمها قائلاً : " إنى أحب الأسرار " .

كان هناك شىء ما قوى يتمثل فى الاستمتاع بامرأة قوية من خلال النظر إليها والشعور بإحساسها . وقد كانت هذه الرعدة الخفيفة وهذه التنهيدة الهادئة تبعث بلا شك على الإثارة والشهوة لاسيما إذا ما عرفت أن المرأة لم تمنح نفسها أو تستسلم إلى رجل آخر .

ومن الشعور بالجاذبية إلى الشعور بالعاطفة ، ومن العاطفة إلى الحب كانت رحلة لم يخطر له يوماً أن يقوم بها . ولكنه الآن يخوضها . فعندما لمسها أدرك أنها هى المرأة الوحيدة التى طالما أراد أن يقضى بقية حياته معها ، وأخذ يعجب كيف سيصل إلى

هذه المرحلة فى حياته دون أن يتعرف على عطرها وصوتها ، وذلك النسج الرائع لجسمها .

وعندما نهضت واقفة وطوته بذراعيها بدفء وبقوة شعر بأن قلبه كان على وشك أن ينفجر .

وقال لها : " أستطيع أن أراك فى الظلام ، وأن أسمع صوتك حتى ولو كنت على بعد أميال منى " .

لقد كان ذلك الصوت الصغير الذى أحدثته بمثابة عاطفة خالصة وهى تغوص فى أعماقه .

واحتضنته بقوة لبرهة واضعة رأسها على كتفه بينما قلبها يخفق على قلبه . وكم يمكن للحب أن يكون له معان كبيرة مختلفة فى أوقات كثيرة متعددة ؟ كيف هذا ؟ إنها لم تفهمه أبداً . إن كل ما بمقدورها الآن هو شعورها بالامتنان لهذا الحب ، إنها تشعر بالامتنان لعثورها على هذا الحب فى ذلك الوقت .

إنها سترعى ذلك الحب .

ثم استرخت إلى الوراء قليلاً لتمسك بوجهه فى يدها فتقابلت عيونهما ، وقالت : " إنه لشىء صعب حينما نصل إلى أمر كهذا وأنت تعرف الكثيرين وترمى وراء ظهرك ؛ ولكن هذا الأمر ، فى نفس الوقت ، يفوق الحد . إنى أريدك أن تعرف أن هذا هو ما أشعر به نحوك " .

فرد قائلاً : " لا أعرف ماذا يمكننى أن أفعل بدونك يا روزاليند " .

" حسناً ولكن الليل قد أرخى سدوله " ، فذهبا إلى حجرة النوم ، يمارسان الحب إلى أن استغرقا فى النوم .

لقد كان الأمر طبيعياً أكثر مما كانت تتوقع ، فلم يكن نومه بجوارها بمثابة شيء عليها أن تتكيف معه فقط ، وإنما اكتشفت أن نومه بجوارها كان بمثابة شيء لم يعد في مقدورها أن تستغني عنه .

وأخذت تتعجب من عدم شعورها بالغرابة وهي تستيقظ معه ؛ وهي تبدأ روتينها اليومي مع شخص آخر لا يمكنها أن تستغني عنه .

لم تشعر بشيء غريب ، وأدركت أن السبب في ذلك ربما لأن جزءا منها كان في ترقب وانتظار إلى هذه العلاقة الحميمة مرة ثانية ، إنها لم تنشد ذلك ، ولم ينحل أو يهزل جسدها بدونه ، ربما لأن السنوات وحدها هي التي ساعدتها على أن تصبح المرأة التي أرادتها ، وقد كانت هذه المرأة على استعداد لأن تتشارك بقية حياتها ومنزلها وأسرتها مع هذا الرجل .

ثم تسللت خارجة من مخدعها على أطراف أناملها ، فأدركت وقتها أن ذلك كان بمثابة تغيير جديد في حياتها ، فقد مر زمن طويل منذ أن كان عليها أن تشعر بالقلق لكيلا تزعج رفيقا ينام بجوارها .

ثم ذهبت إلى غرفة جلوسها لتنتقي واحدة من تلك المفكرات اليومية . وبرفق وضعت يدها على إحدى مفكرات جدتها التي ستحتفظ بها لتقرأها فيما بعد لتستمتع بها ولتتعاطف معها .

إن ما تفعله الآن تفعله من خلال شعورها بأداء الواجب .

ولم تستغرق سوى أقل من خمس عشرة دقيقة قبل أن تستنتج أنها هي وجدتها لم يفهما بعضهما البعض . وفي هذه المفكرة كان مكتوبًا :

لايزال الجو لطيفاً . لايزال ريجنالد في عمله في نيو أورليانز. لم أستطع العثور على الحرير الأزرق الذي أبحث عنه . إن المحلات هنا ليست على المستوى المرجو . أعتقد أنه يجب علينا أن نقوم برحلة إلى باريس على الرغم من أنه يجب علينا أن نستقدم مربية أطفال أخرى للبنات قبل أن نقوم بهذه الرحلة ، لأن المربية الحالية متحررة أكثر مما يجب أن تكون . وحينما أفكر في ذلك المال الذي أنفقه على راتبها وغرفتها ومعيشتها تنتابني خيبة أمل من تلك الخدمة الرديئة التي تقوم بها . لقد أعطيتها مؤخراً ثوبًا جميلاً لم يعد يناسبني وقبلته دون حرج ، وعلى الرغم من ذلك فإنها تتذمر إذا ما طلبت منها أن تسدي لي خدمة يسيرة . وبالطبع فإن لديها وقتاً كافياً لتقوم ببعض المهام البسيطة لاسيما وأنها غير مسئولة عن رعاية البنات ، وتدرس لهم بعض الدروس القليلة .

إن لدي انطباعاً بأنها تعطي نفسها أكبر من حجمها .

بسطت ساقيها وهي تتصفح المفكرة التي في يديها والتي تشابهت عناوينها في أكثر الأحيان ، فلم تحتو سوى على : شكاوى ، أحاديث عن الأطعمة الشهية ، أحاديث عن التسوق ، أحاديث قليلة عن الأطفال .

فوضعت هذه المفكرة جانباً لتقرأها فيما بعد ، وأخذت واحدة أخرى . وبنظرة سريعة عليها ، عثرت على عنوان يتحدث عن طرد إحدى الخادمات ؛ لأنها قهقهت في الرواق . ثم وجدت عنوانا آخر يتحدث عن حفل راقص . ثم توقفت وأخذت تقرأ بعناية أكثر حينما اجتذبها أحد العناوين وفيه :

لقد أجهضت مرة أخرى . لماذا يتساوى ألم الإجهاض مع ألم الوضع ؟ إنى منهكة وإنى لأتساءل : إلى متى سأعانى من هذا مرة ثانية وأنا أحاول أن أنجب لريجنالد . وبمجرد أن أتعافى سيكذب علىّ ثانية وسوف تستمر هذه المحنة إلى أن أحبل .

إنى لا أجد متعة فى ذلك ، ولا حتى فى هؤلاء الفتيات اللائى يذكرننى دوماً بما يجب أن أنجبه .

وعندما أحمل مرة ثانية فسوف أبقى بمفردى إلى أن تنتهى شهور الحمل ، إنه من واجبى أن أنجب أبناءً ، ولن أتهرب من أداء واجبى على الرغم من أنه يبدو أننى غير قادرة سوى على الحمل بفتيات يثرثرن .

لا أريد شيئاً سوى أن أنام لأنسى أننى قد فشلت مرة ثانية فى أن أنجب لزوجى ولهذا المنزل ذلك الوريث سيكون ملكه .

فأخذت روز تفكر قائلة لنفسها ، لم تكن الأطفال مجرد أداء للواجب . ومن المؤكد أن هؤلاء الفتيات الصغيرات قد شعرن بحزن وأسى شديد لا لشىء إلا لأنهن إناث . وماذا عن تلك الفترة التى كانت فيها باتريس هى المسئولة عن هذا المنزل ؟ هل كانت هناك سعادة تعم هذا المنزل ؟ أم لم يكن الأمر سوى أمر شكلى وأداء للواجب ؟

وشعرت بإحباط وهى تنتقل بين مفكرات جدتها ، ولكنها هدأت من نفسها لتقرأ واحدة أخرى . جاء فيها :

إننى مستاءة للغاية من تلك السيدة ذات الجسد المنفوخ ؛ مارى لويس بيركر . إنها تحمل بطفل آخر وقد انتفخ بطنها كالبقرة ، إنها تعرف كل شىء عن الحمل وتربية

الأطفال . ولكن الأمر ليس هكذا ، فأبناؤها يجرون ويلعبون كالهنود الذين يعيشون فى الغابة ، ولا يتورعون عن أن يضعوا أيديهم القذرة على الأثاث فى الردهة ، بينما هى لا تفعل شيئاً سوى أن تضحك قائلة : إن الأولاد هكذا دائماً عندما يمرحون هنا ومعهم كلابهم الحقيرة .

وكم كانت وقحة حينما اقترحت علىّ أن أذهب إلى طبيبها وإلى إحدى القابلات . إنها تقسم بأنها سوف تنجب تلك الفتاة التى تتوق إليها فى هذه المرة ، لأنها ذهبت إلى تلك المرأة البشعة ، واشترت منها تعويذة لتعلقها على سريرها .

أما كان يكفيها أن تعتقد فى مثل تلك الأمور البشعة على نحو غير لائق وفى الغالب أمام الناس ؟ ولكنها حدثتنى فى مثل هذه الأمور على نحو لم أكن أتوقعه ، وقد فعلت لك ذلك بحجة الصداقة والاهتمام .

وأدركت روز أنها كانت ستحب مارى لويس ، وتساءلت عما إذا كانت بوبى لى بيركر التى ذهبت معه إلى المدرسة الثانوية من نسلها .

ثم أخذ قلبها يدق ويرجف بسرعة حينما قرأت :

أغلقت باب الحجرة على نفسى فلن أتحدث إلى أحد ، فما عوملت به من إذلال لا يحتمل . قد كنت ـ طوال تلك السنوات ـ زوجة تتحمل المسئولية وكرم الضيافة ، وكم عانيت الكثير من طاقم العمل فى هذا المنزل دون أن أشتكى ، وبذلت جهدى كى أظهر ذلك المنزل بالصورة المثلى أمام من هم على شاكلتنا من الطبقة الاجتماعية ، وأمام شركاء ريجنالد فى العمل .

وكما تفعل الزوجات ، فقد تغاضيت عن علاقاته السرية ، ومما هون علىّ أن ريجنالد كان كتوماً .

والآن يحدث هذا .

وذات مساء جاء إلى المنزل وطلب منى أن نذهب إلى المكتب ليتحدث معى فى سرية ، وأخبرنى أنه قد أحبل إحدى عشيقاته ، وحينما أخبرته أن مثل هذا الحديث يجب ألا يحدث بين زوج وزوجته تغاضى عن ذلك وكأن شيئاً لم يحدث .

وكأننى لا أعنى له شيئاً بالمرة .

وطلب منى أن أتظاهر بأنى حامل ، وأخبرنى أيضاً بأن هذه المرأة لو أنجبت ولداً فسوف يتم إحضاره إلى بيتنا ، وسيمنح اسم عائلة هاربر ويتربى هنا كابنه وابنى .

وإذا أنجبت بنتا فسوف تجرى الأمور على طبيعتها وكأننى قد أجهضت ثانية ويبدو الأمر كما لو أن شيئاً لم يحدث .

وبالطبع رفضت أن أربى ابن عاهرة فى بيتى .

وحينئذٍ خيرنى إما أن أقبل بقراره ، وإلا سيطلقنى ، فبطريقة أو بأخرى سيحصل على ولد . وأخبرنى أنه يفضل أن أبقى زوجة له كى لا يتعرض كلانا لفضيحة إذا حدث الطلاق ، وإنه سوف يعوضنى عن ذلك . وإذا ما رفضت فلن يكون هناك سوى الطلاق والعار وحينها سوف أطرد من المنزل الذى طالما اعتنيت به ، ومن الحياة التى صنعتها ولم يبق أمامى خيار آخر .

إنى أصلى من أجل أن تنجب هذه العاهرة بنتا ، إنى أصلى من أجل أن تموت ، وأن يذهبوا جميعاً إلى الجحيم .

وحينئذٍ ارتعشت يدى روز . وعلى الرغم من أنها كانت تريد الاستمرار فى القراءة إلا أنها نهضت واقفة ، ثم مشت إلى أبواب

الشرفة فقد كانت بحاجة إلى الهواء . وقفت فى الشرفة تستنشق هواء الصباح والكتاب فى يدها .

أى نوع من الرجال كان هذا الرجل ؟ كيف به يفرض على زوجته أن تربى ابنه غير الشرعى . وحتى لو لم يكن يحبها فقد كان عليه أن يحترمها .

بل وأى حب هذا الذى كان يشعر به نحو طفله وقد ألقى به لامرأة لن ترعاه ، ولن تستطيع أن ترعاه كأم له ، بل ستنفر منه وتحاول التخلص منه ؟

وكل هذا من أجل اسم العائلة .

" روز ؟ "

وحينئذٍ لم تستدر حينما سمعت صوت ميتش يأتى من خلفها ، وقالت : " هل أيقظتك ؟ أعتقد أنى كنت هادئة " .

" نعم ، لقد كنت هادئة ، ولكنى افتقدتك " .

فردت قائلة : " لقد بدأت القراءة فى بعض اليوميات وقد عثرت على شيء ما " .

فقال : " وقد ضايقك هذا الشيء ؟ "

فقالت : " إنى حزينة وغاضبة ، بل ومندهشة لأنى لست مندهشة من هذا ؛ لقد عثرت على عنوان جاء فيه .... كلا ، يجب أن تقرأه أنت بنفسك " . وحينئذٍ استدارت إليه ، وأمسكت بالكتاب وقد فتحته حيث توقفت قائلة : " خذه واقرأه فى غرفة الجلوس فإنى بحاجة إلى البقاء هنا لدقيقة أخرى " .

فأخذ الكتاب ، وانصرف .

ثم استدارت لتنظر إلى الأرض وإلى الحدائق والتى اكتست باللون الفضى إثر سقوط ندى الفجر عليها ، وأخذت تتساءل : " هل هذا المنزل هو الذى كان فى حوزة عائلتها لأجيال طويلة -

هل كان يستحق كل ذلك ؟ هل بقاء هذه الأرض تحت اسم واحد كان يستحق كل هذا الألم الذى سببه هذا الرجل ؟

ثم عادت إلى غرفة الجلوس ، وجلست أمام ميتش فسألها : " هل توقفت هنا ؟ "

فردت قائلة : " إنى أريد أن أفهم هذا . كم كان متوحشاً وقاسيا معها . وعلى الرغم من أنها لم تكن امرأة تثير الإعجاب ، فقد كانت ـ كما لاحظت من قراءتى لمذاكرتها ـ امرأة أنانية ، معتدة بنفسها ، ضيقة الأفق والتفكير ، ولكن على الرغم من هذا لم تكن تستحق مثل هذه المعاملة . إنك لم تنجبى لى ولدا إذن سأحصل عليه من امرأة أخرى ولك أن تقبلى هذا أو لا ، وقد قبلت " .

فقال : " أمازلت لا تعرفين هذا ؟ "

فهزت رأسها قائلة : " بلى ، إننا نعرف هذا ، ولكن سنقرأ الباقى " .

فقال : " يمكننى أن ألقى نظرة على هذه الفكرة وعلى غيرها فيما بعد " .

فقالت : " كلا . لنقرأ ذلك الآن ، إنه تراثى على أية حال ، هيا لنرى ماذا يمكنك أن تتوصل إليه ، وسوف أنزل لأسفل لأعد القهوة " .

وعندما عادت ، لاحظت أنه قد ارتدى نظارة القراءة وبدا كما لو كان عالما غير مهندم ، فقد كان يجلس دون قميص ، بينما أزرار بنطلونه مفتوحة وشعره غير مصفف .

فشعرت حينها بإحساس رقيق يكتنفها وكأنه بلسم يخفف من أوجاع قلبها .

فوضعت الصينية على المائدة وانحنت لتقبل رأسه قائلة : " إنى أشعر بالسعادة لوجودك هنا حينما عثرت على هذا " .

" إن هناك المزيد . هل تريدين أن ألخص لك ما قرأته ؟ " .

" لا ، أقرأ كلماتها " .

فرد قائلا : " لقد استحوذ هذا الأمر على فكرها فانطبع على ملاحظاتها اليومية شعورها بالمذلة مصحوبا بغضبها ، وقد جعلته يدفع ثمن ذلك بالطريقة الوحيدة التى كانت تعرفها ، والتى تمثلت فى إنفاق ماله بإسراف ، وإقصائه عن مخدعها ، وقيامها بعمل رحلات " .

فردت وهى تصب القهوة قائلة : " إن امرأة قوية مكانها لم تكن لتستسلم ، بل كانت ستأخذ أطفالها وتتركه ، ولكنها لم تفعل ذلك " .

فقال : " إنها لم تفعل ذلك ، فقد كان العصر وقتئذٍ مختلفاً عن وقتنا هذا " .

فقالت: " ربما كان العصر مختلفاً ، ولكن الحق لا يتغير " .

ووضعت أمامه قهوته وجلست بجواره قائلة : " اقرأ ذلك يا ميتش ، إنى أريد أن أعرف " .

فقرأ قائلاً : لقد أحضر الابن غير الشرعى إلى المنزل بصحبة إحدى الجليسات القذرات التى جاء بها من إحدى مملكاته المنتشرة عبر المقاطعة ، وأخبرنى بأن هذه المرأة ليست هى أم الطفل ، فقد أبقاها فى منزل بالمدينة ، لقد جاء بذلك الطفل محل النزاع ملفوفاً فى بطانية ولم ولن أنظر إليه . ولا أعرف سوى أنه كان عليه أن يدفع للطبيب الذى أجرى عملية ولادته رشوة كى لا يفشى هذا السر ،

وأنه مطلوب منى أن أبقى فى المنزل دون أن أستقبل ضيوفاً لأيام قليلة أخرى .

لقد جاء بهذا الشىء إلى المنزل فى منتصف الليل لكى تصدق الخادمات بأنى قد أنجبته ، أو أنهن سيتظاهرن بتصديق ذلك . وقد أسماه ريجنالد إدوارد هاربر الابن .

فهمهمت روز قائلة : " إنه جدى . ذلك الغلام الصغير المسكين ، لقد كبر وأصبح رجلاً لا بأس به ، إن الأمر ليشبه المعجزة . هل هناك من شىء يتعلق بوالدته ؟ "

فرد ميتش قائلاً : " لا يوجد شىء عنها فى هذا الكتاب ومع ذلك فسوف اقرأه بعناية أكثر " .

فقالت : " سنجد عنها الكثير فى واحدة من تلك اليوميات الأخرى ، فقد ماتت إميليا هنا ، وبشكل ما فمن المؤكد أن باتريس قد رأتها أو تحدثت أو تعاملت معها " .

" سأبدأ البحث الآن " .

فمسحت على عينيها وهى تشعر بالتعب وقالت : " كلا . إن لدينا حفل زفاف اليوم ، فاليوم للمرح والبدايات المنعشة وليس للحزن والأسرار القديمة ، لقد عرفنا اليوم ما يكفى " .

فرد قائلا : " إن هذا لن يغير من وضعك يا روزاليند " .

" كلا بالطبع ، لن يغير من وضعى ، ولكن هذا يجعلنى أدرك أن الزواج لأناس كهؤلاء ـ كريجنالد وباتريس ـ لم يكن سوى شكل اجتماعى بحكمة التناسل والخلفيات العائلية . وربما كانت هناك بعض المشاعر بالعاطفة والإعجاب ، ولكن الزواج فى جوهره لم يكن سوى صفقة عمل تهدف إلى إبقاء العائلات فى مستوى اجتماعى معين ، ولم يكن الأطفال سوى أدوات لتحقيق هذا . كم أشعر بالأسى والحزن من أجل أولئك الأطفال " .

ولكن فى وقتنا هذا فنحن نرى الأمر من منظور مختلف ؛ إننا نراقب علاقة الحب بين الفتى والفتاة إلى أن يتزوجا ويصبحا أسرة . إننى سعيدة لوجودك هنا يا ميتش ، وأشعر أيضاً بالسعادة لأننا قد عثرنا على هذه المعلومات اليوم ، لأن حفل الزفاف اليوم هو فقط ما أحتاج إليه " .

لقد كان يوماً رائعاً ذا طقس جميل وهواء معبق بروائح وعطور ، وقد تجملت تلك الحدائق التى أعدها لوجان مع ستيلا ، وأينعت زهورها فى صفوف جميلة الشكل والألوان .

وفى أحد المروج الخضراء ، وعلى صفين ، وضعت المقاعد المكسوة بكساء متدل ذى لون مشمس باهت ، حيث من المفترض أن تسير ستيلا وهى تتأبط ذراع والدها فى ذلك الممر بين المقاعد إلى حيث يقف لوجان بجوار طفليهما .

ونظرت روز من النافذة إلى جولين وهى تزين شعر ستيلا بالزهور .

فقالت : " إن كلتكيما تستحوذان الأنظار " .

فلوحّت جولين بيدها أمام وجهها قائلة : " ها أنا سأبكى ثانية ، لقد أصلحت من زينتى مرات عديدة لا أستطيع حصرها ، سأنصرف عنك لدقيقة يا حبيبتى لأتفقد والدك " .

فانتظرت ستيلا إلى أن خرجت جولين مسرعة ثم قالت : " كنت أشعر بالغضب والضجر لأن أمى رفضت أن تأتى ، فقد تحججت بأن هذه ليست زيجتى الأولى كما أنها لا ترغب فى تكبد عناء رحلتها إلى هنا ، ولم تكن لتجلس فى نفس المكان الذى تجلس فيه هذه المرأة التى لا تتوقف عن دعوتها بجولين حتى بعد مرور كل هذه السنوات " .

فقالت روز : " إنها هى التى ستخسر ، أليس كذلك ؟ "

" نعم ، وانى لست بحاجة إليها فإنى لا أحتاج اليوم سوى لجولين وأنت وهايلى " ، ثم رفعت ستيلا يدها لتلمس الأقراط المتدلية فى أذنها قائلة : " إنها أقراط رائعة للغاية " .

فردت روز ، وهى تقترب من صديقتها كى تشاهدها عن قرب بعد أن شعرت أن نظرها مشوش قائلة : " إنها حقاً لأقراط رائعة " .

كان الفستان بسيطاً ذا لون أزرق باهت وأحزمة قليلة ، وصدرية مستقيمة الشكل وجونلة طويلة ، أما شعرها الأحمر الملفوف فقد زين بزهرتين من زهور الدهلية ، إحداهما بيضاء والأخرى زرقاء اللون ، أما وجهها فقد كان كما يجب أن تكون العروس .

فقالت ستيلا : " إننى أشعر بأنى جميلة للغاية " .

فردت روز قائلة : " يجب أن تشعرى بذلك ، فأنت جميلة حقاً ، وإنى لأشعر بسعادة بالغة من أجلك " .

" لم أعد أشعر بتوتر ولا حتى بتلك الوعكة اليسيرة فى بطنى " . وحينئذٍ وضعت ستيلا يدها على بطنها وهى تطرف بعينيها لتمنع الدموع قائلة : " إنى أفكر فى كيفين ؛ زوجى الأول ، وأفكر فى تلك السنوات التى قضيناها معاً ، وفى أولئك الأطفال الذين ربيناهم سوياً . وإنى لأشعر بداخل قلبى أنه راضٍ عن هذا ، إن لوجان لرجل طيب " .

" نعم إنه لرجل طيب للغاية " .

" لقد جعلته ينتظر قرابة العام " . وحينئذٍ ضحكت ستيلا قائلة : " وها قد حان الوقت ، شكراً لك يا روز على كل ما فعلتيه لأجلى " .

فردت روز قائلة : " على الرحب والسعة ، والآن هل أنت جاهزة للزواج ؟ "

" نعم ، إنى جاهزة للغاية " .

وأخذت تحدث نفسها قائلة : " إن هذا رائع وجميل منظر الرجل والمرأة والأولاد الصغار وهم يقفون مع بعضهم البعض فى حديقة المنزل الذى سيتشاركونه . وها هو لوجان يبدو قوياً وسيما وهو يرتدى بدلته ، أما ستيلا فتبدو جميلة متأنقة ومتألقة فى فستان زفافها ، بينما الأطفال يبتسمون وهم يرون لوجان يقبل العروس .

وانطلق المدعوون فى تصفيق قوى تلقائى حينما حمل لوجان ستيلا وهو يدور بها ، بينما اختتم هاربر تلك اللحظة حينما نزع سدادة أول زجاجة من مشروبات الحفل .

وعلق ميتش على هذه اللحظة ، وهو يشرب نخب روز قائلاً : " إنى لا أدرى متى رأيت زوجين سعيدين أو أسرة سعيدة جميلة مرة أخرى . لقد قمت بعمل رائع " .

فردت روز قائلة : " إننى لم أفعل شيئاً " .

فقال : " إن الأمر يشبه شجرة نسب ، فهذان الاثنان ينحدران من أحد فروعك . ربما لا توجد قرابة بالدم ، ولكنها وصلت إلى قرابة الدم . إن علاقتهما بك هى التى جمعت بينهما ، ثم قاما معاً بإتمام الأمر " .

فرفعت شرابها وارتشفت رشفة قائلة : " إن هذا تفكير جميل ، ولكن هناك شيئًا ما أريد أن أحدثك عنه فيما بعد ، لقد أردت أن أؤجله إلى ما بعد زفاف ستيلا . فهذا يومها " .

فسألها قائلا : " وفيما يتعلق هذا الأمر ؟ "

" إنـه بخصـوص العلاقـات أو شـيء مـن هـذا القبيـل علـى ما أعتقد " ، ثم وثبت على أصابع قدميها قائلة : " سنتحدث عنه ريثما نعود إلى المنـزل . ففـى الحقيقـة ، يجـب علـيّ أن أعـود إلى المنزل بسرعة ، فقد نسيت ، وسط هـذه الضجة ، أن أحضـر معـى هديتي الخاصة بالعروسين ليلة زفافهما " .

" يمكنني أن أذهب مسرعاً وأحضرها " .

ردت قائلة : " كلا . سأكون أنا أسرع إن ذهبت ، وسوف أعود فى غضون الساعة " .

وعندما وصلت إلى السيارة توقفت حينما عـادت إليهـا هـايلى قائلة :

" انتظـرى يـا روز . هـل سيكـون مـن شـىء إذا مـا ركبـت معك ؟ " ثم وصلت إلى السيارة وهى تلهث قليلا وبين ذراعها ليلى تبكي قائلة : " إنها لفتاة سيئة الطبع وهـى بحاجـة إلى أن تنـام قليلا ، ولكنها لن تهدأ إلا إذا ركبت السيارة ، يمكننـا أن نسـتقل سيارتي ففيها مقعد مريح " .

فردت روز قائلة : " بالطبع يمكننا ذلك على الرغم من أننا أسرع " .

فقالت هايلى : " حسناً " ثم ذهبت إلى سيارتها ، وبصعوبة أدخلت ليلى ـ التى كانت تبكى معترضة ـ فى السيارة وهـى تقول : " إنها تهدأ دائماً مع ركوب السيارة ، وإذا خلدت إلى النوم فيمكننـى أن أبقـى هنـا معهـا إلى أن تسـتيقظ ، ثـم نسـتمتع جميعاً بالحفل " .

وقبل أن يصلوا بالسيارة إلى ذلك الممر الضيق ومنـه إلى الطريـق الرئيسى ، بدأت ليلى تنام وقد توقفت عن البكاء .

فعلقت هايلى قائلـة : " إن ركـوب السيارة لـه تـأثير السحر معها " .

ردت روز قائلـة : " دائمـاً مـا كنـت أفضـل هـذا مـع أبنـائى أيضاً . إنها تبدو رقيقة للغايـة فـى فستان الحفلـة هـذا ذو اللـون القرنفلى " .

فردت هايلى قائلة : " إن كل شيء يبـدو جميلاً للغايـة . وإن كان لى أن أتزوج فلا أريد أن يكون حفل زفافى أكثـر مـن هـذا ؛ أن يكون هكذا في وقت الربيـع ، وبين الزهـور والأصدقاء والوجـوه المشرقة ، ودائما ما كنت أريد أن يتم الزفاف فى دار عبادة كبيرة على غير المألوف ولكن الحفل جاء رومانسياً للغاية " .

فقالت روز : " إنه حفل يناسبهما تماماً ، هـدئى السرعة ، أوقفى السيارة " .

" ماذا ؟ ماذا هناك ؟ يا إلهى " .

ونظرا إلى الحديقة التى كانـت روز قـد أغلقتهـا كـى يسـتمتع الجميع بحفل الزفاف ، ولكنها قد رأت أن شخصـاً مـا كـان هنـاك بالحديقة ، وتبادر إلى ذهنها أنه لايزال هناك .

لقد وجدت العديد من موائد العرض الخارجية قـد قلبت علـى رأسها ، وهناك سيارة واقفة بجانب الحديقـة بعـدما دهمـت أحـد أحواض الزهور .

فقالـت روز بسـرعة وقـد خرجـت مـن السيارة : " اسـتدعى الشرطة ، وابتعدى أنت والطفلة عن هنا ، عودى إلى حفل الزفـاف الآن وبسرعة " .

فردت هايلى قائلة : " كلا . لا تدخلى هناك الآن " .

" ولكن هذا المكان ملكى " ، ثم أخذت تجرى .

وأخذت تفكر فى زهورها ، ونباتاتها التى زرعتها من البذور أو بالشتلات ، والتى طالما كانت تحيطها بعنايتها ورعايتها وحبها ، حيث دُمرت ، دُهمت وتحولت إلى قطع صغيرة .

استغرقت دقيقة من الوقت حزنت فيها على فقدانها لزهورها ونباتاتها ، لقد تحول ذلك الجمال البرىء إلى لا شىء .

ولابد على من فعل هذا أن يدفع الثمن .

وسمعت صوت زجاج يتكسر ، وذهبت من خلف المبنى الرئيسى فرأت برايس يضرب نافذة أخرى بمضرب بيسبول .

فقالت : " أيها الوغد الحقير " .

فاستدار إليها ، فرأت علامات الدهشة فى عينيه أولاً ، ثم الغضب ، وهو يقول : " لقد ظننت أنك ستكوين مشغولة اليوم وأننى سأنتهى من هذا قبل عودتك " .

فقالت : " ولكنك لم تحسب الأمر جيداً " .

فقال : " لا يعنينى ، ولا أهتم البتة " . ثم ضرب بالمضرب بشدة فى النافذة التالية قائلاً : " لقد استوعبت الدرس الآن جيداً . أتعتقدين أنه يمكنك أن تذلينى علانية ؟ أهكذا نصبت لى شركاً ، أهكذا أوقعت بى فى الفخ ؟ "

فردت قائلة : " إنك أنت الذى جلبت المذلة إلى نفسك ، وإن لم تلق ما بيدك وتخرج غير مأسوف عليك من أملاكى ، فإن ما سأفعله بك سيكون أكثر من أن أوقع بك فى شرك " .

" وكيف هذا ؟ لا يوجد سوى أنا وأنت هنا الآن ؟ " ثم ضرب على المضرب بكف يده ، وخطا نحوها قائلاً : " أتعرفين مدى الخسارة التى ألحقتها بى ؟ "

فردت قائلة : " إن لدى فكرة عامة بشأن خسارتك التى سوف تتفاقم بتعديك على أملاكى وتدميرها " .

ولم يستخدم مضرب البيسبول ليضربها به على الرغم من أنها رأت فى عينيه لبرهة أنه سيضربها به ، ولكنه لكمها لكمة قوية على وجهها فترنحت إلى الوراء باسطة ذراعيها وقدميها . ومن وضعها هذا نهضت فجأة بسرعة وهجمت عليه ، ولم تستخدم أظافرها أو أسنانها كما فعلت ماندى ، ولكنها أخذت تسدد إليه اللكمات على حين غرة إلى أن أوقعته على ركبتيه قبل أن يتمكن منها ويلكمها ثانية .

ولكن العاصفة لم تهدأ .

فقد هبت الرياح عاتية بسرعة ، كانت رياحاً شديدة البرودة والقوة فطرحت بروز لتصطدم بالمبنى من ورائها فشعرت برأسها يدور إلى أن تمالكت نفسها ثانية .

وحينئذٍ ، رأت إميليا تندفع على الأرض فى سرعة وخفة ، ثم أخذت تطير وعليها تلك العباءة بيضاء اللون المتسخة ، بينما عقصت يديها وكأنها مخالب ، بينما اتقدت عيناها غضباً وكأنها تريد القتل .

وانقضت على برايس .

فانتابه الخوف والهلع وأخذ يصرخ عالياً قبل أن يحك يده على حلقه باحثاً عن هواء يتنفس .

فحاولت روز أن تدفع بنفسها إلى الأمام إلا أن ضغط الرياح بقوته ألقى بها إلى الوراء بشدة وهى تقول لإميليا : " لا تقتليه أرجوك لا تقتليه ، كفاك هذا . كفى . إنه لا يستطيع أن يؤذينى ولن يؤذينى " .

فأخذ الحصى يتطاير ويتقاذف محدثاً صوتاً قوياً ، بينما أخذ ذلك الشبح ذو الرداء الأبيض يدور ويحوم كالنسر فوق الرجل إلى

أن انهار واقعاً على الأرض وهو يخدش ويخربش فى حلقه والدماء تنزف منه .

فرفعت إميليا رأسها ، واستدارت إلى أن التقت عيناها بعينى روز .

قالت : " إنى أعرف بأنى من نسلك ، وأعرف أنك تحاولين حمايتى . ولكن الأمر على ما يرام ، إنه لن يؤذينى الآن " . ثم خطت إلى الأمام خطوتين بصعوبة بالغة فأحست وكأن أنفاسها تخرج رغماً عنها خارج رئتيها وصاحت قائلة : " إنه لا يساوى شيئا ، إنه ليس إلا حشرة . لقد علمنى بعض الدروس المهمة ، وسوف ألقنه دروساً أقسى منها ، وأريده أن يعيش كى يدفع الثمن " .

ثم خطت جاهدة خطوة أخرى إلى الأمام رافعة يدها إلى أعلى وهى تقول : " أقسم لك إنى سأحصل لك على حقك " .

ولاحظت روز أنه كان لا يزال يتنفس ثانية بأنفاس قصيرة متحشرجة محدثا صوتا كالصفير فى شهيقه وزفيره ، فجلست على ركبتيها وبهدوء قالت له : " يبدو أننا لم نكن بمفردنا أنا وأنت كما كنت تزعم " .

وأخذت الرياح تهدأ ، ومن خلالها سمعت صوت صياح ووقع أقدام تجرى ، وحينما نهضت واقفة ، كانت إميليا قد اختفت .

ولم تحتملها أقدامها فترنحت إلى الوراء بينما جاء هاربر مسرعاً ومن خلفه ميتش ، وقد تأخر عنه بخطوتين .

وعلى الرغم من أنها كانت تشعر بدوار فى رأسها إلا أنها بادرتهما قائلة : " إنى بخير . إنى على ما يرام ، ولكن هذا الوغد ربما يحتاج إلى بعض الرعاية الطبية " .

فاحتضنها هاربر وهو يربت يده على وجهها قائلاً : " إنه ليس إلا وغداً حقيراً وقد اعتدى عليك . أليس كذلك ؟ "

فردت قائلة : " إن المغفل هذا قد سدد لى لكمة ولكننى رددتها إليه ، صدقنى لقد نلت منه ، إلى أن جاءت إميليا وأنهت الأمر . إنى بخير يا حبيبى ، لا تقلق " .

وبصوت يرتجف قال ميتش : " إن الشرطة فى طريقها إلى هنا " . فنظرت حينئذٍ إلى وجهه وأدركت أن صوته كان يرتجف من الخوف والغضب الذى انتابه . ثم استأنف قائلاً : " لقد اتصلت هايلى بالشرطة من هاتفها الخلوى فى طريق عودتها لتأتى إلينا " .

فردت روز قائلة : " حسناً حسناً ، علينا أن ننسى هذا الأمر برمته " . وبعد أن تمالكت نفسها ولم تفقد الوعى ثانية مسحت بيدها على شعرها ، ثم على فستانها فلاحظت وجود تمزق بجونلتها فقالت : " اللعنة ! لقد اشتريتها لهذا اليوم بصفة خاصة ؛ على أية حال لنتناسى ذلك " .

شهقت نفساً وهى تقاوم الرعشة والدوار قائلة : " هاربر ، هل لك أن تسدى لى صنيعاً بأن تلقى بهذا الوغد الحقير أنت وميتش بعيداً عنى ، فإنى لا أريد أن أراه لدقيقة واحدة ، وإلا فسوف أنهى ما بدأته إميليا . ثم لتنتظر أنت وميتش إلى أن تأتى الشرطة " .

فرد ميتش قائلاً : " سأجره بعيداً " وحينئذٍ انحنى ميتش لأسفل ثم جذب ميتش بعنف وقد لوى رجليه ، ثم توجهت عيناه بلونهما الأخضر .

ونظر إلى روز سريعاً وهو يقول : " معذرة ! " ثم سدد لكمة قوية إلى وجه برايس ، ثم ألقى به إلى الأرض منبطحاً ، واستأنف

حديثه مع روز قائلاً : " أتمنى إن لم يكن لديك مانع فيما فعلت " .

فردت قائلة : " كلا البتة " . ورغم ما كانت تشعر به من هياج واضطراب فى بطنها ، وجدت شفتها قد انبسطت فى ابتسامة عريضة ، ثم توجهت إلى هاربر قائلة : " هل تمانع فى أن تلقى به بعيداً عن هنا ؟ أريد أن أتحدث إلى ميتش " .

فرد هاربر قائلاً : " على الرحب والسعة " ثم أخذ يجر برايس ، وألقى نظرة فوق كتفه قائلاً : " أمى ، هل أنت متأكدة أن بمقدورك أن تركلى وغداً كهذا ؟ "

فشهقت نفساً ثم زفرته قائلة : " نعم ، إن كان هذا هو ما تريده " . ثم توجهت إلى ميتش قائلة : " سأجلس هنا إلى أن تحتملنى قدماى ، فقد أجهدت وأنا أركل ذلك الوغد " .

صاح قائلاً : " مهلاً . انتظرى " ثم خلع سترته وبسطها على الأرض قائلاً : " ليس هناك ما يدعو إلى أن يتسخ هذا الفستان أكثر مما هو عليه الآن " .

فجلست وجلس بجوارها ، ثم أسندت رأسها إلى كتفه قائلة : " أنت بطلى " .

الخاتمة



جلست فى هدوء إلى أن استعاد نبض قلبها سرعة ضرباته المعتادة ، وحتى استقرت حدة هذا المزيج من التوتر والغضب الذى كان يعتصر بطنها .

وأخذت تقول لنفسها حينما رأت ذلك الزجاج المكسور يلمع فى ضوء الشمس بأن الزجاج يمكن استبداله . ولكنها ستتنعى زهورها ، ومع هذا ستحاول إنقاذ بعض تلك الزهور المصابة .

وسوف تزرع الكثير والكثير غيرها .

وسألت ميتش قائلة : " كيف حال يدك ؟ "

فرد قائلاً : " إنها بخير . إن له فكاً غليظاً " .

فقالت : " يالك من رجل قوى " . ثم استدارت لتطوقه بذراعيها ، وهى تنظر إلى العظام الناتئة فى مفاصل أصابعه .

فرد قائلاً : " من المؤكد أنه قد أصيب بالجنون إن كان يعتقد أنه بمقدوره أن يفلت بصنيعه هذا " .

فقالت : " أعتقد أنه قد جُن عقله إلى حد ما . وأعتقد أيضاً أنه قد خطط لإتلاف حديقتى ومنزلى قبل أن نعود معتقداً أننا ، أو الشرطة سنلقى باللوم على الأطفال . إن رجلاً كهذا لا يكن أى احترام للمرأة ولا يؤمن بأن واحدة منهن يمكنها أن تلحق به الهزيمة " .

فرد قائلاً : " وقد هزمته إحداهن " .

فقالت : " بل اثنتان ؟ واحدة على قيد الحياة والأخرى فى عالم الموتى " .

ولأنها أحست بذهاب الدوار عنها ، فقد نهضت واقفة على قدميها ممسكة يده وهى تقول : " لقد كانت متشيطة غضبا وقتها ؛ كانت تطير فوق الأرض وبين الموائد فى سرعة مذهلة وبشكل شرير . وحينما رآها برايس قادمة نحوه أخذ يصرخ فأخذت تخنقه ، أو أنها ـ على ما أعتقد ـ جعلته يظن أنها تقوم بخنقه ، فلم تلمسه بيدها ولكنها مع ذلك كانت تختنقه " .

وأخذت تحك ذراعيها ، ثم تشبثت بسترته فألقاها على كتفيها ، ولم تكن تعرف بأن عظامها ستنعم بالدفء مرة ثانية .

ثم استأنفت قائلة : " لا أستطيع أن أصدق ذلك المشهد ، بل أنى بالكاد أصدق أنه قد حدث بالفعل . فقد كان كل شىء يبدو سريعًا ومخيفاً " .

فشرح لها قائلاً : " لقد سمعناك وأنت تصرخين ، وشعرت حينها أنا وهاربر بقلق وخوف شديد عليك " .

ثم استدار وأمسك بالسترة ليثبتها على كتفها وعينيه فى عينيها قائلاً : " إنى أحترم وأقدر لك إرادتك الصلبة يا روزاليند ، وأقدر كذلك طباعك وما لديك من قدرات ، ولكن يجب عليك فيما بعد أن تفكرى كثيراً قبل أن تتحدى بمفردك

شخصاً مجنوناً بيده مضرب بيسبول ، إننى أجيد ركل الآخرين ، ويبدو أنه أنت التى سأركلها إن لم تفعلى ذلك " .

فمالت برأسها وهى تتفحص وجهه وأدركت أنه كان يعنى تماماً ما يقوله .

فردت قائلة : " كيف يمكننى أن أقاوم رجلاً يتركنى أخوض معاركى بنفسى ، وحينما يحين الوقت تجده يسارع بتنظيف المنزل ؟ وبعد أن تنقشع الغمة يوبخنى ويعنفنى لأنى كنت بلهاء حمقاء ، ولم يخطىء فى ذلك " .

فرد قائلاً : " حسنا ، لقد اتفقنا بشأن ذلك " .

وحينئذٍ خطت نحوه واقتربت منه ، ثم رفعت ذراعها مطوقة بهما رقبته وهى تقول : " إنى حقاً أحبك " .

فقال : " وأنا أيضاً أحبك " .

فقالت : " إذن ليست لديك مشكلة فى أن تتزوجنى ؟ "

وشعرت بجسمه قد انتابته رعشة ، ثم سكن حينما التصق بجسمها وهى تشعر بحرارته . فقال : " هل أنت جادة للغاية ؟ "

" إنى أريد أن أعيش معك فى منزل واحد ، ثم نستيقظ فى الصباح سوياً ، وأن أجلس لأحتسى القهوة معك كلما أريد ، إنى أريد أن أشعر بأنك هناك فى انتظارى وأنا بانتظارك ، إنى أريدك معى يا ميتش ، أريد أن أقضى معك ما تبقى من حياتى " .

فرد قائلاً : " إنى مستعد لنبدأ هذا " ثم طبع قبلة على خدها المصاب بكرامة ، وأخرى على جبينها وثالثة على شفتيها قائلاً : " وسوف أتعلم كيف أتمنى على الأقل زهرة واحدة ، وردتى السوداء " .

وحينئذٍ هدأ كل شيء بداخلها ، حتى حينما نظرت إلى ذلك الدمار الذى لحق بأملاكها . إنها ستقوم بإصلاح ذلك ، ستنقذ ما يمكن إنقاذه وسوف تتقبل ما لن تستطيع إنقاذه .

ستحيا حياتها ، ستزرع حدائقها ، وتسير جنباً إلى جنب مع الرجل الذى أحبته ويدها فى يده ينظران إلى تفتح الزهور وإيناعها .

أما فى حدائق هاربر هاوس فقد ظل يوجد شخص ما وقد استشاطه غضباً وانفطر قلبه حزناً وأسى وقد اتقدت عيناه غضباً .